

تأليف

الإمام أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى

الأزدي السلمي

المتوفى سنة ٤١٢هـ

تحقيق

سيد عمران

الجزء الأول

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت، لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box: 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ère Etage
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P.: 11 - 9424 Beyrouth - Liban



ISBN 2-7451-3164-8

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، هو ولينا فى الأولى والآخرة نرجو أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين والصلاة والسلام على أفضل الخلق وسيد ولد آدم صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين، الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وبعد:

يقول الراغب الأصفهانى: إن أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن وتأويله وذلك لأن الصناعة إنما تشرف بشرف موضوعاتها أو بشرف أغراضها وصناعة التفسير قد تحقق لها الشرف فى الموضوع لأن موضوعها كلام الله تعالى الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة وتحقق لها شرف الصورة لأن صورته إظهار المكنون فى القرآن من أسرار أودعها الله فيها وتحقق لها الشرف الفرضى لأن قصدها التمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لها فناء فيها هذه العبارة أجملت أهمية علوم التفسير، وأوضحت شرف هذا الميدان الجليل وهو شرف مركب.

شرف الموضوع: لأن موضوعه كتاب الله الجليل سبحانه.

شرف الصورة ـ وهى أداء الفرض ـ: لأن مقصوده كشف المكنون من لطائف المعارف وأحاسن المعانى، وشريف الشرع، وكريم التذكرة.

شرف الغرض: لأن هدفه التمسك بالعروة الوثقى الذى يوصل إلى السعادة الحقة وهذه درجة عظيمة ومنزلة كريمة، وهى منزلة ﴿يؤتى الحكمة من يشاء﴾.

أنواع التفسير

وطرائق المفسرين شتى فى تفسيرهم يجمعها قسمان كبيران سماهم العلماء:

أ ـ التفسير بالمأثور.

ب ـ التفسير بالرأى.

فأما التفسير بالمأثور فهو يعتمد على تفسير الكتاب بالكتاب أو بالسنة أو بما ورد عن الصحابة والتابعين وهو من أجل أنواع التفسير إن سلم من المعايب اللازمة لمثله وهى التى سنشير إليها إن شاء الله. أما إنه أجل أنواع التفسير فلأنه منبع التفسير وأصله قال ابن تيمية [دقائق ١/ ١٢٤ فما بعدها]:

فإن قال قائل: فما أحسنُ طرق التفسير؟

فالجواب:

الأول: إن أصح الطرق من ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل فى مكان فإنه قد فسر فى موضوع آخر، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر.

الثانى: فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة: فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

الثالث: وحينئذ إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى به لك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التى اختصوا بها . . .

ثم قال: إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عن الصحابة فى ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم رجعوا كثيرًا من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن حبير فإنه كان آية فى التفسير ».

ولتراجع هذه الفصول التى عقدها شيخ الإسلام فى رسالة عن أصول التفسير فإنها نافعة أى نفع.

على أن من أهم المآخذ التى يمكن أن تؤخذ على الإسراف فى النقل عن السلف فى هذا اللون من التفسير:

أولاً: ضعف هذه المرويات وهذا الضعف تختلف درجاته، وقد يصل إلى حد وجود بعض المرويات الموضوعة، ولعل من أولى الأمثلة على ذلك التفسير المنسوب لابن عباس رضى الله عنه المسمى (تنوير القياس) فقد جاء كله من رواية محمد بن مروان السرى عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، وأما السرى فهو رجل مجمع على ضعفه وبعضهم ينسبه إلى الكذب ووضع الحديث ولذلك فقد تركوه، وأما الكلبى فهو محمد ابن السائب الكلبى على الرغم من شهرته فهو ضعيف جدًا فى الحديث وقد قال لأصحابه فى آخر حياته: كل ما حدثتكم به عن أبى صالح فهو كذب ـ ومن هنا يتبين لك مدى الضعف والوهاء الذى تحمله هذه الرواية عن ابن عباس. وكذلك التفسيرات

المنقولة عن علىٍّ بعض طرقها ضعيف مثل طريق حبّة بن جوين عن علىّ، وحبّة هذا ضعيف جدًا فى الرواية حتى قالوا (حبّة لا يساوى حبّة).

ثانيًا: وجود الإسرائيليات التى تورد بغير نقد أو تمحيص وهذه مرويات دخلت التفسير عن طريق أهل الكتاب. ومن المعروف عن الدارسين أن كتب أهل الكتاب لا تصدق ولا تكذب إلا بدليل من شرعنا ولذلك قال النبى ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» ومع انتشار الرواية فى التفسير أخذوا عن أهل الكتاب طرفًا من كثير، خصوصًا فيما يتعلق بقصص الأنبياء وبدء الخلق، وكثير من هذه موضوعات وبعضها فاسد المعنى يحتوى على اتهام الأنبياء، ومن أمثلة ذلك ما روى فى تفسير التسع والتسعين نعجة فى سورة (ص) ـ وقصة بلقيس فى سورة النمل، وقصة الذبيح فى سورة (ص) أيضًا ـ ويمكن مراجعة ذلك فى تفسير الطبرى أو البغوى أو الثعلبى.

ومهما اختلفت كتب التفسير بالمأثور فى حجم ما ورد فيها من إسرائيليات أو فى موقفها منها إلا أنها فى جملتها قد روت هذه الإسرائيليات بدون عزو وبدون تمحيص فى بعض الأحيان وبعض هؤلاء يوردها ولا يعقب عليها فى كل الأحيان وبعضهم يذكرها بأسانيدها على أساس أن من أسند فقد برئ.

ويوجه الشيخ محمد حسين الذهبى نقدًا لابن جرير الطبرى إمام التفسير بالمأثور فيقول: (ابن جرير يروى فى تفسيره أباطيل كثيرة، يردها الشرع ولا يقبلها العقل ثم هو لا يعقب عليها بما يفيد بطلانها اكتفاء بذكر أسانيدها) (ص١٠١).

وينقد العلامة الألوسى أصحاب التفسير الذين نقلوا قصة داود عليه السلام مع إسرائيليات الخصم الذين تسوروا المحراب ـ التى أشرنا إليها وهى قصة النعاج التسع والتسعين فيقول: «وللقصاص كلام مشهور لا يكاد يصح، لما فيه من فريد الإخلال بمنصب النبوة».

ونكتفى بهذين المأخذين على التفسير بالمأثور منتقلين إلى النوع الثانى من التفسير وهو: (التفسير بالرأى) والمراد به معرفة القرآن بالاجتهاد وليس بمجرد النقل والأثر ويتحقق ذلك ببذل المجهود وتحصيل الزاد من كافة أدوات الاجتهاد وشحن الفهوم، وتحقيق العلوم.

والتفسير بالرأى قسمان:

رأى محمود: وهو الذى ينطبق عليه هذا التعريف السابق ووسائل تحقق مع المعرفة

بالمأثور والعلم بالعربية. ومن ثم كثر كلام أهل العلم فيما يسمى (الأدوات التى لابد للمفسر من تحصيلها) والعلوم التى يحتاج إليها المفسر وهى موضحة فى كتب علوم القرآن.

رأى مذموم: وهو الذى لا يستوفى هذه الشرائط السابقة.

قال الشيخ محمد حسين الذهبى فى كتابه القيم (التفسير والمفسرون) (١/ ٢٥٤): الرأى قسم جار على موافقة كلام العرب ومناحيهم فى القول مع موافقة الكتاب والسنة ومراعاة سائر شروط التفسير وهذا القسم جائز لا شك فيه، وعليه يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأى.

وقسم غير جار على قوانين العربية ولا موافق الأدلة الشرعية ولا مستوف لشرائط التفسير، وهذا هو مورد النهى ومحط الذم وهو الذى يرمى إليه كلام ابن مسعود إذ يقول: «ستجدون أقوامًا يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع وإياكم والتنطع» وكلام عمر إذ يقول: «إنما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأول القرآن على غير تأويله، ورجل ينافس الملك على أخيه» وكلامه إذ يقول: «ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاسق بين فسقه ولكنى أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله» فكل هذا ونحوه وارد فى حق من لا يراعى فى تفسير القرآن قوانين اللغة ولا أدلة الشريعة جاعلاً هواه رائده، ومذهبه قائده وهذا هو الذى يحمل عليه كلام المانعين للتفسير بالرأى، وقد قال ابن تيمية بعد أن ساق الآثار عمن تحرج من السلف من القول فى التفسير ـ: فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، هذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: **﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾** ولما جاء فى الحديث المروى من طرق «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» اهـ. (١/ ٢٥٤).

ومن أهم العيوب والانتقادات التى توجه للتفسير بالرأى المذموم:

قيام التفسير على رأى فاسد من الآراء العقائدية المخالفة لعقيدة السلف كتفاسير

المعتزلة ومثالهم تفسير الزمخشرى والشيعة ـ خصوصًا الغلاة ومثالهم الصافى فى تفسير القرآن لملا حسن كاشى والصوفية خصوصًا غلاتهم ومثالهم تفسير محيى الدين بن عربى. وأيضًا حقائق التفسير لأبى عبد الرحمن السلمى فهو من التفسير الإشارى.

قال الذهبى فى كتابه «التفسير والمفسرون» (١/ ٤١١):

من العلماء من وجه همته إلى التفسير الظاهر ولم يتعرض للتفسير الإشارى كالبيضاوى، والزمخشرى مثلاً.

ومنهم من جعل غالب همه فى التفسير الظاهر وتعرض للتفسير الإشارى بقدر كما فعل النيسابورى والألوسى.

ومنهم من غلبت عليه ناحية التفسير الإشارى ومع ذلك فهو يتعرض أحيانًا للتفسير الظاهر، كما فعل سهل التسترى.

ومنهم من وجّه همته كلها للتفسير الإشارى، ولم يحم حول المعانى الظاهرة، كما فعل أبو عبد الرحمن السلمى [وهو كتابنا الذى بين أيدينا].

ومنهم من أعرض عن الظاهر وجمع فى تفسيره بين التفسير الصوفى النظرى والتفسير الصوفى الإشارى كما فعل صاحب التفسير المنسوب لابن عربى.

وليس ضروريًا أن نتكلم عن تفسير النيسابورى والألوسى من ناحية ما فيها من التفسير الإشارى، لأنهما أقرب إلى أهل الظاهر منهما إلى أهل الإشارة إذ كان كلامهم عن التفسير الإشارى أمرًا عارضًا وتابعًا لغيره، وتوسيق الكلام عنهما فى كتب التفسير بالرأى المحمود.

ويكفى هنا أن نتكلم عن أهم الكتب التى وجّه أصحابها فيها كل عنايتهم أو جُلها نحو التفسير الإشارى ومن أهمها كتاب (حقائق التفسير).

وقال ابن تيمية: **كتاب «حقائق التفسير» لأبى عبد الرحمن السلمى يتضمن ثلاثة أنواع:**

أحدها: نقول ضعيفة عمن نقلت عنه مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق، فإن أكثره باطل عنه. وعامتها فيه من موقوف إلى عبد الرحمن. وقد تكلم أهل المعرفة فى نفس رواية أبى عبد الرحمن حتى كان البيهقى إذا حدث عنه يقول حدثنا عن أصل سماعه.

الثانى: أن يكون المنقول صحيحًا لكن الناقل أخطأ فيما قال.

الثالث: نقول صحيحة عن قائل مصيب، فكل معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل وحجته داحضة وكل ما وافق الكتاب والسنة والمراد بالخطاب غيره إذا فسر به الخطاب فهو خطأ وإن ذكر على سبيل الإشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقًا وقد يكون باطلاً.

وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد فى آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح باب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام.

* * *

ترجمة المؤلف

قال الذهبى رحمه الله فى كتاب «التفسير والمفسرون»: ومؤلف هذا التفسير هو أبو عبد الرحمن، محمد بن الحسين بن موسى الأزدى السلمى، المولود سنة ٣٣٠هـ (ثلاثين وثلاثمائة من الهجرة).

كان رحمه الله شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، له اليد الطولى فى التصوف، والعلم الغزير، والسير على سنن السلف، أخذ الطريق عن أبيه فكان موفقًا فى جميع علوم الحقائق ومعرفة طريق التصوف.

وكان على جانب عظيم من العلم بالحديث حتى قيل: إنه حدث أكثر من أربعين سنة إملاء وقراءة وكتب الحديث بنيسابور، ومرو، والعراق، والحجاز، وصنف سننًا لأهل خراسان.

وأخذ عنه بعض الحفاظ منهم الحاكم أبو عبد الله، وأبو القاسم القشيرى، وغيرهما.

ولقد خلّف رحمه الله من الكتب ما يزيد على المائة: منها ما هو فى علوم القوم ومنها ما هو فى التاريخ ومنها ما هو فى الحديث، ومنها ما هو فى التفسير.

ولكن السلمى مع وفرة جلالته، وعظيم منزلته بين مريديه لم يسلم كغيره من الصوفية من الطعن عليه.

قال الخطيب: قال محمد بن يوسف النيسابورى القطان: كان السلمى غير ثقة، يضع للصوفية. وكأن الخطيب لم يرض هذا الطعن فيه، فقال حكاية هذا القول: قدر أبى عبد الرحمن عند أهل بلده جليل، وكان مع ذلك محمودًا صاحب حديث.

قال ابن السبكى صاحب «طبقات الشافعية»: «قول الخطيب فيه هو الصحيح وأبو عبد الرحمن ثقة ولا عبرة بهذا الكلام فيه».

هذا، وقد كانت وفاته سنة ٤١٢هـ (اثنتى عشرة وأربعمائة من الهجرة) فرحمه الله رحمة واسعة.

* * *

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه

يقع هذا التفسير فى مجلد واحد كبير الحجم، ومنه نسختان مخطوطتان بالمكتبة الأزهرية.

قرأت فى هذا التفسير، فوجدته يستوعب جميع سور القرآن ولكن لا يتعرض لكل الآيات بل يتكلم عن بعضها ويغُضى عن بعضها الآخر وهو لا يتعرض فيه لظاهر القرآن وإنما جرى فى جميع ما كتبه على نمط واحد وهو التفسير الإشارى وهو إذ يقتصر على ذلك لا يعنى أن التفسير الظاهر غير مراد، لأنه يُصرّح فى مقدمة تفسيره أنه أحب أن يجمع تفسير أهل الحقيقة فى كتاب مستقل كما فعل أهل الظاهر.

ثم إن أبا عبد الرحمن السلمى لم يكن له مجهود فى هذا التفسير أكثر من أنه جمع مقالات أهل الحقيقة بعضها إلى بعض، ورتبها على حسب السور والآيات، وأخرجها للناس فى كتاب سماه «حقائق التفسير».

وأهم من ينقل عنه السلمى فى حقائقه: جعفر بن محمد الصادق، وابن عطاء السكندرى، والجنيد، والفضيل بن عياض، وسهل بن عبد الله التسترى، وغيرهم كثير.

وإليك بعض ما قاله فى مقدمته، لنعلم أن السلمى حين اقتصر على المعانى الإشارية لم يجحد المعانى الظاهرة للقرآن، ولتعلم أيضًا أن مجهوده فى هذا التفسير إنما هو الجمع والترتيب.

قال رحمه الله: لما رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر سبقوا فى أنواع فوائد القرآن: من قراءات وتفاسير، ومشكلات وأحكام، وإعراب ولغة، ومجمل ومفسر، وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة، نُسبت إلى أبى العباس بن عطاء، وآيات ذُكر أنها عن جعفر بن محمد على غير ترتيب وكنت قد سمعت منهم فى ذلك حروفًا استحسنتها، أحببت أن أضم ذلك إلى مقالتهم وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقتى واستخرت الله فى جمع شىء من ذلك واستعنت به فى ذلك وفى جميع أمورى وهو حسبى ونعم المعين.

* * *

طعن بعض العلماء على هذا التفسير

غير أن الاقتصار على المعانى الإشارية والإعراض عن المعانى الظاهرة فى هذا المؤلف ترك للعلماء مجالاً للطعن على هذا التفسير وعلى صاحبه من أجله.

فالجلال السيوطى رحمه الله يذكر أبا عبد الرحمن السلمى فى كتابه «طبقات المفسرين» ضمن من صنّف فى التفسير من المبتدعة ويقول: «وإنما أوردته فى هذا القسم لأن تفسيره غير محمود»

والحافظ الذهبى رحمه الله يقول عن السلمى: وله كتاب يقال له حقائق التفسير وليته لم يصنِّفه فإنه تحريف وقرمطة ودونك الكتاب فسترى العجب.

ويقول السبكى فى طبقات الشافعية: وكتاب حقائق التفسير، كثر الكلام فيه من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات، ومحال الصوفية ينبوع اللفظ.

وقد مرّ بك آنفًا أن الإمام أبا الحسن الواحدى قال: صنّف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر.

وهذا هو الإمام ابن تيمية يطعن على تفسير السلمى من ناحية أخرى فيقول: وما ينقل فى حقائق السلمى عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر، كما قد كذب عليه فى غير ذلك.

رأينا فى هذه الطعون:

هذا... وإنَّ عَدَّ السيوطى «السلمى» فى ضمن المفسرين من أهل البدع غلو منه وإجحاف.

وما قاله الذهبى من أن ما فى الحقائق تحريف وقرمطة. يريد أنه كتفسير القرامطة من الباطنية. فهذا غير صحيح لأن الرجل يقر الظواهر على ظواهرها والقرامطة بخلاف ذلك.

وأما ما قاله السبكى من أن السلمى قد اقتصر فى حقائقه على تأويلات للصوفية ينبو عنها اللفظ فهذه كلمة حق لا غبار عليها.

وأما قول الواحدى: إنه لو اعتقد أن ما فى الحقائق تفسير لكفر باعتقاده هذا. فنقول فيه: إن أبا عبد الرحمن لم يعتقد أن هذا تفسير، وإنما قال إنه إشارات تخفى وتدق إلا

على أربابها كما صرَّح بذلك فى مقدمة حقائق التفسير.

وأما قول ابن تيمية: إن ما يُنقل فى حقائق السلمى من التفسير عن جعفر عامته كذب على جعفر، فهذه كلمة حق من ابن تيمية إذ أن غالب ما جاء به عن جعفر الصادق كله من وضع الشيعة عليه، ولست أدرى كيف اغتر السلمى وهو العالم المحدِّث بمثل هذه الروايات المختلفة الموضوعة.

* * *

نماذج من تفسير السلمى

وإذ قد فرغنا من الحديث على حقائق التفسير، فاسمع بعض ما جاء فيه لتحكم أنت بدورك عليه.

فى سورة النساء عند قول الله تعالى فى الآية (٦٦) **﴿ولو أنا كَتَبْنَا عَلَيهم أن اقْتُلوا أنفُسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قَلِيلٌ منهم﴾** يقول: قال ابن الفضل: (اقتلوا أنفسكم) بمخالفة هواها (أو اخرجوا من ديارِكُم) أى أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم **﴿ما فعلوه إلا قليل منهم﴾** فى العدد، كثير فى المعانى، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة.

وفى سورة الرعد عند قوله تعالى فى الآية (٣) **﴿وهو الذى مدَّ الأرض وجعل فيها رواسى﴾**. يقول: قال بعضهم هو الذى بسط الأرض وجعل فيها أوتادًا من أوليائه وسادة من عبيده فإليهم الملجأ وبهم النجاة فمن ضرب فى الأرض يقصدهم فاز ونجا ومن كان بغيته لغيرهم خاب وخسر. سمعت علىّ بن سعيد يقول: سمعت أبا محمد الحريرى يقول كان فى جوار الجنيد إنسان مصاب فى خربة فلما مات الجنيد وحملنا جنازته حضر الجنازة فلما رجعنا تقدم خطوات وعلا موضعًا من الأرض عاليًا فاستقبلنى بوجهه وقال: يا أبا محمد إنى راجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد، ثم أنشد شعرًا:

ومـا أسفى من فراق قوم	هم المصابيح والحصـون
والمـدن والمزن والرواسى	والخير والأمن والسكون
لم تتغيـر لنـا الليـالى	حـتى توفتهم المنـون
فكل جمـر لنـا قلـوب	وكل مـاء لنا عيـون

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

عملنا فى الكتاب

قمنا بحمد الله وفضله مستعينين به سبحانه وتعالى معتمدين عليه مبتغين وجهه ورضاه، فكان كالآتى:

أولاً: نسخ المخطوط، وضبطه، وتصويب الأخطاء التى جاءت فيه.

ثانيًا: تخريج آيات الشواهد التى جاءت بالمخطوط.

ثالثًا: تخريج الأحاديث المرفوعة، والآثار ما أمكن والتى عثرنا عليها فى المصادر التى بين أيدينا مع تبيين درجة الحديث من الصحة أو الضعف.

رابعًا: ترجمة لبعض أعلام الصوفية وغيرهم التى وردت بالمخطوط.

خامسًا: ترجمة لبعض الأماكن والبلدان والفرق.

سادسًا: التعقيب على بعض النصوص الواردة فى المخطوط والتى تخالف نصوص الشريعة مع تأويلها إلى الحسن من القول.

سابعًا: شرح بعض غريب الكلام الذى ورد فى المخطوط.

وأخيرًا وليس بآخر نسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتى يوم لا ينفع مال ولا بنون، فإن كان صوابًا فمن الله وحده وله الفضل والمنة، وإن كان غير ذلك فمنى وحدى ولله العفو والمغفرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو حفص ـ سيد عمران

المنيا/ كفر المنصورة

فى يوم الإثنين ٧ من جمادى الأول ١٤٢١هـ

الموافق ٧ من أغسطس ٢٠٠٠ م

سماعات على المخطوط

سمع جميع تفسير الحقائق، جمع الشيخ الإمام أبى عبد الرحمن السلمى، رحمة الله عليه، على الشيخ الإمام العالم الزاهد الحافظ الثقة، أمين الدين، شرف الإسلام، سيد العلماء فى المحدثين أبى المحاسن عبد المحسن بن شفاء بن أبى المعالى التراسى الحميرى المداعى. أدام الله أيامه نحو روايته عن الشيخ الإمام الحافظ رضى الله أبى الخير أحمد ابن إسماعيل، الطلقانى، القزوينى «رحمة الله عليه» إجازة. قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن أبى الفضل بن أبى العباس الشقانى يقرؤنى عليه بنيسابور، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى، قال: حدثنا المؤلف أبو عبد الرحمن السملى «رحمه الله» صاحب الكتاب المولى الصدر الكبير، الإمام، العالم كمال الدين، مغيث الإسلام أبو عمرو بن أبى يعلى، أبى عمر الأبهرى بقواسم، عتيقه سراج الدين أبو بكر بن عبد الله، ومملوكه أغوس بن عبد الله، والحاج الفقيه سديد الدين عثمان نجتيار بن عمر المراغى، والفقير إلى رحمة الله تعالى عبد الجليل بن عبد الجبار بن عبد الواسع بن عبد الجليل أبو محمد الأبهرى كاتب السماع أصلحه الله، وسمع ولد الشيخ المسموع أبو يعمر عبد المنعم بعضه وأجاز له الشيخ الباقى، وذلك فى ثمانية أيام من أوائل جمادى الأولى سنة إحدى وستمائة ببلدة مراغة حماها الله، فى المدرسة الناحية، وصح وتمت.

صح سماع الجماعة المذكورين تفسير آى الصدر الكبير، العالم الناسك كمال الدين، مغيث الإسلام، سيد العلماء أبى عمر بن أبى يعلى أيد الله علوه، عبد المحسن بن شفاء ابن أبى المعالى بن أبى الحسين التراسى، وهو برىء من التصحيف والتحريف، حرره فى تاريخه حامدًا مصليًا.

* * *

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

صورة الصفحة الثانية من المخطوط

صورة الصفحة قبل الأخيرة من المخطوط

صورة الصفحة الثانية من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

[خطبة المؤلف]

الحمد لله الذى خص أهل الحقائق لخواص إفراده وجعلهم أهل الفهم لخطابه، والعالمين بلطائف ودائعه، فى كتابه المنزل ﴿**الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾ فأخبروا عن معانى خطابه بمقدار ما فتح الله على كل واحد منهم، من لطائف أسراره ومعانيه ونطقوا عن فهم كتابه بحسب ما سنح لهم من بدائعه، على أنه ما نطق أحد عن حقيقة حقائقه، وإنما أخبر عن مقدار ما يليق بفهمه بل قصرت الأفهام عن إدراك حقائقه واستيعاب فوائده إلا على معانى المكاشفات والمنازلات متحيرون عن طرف منه بإشارات حقيقية وتدق إلا على أربابها لأنه كتاب عزيز نزل من عند عزيز على أعز الخلق نسمة وأشرفهم نعمة، صلى الله عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله.

ولما دانت المتوسمين بالعلوم الظواهر، صنفوا فى أنواع القرآن، من فوائد ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفسر وناسخ ومنسوخ وإعراب ما يشغل منهم لجميع فهم خطابه على حساب الحقيقة إلا آيات متفرقة نسبت إلى أبى العباس بن عطاء[1]

---

(١) هو الزاهد المتأله، أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمى البغدادى حدث عن: يوسف بن موسى القطان، وعنه: محمد بن على بن حبيش، وقال: كان له فى كل يوم ختمة، وفى رمضان تسعون ختمة، وبقى فى ختمة مفردة بضع عشرة سنة يتفهم ويتدبر.

وقال حسين بن خاقان: كان ينام فى اليوم والليلة ساعتين.

قال الذهبى: لكنه راج عليه حال الحلاج، وصحّحَه.

فقال السُّلمى: امتحن بسبب الحلاج، وطلبه حامد الوزير وقال: ما الذى تقول فى الحلاج؟ فقال: ما لك ولذاك؟ عليك بما ندبت له من أخذ الأموال، وسفك الدماء. فأمر به، ففُكَّت أسنانه، فصاح: قطع الله يديك ورجليك، ومات بعد أربعة عشر يومًا، ولكن أجيب دعاؤه، فقطعت أربعةُ حامد.

قال السُّلمى: سمعت أبا عمرو بن حمدان يذكر هذا.

وقيل: إن ابن عطاء فقد عقله ثمانية عشر عامًا ثم ثابَ إلى عقله.

قال الذهبى: ثبت الله علينا عقولنا وإيماننا، فمن تسبب فى زوال عقله بجوع ورياضة صعبة، =

وآيات ذُكر أنها عن جعفر بن محمد عليه السلام(١) على غير ترتيب، وكنت قد سمعت منهم فى ذلك جزءًا استحسنتها أحببت أن أضم ذلك إلى مقالتهم وأضم أقوال المشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك، وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقتى فاستخرت الله فى جميع ذلك شىء منه، واستعنت به فى جميع أمورى وهو حسبى ونعم المعين.

ـ أخبرنا محمد بن عبد الله بن قريش قال حدثنا الحسن بن سفيان الفسوى قال حدثنا أبو موسى الأنصارى وعباس القرشى قالا حدثنا سفيان عن مطرف عن الشعبى عن أبى جحيفة قال سألت عليًا رضى الله عنه هل عندكم من رسول الله ﷺ شىء من الوحى سوى القرآن؟ قال: لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدًا فهم كتابه(٢). الحديث. . .

= وخلوة فقد عصى وأثِمَ، وضاهى من أزال عقله بعض يوم بسُكر. فما أحسن التقيد بمتابعة السنن والعلم توفى أبو العباس فى سنة تسع وثلاثمائة فى ذى القعدة.

ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢، صفة الصفوة ٢/ ٢٨٧).

(١) هو جعفر بن محمد بن على بن الشهيد أبى عبد الله، ريحانة النبى ﷺ وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب عبد مناف بن شيبة وهو عبد المطلب ابن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصى، الإمام الصادق، شيخ بنى هاشم أبو عبد الله القرشى، الهاشمى العلوى، النبوى، المدنى، أحد الأعلام وأمُّه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر التيمى، وأمها هى أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ولهذا كان يقول: ولدنى أبو بكر الصديق مرتين.

وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبى بكر ظاهرًا وباطنًا. هذا لا ريب فيه، ولكن الرافضة قوم جهلة، قد هوى بهم الهوى فى الهاوية فبعداً لهم.

ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة، أحسبه رأى أنس بن مالك، وسهل بن سعد.

حدث عن أبيه أبى جعفر الباقر وعبيد الله بن أبى رافع وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبى رباح وروايته عنه فى مسلم. وجده القاسم بن محمد ونافع العمرى وغيرهم كثير وكان من جلة علماء الدين، حدث عنه ابنه موسى الكاظم، ويحيى بن سعيد الأنصارى، ويزيد بن عبد الله بن الهاد وهما أكبر منه، وأبو حنيفة، وأبان بن تغلب وغيرهم. ومن فضائله: كان يُطعم حتى لا يبقى لعياله شىء ومن أقواله: الفقهاءُ أمناء الرسل فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتهموهم، مات جعفر الصادق فى سنة ثمان وأربعين ومائة.

ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥، حلية الأولياء ٣/ ١٩٢، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٧، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٦).

(٢) صحيح: اخرجه البخارى فى كتاب «العلم» باب «كتابة العلم» (١/ ٢٤٦) حديث رقم (١١١) وفى كتاب «الجهاد» باب «فكاك الأسير» (٦/ ١٩٣) حديث رقم (٣٠٤٧) وفى كتاب «الديات»=

ـ أخبرنا عبد الله بن محمد بن على بن محمد بن زياد الدقاق قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى قال أخبرنا جرير عن واصل بن حبان عن ابن أبى الهذيل عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، لكل آية منه ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع»(١).

= باب: «العاقلة» (١٢/ ٢٥٦) حديث رقم (٦٩٠٣).

والترمذى فى كتاب «الديات» باب «ما جاء لا يقتل مسلم بكافر» (٤/ ١٧) حديث رقم (١٤١٢).

وابن ماجه فى كتاب «الديات» باب «لا يقتل مسلم بكافر» (٢/ ٨٨٧) حديث رقم (٢٦٥٨).

والنسائى فى كتاب «القسامة» باب «سقوط القود من المسلم للكافر» (٨/ ٣٩٢) حديث رقم (٤٧٥٨).

وأحمد فى مسنده (١/ ٧٩، ٥٩٩)، جميعًا من طرق عن مطرف من طريف عن الشعبى قال: سمعت أبا جحيفة يقول فذكره وباقى اللفظ قوله [إلاَّ أن يعطى الله عز وجل عبدًا فهمًا فى كتابه أو ما فى هذه الصحيفة قلت: وما فى الصحيفة، قال: فيها العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر] اهـ.

(١) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) حديث رقم (٧٧٧) من طريق جرير ابن عبد الحميد عن مغيرة بن مقسم الضبى عن واصل بن حيان عن عبد الله بن أبى الهذيل، عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود . . . فذكره وفى أوله، لو كنت متخذًا خليلاً الحديث ونهايته قوله: «لكل حرف منها ظهر وبطن». وقال: لم يرو هذا الحديث عن مغيرة إلا جرير.

وابن حبان فى «موارد الظمآن» (٦/ ٣) حديث رقم (١٧٨١) من طريق سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن أبى إسحاق الهمدانى عن أبى الأحوص عن ابن مسعود فذكره. بدون قوله «ولكل حرف حد ومطلع».

وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٠/ ١٢٥) حديث رقم (١٠٠٩٠) من طريق سليمان بن بلال. . .

والبزار (٣/ ٨٩ ـ ٩٠) حديث رقم (١٣١٢) من طريق سليمان بن بلال ولم ينسبا أبا إسحاق. قلت: وأبو إسحاق الهمدانى هو عمرو بن عبد الله السبيعى وقد اختلط وابن عجلان لم يسمع منه قبل الاختلاط.

وأورده الهيثمى فى «المجمع» (٧/ ١٥٢) من رواية ابن مسعود. وقال: رواه البزار وأبو يعلى وفى الكبير بلفظ «لكل آية منها ظهر وبطن» وفى رواية عند الطبرانى فى الكبير «لكل حرف منها بطن وظهر» والطبرانى فى الأوسط باختصار آخره ورجال أحدهما ثقات، ورواية البزار عن محمد بن عجلان عن أبى إسحاق قال فى آخرها لم يرو محمد بن عجلان عن إبراهيم =

وحُكى عن جعفر بن محمد أنه قال: كتاب الله على أربعة أشياء: العبادة والإشارة واللطائف والحقائق. فالعبادة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء[١].

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: ما من آية إلا ولها أربعة معانٍ: ظاهر

= الهجرى غير هذا الحديث، قلت ومحمد بن عجلان إنما روى عن أبى إسحاق السبيعى فإن كان هو أبو إسحاق السبيعى فرجال البزار أيضًا ثقات. اهـ.

وأورده ابن حجر فى «المطالب العالية» (٣/ ٢٨٥) حديث رقم (٣٤٨٩).

وابن عبد البر فى «التمهيد» (٨/ ٢٨٢)، من طريق جرير عن مغيرة عن واصل بن حيان عن عبد الله بن أبى الهذيل عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود . . . فذكره بلفظه.

والمناوى فى «فيض القدير» (٣/ ٥٤) وقال (منها ظهر وبطن) فظهره ما ظهر تأويله وعرف معناه وبطنه ما خفى تفسيره وأشكل فحواه أو الظهر اللفظ والبطن المعنى أو الظهر التلاوة والرواية، والبطن الفهم والرواية. ولكل (حرف حد) أى منتهى فيما أراد الله من معناه (ولكل حد) من الظهر والبطن (مطلع) بشدة الطاء وفتح اللام موضع الاطلاع أى مصعد وموضع يطلع عليه بالترقى إليه فمطلع الظاهر التمرن فى فنون العربية وتتبع أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، ومطلع الباطن تصفية النفس والرياضة والعمل بمقتضاه وقيل المنع. ومعناه أن لكل حد من حدود الله وهى ما منع عباده من تعديه موضع اطلاع من القرآن فمن وفق لارتقاء ذلك المرتقى اطلع على الحد الذى يتعلق بذلك المطلع. اهـ.

وقال الطبرى: «فظهره: الظاهر فى التلاوة وبطنه: ما بطن من تأويله». وعلق الشيخ أحمد شاكر على هذا بقوله: «الظاهر: هو ما تعرفه العرب من كلامها وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام.

والباطن: هو التفسير الذى يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه، ولم يرد الطبرى ما تفعله الطائفة الصوفية وأشباههم فى التلعب بكتاب الله وسنة رسوله، والعبث بدلالات ألفاظ القرآن، وادعائهم أن لألفاظه (ظاهرًا) هو الذى يعلمه علماء المسلمين، و (باطنًا) يعلمه أهل الحقيقة فيما يزعمون. اهـ.

وأورده شيخنا الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٢/ ١٧) حديث رقم (١٤٣٥) وقال: ضعيف.

(١) قلت: إن الله تعالى حينما أنزل كتابه على نبيه أنزله حسب الأحداث وعلمه النبى لأمته وبلغه إياهم ولم يستأثر به لأحد من أصحابه عن غيرهم بل كلهم علموه وفهموه ولم يقسم القرآن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا غيرهم من السلف الصالح إنما هذا التقسيم محدث مبتدع فكتاب الله لجميع الأمة منذ نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهو كلام الله وصفة من صفاته فى إحكامه ومتشابهه للقاصى والدانى ولكن يفترق هنا الفهم فى كتاب الله كما أخبر بذلك على بن أبى طالب فى الحديث السابق.

وباطن وحد ومطلع، قال: الظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد هو عبارة وإشارة، وأحكام الحلال والحرام. والمطلع مراده من العبد بها وجعل القرآن عبارة وإشارة ولطائف وحقائق، فالعبادة للسمع والإشارة للعقل واللطائف للمشاهدة والحقائق للاستسلام.

* * *

سورة فاتحة الكتاب

«سبع آيات»

بسم الله الرحمن الرحيم

قيل: إنها سميت فاتحة الكتاب لأنه فتح عليك فاتحته لذيذ مناجاته فكانت فاتحة لكل خير، وقيل أيضًا: فاتحة الكتاب؛ أنه أوائل ما فتحناك من خطابنا، فإن تأدبت وإلا حُرمت لطائف ما بعده من لطائفه.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

قال أبو القاسم الحكيم: «بسم الله الرحمن الرحيم» إشارة إلى المودة بدءًا.

حُكى عن العباس بن عطاء أنه قال: الباء بره لأرواح الأنبياء بإلهام الرسالة والنبوة، والسين سره مع أهل المعرفة بإلهام القربة والأنس.

والميم منته على المريدين بدوام نظره إليهم بعين الشفقة والرحمة.

وقال الجنيد[1] فى «بسم الله الرحمن الرحيم»: بسم الله هيبته، وفى الرحمن عونه، وفى الرحيم مودته ومحبته. وقيل الباء فى «بسم الله» بالله ظهرت الأنبياء وبه فنيت وبتجليه حسنت المحاسن وباستناره فتحت وسمحت.

---

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندى ثم البغدادى القواريرى، والده الخزاز.

هو شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، وتفقه على أبى ثور، وسمع من السرى السقطى وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وصحب أيضًا الحارث المحاسبى، وأبا حمزة البغدادى، واتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتألّه وتعبَّد، ونطق بالحكمة وقلَّ ما روى.

حدث عنه: جعفر الخلدى، وأبو محمد الجريرى، وأبو بكر الشبلى، ومحمد بن على بن حبيش، وعبد الواحد بن علوان، وعدة.

قال ابن المناوى: سمع الكثير، وشاهد الصالحين، وأهل المعرفة، ورزق الذكاء، وصواب الجواب. لم يُر فى زمانه مثله فى عِفَّة وعزوف عن الدنيا.

وقال السلمى فى طبقات الصوفية: وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريرى أصله من نهاوند ـ من بلاد الجبل، وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة.

توفى سنة سبع وتسعين ومائتين.

ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، طبقات الصوفية ص٣٦).

وحكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال: إن أهل المعرفة نفوا عن قلوبهم كل شيء سوى الله عز وجل، وصفُّوا قلوبهم لله، وكان أول ما وهب الله تعالى لهم فناهم عن كل شيء سوى الله قولوا بسم الله إلينا فانتسبوا ودعوا انتسابكم إلى آدم عليه السلام.

وقيل أيضًا: إن «بسم» لبقاء هياكل الخلق، فلو افتتح كتابه باسمه؛ لذابت تحت حقيقتها الخلائق إلا من كان من نبي أو ولي، والاسم بنور نعيم الحق على قلوب أهل معرفته.

وقيل في «بسم الله»: إنه صفاة أهل الحقيقة لئلا يتزينوا إلا بالحق، ولا يقسموا إلا به.

وقال أبو بكر بن طاهر[1]: الباء سر الله بالعارفين، والسين السلام عليهم، والميم محبته لهم.

وروى عن النبي ﷺ إنْ صح هذا، الباء بهاؤه والسين سناؤه، والميم مجده[2].

---

(١) أبو بكر عبد الله بن طاهر بن حاتم الأبهرى الطائى، كان من أجل المشايخ بالجبل، وهو من أقران الشبلى.
كان عالمًا ورعًا، صحب يوسف بن الحسين، ورافق مظفرًا القرميسينى، وغيرهما من المشايخ مات قرب الثلاثين وثلاثمائة. وأسند الحديث.
ترجمته فى: (طبقات الصوفية ص٩٥، الرسالة القشيرية ص٢٧).

(٢) إسناده ضعيف جدًا: أورده ابن كثير فى تفسيره (١/ ٤٠) وقال: رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء اللعب بابن زريق، عن إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبى مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود، ومسعر عن عطية عن أبى سعيد . . . فذكره.
قلت: فى الطريق الأولى علل إسماعيل بن عياش. ضعفه النسائى وإسماعيل بن يحيى قال الدارقطنى: كذاب متروك، وفيه أيضًا رواه مجهول.
وفى الطريق الثانية تصنيف أيضًا عطية وهو العوفى ضعيف.
والحديث أيضًا رواه ابن الجوزى فى كتابه الموضوعات (١/ ٢٠٣، ٢٠٤) ونسب هذا الكلام إلى عيسى ابن مريم عليه السلام. من الطريقين السابقين.
وقال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع محال وقال أيضًا: ما يضع مثل هذا الحديث إلا ملحد يريد شين الإسلام، أو جاهل فى غاية الجهل، وقلة المبالاة بالدين. ولا يجوز أن يفرق حروف الكلمة المجتمعة فيقال الألف من كذا واللام من كذا، وإنما هذا يكون فى الحروف المقطعة فيقال اقتطع بحرف من كلمته مثل قولهم فى كهيعص الكاف من الكافى والهاء من الهاوى، فقد جمع واضع هذا الحديث جهلاً وافرًا وإقدامًا عظيمًا وأتى بشيء لا تخفى برودته والكذب فيه. اهـ.

وقيل: إن الباء فى «بسم الله» إلينا وصلهم إلى «بسم الله».

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندرانى يقول: سمعت أبا جعفر الملطى يذكر عن على بن القاسم موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «بسم» الباء بقاؤه والسين أسماؤه والميم ملكه، فإيمان المؤمن ذكره ببقائه وخدمة المريد ذكره بأسمائه، والعارف عن المملكة بالمالك لها.

وقال أيضًا: «بسم» ثلاثة أحرف: باء وسين وميم فالباء باب النبوة، والسين سر النبوة الذى أسرَّ بها النبى ﷺ به إلى خواص أمته[١]، والميم مملكة الدين الذى أنعم به للأبيض والأسود، وأما «الله» فإن محمد بن موسى الواسطى قال: ما دعى الله أحد باسم من أسمائه، إلا ولنفسه فى ذلك نصيب إلا قوله «الله»، فإن هذا الاسم يدعوه إلى الوحدانية وليس للنقص فيه نصيب، وقيل: كل أسمائه تقتضى عوضًا عند الدعاء إلا «الله»، فإنه اسم تفرد الحق به. وقيل: كل من قال: «الله» فمن عادة قالها إلا من غيب عن شاهده، وقام الحق بتوليته عنه، عند ذاك زالت العيوب والزلل.

وقال الحسين[٢]: بسم الله منك منزلة «كن» منه فإذا أحسنت أن تقول: «بسم الله»

(١) إن النبى ﷺ لم يسر إلى أحد من خواص أمته وكان أقرب الناس إليه صحابته رضوان الله عليهم وكان أبو بكر الصديق أقرب الصحابة إليه وقال فيه النبى ﷺ كما جاء فى الصحيح: «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» ومع ذلك لم نسمع أنه أسر إليه بشىء وهو أخص الخواص إليه وأما عن بعض أسراره فقد جعلها لواحد فقط من الصحابة ألا وهو حذيفة ابن اليمان وقد ائتمنه على أسماء المنافقين حتى إن عمر بن الخطاب جاء يفتش عن اسمه عنده خوفًا على نفسه فأين سر النبوة التى جعلها للخواص فتعجب.

(٢) هو الحسين بن منصور بن محمى، أبو عبد الله ويقال: أبو مغيث الفارسى البيضاوى الصوفى والبيضاء: مدينة ببلاد فارس وكان جده محمى مجوسيًا.
نشأ الحسين بتستر، فصحب سهل بن عبد الله التسترى، وصحب ببغداد الجنيد، وأبا الحسن النورى، وصحب عمرو بن عثمان المكى. وأكثر الترحال والأسفار والمجاهدة.
وكان يصحح حاله أبو العباس بن عطاء، ومحمد بن خفيف، وإبراهيم أبو القاسم النصرآباذى. وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لما سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، وإلى الشعبذة والزوكرة، وقد تستر به طائفة من ذوى الضلال والانحلال، وانتحلوه وروَّجُوا به على الجهال نسأل الله العصمة فى الدين.
قال السُّلمى: وسمعت أبا على الهمدانى يقول: سألت إبراهيم بن شيبان عن الحلاج، فقال: من أحب أن ينظر إلى ثمرات الدعاوى الفاسدة فلينظر إلى الحلاج وما صار إليه. =

وأنكرت فيه فضل من الله أن تقول الله وأنتم عند الغفلة والحيرة تحققت الأشياء بقولك «بسم الله» كما يتحقق له كن.

وحُكى عن الشبلى[1] أنه قال: ما قال الله أحد سوى الله، فإن كل من قاله قاله بحظ وأنَّى يدرك الحقائق الحظوظ.

= قال النديم: قرأت بخط عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر: كان الحلاج مشعبذًا محتالاً يتعاطى التصرف، ويدعى كل علم، وكان صفرًا من ذلك، وكان يعرف فى الكيمياء، وكان مِقدامًا جسورًا على السلاطين، مرتكبًا للعظائم، يروم إقلاب الدُّول، ويدَّعى عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلول، ويظهر التشيع للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة، وفى تضاعيف ذلك يدَّعى أن الإلهية حلت فيه، تعالى الله وتقدس عما يقول.

فى سنة إحدى وثلاثين ومائة أدخل الحلاج بغداد مشهورًا على جمل قبض عليه بالسُّوس، وحمل إلى الرائس، فبعث به إلى بغداد، فصلب حيًا ونودى عليه: هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه.

ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣، طبقات الصوفية ص٧٤).

(١) هو شيخ الطائفة، أبو بكر، الشبلى البغدادى قيل: اسمه دُلَف بين جحدر، وقيل: جعفر بن يونس وقيل: جعفر بن دُلَف.

أصله من الشبلية قرية. ومولده بسامراء وكان أبوه من كبار حُجَّاب الخلافة. وولى هو حجابة أبى أحمد الموفق [هو ابن الخليفة المتوكل، واخو الخليفة المعتمد] ثم لما عزل ابو احمد من ولايته حضر الشبلى مجبس بعض الصالحين. فتاب ثم صحب الجنيد وغيره، وصار من شأنه ما صار.

وكان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة. وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم وحال وتمكن، لكنه كان يحصل له جفاف دماغ وسُكر. فيقول أشياء يُعتَذرُ عنه، فيها بأوٌ [كبر وافتخار] لا تكون قدوة.

حكى عنه: محمد بن عبد الله الرازى، ومحمد بن الحسن البغدادى، ومنصور بن عبد الله الهروى الخالدى وأبو القاسم عبد الله بن محمد الدمشقى، وابن جميع الغَسَّانى وآخرون.

قيل: إنه مرة قال: آه، فقيل له: من أى شىء؟ قال: من كل شىء.

وكان رحمه الله لهجًا بالشعر: الغزل والمحبة. وله ذوق فى ذلك، وله مجاهدات عجيبة انحرف منها مزاجه.

وسُئل: ما علامة العارف؟ قال: صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح.

توفى ببغداد سنة أربع وثلاثمائة عن نيف وثمانين سنة.

ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٣، طبقات الصوفية ص٨٢).

وقال أبو سعيد الخراز[١] فى كتاب درجات المريدين: ومنهم من جاوز نسيان حظوظ نفسه، فوقع فى نسيان حظه من الله ونسيان حاجته إلى الله فهو يقول: لا أوركها أريد وما أقواه وما أنا ومن أين أنا، ضاع اسمى فلا اسم لى، وجهلت فلا علم لى، وضللت فلا جهل لى، وأسوق إلى من يعرف أقول فيساعدنى فيما أقول، وإذا قيل لأحدهم ما تريد قال: الله وما تقول الله قال وما علمت قال: الله فلو تكلمت جوارحه لقالت: الله وأعضاؤه ومفاصله ممتلئة من نور الله المخزون عنده، ثم يصيرون فى القرب إلى غاية لا يقدر أحد منهم أن يقول الله؛ لأنه ورد فى الحقيقة على الحقيقة ومن الله على الله ولا حيرة، ومعناه لا حيرة فيما فيه الحيرة.

وسُئل الحسين بن منصور[٢] هل ذكره أحد على الحقيقة فقال: كيف يذكر على الحقيقة من لا أمد لكونه ولا علة لفعله ليس له كدٌك، ولا لغيبه هدَّك له من الأسماء معناها والحروف مجراها إذ الحروف مبدوعة والأنفاس مصنوعة، والحروف قول القائل تنزغن ذلك من الأحوال خلقة، رجع الوصف فى الموصف، وعمى العقل عن الفهم، والفهم عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، ودار المُلكُ فى الملِك، وانتهى المخلوق إلى

(١) هو شيخ الصوفية، القدوة، أبو سعيد أحمد بن عيسى البغدادى الخراز.
أخذ عن إبراهيم بن بشار الخراسانى ومحمد بن منصور الطوسى.
روى عنه: على بن محمد الواعظ المصرى، وأبو محمد الجريرى وعلى بن حفص الرازى، ومحمد بن على الكتانى، وآخرون.
وقد صحب سريًا السقطى، وذا النون، ويقال: إنه أول من تكلم فى علم الفناء والبقاء، فأى سكتة فاتته قصد خيرًا فولد أمرًا كبيرًا، تشبث به كل اتحادى ضالٌ به.
قال السُّلَمى: أنكر أهل مصر على أبى سعيد، وكفروه بألفاظ فإنه قال فى كتاب «السرّ» فإذا قيل لأحدهم ما تقول؟ قال: الله ... فذكره. يعنى هذه المقولة التى قالها فى الكتاب.
ومن أقواله: كل باطن يخالف ظاهرًا فهو باطل.
قال العروس فى حاشيته على شرح الرسالة القشيرية (١/١٦٨) «فعلى العاقل أن يدوم على اتهام نفسه، وعدم الوثوق بها وبوارداتها حتى يعرضها على الكتاب والسنة، فإن شهدا بها عمل بها، وإلا رجع عنها» اهـ.
توفى سنة ست وثمانين ومائتين. وقال غيره: بل توفى سنة سبع وسبعين ومائتين.
ترجمته فى: (سير اعلام النبلاء ١٣/٤١٩، حلية الأولياء ١٠/٢٤٦، والرسالة القشيرية ص٢٢، ٢٣).

(٢) لقد عرفت آنفًا حال الحسين بن منصور الحلاج وكلام العلماء فيه، بل وكلام أهل الصوفية أنفسهم فلا داعى أن يلتفت إلى كلامه ولا يعتد بأقواله ونسأل الله السلامة.

مثله، عدا قدره الظن، ودها نوره الغيبة.

وقيل: إن الألف الأول من اسمه الله ابتداؤه، واللام الأول لام المعرفة، واللام الثانى لام الآلاء والنعماء والسطر الذى بين اللامين معانى مخاطبات الأمر والنهى، والهاء نهاية مما تكن العبادة عنه من الحقيقة لا غير.

وقيل: إن الألف آلاء الله، واللام لطف الله واللام الثانى لقاء الله والهاء هيبة بآلاء الله[١] فَوَلِهَ به المحبون والمشتاقون حين عجزوا عن علم شىء منه.

وحكى أن أبا الحسين النورى[٢] بقى فى منزله سبعة أيام لم يأكل ولم ينم ولم

---

(١) قلنا قبل ذلك إن الحروف أو الكلمات لا يجوز تجزئتها والكلام على معانى حروفها كما فى كلمة (بسم) وتقدم الكلام عليها لذلك فى كلمة (الله) وأما الحروف المقطعة أصلاً كالحروف التى فى بداية السور اختلف العلماء عليها منهم من أجازها ومنهم من توقف عندها فافهم.

(٢) هو أحمد بن محمد الخراسانى البغوى الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق وله عبارات دقيقة، يتعلق بها من انحرف من الصوفية، نسأل الله العفو.
صحب السرى السقطى وغيره، وكان الجنيد يعظمه لكنه فى الآخر رقَّ له وعذره لما فسد دماغه وقد ساحَ النورى إلى الشام، وأخذ عن أحمد بن أبى الحوارى، وقد جرت له محنة، وفرَّ عن بغداد فى قيام غلام خليل على الصوفية، فأقام بالرَّقَّة مدةً متخليًا منعزلاً. حكى ذلك أبو سعيد ابن الأعرابى، قال: ثم عاد إلى بغداد وقد فقد جلاَّسه وأُناسَه وأشكاله، فانقبض لضعف قوته، وضعف بصره.
قال الذهبى فى السير: ثم إن أبا الحسين انقبض عن جميعهم، وجفاهم، وغلبت عليه العلة وعمى، ولزم الصحارى، والمقابر، وكانت له فى ذلك أحوال يطول شرحها.
وسمعت جماعة يقولون: من رأى النورى بعد قدومه من الرقة، ولم يكن رآه قبلها فكأنه لم يره لتغيره، رحمه الله.
توفى النورى قبل الجنيد، وذلك فى سنة خمس وتسعين ومائتين، وقد شاخ رحمه الله.
قال أبو بكر العطوى: كنت عند الجنيد لما احتضر، فختم القرآن ثم ابتدأ سورة البقرة، فتلا سبعين آية ومات قال الخلدى: رأيته فى النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم، ونفذت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها فى الأسحار.
قال أبو حفص: صدق والله ولقد بادر بالتوبة إلى الله عز وجل قبل موته ولعل غيره يتعظ بكلامه بعد موته فلا شىء ينفع الإنسان بعد موته إلا عمله الصالح أو الولد الصالح الذى يدعو له أو الصدقة الجارية كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ فاتباع الشرع من الكتاب والسنة الصحيحة المطهرة هما النجاة من عذاب الله يوم القيامة نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة.
ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٩).

يشرب، ويقول فى ولَهِ ودهشه: الله الله، وهو قائم يدور فأخبر الجنيد بذلك فقال: انظروا أمحفوظ عليه أوقاته أم لا؟ فقيل: إنه يصلى الفرائض فقال: الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً ثم قال: قوموا حتى نزوره إما نستفيد منه أو نفيده فدخل عليه وهو فى ولهه قال: يا أبا الحسين ما الذى دهاك؟ قال: أقول: الله الله زيدوا علىَّ فقال له الجنيد: انظر هل قولك الله الله أم قولك قولك إن كنت القائل الله فالله ولست القائل له وإن كنت تقوله بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله فقال: نعم الود فسكنت وسكن عن ولهه فكان الشبلى يقول: الله فقيل له لم لا يقول لا إله إلا الله؟ فقال: لا أنفى به ضدًا.

وقيل فى قوله: الله هو المانع الذى يمنع الوصول إليه لما امتنع هذا الاسم عن الوصول إليه حقيقة كانت اللذات أشد امتناعًا لعجزهم فى إظهار اسم الله، ليعلموا بذلك عجزهم عن ذكر ذاته.

وقيل فى قوله الله: الألف إشارة إلى الوحدانية واللام إشارة إلى محو الإشارة، واللام الثانى إشارة إلى محو المحو فى كشف الهاء.

وقيل: إن الإشارة فى الألف هو قيام الحق بنفسه وانفصاله عن جميع خلقه ولا اتصال له بشىء من خلقه كامتناع الألف أن يتصل بشىء من الحروف ابتداء بل تتصل الحروف به على حد الاحتياج إليه واستغنائه عنها

وقيل: إنه ليس من أسماء الله عز وجل اسم يبقى على إسقاط كل حرف منه اسم الله إلا الله فإنه الله، فإذا أسقطت منه الألف يكون «لله» فإذا أسقطت إحدى لاميه يكون «له» فإذا أسقطت اللامين بقى «الهاء» وهو غاية الإشارات

وأما وَلَه[1] الخلق فى تولهم فمنهم من وَلِهَ سره فى عظمة جلاله، ومنهم من وَلِهَ قلبه فى وجوه معرفته، ومنهم من وَلِهَ لسانه بدوام ذكره.

وحكى عن ابن الشبلى[2] قال فى تجلى الجنيد فى ولهه: الله فقال له الجنيد: يا أبا بكر الغيبة حرام أى أن ذكر الغائب غيبة فإن كنت غائبًا فالذكر غيبه وإن كنت تذكره عن مشاهدة فهو ترك الحرمة.

---

(١) وَلِهَ: الوَلَه: الحزن، وقيل: هو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد أو الحزن أو الخوف. والوَلَهُ: ذهاب العقل لفقدان الحبيب (لسان العرب مادة وله ١٣/ ٥٦١).

(٢) لعله الشبلى حيث تقدمت ترجمته وقد صحب الجنيد كما بينا سابقًا.

وقيل: من قال الله بالحروف، فإنه لم يقل الله لأنه خارج عن الحروف والخصوص والأوهام ولكن رضى منك بذلك لأنه لا سبيل إلى توحيده من حيث لا حال ولا قال.

وقيل إن معنى قول الله: إن الأسماء كلها داخل فى هذا الاسم وخارج منه، يخرج من هذا الاسم معنى الأسماء كلها ولا يخرج هذا الاسم من اسم سواه وذلك أن الله عز وجل يفرد به الاسم دون خلقه وشارك خلقه فى اشتقاقات أساميه.

وقال بعض البغدادين: ليس الله ما يبدو لكم وبكم ووالله ما هذا فهو الله هذه حروف تبدو لكم وبكم، فإذا انظهر انتقيت فمعناه ها هو الله، وقال أبو العباس بن عطاء: قوله «الله» هو إظهار هيبته وكبريائه.

وكتب أبو سعيد الخراز إلى بعض إخوانه: هل هو إلا الله، وهل يقدر أحد أن يقول الله إلا الله، وهل يرى الله إلا الله، وهل عرف الله أو يعرفه إلا الله، وهل كان قبل العبد وقبل الخلق إلا الله، وهل الآن فى السموات وفى الأرضين وما بينهما إلا الله؟ إذ لم تكونوا فكونوا بالله ولله.

قال أبو سعيد الخراز: رأيت حكيمًا من الحكماء فقلت له: ما غاية هذا الأمر قال: الله. قلت: فما معنى قولك الله؟ قال: يقول اللهم دلنى عليك وثبتنى عند وجودك ولا تجعلنى ممن يرضى بجميع ما هو ذلك عوضًا وأقر قرارى عند لقائك.

وقال أبو سعيد: إن الله عز وجل أول ما دعا عباده دعاهم إلى كلمة واحدة فمن فهمها فقد فهم ما وراءها وهى قوله «الله» ألا يراه يقول قل هو الله فتم به الكلام لأهل الحقائق ثم زاد بيانًا للخاص فقال: أحد، ثم زاد بيانًا للأولياء فقال: الصمد، ثم زاد بيانًا للعوام، فقال: لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فأهل الحقائق استغنوا باسمه الله وهذه الزيادات لمن نزلت مرتبته عن مراتبهم.

وقيل: إن كل اسمائه تتهيئ أن يتخلق به إلا قوله الله فإنما هو للتعلق دون التخلق وقيل: إن الإشارة فى «الله» هو اتصال اللامين والهاء وانفصال الألف عنه أى إنما أشرتم به إلى الله من ألف التعريف منفصل عنى لا بكم بإياكم.

يقولون: وما كان من صفاتى فإنه متصل به كلله حيث اتصلت حروفه.

سمعت منصورًا بإسناده عن جعفر أنه قال فى قوله «الله»: إنه اسم تام لأنه أربعة: أحرف الألف وهى عمود التوحيد واللام الأول لوح القلم واللام الثانى لوح النبوة والهاء النهاية فى الإشارة، والله هو الاسم المتفرد لا يضاف إلى شىء بل تضاف الأشياء

كلها إليه، وتفسير المعبود الذى هو إله الخلق منزه عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته وهو المستور عن الأبصار، والأفهام والمحتجب بجلاله عن الإدراك.

قوله تعالى: ﴿الرحمن﴾.

باسم الرحمن خرجت جميع الكرامات للمؤمنين مثل الإيمان والطاعات والولاية والعصمة وسائر المنن وكل نعمة تدوم ولا يستحق أحد من المخلوقين هذا الاسم لإن المخلوق عاجز عن إعطاء شيء لأحد يدوم ويبقى.

وأيضًا فإن رحمة الرحمانية للمريدين بها ينفصلون عما دون الرحمن، ولما عمت رحمته فى العاجلة على الولى والعدو فى معايشهم وأرزاقهم وغير ذلك سمى رحمن.

وقيل فى اسمه الرحمن: حلاوة المنة ومشاهدة القربة ومحافظة الخدمة.

وقيل: إن المحبين يتنعمون بأسرارهم فى رياض معانى اسمه الرحمن فيجتنون منها ثمرة الأنس ويشربون منها ماء القربة ويتنعمون على ضفاف أنهار القدس ويرجعون منها برؤية الآلاء والنعماء، والخائفون يتلذذون فى قلوبهم فى معانى اسمه الرحمن ويتزودون منها حلاوة السكون والأمن، والتائبون يتروحون بأسرارهم فى معانى اسمه الرحمن فيرجعون منها بصفا السر وطهارة القلوب، والعاصون يمرون على ميادين اسمه الرحمن فيرجعون منها بالندم والاستغفار.

وقال ابن عطاء: فى اسمه الرحمن عونه ونصرته.

وقال الواسطى[1]: الرحمن لا يتقرب إليه أحد إلا بصرف رحمانيته، والرحيم يتقرب إليه بالطاعات لأنه يشارك فيه رسول الله ﷺ وقال: ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾[2].

---

(١) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، وأصله من فرغانة، وكان يعرف بابن الفرغانى من قدماء أصحاب الجنيد، وأبى الحسين النورى، وهو من علماء مشايخ القوم. لم يتكلم أحد فى أصول التصوف مثل ما تكلم هو، وكان عالمًا بالأصول وعلوم الظاهر.

دخل خراسان، واستوطن كورة مرو، وكلامه عندهم. ولم أر بالعراق من كلامه شيئًا، وذلك أنه خرج من العراق وهو شاب ومشايخه فى الأحياء، تتكلم بخرسان بأبيورد ومرو، وأكثر كلامه بمرو.

مات بمرو بعد العشرين وثلاثمائة.

ترجمته في: (طبقات الصوفية ص٧٢، والطبقات الكبرى للشعرانى ص٨٥).

(٢) سورة (التوبة) الآية رقم (١٢٨).

قوله تعالى: ﴿الرحيم﴾.

يقال: إن معنى الرحيم هو ما يخرج من الرحمة الرحيمية لمعاش الخلق ومصالح أبدانهم فلذلك لم يمنعوا أن يتسمَّوا بالرحيم ومنعوا بالتسمية بالرحمن.

وقيل: إن معنى الرحيم أى بالرحيم وصلتم إلى الله وإلى الرحمن والرحيم بعث محمدًا ﷺ فى قوله: ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ كأن معناه يقول بسم الله الرحمن الرحيم وبالرحيم محمد وصلتم إلى أن قلتم بسم الله الرحمن الرحيم، والرحيم هو الذى يقبلك بجميع عيوبك إذا أقبلت عليه، ويحفظك أتم الحفظ فى العاجلة وإن أدبرت عنه، لاستغنائه عنك مقبلاً ومدبرًا.

قال ابن عطاء: فى اسمه «الرحيم» مودته ورحمته، سمعت منصورًا بإسناده عن جعفر فى قوله «الرحمن الرحيم» قال: هو واقع على المريدين والمرادين، فاسم الرحمن للمرادين لاستغراقهم فى الأنوار والحقائق، والرحيم للمريدين لبقائهم مع أنفسهم واشتغالهم بإصلاح الظواهر، والرحمن المنتهى بكرامته إلى ما غاية له لأنه قد أوصل الرحمة بالأزل وهو غاية الكرامة ومنتهاه بدءًا وعاقبة، والرحيم وصل رحمته بالياء والميم وهو ما يتصل به من رحمة الدنيا والهدى والأرزاق.

قوله عز وجل: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

قال ابن عطاء: معناه الشكر لله إذا كان منه الامتنان على تعليمنا إياه حتى حمدناه.

وقيل معنى الحمد لله أى: لا حمدًا لله إلا الله. وقيل الحمد لله أى: أنت المحمود لجميع صفاتك وأحوالك.

قال الواسطى: الناس فى الحمد على ثلاث درجات، قالت العامة: الحمد لله على العادة، وقالت الخاصة الحمد لله شكرًا على اللذة وقالت الآية: الحمد لله الذى لم ينزلنا منزلة استقطعنا النعمة عن شواهد ما أشهدنا الحق من حقه.

وذُكر عن جعفر الصادق فى قوله «الحمد لله» فقال: مَن حمده بجميع صفاته كما وصف نفسه فقد حمده، لأن الحمد حاء وميم ودال فالحاء من الوحدانية والميم من الملك والدال من الديمومة فمن عرفه بالوحدانية والملك والديمومة فقد عرفه.

وقال رجل بين يدى الجنيد رحمه الله: الحمد لله فقال لأتمها كما قال الله تعالى قل «رب العالمين» فقال الرجل ومن العالمين حتى يذكر مع الحق فقال قله يا أخى فإن المحدث إذا قرن بالقديم لا يبقى له أثر.

وذكر عن عطاء أو غيره أنه قال: الحمد لله إقرار المؤمنين بوحدانيته وإقرار الموحدين بفردانيته وإقرار العارفين باستحقاق ربوبيته، فالأول إقرار بالإلهية والثانى إقرار بالربوبية والثالث إقرار بالتعظيم.

وقيل الحمد: هو الثناء لله فثناء المؤمنين فى قراءة فاتحة الكتاب وثناء المريدين بالذكر فى الخلوات وثناء العارفين فى الشوق إليه والأنس به.

وقال الحسين: ما من نعمة إلا والحمد أفضل منها، والحمد النبى ﷺ والمحمود الله والحامد العبد والحميد حاله التى توصل بالمريد.

وقيل أيضًا: الحمد لله رب العالمين عن العالمين قبل العالمين لعلمه بعجز العالمين عن أداء حمد رب العالمين.

وقيل هذا رحمة للعالمين بإضافته إياهم إليه أنه ربهم.

وقيل فى الحمد لله رب العالمين: إن الحمد يكون على السراء والضراء والشكر لا يكون إلا على النعماء.

وقيل: الحمد لله يكون لاستغراق الحامد فى النعمة والشكر لاستزاده.

وقيل فى قوله: الحمد لله رب العالمين أى منطق العالمين لحمده.

وذكر عن ابن عطاء فى قوله الحمد لله رب العالمين أى: مربى أفضل العارفين بنور اليقين والتوفيق وقلوب المؤمنين بالصبر والإخلاص وقلوب المريدين بالصدق والوفاء وقلوب العارفين بالفكرة والعبرة.

وقيل: رب العالمين أى هو الذى برأ العالمين بين رحمته الرحمن الرحيم حتى يؤهلهم لتمجيده بقولهم: الحمد لله رب العالمين، أى سبق الحمد منى لنفسى قبل أن يحمدنى أحد من العالمين، وحمدى نفسى لنفسى فى الأزل لم يكن لعلة، وحمد الخلق إياى مشوب بالعلل، وقيل رب العالمين أى: ملهم العالمين بحمده وحده.

وقيل: لما علم عجز عباده عن حمده حمد نفسه بنفسه فى الأزل فاستراح طوق عباده هو محل العجز عن حمده وأنَّى ينازع الحدث القدم، ألا ترى سيد المرسلين كيف أظهر العجز بقوله «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1].

---

(١) صحيح: اخرجه مسلم فى كتاب «الصلاة» باب «ما يقال فى الركوع والسجود» (١/ ٢٢٢) (ص٣٥٢/ ح ٤٨٦) من طريق الأعرج عن أبى هريرة عن عائشة رضى الله عنها . . . =

وأنشد:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نُثنى وفوق الذى نُثنى

وحمد نفسه بالأزل لما علم من كثرة نعمه على عباده وعجزهم عن القيام بواجب حمده فحمد نفسه عنهم؛ لتكون النعمة أهنأ لديهم، حيث أسقط عنهم به ثقل رؤية المنة.

وسُئل جعفر بن محمد عن قوله: الحمد لله رب العالمين قال: معناه الشكر لله فهو المنعم بجميع نعمائه على خلقه وحسن صنيعته وجميل بلائه، فالألف الحمد من الآية وهو الواحد فبالآية أهل معرفته من سخطه وسوء قضائه، واللام من لطفه وهو الواحد فبلطفه إذا فهم حلاوة عطفه وسقاهم كأس سره والحاء فمن حمده وهو السابق يحمد نفسه قبل خلقه، فبسابق حمده استقرت النعم على خلقه وقدروا على حمده، والميم فمن مجده فبجلال مجده زينهم بنور قدسه، والدال فمن دينه الإسلام فهو السلام ودينه الإسلام وداره السلام وتحيتهم فيها سلام لأهل السلام فى دار السلام.

قوله تعالى ﴿الرحمن الرحيم﴾.

بالإشراف على أسرار أوليائه والتجلى لأرواح أنبيائه والرحيم بالعطف على أنفس الخلائق برهم وفاجرهم يبسط معايشهم فى الدنيا.

وقيل: الرحمن خاص الاسم خاص الفعل والرحيم عام الاسم عام الفعل.

وقيل: الرحمن بالنعمة والرحيم بالعصمة.

وقيل: الرحمن بالتجلى والرحيم بالتولى.

وقيل: الرحمن بكشف الأنوار والرحيم لحفظ ودائع الأسرار.

وقيل: الرحمن بذاته والرحيم فى نعوته وصفاته وجل الحق أن يدرك حقيقة أساميه

= وأخرجه أبو داود فى كتاب «الصلاة» باب «القنوت فى الوتر»(٢/ ٦٥) حديث رقم (١٤٢٧).
والترمذى فى كتاب «الدعوات» باب «فى دعاء الوتر» (٥/ ٥٢٤) حديث رقم (٣٥٦٦).
وابن ماجه فى كتاب «إقامة الصلاة» باب «ما جاء فى القنوت فى الوتر» (١/ ٣٧٣) حديث رقم (١١٧٩).
والنسائى فى كتاب «قيام الليل» باب «الدعاء فى الوتر»(٣/ ٣٧٥، ٣٧٦) حديث رقم (١٧٤٦).
وأحمد فى مسنده (١/ ٩٦) حديث رقم (٧٥١).
جميعًا من طريق عبد الرحمن بن الحارث عن هشام عن على بن أبى طالب

أحد؛ لأن أسماءه بلا علة، وإنما يظهر للخلق نصيبهم من الأسامى لا حقيقة حقه فمن ظن أنه يفسر أساميه على حقيقة حقه فقد ضل ضلالاً بعيدًا؛ لأنه أظهر الأسامى للإثبات رحمة لخلقه لا إشرافًا على صفاته ونعوته قال الله تعالى ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾[1] وكيف يدرك شيء من صفات من الجهات لا يضمنه والسمات لا يأخذه والأوقات لا تداوله ومصنوعةٌ لا تجاوله والترجمة لا تجليه والآداب لا تؤدبه والإشارات لا تدانيه، لم تلتبس به حالٌ ولا ينازعه باك، لا الصفات أوجدته ولا الأسامى زينته، بل هو موجد كل موجود وخالق كل موصوف ـ جل وتعالى ـ.

سمعت منصورًا بإسناده يقول عن جعفر قال: الرحمن الذى يرزق الخلق ظاهرًا وباطنًا، فرزق الظاهر الأقوات من المأكولات والمشروبات والعوافى، والباطن العقل والمعرفة والفهم وما ركب فيه من أنواع البدائع كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس والهمة والظن.

قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾.

قال ابن عطاء: مجازى يوم الحساب كل صنف بمقصودهم وهمتهم، يُجازى العارفين بالقرب منه والنظر إلى وجهه الكريم، ويجازى أرباب المعاملات بالجنات.

وقيل: من حق العبيد إذا شاهدوا مليكهم أن ينسوا المملكة عند مشاهدة مليكهم.

وقيل: إنه لمن يزل ولا يزال قلقًا فكن فى الدنيا كما تكون فى الآخرة. وَالِهًا حذرًا عالمًا أنك فى ملكه حيث ما كنت.

وقيل: ملك يوم الدين، يوم الكشف والإشهاد ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾[2].

وقيل: إنها خمسة أسامى لله ورب العالمين والرحمن والرحيم ومالك فاستدعى الإلهية الوَلَه والربوبية رؤية المنة والرحمن رؤية الشفقة، والرحيم رؤية التعطف، والمالك القطع عن المملكة بالاتصال بمالكها.

قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

على ترك زكاتنا، وأيضًا إياك نعبد بالعمل الخالص أى: إياك نعبد بقطع العلائق والأعواض، وإياك نستعين على الثبات على هذه الحال فإنا بك لا بنا.

---

(١) سورة (طه) آية رقم (١١٠).

(٢) سورة (طه) آية رقم (١٥).

وأيضًا إياك نعبد بالإخلاص وإياك نستعين على المكاشفة لأسرارنا.

وأيضًا إياك نعبد بالإرادة وإياك نستعين عليه بالهمة.

وأيضًا إياك نعبد بالعلم وإياك نستعين عليه بالمعرفة.

وأيضًا إياك نعبد عبادة مَن يعلم أنه بتوفيقك وتيسيرك قد عبدك وبك نستعين على قبولها وتصحيحها من عندك.

وأيضًا إياك نعبد بأمرك وإياك نستعين عليها بفضلك.

وأيضًا إياك نعبد بالدعاوى وإياك نستعين أن تسقط عنا الدعاوى تمررنا إلى رياض الحقائق.

وأيضًا إياك نعبد ظاهرًا وإياك نستعين عليها باطنًا، إياك نعبد فأسقط بإياك عنا رؤية العبادة، وإياك نستعين فأزل عنا بإياك رؤية الاستعانة.

وأيضًا إياك نعبد فأهلنا لعبادتك وإياك نستعين فلا تحرمنا معونتك إياك نعبد فأخلص عبادتنا وإياك نستعين فأعذنا من رؤية عبادتنا.

وأيضًا إياك نعبد على المشاهدة، وإياك نستعين على النازلة.

قال الجنيد: إن الله عز وجل خص قومًا بمعرفة عبوديته، فأفردوا له العبودية ثم أخرجهم عن ذلك فعرفوا أنفسهم، وما تولى الله من ذلك لهم فقالوا: وإياك نستعين على عبادتنا إذ لا يمكن أداؤها إلا بك، فبك عبدنا كذلك، وبك استعنا على شكر النعمة فيه.

وقال القاسم[1]: إياك نعبد بالتوفيق، وإياك نستعين على شكر ما وفقتنا له من عبادتك.

سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا جعفر الفرغلى يقول: من

(١) الإمام المحدث الزاهد شيخ مرو، أبو العباس القاسم بن القاسم بن مهدى السيارى المروزى، سبط الحافظ أحمد بن سيار كان من أهل مرو وشيخهم، وأول من تكلم عندهم من أهل بلدهم فى حقائق الأحوال، صحب أبا بكر محمد بن موسى الفرغانى الواسطى وإليه ينتمى فى علوم هذه الطائفة، وكان احسن المشايخ لسانًا فى وقته، يتكلم فى علوم التوحيد على لسان الجبر، وجميع من بكورته من أهل السنة فهم أصحابه.
كان فقيهًا عالمًا، كتب الحديث الكثير ورواه توفى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة.
ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٠، طبقات الصوفية ص١٠٧، ١٠٨).

أقر بإياك نعبد وإياك نستعين فقد برئ من الجبر[١] والقدر[٢].

قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.

قيل معناه: مِلّ بقلوبنا إليك وأقم بهممنا بين يديك وكن دليلنا منك إليك؛ حتى لا

---

(١) الجبرية هم الذين لا يثبتون للعبد فعلاً، ولا قدرة على الفعل أصلاً، بل يضيفون الفعل إلى الله تعالى وهم أتباع جهم بن صفوان الذى قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وانكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان وزعم أيضًا أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، كما يقال: زالت الشمس ودارت الرحى، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به. وزعم أن علم الله تعالى حادث وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شىء أو حَىٌّ أو عالم أو مريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشىء، وموجود، وحى وعالم، ومريد، ونحو ذلك.

ووصفه بأنه قادر، وموجد، وفاعل، وخالق ومحيى، ومميت، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية، ولم يسمِّ الله تعالى متكلمًا به.

وأكفره أصحابنا فى جميع ضلالاته، وأكفرته القدرية فى قوله بأن الله تعالى خالق أعمال العباد، فاتفق أصناف الأمة على تكفيره (الفرق بين الفِرق (ص٢١١، ٢١٢).

(٢) القدرية هم الذين يخوضون فى القدر ويذهبون إلى إنكاره. وأول القدرية هو - على الأرجح - معبد الجهنى المقتول سنة ٨٠ هـ، وتبعه على ذلك غيلان بن مسلم الدمشقى المقتول فى عهد عبد الملك بن مروان.

والقدرية افترقت فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة تكفر سائرها. ويجمعها كلها فى بدعتها أمور:

منها: نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية، وقولها بأنه ليس لله عز وجل علم، ولا قدرة، ولا حياة ولا سمع، ولا بصر، ولا صفة أزلية، وزادوا على هذا بقولهم: إن الله تعالى لم يكن له فى الأزل اسم ولا صفة.

ومنها: قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار وزعموا أنه لا يرى نفسه، ولا يراه غيره، واختلفوا فيه: هل هو راءٍ لغيره أم لا؟ فأجازه قوم منهم، وأباه قوم آخرون منهم.

ومنها: اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله عز وجل وحدوث أمره ونهيه وخبره، وكلهم يزعمون ان كلام الله عز وجل حادث، واكثرهم اليوم يسمون كلامه مخلوقًا.

ومنها: قولهم جميعًا بان الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشىء من اعمال الحيوانات وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على اكسابهم وانه ليس لله عز وجل فى اكسابهم ولا فى أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير، ولاجل هذا أسماهم المسلمون قدرية. (الفرق بين الفرق (ص١١٤، ١١٥).

ينقطع عما بك لك.

وقيل: اهدنا الصراط المستقيم أى: أرشدنا إلى طرق المعرفة؛ حتى نستقيم معك بخدمتك فهذا دعاء المريدين فى هذه الآية.

وقيل: اهدنا أى: أرنا طريق هدايتك كى نستقيم معك على توحيدك فهذا دعاء المؤمنين.

وقيل: اهدنا أى: أرنا طريق أنسك فنفرح ونطرب بقربك فهذا دعاء العارفين.

وقيل: اهدنا بك إليك، لنستعين ببدايتك عن وسائط المقامات والمجاهدات.

وقيل: اهدنا بفناء أوصافنا فبنا الطريق إلى أوصافك التى لم تزل ولا تزال.

وقيل: اهدنا بكشف الغفلة عنا طريق الوصول إلى رضاك.

وقيل: اهدنا هدى العيان بعد البيان؛ لنستقيم لك على حب إرادتك فينا.

وقيل: اهدنا هدى من أنت المتولى لهدايته طريق حقيقة معرفتك؛ لنستقيم لك بفناء أوصافنا فيك.

وقيل: اهدنا هدى من يكون منك مبداه؛ حتى يكون إليك منتهاه.

وقيل: اهدنا أى: اكشف عنا ظلمات أحوالنا لننظر فى خفى غيبك نظرة الاستقامة.

وقيل: اهدنا الصراط المستقيم بالغيبوبة عن الصراط ليلاً يكون من يوطأ بالصراط.

وقيل: اهدنا بك ولا تشغلنا بموارد الصراط والاستقامة عنك.

حُكى عن أبى عثمان[1] فى قوله: اهدنا الصراط المستقيم أى: أرشدنا لاستعمال السنن فى أداء فرائضك.

---

(١) هو الإمام القدوة، شيخ الصوفية، أبو عثمان، سعيد بن سلام المغربى القيروانى، نزيل نيسابور سافر وحج، وجاور مدة، ولقى مشايخ مصر والشام. وكان لا يظهر أيام الحج.
قال الحاكم: خرجت من مكة متحسراً على رؤيته ثم خرج منها لمحنة، وقدم نيسابور، فاعتزل الناس أولاً، ثم كان يحضر الجامع.
قال السلمى: صحب أبا على بن الكاتب، وحبيبًا المغربى وأبا عمرو الزجاجى، ولقى أبا يعقوب النهرجورى، وأبا الحسن بن الصائغ الدينورى، وغيرهم من المشايخ. وقال: سمعته يقول: علوم الدقائق علوم الشياطين وأسلم الطرق من الاغترار لزوم الشريعة.
ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٠، طبقات الصوفية ١١٧).

حُكى عن فُضيل بن عياض[١] فى قوله اهدنا الصراط المستقيم قال: طريق الحج صراط الذين أنعمت عليهم من الأنبياء والأولياء غير المغضوب عليهم ولا الضالين غير اليهود والنصارى، فإنك قطعت عليهم طريق الحج بقولك: ﴿لا يقربوا المسجد الحرام﴾[٢].

وقيل: اهدنا الصراط المستقيم لنستعين بهدايتك على الشيطان، فإنه قال: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾[٣].

وقيل: اهدنا الصراط المستقيم وهو الافتقار إليك، كما قيل لأبى حفص النيسابورى[٤]

---

(١) هو الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام أبو على، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى اليربوعى الخراسانى، المجاور بحرم الله. ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل فى طلب العلم فكتب بالكوفة عن منصور والأعمش، وبيان بن بشر وحصين بن عبد الرحمن، وليث، وعطاء بن السائب وصفوان بن سليم، وعبد العزيز بن رفيع . . . وغيرهم حدث عنه: ابن المبارك، ويحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدى وابن عيينة والأصمعى، وعبد الرزاق وعبد الرحمن بن مهدى بن هلال، شيخ واسطى، وحسين والحيف والشافعى وغيرهم - وروى عنه سفيان الثورى أجل شيوخه، وبينهما فى الموت مئة وأربعون عامًا.
ومات فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائة بمكه.
ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١، طبقات الصوفية ص٩، حلية الأولياء ٨/ ٨٤).

(٢) هكذا فى المخطوط والصواب [فلا يقربوا . . .] والآية فى سورة (التوبة) آية رقم (٢٨).

(٣) سورة (الأعراف) الآية رقم (١٦).

(٤) هو الإمام القدوة الربانى، شيخ خراسان أبو حفص، عمرو بن سلم، وقيل: عمر، وقيل: عمرو بن سلمة، النيسابورى الزاهد.
روى عن حفص بن عبد الرحمن الفقيه.
أخذ عنه: تلميذه أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى، وأبو جعفر أحمد بن حمدان الحافظ، وحمدون القصار، وطائفة.
صحب عبيد الله بن مهدى الأبيوردى، وعليًا النصرآباذى ورافق أحمد بن خضرويه البلخى، وكان أحد الأئمة والسادة، انتمى إليه شاه بن شجاع الكرمانى وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل.
قال أبو نعيم: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أبى قال: قال الأستاذ أبو حفص: المعاصى بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت.
قال السُّلمى: أبو حفص كان حدادًا، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور.
توفى الأستاذ أبو حفص سنة أربع وستين ومائتين وقيل سنة خمس رحمة الله عليه.
ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥١٠، وطبقات الصوفية ص٢٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٢٩).

رحمه الله: فإذًا تقدم على ربك، قال: وما للفقير أن يقدم به على الغنى سوى فقره.

وقال سهل بن عبد الله[١]: أرشدنا بمعونتك الطريق إليك.

قيل أليس قد هداه الصراط المستقيم حتى صلى وسأل فقال: إنما سأل الله زيادة هدى، كما قال الله تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾[٢] بسؤالهم اهدنا الصراط المستقيم.

وقال الجنيد: إن القوم إنما سألوا الهداية من الحيرة التى قدرت عليهم من أسماء صفات الأزلية، فسألوا الهداية إلى أوصاف العبودية ليلاً؛ ليستغرقوا فى رؤية صفات الأزلية[٣].

قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾.

صراط الذين أنعمت عليهم أى: مقام الدين. أنعمت عليهم بالمعرفة وهم العارفون، وأنعم على الأولياء بالصدق والرضا واليقين، وأنعم على الأبرار بالحلم والرأفة وأنعم على المريدين بحلاوة الطاعة، وأنعم على المؤمنين بالاستقامة، هذا قول ابن عطاء.

---

(١) هو سهل بن عبد الله بن يونس: شيخ العارفين، أبو محمد التسترى، الصوفى الزاهد. صحب خاله محمد بن سوار، ولقى فى الحج ذا النون المصرى وصحبه.

روى عنه الحكايات: عمر بن واصل، وأبو محمد الجريرى وعباس بن عصام، ومحمد بن المنذر الهجيمى، وطائفة. له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخ فى الطريق.

روى فى كتاب «ذم الكلام» [صاحبه أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى المعروف بشيخ الإسلام].

سُئل سهل: إلى متىَ يكتبُ الرجل الحديث؟

قال: حتى يموت، ويصب باقى حبره فى قبره. وعنه قال: من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة، وقيل: إن سهل بن عبد الله أتى أبا داود، فقال: أخرج لى لسانك هذا الذى حدثت به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبله. فأخرجه له.

ومن كلامه: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه. توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

ترجمته فى: (السير ١٣/ ٣٣٠، وطبقات الصوفية ص٤٠٨، وحلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩).

(٢) سورة (محمد) الآية رقم (١٧).

(٣) قال الألوسى فى كتاب «روح المعانى» (١/ ٩٤) بعد أن ذكر فى تفسير هذه الآية قول لمحمد بن جعفر، قال: إن هذا القول خروج عن الصراط المستقيم فلا تتعب جواد القلم فيه. اهـ.

وحُكى عن أبى عثمان أنه قال: صراط الذين أنعمت عليهم بأن عَرَّفتهم مهالك الصراط ومكايد الشيطان وخيانة النفس.

وحُكى عن محمد بن الفضل[١] أنه قال: صراط الذين أنعمت عليهم لقبول ما افترضت عليهم.

وقال أبو الحسن الوراق[٢]: صراط الذين أنعمت عليهم بالعناية على الاستقامة فى طريق مناجاتك.

وقال بعضهم صراط الذين أنعمت عليهم فى سابق الأزل بالسعادة.

وحُكى عن بعض البغداديين أنه قال: مَن أفنيته عن النظر إلى النعمة بدوام التنعم بقربك ومؤانستك.

---

(١) الإمام الكبير الزاهد، العلامة، شيخ الإسلام، أبو عبد الله محمد بن الفضل بن العباس البلخى الواعظ نزيل سمرقند وتلك الديار.

صحب أحمد بن خضرويه البلخى، وكان آخر من حدث فى الدنيا عن قتيبة بن سعيد.

وقد روى عن هذا الشيخ البلخى أبو بكر محمد بن عبد الله الرازى، وروى عنه أبو بكر بن المقرئ، فى «معجمه» بالإجازة. ومن مشايخه أبو بشر محمد بن مهدى - صاحب ابن السماك الواعظ، وقد حدث عنه أيضًا، إسماعيل بن نجيد، وإبراهيم بن محمد بن عمرويه، ومحمد بن مكى النيسابورى وغيرهم.

قال أبو نعيم الحافظ: سمع الكثير من قتيبة بن سعيد وسمعت محمد بن عبد الله الرازى بنسا أنه سمعه يقول: ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعلمون بما يعملون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من العلم.

قال الذهبى فى السير: هذه نعوت رؤوس العرب والترك، وخلق من جهلة العامة، فلو عملوا بيسير ما عرفوا لأفلحوا، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لوفقوا، ولو فتشوا عن دينهم وسألوا أهل الذكر - لا أهل الحيل والمكر - لسعدوا، بل يُعرِضون عن التعلم تيهًا وكسلاً، فواحدة من هذه الخلال مردية، فكيف بها إذا اجتمعت؟: فما ظنك إذا انضم إليها كبر، وفجور، وإجرام، وتجرم على الله؟ نسأل الله العافية.

قال أبو حفص (غفر الله له): ونحن فى هذا الزمان مثل ذلك.

ترجمته فى: (السير ١٤/ ٥٢٣، طبقات الصوفية ٤٩).

(٢) أبو الحسن محمد بن سعيد الوراق من كبار المشايخ وقدماء أصحاب أبى عثمان رحمه الله تعالى وله كلام على سنن كلامه وكان عالمًا بعلوم الظواهر والكلام فى علوم دقائق المعاملات وعيوب الأمثال. مات قبل العشرين والثلاثمائة.

ترجمته فى: (الطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ٨٧، وطبقات الصوفية ص٧١).

وقال بعضهم: صراط الذين أنعمت عليهم بالنظر إلى جريان ما جرى عليهم فى الأزل فلم يشغلهم كشف ذلك لهم عن الشغل بك.

وحُكى عن مالك بن أنس أنه سئل عن قوله «صراط الذين أنعمت عليهم» فقال: متابعة النبى ﷺ.

وقال بعضهم: صراط الذين أنعمت عليهم بالإيمان والهداية والتوفيق والرعاية والمراقبة والكلاءة.

وقال جعفر بن محمد: صراط الذين أنعمت عليهم بالعلم بك والفهم عنك.

وقال بعض البغداديين: صراط الذين أنعمت عليهم بفناء حظوظهم وقيامهم معك حسن الأدب.

وقيل: صراط الذين أنعمت عليهم بمشاهدة المنعم بغير النعمة.

وقيل: صراط الذين أنعمت عليهم بالإسلام ظاهرًا والإيمان باطنًا. قال الله تعالى ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً﴾[1] وقيل: صراط الذين أنعمت عليهم بإزالة ظلمات الأكوان عن سرائرهم وطهرت أرواحهم بنور قدسك فشاهدوك بهممهم، ولم يشاهدوا معك سواك.

وقال محمد بن على[2]: صراط الذين أنعمت عليهم قال الذين زمت[3] جوارحهم بالهيبة عند خدمتك.

وقيل: صراط الذين أنعمت عليهم من غيبك المستتر بأنوار هدايتك.

---

(١) سورة (لقمان) الآية رقم (٢٠).

(٢) أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن الترمذى. لقى أبا تراب النخشبى، وصحب يحيى الجلاء، وأحمد بن خضرويه وهو من كبار مشايخ خراسان، وله التصانيف المشهورة. كتب الحديث الكثير ورواه.
ومن كلامه: صلاح خمسة أصناف فى خمسة مواطن: صلاح الصبيان فى الكُتَّاب، وصلاح القُطَّاع فى السجن وصلاح النساء فى البيوت، وصلاح الفتيان فى العلم وصلاح الكهول فى المساجد.
ترجمته فى: (طبقات الصوفية ٥١، الرسالة القشيرية ص٢٢).

(٣) زمت: أى تغيرت جوارحهم من هيبة الله تعالى فى قلوبهم عند الوقوف بين يديه فى الفرائض وصح عن على بن أبى طالب كان إذا تقدم للصلاة تغير لونه وارتعدت فرائصه فإذا سُئل عن هذا قال: ألا تدرون أقف بين يدى من!

وقيل: صراط الذين أنعمت عليهم بعبادتك على المشاهدة. كما روى عن النبى ﷺ «أن تعبد الله كأنك تراه»[1].

وسُئل سهل بن عبد الله عن قوله صراط الذين أنعمت عليهم قال: متابعة السُّنة.

وقيل أيضًا: صراط الذين أنعمت عليهم بأن أذنت لهم فى مناجاتك وسؤالك.

أخبرنا نصر بن محمد الأندلسى قال: حدثنا أبو عمر أحمد بن هلال بن نزار العطار قال: حدثنا الحسن بن محمد بن حيان الفريانى قال: حدثنا أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا محمد بن ميمون قال حدثنا معاذ بن هلال قال: حدثنا إسماعيل بن حسام عن الحسن فى قوله صراط الذين أنعمت عليهم قال: أبو بكر وعمر رضى الله عنهم.

قوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

قال ابن عطاء: غير المخذولين ولا المطرودين ولا المهانين ولا الضالين الذين ضلوا عن طريق هدايتك ومعرفتك وسبيل ولايتك.

وقيل: غير المغضوب عليهم فى طريق الهلكي، ولا الضالين عن طريق الهدى باتباع الهوى.

وقيل: غير المغضوب عليهم المستهلكين فى مفاوز الشيطان، ولا الضالين المطرودين عن طاعة الرحمن.

وقيل: غير المغضوب عليهم برؤية الأفعال ولا الضالين عن رؤية المنن، وقيل غير المغضوب عليهم بطلب الأعواض على أعمالهم ولا الضالين عن طريق الشكر بتيسير الخدمة عليهم.

وقيل: غير المغضوب عليهم بترك حسن الأدب فى أوقات القيام بخدمتك، ولا

---

(١) هذا جزء من حديث متفق عليه رواه البخارى ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأبو هريرة رضى الله عنه أخرجه البخارى فى كتاب «الإيمان» باب «سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام» (١/ ١٤٠) حديث رقم (٥٠) من طريق أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه. وفى كتاب «التفسير» باب ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ (٨/ ٣٧٣) حديث رقم (٤٧٧٧) من نفس الطريق السابق.

ومسلم فى كتاب «الإيمان» باب (بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى) (١/ ص٣٦) (١/ حديث ٨) من طريق يحيى بن يعمر عن عمر رضى الله عنه فذكره.

الضالين عن . . . فيستغفر وينيب.

وقيل: غير المغضوب عليهم بالرياء ولا الضالين بترك السنن فى أركان العبادات.

وقال أبو عثمان: غير المغضوب عليهم بترك قراءة هذه السورة فى صلواتهم، ولا الضالين عن ترك قراءتها.

وقيل: غير المغضوب عليهم بأن وكلتهم إلى أنفسهم ولا الضالين بقطعك الاعتصام عنهم.

وقيل: غير المغضوب عليهم باتباع البدع ولا الضالين عن سنن الهدى والسنة فى قول القائل آمين بعد قراءة هذه السورة فى صلاته والجهر به.

وقال ابن عطاء: أى كذلك فافعل ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين.

وقال جعفر: آمين أى: قاصدين نحوك وأنت أكرم من أن تخيب قاصدك.

وقال الجنيد رحمه الله: معنى آمين أى: عاجزين عن بلوغ الثناء عليك بصفاتنا إلا باتباع محمد الأمين فيه.

وقال بعض العراقيين: آمين أى: راجين لإجابة هذه الدعوات التى دعوتك بها.

وقال بعضهم مستقيلين من جميع اسؤلَتِنا؛ لأن حسن اختيارك لنا خير من اختيارنا.

وقيل: آمين أى: راضين بما قضيت علينا ولنا.

* * *

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الم﴾.

قيل: إن الألف ألف الوحدانية واللام لام اللطف والميم ميم الملك. معناه: من وجدنى على الحقيقة بإسقاط العلائق والأغراض فلطفت له فى معناه فأخرجته من رق العبودية إلى الملك الأعلى، وهو الاتصال بمالك الملك بعد الاشتغال بشيء من الملك.

وقيل «الم»: سر الحق إلى حبيبه ﷺ ولا يعلم سر الحبيب، ألا تراه يقول: «لو تعلمون ما أعلم»[1] أى من حقائق سر الحق وهو الحروف المفردة فى الكتاب.

وقيل «الم»: معناه أنا الله أعلم.

وقيل «الم»: معنى الألف أى أفرد سرك لى واللام لين جوارحك لعبادتى والميم أتم معى بحور شوقك وصفاتك أذبتك بصفات الأنس بى ولمشاهدة آياتى، والقرب منى.

وقال سهل بن عبد الله: الألف هو الله واللام جبريل والميم محمد ﷺ.

وقال بعض العراقيين: حَيَّر عقول الخلق فى ابتداء خطابه وهو محل الفهم ليعلموا

(١) قلت: إن هذا جزء من حديث وليس له صلة بسر الحروف المقطعة كما زعم المصنف إنما جاء الحديث فى واقعة خسوف الشمس كما جاء فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت «خسفت الشمس فى عهد رسول الله ﷺ، فصلَّى رسول الله ﷺ ثم ذكرت صلاة الخسوف وفى آخره قوله «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد أو لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا. ثم قال: يا أمة محمدٍ والله ما من أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته. يا أمة محمد «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا». اهـ. لفظ البخارى.

أخرجه البخارى فى كتاب «الكسوف» باب «الصدقة فى الكسوف» (٢/ ٦١٥) حديث رقم (١٠٤٤). ومسلم فى كتاب «الكسوف» باب «صلاة الكسوف» (٢/ ص٦١٨)، (١/ حديث ٩٠١) من طريق مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة . . .

قال ابن حجر فى الفتح: قوله: (لو تعلمون ما أعلم) أى: من عظيم قدرة الله وانتقامه من أهل الإجرام، وقيل معناه لو دام علمكم كما دام علمى، لأن علمه متواصل بخلاف غيره»، وقيل: معناه لو علمتم من سعة رحمة الله وحلمه وغير ذلك ما أعلم لبكيتم على ما فاتكم من ذلك. اهـ. فتح (٢/ ٦١٧).

أن لا سبيل لأحد إلى معرفة حقائق خطابه إلا بعلمهم بالعجز عن معرفة خطابه.

وقال بعضهم: «الم» أى: أنزلت عليك هذا الكتاب من اللوح المحفوظ.

وقال بعضهم: لكل كتاب أنزله الله على النبيين منسيٌّ، وسره فى القرآن هذه الحروف فى أوائل السور.

وقيل الألف: ألف الوحدانية واللام لام الإلهية والميم ميم المهيمنية.

قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾.

قيل: ذلك الكتاب الذى كتبت على الخلق بالسعادة والشقاوة والأجل والرزق، لا ريب فيه: لا مبدل له.

وقيل: ذلك الكتاب الذى كتبت فى قلوب أوليائى من محبتى ومعرفتى فى الرضا بموارد قضائى، والكتاب هو العهد إلى الحبيب وموضع السر، والنبى ﷺ مشرف على أسرار ما خوطب به، والأولياء والصديقون بعده على حب معرفتهم وحب الكشف لهم عن لطائفه.

وقيل: ذلك الكتاب الذى كتبت على نفسى فى الأزل «إن رحمتى سبقت غضبى»(١) وقيل لا ريب فيه: لا شك فيه لمن فتحت سره وزينت قلبه بالفهم عنى، وقيل لا ريب فيه: لمن طهرت سره بنور الاطلاع على لطائف معانيه.

قوله تعالى: ﴿هدًى للمتقين﴾.

حقًا لأهل المعرفة وزيادة بيان وهدى.

وقال سهل: بيان لمن تكبر أمر حوله وقوته.

قال الجنيد رحمه الله: هدًى للمتقين، وصلة للمنقطعين عن الأعيان.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «بدء الخلق» باب «ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (٦/ ٣٣١) حديث رقم (٣١٩٤) من طريق مغيرة ابن عبد الرحمن القرشى بلفظ «غلبت». وفى كتاب «التوحيد» باب قوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ (١٣/ ٤٤٩) حديث رقم (٧٤٥٣) من طريق مالك.. بلفظ «سبقت».

ومسلم فى كتاب «التوبة» باب «فى سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه» (٤/ ص٢١٠٨) (١٥/ حديث رقم (٢٧٥١) من طريق سفيان بن عيينة بلفظ «سبقت» جميعًا عن أبى الزناد.

وقال أبو يزيد رحمه الله: المتقى من إذا قال: قال لله وإذا عمل عمل لله.

وقال الدارانى[1]: المتقون الذين نزع من قلوبهم حب الشهوات.

قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾.

قيل: الغيب هو الله.

وقيل: إن الإيمان بالغيب للعام، لأن الإيمان بالغيب قطع عن مغيب الغيب حجبهم بالغيب عن مغيبه.

وقال: بعض العراقيين: الغيب هو مشاهدات الملك بعين الحق.

وقيل: الذين يؤمنون بالغيب: الذين يصدقون ما أظهره على أوليائك من الآيات والكرامات.

وقال أبو يزيد[2] رحمة الله عليه: لا يؤمن بالغيب من لم يكن معه سراج الغيب

---

(١) الإمام الكبير، زاهد العصر، أبو سليمان، عبد الرحمن بن أحمد، وقيل: عبد الرحمن بن عطية. وقيل: ابن عسكر العنسى الدارانى.
ولد فى حدود الأربعين ومائة.
وروى عن: سفيان الثورى، وأبى الأشهب العطاردى وعبد الواحد بن زيد البصرى، وعلقمة ابن سويد، وصالح بن عبد الجليل.
روى عنه: تلميذه أحمد بن أبى الحوارى ، وهاشم بن خالد ، وحميد بن هشام العنسى ، وعبد الرحيم بن صالح الدارانى وغيرهم.
ومن أقواله: صلِّ خلف كل مبتدع إلا القدرى، لا تُصلِّ خلفه، وإن كان سلطانًا.
وأيضًا: لكل شىء علَم، وعلَم الخذلان ترك البكاء، ولكل شىء صدأ، وصدأ القلب الشبع، وكان يقول: لولا الليل لما أحببت البقاء فى الدنيا، ولربما رأيت القلب يضحك ضحكًا. قال الجنيد: شىء يروى عن أبى سليمان، أنا استحسنه كثيرًا: من اشتغل بنفسه شُغل عن الناس، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس.
قال سعيد بن حمدون، والسُّلمى، وأبو يعقوب القرّاب: توفى أبو سليمان سنة خمس عشرة ومائتين. وقال أحمد بن أبى الحوارى: مات سنة خمسٍ ومائتين.
ترجمته فى: (السير ١٠/ ١٨٢، طبقات الصوفية ص٢٠، حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤، معجم البلدان ٢/ ٤٣١).

(٢) سلطان العارفين، ابو يزيد، طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامى، احد الزهاد أخو الزَّاهدين: آدم وعلى، وكان جدهم شروسان مجوسيًا، فأسلم يقال: إنه روى عن: إسماعيل السدى، وجعفر الصادق، اى: الجدّ، وأبو يزيد، فالجهد ان يدرك أصحابهما. =

وقال بعض العراقيين: إنهم بغيب القرآن عاينوا غيب الآخرة، ثم بغيب الغيب شاهدوا الحق مطلعًا عليهم فى جميع الأوقات، فغابوا باطلاعه عليهم مشاهدة عن مشاهدة كل ما سواه، فهم قائمون معه على المشاهدة، وهذا هو الإيمان بالغيب.

وقال فارس[1]: الإيمان بالغيب تعظيم الحقيقة وصون الشريعة والرضا بالقضية، حتى تستيقن أن ليس لك من الأمر شىء.

قوله تعالى: ﴿ويقيمون الصلاة﴾.

وإقامتها: حفظ حدودها ظاهرًا وباطنًا.

وقال بعضهم: النية فى إقامة الصلاة أى: لا أواصلك بها ولا أواصلك بتركها، ولكنها اتباع الأمر والنهى[2]

= وقلَّ ما روى، وله كلام نافع. منه، قال: ما وجدت شيئًا أشد علىَّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائرًا.

قال الذهبى: وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشأن فى ثبوتها عنه، أو أنه قالها فى حال الدهشة والسكر، والغيبة والمحو، فيطوى، ولا يحتج بها، إذ ظاهرها إلحاد، مثل: سبحانى، وما فى الجبَّة إلا الله. ما النار؟ لأستندن إليها غدًا، وأقول: اجعلنى فداء لأهلها، وإلا بلغها ما الجنة؟ لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا. ما المُحدِّثون؟ إن خاطبهم رجلٌ عن رجل، فقد خاطبنا القلب عن الرب.

قال السلمى فى «تاريخ الصوفية» توفى أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسن فى المعاملات. قال أبو حفص عفا الله عنه: إذا كان أهل الحديث يضعفون الحديث إذا جاء عن رجل اختلط فى آخره فينظرون الراوى عنه إذا كان حدث عنه قبل الاختلاط يؤخذ منه وإذا حدث بعد الاختلاط تركوه والرجل ثقة فى نفسه وعن علماء الجرح والتعديل. وهذا فى حال سكره ودهشته يقول هذا الكلام ولا نعلم الذين يحدثون عنه فكيف يؤخذ منه علم التفسير نسأل الله العافية.

ترجمته فى: (السير ١٣/ ٨٦، طبقات الصوفية ص١٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣).

(١) قال ابن كثير فى تفسيره (١/ ٤٣): وأما الغيب المراد ههنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد؛ قال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله ﴿يؤمنون بالغيب﴾ قال يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث؛ فهذا غيب كله.

وعن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة: أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر فى القرآن.

(٢) هذا كلام يشكك فى عقيدة قائله وإن كان القائل مجهولاً فقال بعضهم من هو؟ الله أعلم. =

وقيل لا يكن حظك من صلاتك إقامتها دون السرور بما أحلت له من القربة والمناجاة.

وقيل: لا يكن همك فيها إقامتها دون الهيبة والتعظيم والخوف عن كيفية إقامتها ورؤية التقصير فيها.

وقال ابن عطاء: إقامة الصلاة فيها حفظ حدودها مع حفظ السرّ مع الله أى: لا يختلج بسرك سواه.

قوله تعالى: ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾.

قال بعض العراقيين: فى الإمساك لذة وفى الإنفاق لذة، وكل ما يلتذ به العبد فهو يعبد من عين الحق.

وقيل: مما رزقناهم ينفقون أى: مما خصصناهم به من أنوار المعرفة يفيضون بركتها ونورها على متبعيهم.

وقيل: الذين يؤمنون بالغيب حظ قلبك ويعلمون حظ بدنك، ومما رزقناهم ينفقون حظ مالك معناه تجرد قلبك وتتعب بدنك فى خدمتى وتنفق مالك فى مرضاتى لأوصلك إلى معرفتى.

قوله تعالى: ﴿**أولئك على هدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾.

الذين لزموا طريق المواصلة بالانفصال عما سوى الحق فأفلحوا فانقطعت الحجب عن قلوبهم فشاهدوا.

قوله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا سواء عليهم**﴾ الآية

معناه: إن الذين ضلوا عن رؤية منتى عليهم فى السبق سواء عليهم من شاهد الأعواض فى خدمتى ومن شاهد العوض لأخلص سرائرهم، ولا يثبت لهم الإيمان

= فالصلاة من فرائض الإسلام من اقامها فى أوقاتها امتثالاً لأوامر الله تعالى صار مسلمًا موحدًا فهى صلة بين العبد وربه فكيف يقول لا أواصلك بها فإن لم تكن الصلة هى فما الصلة بين العبد وربه إلا بها وبالفرائض التى فرضها الإسلام ومن تركها فهو كافر بالله تعالى لقول النبى ﷺ «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» وقال أيضًا: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن يقيموا الصلاة فإن فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم . . .» أو كما قال ﷺ.

والنية فى الصلاة وإقامتها شرط فى صحتها حيث أن الإنسان إذا أراد أن يقيم الصلاة نوى الوقت المراد فى سره. فالنية هنا مطلوبة فى جميع الفرائض وخاصة فى الصلاة فافهم.

الغيبى، وإنما إيمانهم على العادة.

قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾.

فلا يقول عن الحق فهوم مخاطباته، على سمعهم فلم يسمعوا منه لذيذ كلامه، وعلى أبصارهم فلم يبصروا المغيبات بعين الغرامة، غشاوة غشيتهم ظلمات أنفسهم فلم تضئ لهم أنوار قلوبهم، ولهم عذاب عظيم سكوتهم إلى هذه الأحوال واكتفاؤهم بها.

وقال بعضهم: أهل البصر نظروا من الله إلى الأشياء فشاهدوها فى سر القدرة، وأهل النظر استدلوا بالأشياء على الله تعالى محجتهم عقولهم واستدلالهم عن بلوغ كنه المعرفة بالله.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾.

قيل فيه: إن الناس اسم جنس واسم الجنس لا يخاطب به الأولياء[1].

وقال بعضهم: ليس الإيمان ما يتزين به العبد قولاً وفعلاً لكن الإيمان جرى السعادة فى سابق الأزل وأما ظهورها على الهياكل فربما تكون عوارى وربما تكون حقائق.

قوله تعالى: ﴿يخادعون الله...﴾ الآية.

قال بعض العراقيين: الخداع والمكر تنبيه من جهة شهود السعايات والاكتفاء إلى الطاعات حتى لا يعتقد فيها بأنها أسباب الوصول إلى الحق. كلا.

وقيل: إنما يخادع من لا يعرف البواطن، فأما من عرف البواطن فمن دخل معه فى الخداع فإنما يخادع نفسه.

قوله تعالى: ﴿فى قلوبهم مرض﴾.

لخلوها من العصمة والتوفيق والرعاية.

قال أبو عثمان: فى قلوبهم مرض لسكونهم إلى الدنيا وحبهم لها وغفلتهم عن الآخرة وإعراضهم عنها، فزادهم الله مرضًا بأنه وكَلَهُمْ إلى أنفسهم وجمع عليهم هموم

(١) الناس اسم جنس والخطاب لجميع الخلق ومن للتبعيض فبعض الناس يدَّعون الإيمان وما هم بمؤمنين والقرآن حينما يخاطب الناس بقوله ﴿يا أيها الناس ...﴾ فالخطاب للجميع مؤمنهم وكافرهم وحتى الأنبياء داخلين فى هذا الخطاب ألا وهو لفظة «الناس» فهم بشر خلقهم الله تعالى من آدم وآدم من تراب خلقه الله تعالى ثم قال له كن فكان فالأولياء أيضًا بشر قال الله تعالى عنهم ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس: ٦٢] فإن لم يكونوا من جنس الناس فمن أى جنس هم فتعجب!.

الدنيا، فلم يتفرغوا من ذلك إلى اهتمام الدين، ولهم عذاب آليم باشتغالهم بما يغنى عما يبقى

وقال الجنيد رحمه الله: علل القلب من اتباع الهوى، كما أن علة الجوارح من مرض البدن.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ...﴾ الآية.

باتباع الهوى مصلحون زين لهم سوء أعمالهم فرأوها حسنًا، ألا إنهم هم المفسدون بعصيان الناصحين لهم، ولكن لا يشعرون لأنهم محجوبون عن طرق الإنابة والهداية.

قوله تعالى ﴿إنما نحن مصلحون﴾ قيل من أظهر الدعوى كذب، ألا ترى الله يقول: ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾.

قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ أى: يُحَسِّن فى أعينهم قبائح أفعالهم.

قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ...﴾ الآية.

قال أبو الحسن الوراق: هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن لم تصح له أحوال الإرادة بدءاً فارتقى من تلك الأحوال بالدعاوى إلى أحوال الأكابر من يضىء عليه أحوال إرادته لو صححتها بملازمة آدابها، فلما مزجها بالدعاوى أذهب الله عنه تلك الأنوار وبقى فى ظلمات دعاويه لا يبصر طريق الخروج منها.

قال الحسن: ﴿إذا أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾.

قال: إذا أضاء لهم مرادهم من الدنيا والدين ألقوه، وإذا أظلم عليهم من خلاف معقولهم قاموا مجهولين.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾.

قال بعضهم: وحدوا ربكم.

وقال بعضهم: أخلصوا عبادة ربكم من غير اتخاذ الشريك فيه، فتوصلكم الوحدانية والإخلاص إلى التقوى.

قوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً﴾.

أعلمكم فى هذه الآية سبيل الفقر بأن يجعل الأرض وطنًا والسماء غطاءً والماء طيبًا والكلأ[1] طعامًا ولا تعبد أحدًا من الخلق بسبب الدنيا، فإن الله قد أباح لك ما لا بُدَّ لك

(١) الكلأ: عند العرب يقع على المشب، وهو الرطب وعلى العروة والشجر والنَّصى والصليان =

منه من غير مِنَّة فيه لأحد عليك.

قوله تعالى: ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم**﴾.

قيل فيه كنتم أمواتًا بالشرك وأحياكم بالتوحيد.

وقال بعضهم: كنتم أمواتًا بالجهل فأحياكم بالعلم.

وقيل فيه: كنتم أمواتًا بالخلاف فأحياكم بالائتلاف.

قال بعض البغداديين: كنتم أمواتًا بحياة نفوسكم فأحياكم بإماتة نفوسكم وإحياء قلوبكم.

وقال الشبلي: كنتم أمواتًا عنه فأحياكم به.

وقال ابن عطاء: كنتم أمواتًا بالظواهر فأحياكم بمكاشفة السرائر.

وقال فارس: كنتم أمواتًا بشواهدكم فأحياكم بشاهده ثم يميتكم عن شواهدكم ثم يحييكم بقيام الحق عنه. ثم إليه ترجعون عن جميع ما لكم وكنتم له.

قال الواسطي: ويختم بها غاية التوبيخ لأن الموات والجماد لا ينازع ما نور في شيء، إنما المنازعة من الهياكل الروحانية.

قوله تعالى: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا**﴾.

قال: تستعينوا لتقووا به على طاعته لا لتصرفوه في وجوه معصيته.

وقيل: خلق لكم ما في الأرض ليَعُدَّ نعمه عليكم فيقتضي الشكر من نفسك لطلب المزيد منه.

قال أبو عثمان: وهب لك الكل وسخره لك؛ لتستدل به على سعة جوده وتسكن إلى ما ضمنه لك من جزيل العطاء في المعاد ولا تستقل كثير بره على قليل عملك، فقد ابتداك تعظيم النعم قبل العمل وهو التوحيد.

وقال ابن عطاء: ﴿**خلق لكم ما في الأرض جميعًا**﴾ ليكون الكون كله لك وتكون لله كلاً تشتغل عمن أنت له.

وقال بعض البغداديين في قوله: ﴿**خلق لكم ما في الأرض جميعًا**﴾ أنعم بها عليك، فإن الخلق عبدة النعم باستيلاء النعمة عليهم فمن طهر للحضرة أسقط عنه

= الطيب كل ذلك من الكلإ. غيره: والكلأ: مهموز مقصور ما يرعى. وقيل: الكلأ العشب رطبه ويابسه وهو اسم للنوع، ولا واحد له.

فالمنعم رؤية النعم.

وقال أبو الحسن النورى: على مقامات أهل الحقائق انقطاعهم عن العلائق.

قوله تعالى: ﴿إنى جاعلٌ فى الأرض خَليفةً قالوا أتجعلُ فيها من يفسد فيها﴾.

قال ابن عطاء: إن الملائكة جعلوا دعاءهم وسيلة إلى الله، فأمر الله النار فأحرقت منهم ساعة واحدة ألوفًا فأقروا بالعجز وقالوا ﴿سبحانك لا علم لنا﴾.

قال جعفر: لما باهَوا بأعمالهم وتسبيحهم وتقديسهم ضربهم كلهم بالجهل[1] حتى

(١) كيف يضرب الله أقوامًا بالجهل وهو خلقهم من نوره وهم الذين ائتمنهم على خلقه فمنهم من يكون حاملاً للوحى بين الله ورسله كجبريل عليه السلام ومنهم من هو موكل بالمطر ومنهم من هو موكل بالرياح ومنهم موكل بالرعد والبرق ومنهم من يتعاقبون بالليل والنهار ومنهم من يكون خاصًا بكتاب الحسنات والسيئات.

وقال فخر الدين الرازى فى كتابه: «مفاتيح الغيب» (٢/ ١٦٠) فى قوله: ﴿إنى أعلم ما لا تعلمون﴾ كيف يصلح أن يكون جوابًا عن السؤال الذى ذكروه قلنا قد ذكرنا أن السؤال يحتمل وجوهًا:

أحدها: أنه للتعجب فيكون قوله ﴿أعلم ما لا تعلمون﴾ جوابًا له من حيث إنه قال تعالى لا تتعجبوا من أن يكون فيهم من يفسد ويقتل فإنى أعلم مع هذا بأن فيهم جمعًا من الصالحين والمتقين وأنتم لا تعلمون.

وثانيها: أنه للغم فيكون الجواب لا تغتموا بسبب وجود المفسدين فإنى أعلم أيضًا أن فيهم جمعًا من المتقين ومن لو أقسم علىَّ لأبره.

وثالثها: أنه طلب الحكمة فجوابه أن مصلحتكم فيه أن تعرفوا وجه الحكمة فيه على الإجمال دون التفصيل بل ربما كان ذلك فى السماء لا فى الأرض.

وفيه وجه خامس: وهو أنهم لما قالوا ﴿نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ قال تعالى: ﴿إنى أعلم ما لا تعلمون﴾ وهو أن معكم إبليس وأن فى قلبه حسدًا وكبرًا ونفاقًا.

ووجه سادس: وهو أنى أعلم ما لا تعلمون فإنكم لما وصفتم أنفسكم بهذه المدائح فقد استعظمتم انفسكم فكأنكم أنتم بهذا الكلام فى تسبيح أنفسكم لا فى تسبيحى ولكن اصبروا حتى يظهر البشر فيتضرعون إلى الله بقولهم ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وبقوله: ﴿والذى أطمع ان يغفر لى خطيئتى﴾ [الشعراء: ٨٢]، وبقوله ﴿وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين﴾ [النحل: ١٩].

وأما قوله: ﴿لا علم لنا . . .﴾ على ان المعارف مخلوقة لله تعالى. واحتج أهل الإسلام بهذه الآية على أنه لا سبيل إلى معرفة المغيبات إلا بتعليم الله تعالى وانه لا يمكن التوصل إليها بعلم النجوم والكهانة والعرافة. يراجع التفسير الكبير (٢/١٤٦ ـ ١٩٢).

قالوا: لا علم لنا.

وقال بعضهم: عجزهم عن درك المكتوبات عرفهم بذلك قصورهم عن حقائق الحق.

وقال بعضهم: من استكبر بعمله واستكثر بطاعته كان الجهل وطنه، ألا تراهم لما قالوا للحق نسبح بحمدك ألجأهم إلى أن قالوا: لا علم لنا.

قال الواسطى: من قال أنا فقد نازع القدرة، قالت الملائكة: نحن نسبح بحمدك وذلك ليغذيهم من المعارف وهم أرباب للافتخار والاعتراض عن الربوبية بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها.

قال الواسطى فى قوله: **﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾** خلقه بعلمه السابق ودبره بالتركيب وألبسه شواهد النعت حتى يعرفه، ثم كانت أنفاسه مدخرة عند الحق حتى أبداها.

وقال بعض العراقيين: شروط الخلافة رؤيته بذاته الأشياء فصلاً ووصلاً، إذ الفصل والوصل لم ينفصل منه قط، وأى وصل للحدث بالقِدم.

وقال بعضهم: أعلمهم أن العلم بالله أتم من المجاهدات.

وقال بعضهم: عَيَّروا آدم واستصغروه ولم يعرفوا خصائص الصنع فيه فأمروا بالسجود له.

وقال بعض البغداديين: حلاه بخصائص الخلع وأظهر عليه صفات القدم، فصار الخضوع له قربة إلى الحق والاستكبار عليه بعدًا من الحق

وقال بعضهم: **﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾** خاطب الملائكة لا للمشورة ولكن لاستخراج ما فيهم من رؤية الحركات والعبادات والتسبيح والتقديس ردهم إلى قمتهم فقال اسجدوا لآدم.

وقال الواسطى فى قوله **﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾** أظهر عليهم ما أضمروه فى شواهدهم لكم دونه فأظهر حرف كرمه؛ لأن حرف الكرم أن ترى أن شروط الجناية لا تهدم العناية ولو أكرمهم على ما كان منهم لم تظهر حقائق الكرم، ولما قالوا **﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾** علَّم آدم الأسماء كلها فرجعوا إلى رؤية التقصير فى تسبيحهم وتقديسهم فقالوا: **﴿سبحانك لا علم لنا﴾** إن التسبيح والتقديس لا يقربان منك إنما يقرب منك سبق عناية الأزل وهو لا تقدح فيه الجنايات والعصيان.

قال أبو عثمان المغربى: ما بلاء الخلق إلا الدعاوى، ألا ترى أن الملائكة قالوا: نحن نسبح بحمدك ونقدس لك حتى ركنوا إلى الجهل فقالوا: لا علم لنا.

قوله تعالى: . **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾**.

قال الجريرى: علمه اسمًا من أسمائه المخزونة فعلم به جميع الأسامى.

فقال بعضهم علم آدم الأسماء كلها قال: علمها بتعليم الحق إياه وحفظها بحفظه عليه ونسى ما عهد عليه، لأنه وَكَّله فيه إلى نبيه فقال: **﴿عَهِدنَا إلى آدم من قبلُ فَنسى﴾**(١).

وقال ابن عطاء: لو لم يكشف لآدم عليه السلام علم تلك الأسامى لكان لعجز من الملائكة فى الإخبار عنها، وقوله غلب علمه على علم الملائكة؛ لقوة مشاهدة الخطاب من غير واسطة فى قوله **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾**.

وقيل لبعضهم: أليس علم آدم على قدره؟ فقال: بل علمه أكثر من قدرة وجملة تعلمه إذ فيه تدابير الخلق.

قوله تعالى: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾** قال ابن عطاء: لما استعظموا تسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره؛ يريهم استغناءه عنهم وعن عباداتهم. وقال بعض العراقيين: ورد الخطاب على أسرار الملائكة فهم عاجزون عن المخالفة، ورد على سر إبليس وهو عاجز عن الموافقة.

قوله تعالى: **﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾**.

قال القاسم: السكون إلى الجنة وفى الجنة وحشة من الحق ولكنه رد المخلوق إلى المخلوق(٢) إظهار الملك ورعونات الطبع، وقيل فى قوله **﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾** قال السكنى: تكون مدة ثم تنقطع فيكون دخولهما فى الجنة دخول سكنى لا دخول ثواب.

قوله تعالى: **﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾**.

قال بعضهم: معناه أنه يقول نهاهما عن قرب الشجرة وقضى عليهما ما قضى ليريهما

---

(١) سورة (طه) الآية رقم (١١٥).

(٢) على هامش المخطوط: هو رد التقصير لامتناع الأزل عن الحوادث.

قال بعضهم: ردها فى السكون إلى نفسها ووكلها إليه. فقال: ﴿اسكن انت وزوجك الجنة﴾ وفى رد المخلوق إلى المخلوق.

فيهما وأن العصمة تقواهما لا جحدهما وطاقتهما.

قال ابن عطاء: نهى عن جنس الشجرة، فظن آدم أن النهى عن المشار إليه فتناول على حد النسيان وترك المحافظة لا على التعمد والمخالفة قال الله تعالى ﴿ولم نَجِد لَهُ عَزمًا﴾[١].

قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾.

أدركته خصوصية الخلقة باليد ونفخ الروح الخاص والاصطفاء.

وقيل هو قوله ﴿ظلمنا أنفسنا﴾.

وقيل: هى عطس الحمد لله.

قوله تعالى: ﴿يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم﴾.

قال بعضهم: ربط بنى إسرائيل بذكر النعم، وأسقط عن أمة محمد ﷺ ذلك ودعاهم إلى ذكره فقال ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ ليكون نظر الأمم من النعمة إلى المنعم، ونظر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المنعم إلى النعم.

وقال سهل بن عبد الله: أراد الله أن يخص أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بزيادة على الأمم كما خص نبيهم ﷺ بزيادة على الأنبياء فقال للخليل ﷺ ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾[٢] وقطع سر محمد ﷺ ورؤيته عمن سواه فقال: ﴿ألم ترَ إلى ربك كيف مد الظل﴾[٣].

قوله تعالى عز وجل: ﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾.

قال بعض البغداديين: أوفوا بعهدى الذى عهدتم فى الميثاق الأول بلفظة «بلى»[٤]، فلا ترجعوا فى طلب شىء إلى غيرى.

وقيل: أوفوا بعهدى احفظوا ودائعى عندكم، لا تظهروها إلا عند أهلها، أوف

---

(١) سورة (طه) الآية رقم (١١٥).

(٢) سورة (الأنعام) الآية رقم (٢٥).

(٣) سورة (الفرقان) الآية رقم (٤٥).

(٤) هذه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف. الآية رقم (١٧٢) وهى قوله تعالى: ﴿وإذْ أخَذَ ربُّكَ من بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمِ ذُرِيَّتَهُم وأشْهَدَهُم على أنفُسِهِم ألستُ بِربِّكُمْ قالوا بلى شَهِدنا ان تَقُولُوا يَوْمَ القيامَة إنَّا كُنَّا عن هذا غافِلِينَ﴾.

بعهدكم أُبح لكم مفاتيح خزائنى وقربى فأنزلكم منازل الأصفياء.

وقيل أوفوا بعهدى فى أداء الفرائض على السنة والإخلاص، أوف بعهدكم بقبولها منكم ومجازاتكم عليها.

وقال ابن عطاء: أوفوا بعهدى فى حفظ الجلود ظاهرًا وباطنًا، أوف بعهدكم بحفظ أسراركم عن مشاهدة الأعيان.

وقال سهل: أوفوا بعهدى فى مجاهدة أنفسكم، أوف بعهدكم لمعاونتكم عليها.

وقال أبو عثمان: أوفوا بعهدى فى حفظ آداب الظواهر، أوف بعهدكم بتزين سرائركم.

وقال بعضهم: أوفوا بعهدى فى التوكل، أوف بعهدكم بكفاية مهماتكم. وقال بعض العراقيين: أوفوا بعهدى كونوا لى خلقًا، أوف بعهدكم أكن لكم حقًا.

قال أبو الحسن الوراق: أوفوا بعهدى فى العبادات، أوف بعهدكم أوصلكم إلى منازل الدعايات. سُئل الثورى عن فهم هذه الآية أوفوا بعهدى قال: أوفوا بعهدى فى دار محبتى على بساط خدمتى بحفظ حرمتى، أوف بعهدكم فى دار نعمتى على بساط قربى بسرور رؤيتى.

قوله تعالى: ﴿وإياى فارهبون﴾.

الرهبة: هى خشية القلب من روى خواطره وقال سهل: وإياى فارهبون موضع اليقين ومعرفته وإياى فاتقون، موضع العلم السابق وموضع المكر والاستدراج.

قوله تعالى: ﴿وإياى فاتقون﴾ قال بعضهم: التقوى على أربعة أوجه: للعامة تقوى الشرك وللخاص تقوى المعاصى وللعارفين تقوى التوسل ولأهل الصفوة تقواهم منه إليه، والتقوى النظر إلى الكون بعين النقص.

قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة ...﴾ الآية.

قال سهل بن عبد الله: استعينوا بها على إقامة الدين وثبات اليقين.

قال ابن عطاء: استعينوا بهما على البلوغ إلى درك الحقائق، وقال أبو عثمان: استعينوا بهما على فراغة أوقاتكم.

﴿وإنها لكبيرة﴾ الآية. قال: لمن خشع قلبه وروحه وسره لموارد الهيبة وطوالع الإجلال.

قال أبو عثمان: ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ قال: لمن ذلت جوارحه للعبادات فرحًا بمجل خطاب الآمر فيه.

وقال بعض العراقيين: استعينوا بالصبر عمن دون الله والصلاة الوقوف بحسن الأدب مع الله، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين إلا على من أيد فى الأزل بخصائص الاجتباء.

وقال بعضهم: استعينوا بى فى الصبر والصلاة فإنهما لا يحصلان لكم إلا بمعونتى.

قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [الآية: ٤٤].

قيل فيه: أتطالبون الناس بحقائق المعانى وأنتم خالون من ظاهر رسومها.

قوله تعالى ذكره: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾ [الآية: ٤٦].

قيل: من وحّد الله بأفعاله وطاعته كان توحيده على الظن، ألا تراه يقول: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ الآية.

وقال بعضهم: الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم أى: لو حققوا التوحيد كانت صلواتهم وخشوعهم عليهم رينًا[١]، فلما ركنوا على أفعالهم كان توحيدهم ظنًا وطاعتهم عليهم شينًا[٢]، قال الله عز من قائل ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل....﴾[٣] الآية.

قوله تعالى: ﴿إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ [الآية: ٥٤].

قيل: عجل كل إنسان نفسه ممن أسقطه وخالف مراده وهواه فقد برئ من ظُلمه.

قوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾.

قيل: إذا كان أول قدم فى العبودية التوبة وهو: إتلاف النفس وقتلها بترك الشهوات وقطعها عن المراد، فكيف الوصول إلى شيء من منازل الصادقين وفى أول قدم منها تلف المهج[٤]؟

---

(١) رينًا: الرين: الطبع والدنس. والرين: الصدأ الذى يعلو السيف والمرآة.
وران الثوب رينًا: تطبع. والرين: كالصدأ يغشى القلب - وران الذنب على قلبه يرين رينًا وريونًا: غلب عليه وغطاه. [لسان العرب مادة رين].

(٢) شينًا: الشَّين: معروف خلاف الزين، وقد شانه يشينه شينًا.
قال أبو منصور: والعرب تقول وجه فلان زَيْنٌ أى حسن ذو زين، ووجه فلان شَيْنٌ أى قبيح ذو شين [لسان العرب/ مادة: شين].

(٣) سورة (الفرقان) الآية رقم (٢٣).

(٤) المهج: المهجة: دم القلب، ولا بقاء للنفس. بعد ما تراق مهجتها، وقيل: المهجة الدم وحكى =

وقيل: توبوا إلى بارئكم قال: ارجعوا إليه بأسراركم وقلوبكم واقتلوا أنفسكم بالتبرى منها، فإنها لا تصلح لبساط الأنس. وقال أبو منصور: ما شرع الحق إليه طريقًا إلا وأوائله التلف.

قال الله تعالى: ﴿**توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم**﴾.

فما دام يصحبك تمييز وعقل فأنت فى عين الجهل حتى يضل عقلك ويذهب خاطرك ويفقد نسبك إذ ذاك وعسى ولعل.

وقال الواسطى: كانت توبة بنى إسرائيل إفناء أنفسهم ولهذه الأمة أشد وهو إفناء أنفسهم مع مرادها مع بقاء رسومهم الهياكل.

قال فارس: التوبة محو البشرية وثبات الإلهية. قال الله تعالى: ﴿**توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم**﴾.

قوله تعالى: ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً**﴾ [الآية: ٥٥].

قال بعض البغداديين: من طالع الذات بعين الحرمة الحق، ومن طالعها بالحرمة أولى عليه صفات الجبروت والعظمة، ويستغيث من ذلك بلسان العجز سبحانك تبت إليك.

قوله تعالى: ﴿**قد علم كل أناس مشربهم**﴾ [الآية: ٦٠].

قيل: فيه مشرب كل أحد حيث أنزله رائده، فمن كان رائده نفسه فمشربه الدنيا، ومن كان رائده قلبه فمشربه الآخرة، ومن كان رائده سره فمشربه الجنة، ومن كان رائده روحه فمشربه السلسبيل، ومن كان رائده ربه فمشربه فى الحضرة على المشاهدة

= عن أعرابى أنه قال: دفنت مهجته أى دمه ويقال: خرجت مهجته أى روحه.

وقيل: المهجة خالص النفس. [لسان العرب مادة: مهج].

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مصادر والمؤلف (غفر الله له) دأب على كتابة الأسماء بالكنى فقط (أبو منصور) مثلاً فكم من (أبى منصور) صوفى وغير صوفى فمن هو أبو منصور الله أعلم.

(٢) قال أبو حفص (عفا الله عنه): كيف وهذا التفسير على غير ما فسره أهل العلم من المفسرين؟ وكيف والإنسان إذا ضل عقله وفقد تمييزه وذهب لُبَّه فلا يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، والخطأ والصواب، والفضيلة والرزيلة، فهو ولا شك مجنون، حينئذ يرفع عنه القلم وتتوقف كتبة الصحف ويعفى عنه كل ما يقوله ويفعله ودليلنا قول النبى ﷺ «رفع القلم عن ثلاثة: «وفيهم المجنون حتى يفيق...»، وفى رواية «عن المعتوه حتى يعقل»، وفى رواية: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ. (انظر صحيح الجامع جـ١/ ص٦٥٩).

حيث يقول: ﴿وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا﴾[١] به عن كل ما سواه[٢].

قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ...﴾ [الآية: ٦١].

قيل: الناس فيه رجلان: رجلٌ أزيل عنه تدبيره مستريح فى ميدان الرضا راضٍ بأحكام القضاء فيه ساء أم سر فهو فى الزيادة أبدًا، وآخر رُدَّ إلى تدبيره واختياره فلا يزال تتخبط فى تدبيره واختياره إلى أن يهلك.

قوله تعالى: ﴿أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير﴾.

معناه: أتعارضون حسن اختيارى لكم فى الأزل بمخالفة الدعاء والسؤال ﴿ما يبدلُ القولُ لدى﴾[٣].

قال الواسطى فى هذه الآية: ما يتولاه من المن والسلوى من غير كلفة لهم، فتبع القوم شهوة نفوسهم وما يليق بطبائعهم لما رجع إلى القثاء والطين عند ذكرهم.

قوله تعالى: ﴿لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها﴾ [الآية: ٧١]

معناه: لا يصلح لكرامتى وإظهار ولايتى عليه إلا من لم يُذلل نفسهُ بالسكونِ إلى شيءٍ من الأكوان ولم يَسعَ فى طلبِ الحوادثِ بحالٍ مسلمةٍ من منون عوارضِ الخلافِ.

﴿لا شية فيها﴾: لا أثر عليه لأحد بالسكون إليه والاعتماد عليه فهو القائمُ بى والناظرُ إلىَّ والمعتمد علىَّ أظهرتُ عليه آيات قدرتى وجعلتُه أحَدَ شواهد عزّتى فمن شاهده استغرق فى مشاهدته؛ لأنه قد ألبس رداء العزّ وأنشد على أثره.

إِذًا فانْظِرى الدنيا بِعَينىَّ واسمَعِى بِأُذُنىَّ فيهـا وَانطقِـى بِلسـانِى

قوله تعالى: ﴿وضُربت عليهم الذلة والمسكنة﴾: الحرص.

قوله تعالى: ﴿فقُلنا اضربوه بِبَعضها كَذلك يُحيى الله الموتى﴾ [الآية: ٧٣].

قيل فيه: إن الله أمَر بقتلِ حَى لِيُحيى ميتهم أعلمك بذلك أنَّهُ لا يُحيى قَلبَكَ لأنوارِ

(١) سورة (الإنسان) الآية رقم (٢١).

(٢) هذا التفسير مخالف لجمهور المفسرين قاطبة حيث أن المقصود فى الآية هم أهل الجنة وهذا النعيم الذى تكلمت عليه الآيات من أول قوله تعالى «إن الأبرار يشربون الأيات كله فى الجنة وليس للدنيا فيه نصيب فأى حضرة تلك التى فيها يشاهد العبد المريد ربه أو غير ذلك من الخرافات. نسأل الله العفو والعافية.

(٣) سورة (ق) الآية رقم (٢٩).

المعرفة ولا لفهم الخِطابِ إلا بعدَ أن تقتلَ نفسكَ بالاجتهادِ والرياضات، فيبقى جِسمكَ هيكلاً لا صفة له من صفاته ولا يؤثر عليه بقاءَ صُورتها شيئًا فتُحيى قلبكَ وتكونُ نَفسكَ رسمًا لا حقيقة لها، وقلبُك حقيقةٌ ليس عليهِ أثر من المربيين.

قوله تعالى: ﴿بَلى مَن كسبَ سيئةً وأحاطت به خطيئته﴾ [الآية: ٨١].

كسَب سيئة برؤيةِ أفعَاله، وأحاطَت به خطِيئتهُ بظنهِ أن عَمله ينجيه أو يُقَربُه، فهمُ المبعدُون عنّى بِما تَقَربوا به إلىَّ.

قوله تعالى: ﴿والذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحات﴾ [الآية: ٨٢].

قيلَ آمَنُوا: أيقَنُوا أنَّ النَّجاةَ فى سَعادَةِ الأزَلِ، وأنه ليس فى الطاعات إلا اتباع الأمر فيها، وعملوا الصالحات اتقوا من صالح أعمالهم لعلمهم بقصورها عن حقيقة تعبده، أولئك هم الواصلون إلى الرضوان الأكبر زيادة فى قوله تعالى ﴿توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾ أى: امنعوها عن الاشتغالِ بعبادة غيره.

وقيل: اقتلوا أنفسكم فى طاعته ثم توبُوا إليه من أفعالكم وأقوالكم وطاعاتكم.

وقال أبو منصور: توبُوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم قال: التوبة محو البشرية وإثبات الإلهية وقتلُ النفس عَما دون الله وعن الله حتى يرجع إلى أصل القدم ويبقى الحق كما لم يزل.

وقال تعالى: ﴿وإن يأتوكم أسارى﴾ [الآية: ٨٥].

قال أبو عثمان: وإن يأتوكم غرقى فى رؤية أفعالهم تُنقذوهم من ذلك برؤية المنن.

قال الجنيد رحمه الله: وإن يأتوكم أسارى فى أسباب الدنيا تُنقذُوهم إلى قطع العلائق والأسباب فإن الحق أبى أن يتجلى لقلبٍ متعلقٍ بشىء.

وقال بعض البغداديين: وإن يأتوكم أسارى فى صفاتهم ونعوتهم تُفادُوهم أى تخلوا عنهم وثاقَ صفاتهم بصفات الحقّ ونُعوتهِ

قوله تعالى: ﴿قُلوبنا غلفٌ﴾ [الآية: ٨٨].

أى حرم قسم السعادةِ لها فى الأزل.

قوله تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ [الآية: ٩٦].

قال بعض الخراسانيين وهو محمد بن الفضل: لعلمهم بما قدمُوا مِن الآثام والخلاف وهذا حال الكفار فواجبٌ على الموحى أن يكونَ حاله ضدّ هذا أن يكون مشتاقًا إلى

الموت لمكاشفةِ الغيوب ودفع حجاب الوحشة والوصُولُ إلى محلِّ الأُنسِ، ألا ترى النبيَّ ﷺ يقول: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءهُ»[١]. وأن بلالاً لما حُضِرَ قالت امرأتهُ: واحزناه فقال: يا وَاطَرباه غدًا نلقى الأحبَّه. . . الحديث[٢].

قال الواسطى رحمه الله: جعل الموت يقظةً للعالم فمن هابه حُجِبَ عن المميت ومتى تكونُ فى قلبكَ هيبة إذا هبتَ طوارق الموت.

قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسها﴾ [الآية: ١٠٦].

ما نقلتك من حالة إلا أوصلناك إلى مقام أشرف منها وأعلى إلى أن تنتهى بك الأحوال إلى محل الندامى والخطاب من غير واسطةٍ بقوله ﴿دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[٣]

قوله تعالى: ﴿بَلى من أسلم وجهه لله﴾ [الآية: ١١٢].

أى: أخلص وجهه عن أعمالهِم من الربا: والشرك الخفى، وقيل أسلم وجههُ لله أى: أعتقَ وجهه عن عُبودية غيره وهو محسنٌ أى: وهو يحسن آداب العبودية فله أجرُه عند ربه بدوام المعونة له من رِضاهُ، ولا خوفٌ عليهم فى فوت حظهم من الحقِّ، ولا هم يحزنون بأن يشغلَهُم عنه بالجنة.

قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله﴾ [الآية: ١١٥].

قال أبو منصور: وجههُ حيث توجهت وقصده أين قصدت وقال أيضًا: هذا مثل إبداء الحق للخلق كمثل الهلال يُرى من جميع الأقطار، ويحتجب بالرسوم والآثار، فإذا ارتفعت الرسوم صار ناظرًا لا منظورًا، وقال بعض البغداديين: القصد توجُّهك والطريقة إليه استقامتك منك بفهمك وعنك بعلمك، ارتبط كل شىء بضده وانفرد بنفسه.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الرقاق» باب «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءَه» (١١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) حديث رقم (٦٥٠٧) من طريق قتادة عن أنس عن عبادة بن الصامت ومسلم فى كتاب «الذكر والدعاء» باب «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». (٤/ ٢٠٦٥) (١٤/ حديث رقم (٢٦٨٣) من طريق قتادة أيضًا

(٢) ذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٩) وقال: قال سعيد بن عبد العزيز: لما احتضر بلال قال: غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه، قال: تقول امرأته: واويلاه! فقال: وافرحاه!

(٣) سورة (النجم) الآية رقم (٣ ـ ١٠).

قال تعالى: ﴿بديع السموات والأرض فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ قال بعض البغداديين: كُلُّ صُنع صَنَعهُ ولا علَّةَ لصنعهِ ليس لكانهِ كانٌ، لأنه قبل الكون والكان وأوجد الأكوان بقوله كن.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ [الآية: ١١٨].

قال الواسطى: قد كلمتُهُم حيثُ أنزلت عليهم خطابى فلم يفهموا، وأى آية أشرف من محمد صلوات الله وسلامه عليه؟ وقد أظهرت لهم ذلك...[1].

قوله: ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربُّهُ بكلمات﴾ [الآية: ١٢٤].

قال بعضهم: أشد ما ابتلى اللهُ به إبراهيم عليه السلام أن حملَهُ أثقالَ الخُلة، ثم طالبه بتصحيح شرائطها، وتصحيح شرائطِ الخُلة التخلى مما سواه ظاهرًا وباطنًا.

قوله تعالى: ﴿إنى جاعلك للنَّاسِ إمامًا﴾.

أى: جاعلك سفيرًا بينى وبين خلقى لتهديهم لاستصلاح الحضرة وهذا هو الإمامةُ.

وقال أبو عثمان: الإمام هو الذى يعاشر على الظاهر، ولا يؤثرُ ذلك فيما بينه وبين ربه بسبب كالنبى ﷺ كان قائمًا مع الخلق على حدِّ الإبلاغ قائمًا مع الله على المشاهدة.

قوله تعالى: ﴿ومن ذُريتى قال لا ينالُ عهدى الظالمين﴾.

قطع بهذا أن يكون أحد يصل إليه بسبب أو نسب، إلا برضا الأزل وسبق العناية.

قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمنًا﴾ [الآية: ١٢٥].

أى: مفزعًا للمذنبين وأمنًا أى: من دخله من المؤمنين حافظًا لحدود الله فيه آمِنٌ من نار جهنم.

سمعت منصورًا[2] يقول بإسناده عن جعفر عليه السلام قال: البيت ها هنا محمد

---

(١) بياض فى الأصل حوالى ثلاث كلمات.

(٢) منصور بن عمار بن كثير الواعظ، البليغ الصالح، الربانى أبو السَّرى السُّلَمى الخراسانى وقيل: البصرى. كان عديم النظير فى الموعظة والتذكير.

روى عن الليث، وابن لهيعة، ومعروف الخياط، وحفص بن زياد والمنكدر بن محمد، وبشير ابن طلحة وجماعة، ولم يكن بالمتضلع من الحديث.

حدث عنه: ابناه سُليم وداود، وزهير بن عباد واحمد بن منيع، وعلى بن خشرم وغيرهم.

ﷺ[1] فمن آمن به وصدق برسالته دخل فى ميادين الأمن والأمانة.

قوله تعالى: **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدون﴾**.

قال بعض العراقيين: العمل لا يبلغ إلا إلى مخلوق مثله، وأعظم حجاب العارفين الجنة والاشتغال بها عن الحق هى المصيبة العظمى، لأن الجنة خرجت من تحت «كن».

وقال بعضهم: العارفون في الجنة لا يستلذون بشيء منها، لأن الحق إذا استولى على سر لا يملكه سواه.

قوله تعالى: **﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾** [الآية: ١٣١]

أى: أخلص سرّك فإنه موضع الاطلاع منك.

﴿قال أسلمت﴾ أى: أسلمت إليك سِرى فأخلصه لى فإنك أولى به منى.

وقيل: أسلم: أى أظهر شرائط موافقة الخلة فى حالى سرائك وضرّائك ليعلم الحقُّ منك ما تعلمه.

﴿قال أسلمت﴾ أى: ها أنا ذاك واقفٌ أنتظر موارد اختلاف الأحوال لأقابلها بمعونتك مقابلة الخليل ما يردُّ عليه من خليله.

وقيل: إن العرب تقول: أسلم[2] أى: استأنس، وكأن الله يقول: استانس فإن مثلك لا يحملُ الطوارق بمحن الحوادث بل يحدث إلى الاستغراق فى بلايا القدم فيقول: أسلمت أى: استأسرت وما زلت مُذ كنت فى أسر جبروتك وقهر عزّك.

= قال أبو حاتم: صاحب مواعظ ليس بالقوى. وقال الدارقطنى: يَروى عن ضعفاء أحاديث لا يتابع عليها، وقال ابن عدى فى «الضعفاء» منكر الحديث.

قلت: إذا كان هذا حال منصور بن عمار عند علماء الجرح والتعديل فهل تقبل له رواية فى الحديث فضلاً عن تفسير كتاب الله تعالى. عافانا الله وإياكم من الشطح والشطط.

ترجمته فى: (السير ٩/ ٩٣، طبقات الصوفية ص٣١، وحلية الأولياء ٩/ ٣٢٥، والكامل لابن عدى ٦/ ٣٩٣).

(١) قلت: هذا كذب وافتراء فمنصور بن عمار منكر الحديث وشيوخه مجهولون إلى جعفر عليه السلام فهو مع نكارته مقطوع. فما فسره أحد من أهل العلم قديمًا وحديثًا بهذا التفسير فالبيت هو بيت الله الحرام، فانظر الافتراء والتدليس. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

(٢) فى هامش المخطوط: فى نسخة: استسلم.

سمعت النصرآباذى[١] يقول: سمعت الروذبارى[٢] يقول: سلامةُ النفسِ فى التسليم وبلاؤها فى التدبير.

قوله تعالى: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾.

قال الجنيد: ظاهرُ علم الاستسلام سقوط المسافة والمدَّة من البعد، فليس يجدون فى

---

(١) الإمام المحدث، القدوة الواعظ، شيخ الصوفية أبو القاسم، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه الخراسانى النصرآباذى النيسابورى الزاهد، ونصرآباذ: محلة من نيسابور.

سمع أبا العباس السراج، وابن خزيمة، وأحمد بن عبد الوارث العسال، ويحيى بن صاعد، ومكحولاً البيرونى وابن جوصا، وعددًا كثيرًا بخراسان، والشام والعراق، والحجاز، ومصر.

حدث عنه: الحاكم، والسُّلَمى، وأبو حازم العبدوى وأبو العلاء محمد بن على الواسطى، وأبو على الدقاق، وجماعة، قال أبو عبد الرحمن السُّلمى: كان شيخ الصوفية بنيسابور، له لسان الإشارة مقرونًا بالكتاب والسنة وكان يرجع إلى فنون منها حفظ الحديث وفهمه، وعلم التاريخ، وعلوم المعاملات والإشارة، لقى الشبلى، وأبا على الروذبارى، قال: ومع عظم محله كم من مرة قد ضرب وأهين، وكم حُبس، فقيل له: إنك تقول: الروح غير مخلوقة، فقال: لا أقول ذا، ولا أقول إنها مخلوقة بل أقول: الروح من أمر ربِّى، فجهدوا به، فقال: ما أقول إلا ما قال الله.

قال الذهبى: هذه هفوة، بل لا ريب فى خلقها، ولم يكن سؤال اليهود لنبينا ﷺ عن خلقها ولا قدمها، إنما سألوا عن ماهيتها وكيفيتها.

قال الله تعالى: ﴿الله خالق كل شىء﴾ [الزمر:٦٢] فهو مبدع الأشياء وموجد كلٍّ فصيح وأعجم، ذاته وحياته وروحه وجسده: وهو الذى خلق الموت والحياة والنفوس، سبحانه.

ترجمته فى: (السير ١٦/ ٢٦٣، طبقات الصوفية ص١١٩).

(٢) أبو على الروذبارى، شيخ الصوفية.

قيل: اسمه: أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور، وقيل: اسمه حسن بن هارون، سكن مصر، صحب الجنيد، وأبا الحسين النورى وأبا حمزة البغدادى، وابن الجلاء.

وحدث عن: مسعود الرملى وغيره، وقال: أستاذى فى الفقه ابن سريج، وفى الأدب ثعلب وفى الحديث إبراهيم الحربى.

قيل: سُئل أبو على عمن يسمع الملاهى ويقول: هى حلالٌ لى لأنى قد وصلت إلى رتبة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال؟ فقال: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر.

أخذ عنه: ابن أخته، ومحمد بن عبد الله الرازى وأحمد بن على الوجيهى، ومعروف الزنجانى، وآخرون.

توفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

ترجمته فى: (السير ١٤/ ٥٣٥، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، وطبقات الصوفية ص٨٧).

إشاراتهم كلفة ولا في ذكرهم الذي به يقربون مؤونةً، لأنه استولى من قُربه واكتنافه لهم والتحنن عليهم والبرّ بهم، لأنه قد أراح عنهم أسباب الطلب.

قال الواسطي رحمه الله: في قوله: ﴿**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها**﴾ الآية.

قال ثم بين أن الخطاب على مقادير العقول ألا ترى كيف بيّن علمه في آخر الآية [١٤٣] ﴿**وما أنت بتابع قبلتهم**﴾ إحكامًا منه في صُنعه وما جرى من ضبطه.

قال فارس: قوله اجعلنا مُسلمين قال: أرحنا عن أسباب الطلب بالحيل ومطالعة الجزاء بالعوض.

وقال جعفرٌ في قوله ﴿**اجعلنا مسلمين لك**﴾ قال: احفظني وأهل بيتي كي نسلم أنفسنا وقلوبنا إليك، ولا نختار إلا ما تختاره لنا وقال أيضًا: اجعلنا مقيمين معك لك.

قوله تعالى: ﴿**ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوبَ**﴾ [الآية: ١٣٢].

قيل أوصاهم بالمجاوبة إلى الاستسلام الذي أمر به فصح من إبراهيم ﷺ فكما ابتلى بذبح ابنه لم ينظر إليه، لأنه كان أسلم وصحً له التسليم فمضى فيه من غير نظر إلى الولد حتى فُدِيَ، ولما لم يصحً ليعقوب عليه السلام ما صح للخليل رجع إلى جِدّ الجزع حين فقد ابنه وقال يا أسفى على يوسف[1].

قوله تعالى: ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء**﴾ [الآية: ١٤٤].

قيل فيه أعلمه أولاً أنه من الحق ليكون متأدبًا بآداب الحق ومن حسن أدبه أنه نظر

---

(١) (الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد) كذا عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وعلات معناها قال العلماء أولاد العلات أوحدة من علات هم الأخوة لأب من أمهات شتى. اهـ.

ويعقوب عليه السلام لم يجزع جزع الاعتراض وإنما قالها لفراقه ابنه وبكى نبينا ﷺ لفراق ابنه إبراهيم قال الرازي في «مفاتيح الغيب» (١٨/ ١٥٤ ـ ١٥٥) من الجهال من عاب يعقوب عليه السلام على قوله ﴿يا أسفى على يوسف﴾ قال: لأن هذا إظهار لجزع وجار مجرى الشكاية من الله وإنه لا يجوز، والعلماء بينوا أنه ليس الأمر كما يظن هذا الجاهل وتقريره أنه عليه السلام لم يذكر هذه الكلمة ثم عظم بكاؤه، وهو المراد من قوله ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ ثم أمسك لسانه عن النياحة وذكر ما لا ينبغي، وهو المراد من قوله ﴿فهو كظيم﴾ ثم إنه ما أظهر الشكاية مع أحد من الخلق بدليل قوله ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ وكل ذلك يدل على أنه لما عظمت مصيبته وقويت محنته فإنه صبر وتجرع الغصة وما أظهر الشكاية فلا جرم استوجب به الفرح العظيم والثناء العظيم. اهـ.

نحو السماء لم يشك فأجيب على نظره إلى مراده.

قوله تعالى: ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾.

أخبره بعد أن أجابه إلى مراده، إن مرادك يُخالف مرادنا لأن إرادتنا فيك نقلك إلى الكعبة وثباتك عليه وجعلها قبلةً لك ولأمتك لتعلم أن رضاك لا يخالف رضانا أبدًا.

قوله تعالى: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾.

قال بعض العراقيين: ترسم معهم برسم الظاهر فى استقبال الكعبة ببدنك، ولا تقطع قلبك عن مشاهدتنا، فإنا جعلنا الكعبة قبلة بدنك ونحن قبلة قلبك.

قوله عز وجل: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ [الآية: ١٥٤].

قيل: لأنهم مقتولون فى الحق، ومن كان مقتولاً فيه كان حياته ولكن لا تشعرون، أى لا يعلمه من نظر إلى الجهاد بعين التدبير ولم ينظر إليه بعين الرضا.

قوله عز وجل: ﴿اذكرونى أذكركم﴾.

قال الواسطى: حقيقة الذكر فى الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور.

وقال بعض العراقيين فى قوله: ﴿اذكرونى أذكركم﴾ قال: لك نسيبة من الحق يتحمل بها الموارد وهو ذكره إياك، فلولا ذكره إياك ما ذكرته. وقيل: اذكرونى بجهدكم وطاقتكم لأقرن ذكركم بذكرى فيتحقق لكم الذكر.

قال سمنون[(١)]: حقيقة الذكر أن ينسى كل شىء سوى مذكوره، لاستغراقه فيه فيكون أوقاته كلها ذكرًا وأنشد:

لا لأنِّى أنساك أكثر ذكراك ... ولكنى بذاك يجرى لسانى

وقال بعض البغداديين: الذكر عقوبة لأنه طرد الغفلة ولو لم يكن غفلة فلا معنى للذكر. وقال بعض المتأخرين من أهل خراسان: كيف يذكر الحق بعقول مصنوعة

(١) أبو الحسن سمنون بن حمزة، ويقال سمنون بن عبد الله - الخواص، ويقال كنيته أبو القاسم سمى نفسه سمنون الكذاب، لكتمه عسر البول وكان سبب ذلك أبياته التى قال فيها:

فليس لى فى سواك حظ ... فكيف ما شئت فامتحنى

فحصر بوله من ساعته، فسمى نفسه سمنون الكذاب.

ترجمته فى: (طبقات الصوفية ص٤٥، المنتظم ١٣/ ص١٢١، ١٢٢، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٠٩).

وأوهام مطبوعة؟ وكيف يذكر بالزمان من كان قبل الزمان على ما هو به؟ إذ الحق سبق كُلَّ مذكور. وقيل: اذكرونى على الدوام لتطمئن قلوبكم بى، لأنه يقول: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[1].

وقال بعضهم: أتم الذكر أن تشهد ذكرُ المذكور لك بدوام ذكرك له، قال الله جل من قائل: ﴿**اذكرونى أذكركم**﴾.

قوله تعالى: ﴿**ولنبلونكم بشىءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات**﴾ [الآية: ١٥٥].

سمعت أبا بكر الرازى يقول: سمعت أبا بكر النيسابورى يقول: سمعت المدينى يقول: سمعت الشافعى يقول: الخوف خوف العدو، والجوع شهرُ رمضان، ونقص من الأموال: الزكاة، والأنفس: الأمراض، والثمرات: الصدقات، وبشر الصابرين على أدائها.

قوله تعالى: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾ [الآية: ١٥٨].

قيل: إن من صعد الصفا ولم يصف سرُّه لله لم يبنِ عليه من شعائر الحج شىءٌ، ومن صعد المروة ولم تبين له حقائق المغيبات لم يظهر عليه من شعائر الحق شىء.

وقيل الصفا موضع المصافاة مع الحق، فمن لم يتجرد لمصافاة الحق معه فليعلم بتضييع أيامه وسعيه فى حجه. سمعت منصورًا يقول بإسناده عن جعفر قال: الصفا: الروح لصفائها من درن المخالفات والمروة: النفس لاستعمالها المروءة فى القيام بخدمة سيدها وقال: الصفا صفاء المعرفة والمروة مروءة العارف. وقال الصفا التصفية من كدورات الدنيا وهوى النفس، والسعى هو الهرب إلى الله، فإذا اجتمع سعيك بالهرب إلى الله فلا تبطله بالنظر إلى غيره.

قوله عز وجل: ﴿**ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**﴾.

قال ابن عطاء: لا خوف عليهم عند الموت لما يلقون من البُشرى، ولا هم يحزنون على ما خلفوا من الأهل والأولاد؛ لعلمهم بأن الله تعالى خليفته عليهم.

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ [الآية: ١٧٢].

الطيبات: الرزق وهو التناول فى أوقات الاضطرار مقدار استبقاء المهجة لأداء

---

(١) سورة (الرعد) الآية رقم (٢٨).

الفرائض وهو الذى لا تبعة على أكله بحالٍ.

قوله تعالى: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [الآية: ١٥٧].

قال القاسم: هذه إشارةٌ تدعو إلى الرضا بالقسمة والصبرِ على المحنةِ. قال: تحت كل محنة نعمةٌ وتحت كل أنوار النعمة نيران المحبة، ومدح قومًا فقال: إذا أصابتهم مصيبة سبقت الأمور بما جرت به الدهور لا يرد ذلك تقوى متقٍ ولا عصيان عاصٍ.

[قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة﴾[1].

السلم هو الرضا بالقضاء قاله الجنيد.

وقال ابن عطاء: السلم اتباع الأوامر واجتناب النواهى.

وقال أبو عثمان: السلام هو المحمود تحت مجدى القدرة لك وعليك].

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا...﴾ [الآية: ١٦٥].

قال القاسم: ومن أخرجناهم من جملة الخطاب الخاص بمخاطبة الإيمان أقوامًا يتخذون أهواءهم آلهة يعبدونها ويحبونها ﴿والذين آمنوا أشد حبًا لله﴾ منهم لأهوائهم يرون البلاء من الله نعمة ولا يحجزهم عن محبتهم لربهم ترادف التجنى عليهم بأن يزيدهم بذلك محبة لهم، فلذلك قال: ﴿والذين آمنوا أشد حبًا لله﴾.

قوله تعالى: ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ [الآية: ١٧٧].

قال بعضهم: الوفاء بالعهد لزوم الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود.

قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾ [الآية: ١٨٥].

قيل: أنزله فيه بتفضيله وتخصيصه من بين الشهور وافتراض الصوم فيه، واستنان القيام فى لياليه بالقرآن.

قوله تعالى: ﴿فَمن شَهِد منكُمُ الشهرَ فَليصمه﴾.

من شهدنى وشهد أمرى فليصم أوقاته كلها عن المخالفات ومن شهد الشهر على رؤية التعظيم فليمسك فيه عن الهوى واللغو والهم، ومن شهد على رؤية التعظيم فليمسك فيه عن الهوى واللغو والهم ومن شهد على رؤية فعله وصومه فليس لله فيه حاجة فى ترك طعامه وشرابه وهو كما أخبر النبى ﷺ حين قال: «رُبَّ صائم حظه من

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢٠٨).

صيامه الجوع»(١).

قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ [الآية: ١٨٦].

قال سهلٌ: أدنى مقامات القرب الحياء من الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات﴾.

قال النصرآباذى: وقَّت الله عز وجل العبادات بأوقات ليتأهب العبد لها قبل أوقاتها بالآداب الظاهرة ولم يوقت المعرفة بوقتٍ لئلا يخلى العبد سره عن مراقبة المشاهدة بحالٍ.

قوله تعالى: ﴿فاتقون يا أولى الألباب﴾ أى: أقبلوا علىَّ أصحاب الفهوم السليمة واعقلوا عني.

قال الواسطى: هم من الخصوص خصوص لم يجعل للعموم فيهم طريقًا.

قوله تعالى: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ [الآية: ١٩٨].

إلى ذكره وجعلكم من أهله ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ عن ذكره.

قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ [الآية: ١٩٩].

قال ابن عطاء: إذا عمرتم بواطنكم بذكرى واستفرغتم الوسع فيه، فارجعوا إلى ما رجع إليه العام من القيام برسوم العبودية، واستغفروا الله عن اشتغالكم بغيره، إن الله غفورٌ للمطيعين تقصيرهم فى طاعته، رحيمٌ بالعاصين أن يردهم برحمته إلى بابه.

قوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلمُ ما فى أنفسكم﴾ [الآية: ٢٣٥].

أى: علم ما فى أنفسكم قبل أن يخلقكم فاحذروه أى: فاحذروا أن يكون فى أسراركم سواه فيعرض عنكم.

(١) صحيح: أخرجه الحاكم فى المستدرك من كتاب «الصوم» (١/ ٤٣١) من طريق إسماعيل بن جعفر ثنا عمرو بن أبى عمرو عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة به. وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، والبيهقى فى «السنن الكبرى» من كتاب «الصيام» (٤/ ٢٧٠) من طريق عبد العزيز بن محمد عن عمرو به، وأحمد فى «مسنده» (٢/ ٣٧٣) حديث رقم (٨٨٤٣) من طريق عمرو بن أبى عمرو به، وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٢)، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وقال: رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله موثقون.

قوله تعالى: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾.

قال ابن عطاء: خيانة النفس الوقوف معها حيث ما وقفت.

قوله تعالى: ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾.

قيل: معناه إنك تذكر إحسان أبيك إليك فتذكره بذلك أبدًا، وإحسانى إليك أقدم وأكثر فاذكرنى كما تذكر أباك.

وقيل هو الذى أوجد أباك وألقى فى قلبه رحمتك، فذكر ولى النعم الأول أولى.

وقال بعضهم: اذكرنى بالنعماء يُرى عليك منى روائد الآلاء فاذكرونى بالخوف تجدنى أمانًا لك عند المخاوف، واذكرنى بالعبودية الخالصة أقبلك على شرائط السلامة عاجلاً وآجلاً، واذكرنى بى أوصلك إلىَّ فإن من ذكرنى لرغبةٍ أو رهبة أعطيته مرغوبه وأمنته من مرهوبه، ومن ذكرنى لى كُنت له عوضًا من الكلِّ، ومن كنت له فالأكوان كلها فى أسره.

قال الواسطى: ذكر عارضى ودعا عادتى كيف تُرجى بركته أو نموه وزيادته.

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة﴾.

الإعراض عنها ﴿وفى الآخرة حسنةٌ﴾ ترك الاشتغال بها ﴿وقنا عذاب النار﴾ وقنا نيران عذاب شهواتنا فإن من شغل عنك مشؤومٌ، وقيل: العلم والعبادة، وقيل: الرزق الحلال، وقيل: صحة الجسد.

قال الواسطى: فى الدنيا حسنة الغيبة عن كل مصطلح من الحق وفى الآخرة حسنة الغيبة عن رؤية الأفعال والرجوع إلى الفضل والرحمة.

وقال ابن عطاء: القناعة فى الرزق والرضا بالقضاء.

وقال جعفر: صحبة الصالحين.

وقال بعضهم: فى الدنيا المعرفة وفى الآخرة الرؤية.

قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظللٍ من الغمام﴾ [الآية: ٢١٠].

قال جعفر: هل ينظرون إلا إقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق فيكشف عنهم أستار الغفلة، فيشهدون بره ولطفه بل ويشاهدون البارَّ الرحيم اللطيف.

قوله تعالى: ﴿وقضى الأمر﴾.

وكُشف عن حقيقة الأمر ومغيّبه.

قوله تعالى: ﴿زُين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ [الآية: ٢١٢].

قال جعفر: زين للذين جحدوا التوكل بزينة الحياة الدنيا حتى جمعوها وافتخروا بها، ويسخرون من الذين آمنوا، من الذين توكلوا على الله فى جميع أمورهم، ونبذوا تدابيرهم وراء ظهورهم، وأعرضوا عنها وهم الفقراء الصبراء[1] الراضون.

قوله تعالى: ﴿قل فيهما إثمٌ كبيرٌ﴾.

أى: فى تناولهما، ومنافع للناس فى تركهما.

قوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة﴾ [الآية: ٢١٩ ـ ٢٢٠].

أنهما على فكر وخدعة، ألا ترى أن طاوسًا وسالمًا قرءا: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم فى شُغلٍ فاكهون﴾[2] فقال: لو علموا عمن شُغلوا ما هنَّاهم ما اشتغلوا به. وقال بعضهم: وقد تغير قومٌ بالحضرة وهم لا يعلمون.

قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾[3].

هذا خطابٌ للخاص لأنه لا زاد للعارف سوى معروفه، ولا للمحبوب سوى حبيبه وأنشد:

وإذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى لمطايانا بذكراك هاديا

وقيل: تزودوا فإن خير الزاد الثقة به.

قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين﴾[4].

المقيمين على توبتهم والمتطهرين من جميع ما تابوا منه.

وقال بعضهم: يحب التوابين من تقصير طاعاتهم، ويحب المتطهرين من أحوالهم

---

(١) صُبراء: قال ابن منظور: وصبير القوم: زعيمهم المقدم فى أمورهم، والجمع صُبراء. لسان العرب: مادة: صبر.

(٢) سورة (يس) الآية رقم (٥٥).

(٣) سورة (البقرة) الآية رقم (١٩٧).

قال أبو حفص عفا الله عنه: انظر إلى هذا المفسر كيف يترك آيات كثيرة لا يتكلم عنها ثم تارة يرجع إلى آية قد تكلم عنها فيتكلم من غير ترتيب فهو مضطرب وقد تكلمنا عن هذا فى المقدمة فليراجع.

(٤) سورة (البقرة) الآية رقم (٢٢٢).

وهم القائمون مع الله بلا علاقة ولا سبب.

وقال جعفر: يحب التوابين من سوء إرادتهم ويحب المتطهرين من إراداتهم.

وقال محمد بن على: التوابين من توبتهم والمتطهرين من طهارتهم. وقال أبو يزيد رحمة الله عليه: التوبة من الذنب واحدٌ ومن الطاعة ألفٌ وقال القاسم: إن الله يحب التوابين إن دامت توبتهم، ويحب انتطهرين إن دامت طهارتهم ليكون العبد على وجلٍ. سمعت النصرآباذى يقول: إن الله أثنى عليكم وجعل لكم قيمة حين قال: **﴿إن الله يحبُّ التوابين﴾**.

قوله تعالى: **﴿وأنتم عاكفون فى المساجد﴾**[1].

قال الواسطى: الاعتكاف حبس النفس وزم الجوارح ومراعاة الوقت ثم أينما كنت فأنت معتكف.

وقال بعضهم: أهلُ الصفوة معتكفون بأسرارهم عند الحق لا يؤثرُ عليهم من حدثان الحوادث شىء لاستغراقهم فى المشاهدة.

قوله تعالى: **﴿من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنًا﴾**.

قال: ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت معك نسبه ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض أضعافًا، بين فيه أن نعمه وعطاياه بعيدتان أن تكونا مشوبتين بالعلل.

قوله تعالى: **﴿إن الله يقبض ويبسط﴾**.

قال ابن عطاء: يقبضك عنك ويبسطك به وله.

قال أبو الحسين النورى: فى قوله: **﴿يقبض ويبسط﴾** قال: الله: يقبضك بإياه ويبسطك لإياه.

وقال الواسطى: يقبضك عما لك ويبسطك فيما له.

وقال بعض البغداديين فى قوله: **﴿يقبض ويبسط﴾** قال: يقبض أى يُوحى أهل صفوته من رؤية الكرامات، ويبسطهم بالنظر إلى الكريم.

قوله عز وجل: **﴿وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾** [الآية: ٢٤٦].

(١) سورة (البقرة) الآية رقم (١٨٧).

قال فارسٌ: لا يتجرَّد للحق من هو قائمٌ مع الحق بسبب أو علاقة أو سكون أو مسكنٍ.

قوله تعالى: **﴿إن الله مُبتليكم بنهرٍ فمن شرب منه فليس منى﴾** [الآية: ٢٤٩].

قال أبو عثمان: معنى هذه الآية إن هذا مثلٌ ضربه الله للدنيا وأهلها أن من اطمأن إليها وأكثر منها فليس من الله فى شىء، ومن أعرض عنها ومقتها فهو الذى هيأه الله لقربه إلا من تناول منها بمقدار ما يقيم صلبه للطاعة.

قوله تعالى: **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾** [الآية: ٢٥٣].

قال أبو بكر الفارسى الصوفىّ: ما خلق الله عز وجل إلا متفاضلاً ومتفاوتًا أقدارهم حتى الرسُل قال الله تعالى **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم﴾** ليعلم بذلك نقص الخلق وكماله جل وعلا.

قوله تعالى: **﴿فشربوا منه إلا قليلاً منهم﴾**.

وهم الذين حفظهم من وساوس الشيطان لقوله: **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ﴾**(١).

قوله عز وجل: **﴿الله لا إله إلا هو الحىُّ القيومُ ... ﴾** [الآية: ٢٥٥].

سئل أبو منصور عن هذا فقال: لا إله إلا الله يقتضى شيئين: إزالة العلة عن الربوبية وتنزيه الحق عن الدرك.

وقال بعضهم: يحتاج قائل لا إله إلا الله إلى أربع خصال: تصديقٌ وتعظيمٌ وجلاوةٌ وحرمةٌ، فمن لم يكن له تصديقٌ فهو منافقٌ، ومن لم يكن له تعظيمٌ فهو مبتدعٌ، ومن لم يكن له جلاوةٌ فهو مراءٍ، ومن لم تكن له حرمة فهو فاسقٌ.

وقال بعضهم: يحتاج قائلها أن يترك الشكوى فى وقت المحن، ويترك المعصية فى وقت النعمة، ويترك الغفلة عند الفكرة.

وقيل لأبى الحسين النورى: لم لا تقول: لا إله إلا الله فقال: بل أقول: الله ولا أبغى به ضدًا.

وقال بعضهم: من قالها وفى قلبه رغبةٌ أو رهبةٌ أو طمعٌ أو سؤالٌ فهو مُشركٌ فى قوله(٢).

---

(١) سورة (الإسراء) الآية رقم (٦٥).

(٢) إن هذه الأقوال لا يعتد بها فكيف يأبى أن يقول «لا إله إلا الله» ويقول فقط «الله» والآخر =

وقيل فى قوله: ﴿الحى القيوم﴾ اجعله مراقبًا فى قيوميته عليك وعلى جميع العالم.

وقيل: إنه قيومٌ بحفظ أذكاره على أسرار أهل صفوته، الحى القيوم الذى أحيا كلَّ حى عن عدمٍ، وهو الحى الذى لم يزل.

والقيومُ: القائم على كل نفسٍ بما كسبت، وقيل: القيوم القائم بكفاية عباده ليغنيهم به عن غيره.

قوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نومٌ﴾.

قال بعضُ البغداديين: وأنى تأخذُ السنةُ من كان ولا سنة وأوجد السنة قهرًا لعباده ونقصًا ارتبط الأشياء بأضدادها وانفرد هو عن الأحوال لأنه مُحوِّلُهَا.

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الذى يَشفع عنده إلا بإذنه﴾.

جذب به قلوب عباده إليه فى العاجل والآجل.

وقال الواسطى: لو جعل إلى نفسه وسيلة غير نفسه كان معلولاً، ومن تزين بإخلاصه ومحبته ورضاه توسل بصفاته إلى من لا وسيلة إليه إلا به، قال الله تعالى ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشىءٍ من علمه﴾.

صار علمه عزًا لا إحاطة بشىءٍ منه إلا ما خص به رسول الله أو صديقًا من علم لدُنى.

قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾.

العرش والكرسى إظهارًا للقدرة لا محلاً للذات.

= يقول من قالها رغبة ورهبة فهو مشرك نقول: إن كلمة التوحيد هى «لا إله إلا الله» لا يكون الإنسان مسلمًا إلا بها، فالنبى ﷺ قال: امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله والحديث وعنف النبى ﷺ أسامة بن زيد حينما قتل اليهودى بعد أن نطقها فقال له أسامة قالها متعوزًا (أى خائفًا من القتل) فقال له النبى ﷺ: «اشققت عن قلبه». والإنسان يقولها طاعة لله تعالى طامعًا فى جنته خائفًا من ناره، وكيف لا يطمع الإنسان أن يسأل ربه فإن زكريا عليه السلام كان يدعو ربه رغبًا ورهبًا قال تعالى: ﴿وزكريا إذ نادى ربه ربٌ لا تذرنى فردًا وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء:٨٩ ـ ٩٠] فكيف بموحد يسأل الله تعالى فيكون مشركًا إن هذا لشىءٌ عجاب.

وقال أبو منصور فى قوله ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾ قال: وأى الشفيع إلى من لا يسعهُ غيره ولا يحجبه سواه.

قوله تعالى: ﴿ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم﴾.

وصف نفسهُ بالامتناع عن اعتراض القواطع والعلل.

قوله تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾ [الآية: ٢٥٦].

قال: طاغوتُ كل امرئٍ نفسه.

وقيل الطاغوتُ كلٌّ ما سوى اللهِ جل وعزَّ، وفى الجملة إن كلَّ من لم يتبرأ من الكل لم يصح له الإيمان بالله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾.

والعروة الوثقى: التوفيق فى السبق، والسعادة فى الختم.

وقيل العروة: لا إله إلا الله.

وقيل العروة الوثقى: محمدٌ ﷺ وقيل العروة الوثقى: السنة.

قوله تعالى: ﴿اللهُ ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [الآية: ٢٥٧].

قال ابن عطاء: يغنيهم عن صفاتهم بصفته فيتدرج صفاتهم تحت صفاته كما اندرجت أكوانهم تحت كونه وحقوقهم عند ذكر حقه، فيصير قائمًا بالحق مع الحق للحق.

وقال الواسطى رحمه الله: يخرجهم من ظلمات نفوسهم إلى أنوار ما جرى لهم فى السبق من الرضا والصدق والمحبة وغيرها.

وقال النورى: يخرجهم من ظلمات العلم إلى نور المشاهدة، لأن المعاين ليس فى الخبر.

وقال الجنيد رحمه الله: يخرجهم من ظلماتِ أوصافهم إلى أنوار صفاته.

وقال أبو عثمان: يخرجهم من رؤية الأفعال إلى رؤية المنن والاتصال.

قوله عز وجل: ﴿أنى يُحيى هذه اللهُ بعد موتها﴾ [الآية: ٢٥٩].

لم أرى إبراهيم إحياء الموتى فى غيره وأرى عُزير فى نفسه؟ قيل: لأن الخليل تلطَّف فى السؤال فقال: أرنى وأُرِىَ فى الغير وتعجب عُزيرٌ فى القدرة فأخرجه بلفظة أنى يحيى فأرى فى نفسه ليسقط عنه التعجب فى القدرة، ألا ترى أنه ختم قصته بالإيمان

﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾، وختم قصة الخليل بلفظ العزة والحكمة فقال: ﴿واعلم أن الله عزيزٌ حكيمٌ﴾ [الآية: ٢٦٠] لأن الخليل سأل إظهار الحكمة ومشاهدة العزة وعزيرٌ تعجب من القدرة فأجيب كلٌّ أحدٍ من حيثُ سأل.

سُئل ابن عطاء لم أرى إبراهيم إحياء الموتى فى غيره؛ وأُرى عزيرٌ فى نفسه فقال: لأن الخليل تلطف فى السؤال فقال: أرنى، وتعجب عزيرٌ من القدرة فأرى ذلك فى نفسه تأديبًا.

قوله تعالى: ﴿أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾ [الآية: ٢٦٠].

سمعت أبا القاسم النصرآباذىَّ سُئل عن هذه الآية فقال: حنَّ الخليلُ إلى صُنع خليله ولم يتهمه.

وقال بعضهم: مُرادى فى هذا السؤال مخاطبتك واستجلاب معاتبتك لكى لا تقول لى: أو لم تؤمن وأنت أعلم بى منى فأحيا بعتابك كما يسعدنى خلتك، وكان جواب هذا السؤال إنى كنت اشتقت إلى عياننا، فإنا جعلنا مشيئتنا فى إحياء الموتى إليك فخذ أربعة من الطير فصُرهُنَّ إليكَ.

وقيل: إنه كان الطاوسُ والبطُّ والغرابُ والديك والمعنى فيه أن الطاوس أشبه الطيور بزينة الدنيا، والغراب أحرص الطيور والبطُّ أطلبهم لرزقه، والديكُ أشدهم شهوةً وكأنه يقول: اقطع عنك زينة الدنيا والمفاخرة بها والحرص عليها وطلب الرزق فيها وإزالة الشهوة منها؛ حتى تنال كمال حقيقة الإيمان، فإذا أسقطت عن نفسك هذه الخصال، حليتك بصفتى فى إحياء الموتى فتدعوهن فيجيبنك سعيًا إليك، لأنك فى ذلك الوقت خالٍ من صفاتك، وإنما دعوتهن بصفتنا التى حليناك.

وقيل أرى الخليل من نفسه الشكَّ، وما شك ليقابل بالجواب الشك ليزيده به قربةً وكذلك الخليل يحتال فى محاورة خليلهِ أبدًا فلما قيل له: أو لم تؤمن قال: بلى ولكن اشتقت إلى خطابك فأنزلت نفسى منزلة الشك لأنال لذيذ خطابك، ولكن ليطمئن قلبى فإن أكن محلاً لعتابك فإنه قيل: «ويبقى الوُدُّ ما بقى العتابُ».

وقيل فى قوله: «أنى» كيف تحيى الموتى قال: أنا أُحيى الموتى بالربوبية، ولا يكونُ فى الربوبية كيف، وكيف تدرك بصفات العبودية صفات الربوبية!

وقال بعضهم: هذا سؤالٌ على شرط الأدب كأنه يقول: أقدرنى على إحياء الموتى،

يدل عليه قوله ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾ والطمأنينة لا تكون ضدّ الشك، فقوله ولكن ليطمئن قلبى عن هذه الشهوة والمنية.

وقال بعضهم: أراد أن يُصير له علم اليقين وعين اليقين فقيل له: أو لم تؤمن، والإيمان غيبىٌّ فى علم اليقين فقال: بلى ولكن أسألك مشاهدة الغيب.

وقيل أرنى كيف تحيى الموتى، يعنى: القلوب الميتة عنك بإحيائها بك، فقيل: أو لم تؤمن أى ألست الذى كنت تستدلُ علينا بالشمس والقمر وأفعالنا فأسقطنا عنك علة الاستدلال، وكفا دليلك علينا: وقال سهل بن عبد الله: سأل كشف غطاء العيان. ليزداد بنور اليقين يقينًا وتمكنًا فى حاله ألا تراهُ كيف أجاب عن لفظ الشكر ببلى.

وقيل: إنه أجاب المشركين عن التوحيد بقوله ﴿ربى الذى يحيى ويميت﴾[1] أحبّ أن يشاهد ذلك من صُنع خليله؛ ليصح احتجاجه عيانًا.

وقيل: ولكن ليطمئن قلبى أى أنك تجيبنى إلى سؤالى.

قال بعضهم: إذا سكن العبدُ إلى ربه واطمأن إليه؛ أظهر الله عليه من الكرامات ما أقلها إحياء الموتى، قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿خُذ أربعة من الطير﴾.

قوله تعالى: ﴿لا تُبطلُوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ [الآية: ٢٦٤].

قال السرى: من تزيَّن بعمله كانت حسناته سيئاتٍ، فكيف من رأى له قيمةً وطلب عليه العوض؟

قوله تعالى: ﴿ومَا أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذرٍ فإن الله يعلمهُ﴾ [الآية: ٢٧٠].

قال الواسطى: أشار به إلى قومٍ لا يضرهم ولا ينفعهم مالٌ ولا بنون، فإن الله بعلمه يعلم من يختم له بخير.

قوله تعالى: ﴿يؤتى الحكمة من يشاء﴾ [الآية: ٢٦٩].

قال بعضهم: الحكمةُ: العلم اللدنىُّ.

وقيل: الحكمة إشارةٌ لا علة فيها.

وقيل: الحكمة إشهادُ الحق على جميع الأحوال.

وقيل: الحكمة تجريد السر لورود الإلهام.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢٥٨).

وقال أبو عثمان: الحكمة هى النورُ المفرق بين الإلهام والوسواس سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الكتانى[1] يقول: إن الله بعث الرسل بالنصح لأنفس خلقه وأنزل الكتاب لتنبيه قلوبهم، وأنزل الحكمة لسكون أرواحهم، فالرسولُ داعٍ إلى أمره، والكتاب داع إلى أحكامه والحكمة مشيرةٌ إلى فضله.

وقال القاسم: الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق ولا يحكم عليك شهودك.

وقيل يؤتى الحكمة من يشاء، الفهم فى كتاب الله، ومن أوتى فهم كتاب الله أعطى عطاءً عظيمًا من قربه.

وقال أبو العباس بن عطاء: يؤتى الحكمة من يشاءُ إنها النبوة وذلك قوله: ﴿وآتيناه الحكم والنبوة﴾ قال الجنيد رحمة الله عليه: أحيا الله أقوامًا بالحكمة ومدحهم عليها فقال: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً﴾ سمعت عبد الله المعلم يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: الحكمة هى الحسنة.

قوله تعالى: ﴿وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم﴾ [الآية: ٢٧٢].

قيل: ما يبدو منكم من الطاعات والمجاهدات فلأنفسكم، لا يصل إلىَّ من ذلك شىءٌ وهو قوله: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾.

وقيل أيضًا فى هذا المعنى: نعمى وعطائى لمن تستجلبه الحوادث والطاعات، لأن نعمى وعطائى تفضلٌ، والعللُ وهنٌ فى التفضيل ابتدأتُ عبادى بالنقم، والمبتدئ بالنعم لا يكون عن عوض ولا عن علة.

وقيل: ما يكون منكم فهو لكم، لأن الصمدية ممتنعة عن أن تُوصل إليه شىء سواه.

قوله تعالى: ﴿الشيطانُ يعدُكُم الفقر﴾ [الآية: ٢٦٨].

أى الحرص والله يأمركم بالقناعة وقيل: الشيطان يعدكم الفقر أى: البخل والحرص.

(١) ابو بكر محمد بن على بن جعفر الكتانى. ويقال إن كنيته أبو عبد الله، وابو بكر أصح اصله من بغداد. صحب الجنيد، وأبا سعيد الخراز، وأبا الحسين النورى، وأقام بمكة مجاوراً بها إلى ان مات.
وكان أحد الائمة. حكى عن أبى محمد المرتعش أنه كان يقول: «الكتانى سراج الحرم» ومن كلامه: إذا سألت الله التوفيق فابدأ بالعمل. مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.
ترجمته فى: (طبقات الصوفية ص٩١).

والله يأمرك بالإنفاق والسخاء وهو الغنى لأن الله يعدل عليه مغفرة وفضلاً.

وقال محمد بن الفضل: الشيطانُ يعدُكم فى السخاء ويأمركم بالفحشاء وهو البخل، والله يعدكم فى السخاء مغفرةً منه وفضلاً.

وقال أبو عثمان: الشيطانُ يعدكم الفقر على ترك الدنيا والإعراض عنها، والله يعدكم على ذلك مغفرةً منهُ وفضلاً.

وقال محمد بن على عليهما السلام: الشيطانُ يعدُكمُ الفقر ويأمركم بالفحشاء وهى عمارة داره، والله يعدكم مغفرةً منه وهو جزاء عمارة المآب وفضلاً وهو الاستغناء به عن كل ما سواه.

قال أبو بكرٍ الورَّاقُ [(١)] فى قوله: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ فقال: ينبغى للعبد أن يعلنه بذكر منن الله عنده وأفضاله عليه.

قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله﴾ [الآية: ٢٧٣].

قال: هذه صفة الذين حبسوا أنفسهم على الله من غير تعريض ولا إظهار جزع إلا إلى الله، فاتقوا السؤال إلا منه، فارتقت بهم أحوالهم إلى حالةٍ يستغنون بعلم الله بهم عن السؤال إياه وهو أحوال الرضا.

سمعت الحسن بن يحيى [(٢)] يقول: سمعت جعفر بن محمدٍ يقول: سمعت الجنيد

---

(١) أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق أصله من ترمذ، وأقام ببلخ.
لقى أحمد بن خضرويه وصحبه، وصحب محمد بن سعد بن إبراهيم الزاهد، ومحمد بن عمر ابن خشنام البلخى.
له الكتب المشهورة فى أنواع الرياضيات والمعاملات والآداب.
من كلامه: الناس ثلاثة: العلماء، والأمراء، والقراء، فإذا فسد الأمراء فسد المعاش، وإذا فسد العلماء فسدت الطاعات، وإذا فسد القراء فسدت الأخلاق وقال أيضًا: للمؤمن أربع علامات كلامه ذكر، وصمته تفكر، ونظره عبرة وعمله بر.
ترجمته فى: (طبقات الصوفية ص٥٢).

(٢) قال أبو حفص «عفا الله عنه»: كيف يحب الفقير دوام الفقر ولا يتمنى إزالته ويعده نعمة من نِعَم الله تعالى عليه، وسيد الخلق محمد ﷺ كان يستعيذ من الفقر ويأمر بالاستعاذة منه. فقال ﷺ: «تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة وأن تظلم أو تظلم» رواه أحمد فى مسنده (٢/ ٥٤٠).
وعن نفسه قال: «اللهم إنى أعوذ بك من الفقر ...» الحديث. أخرجه النسائى حديث رقم (٥٤٧٥) وأبو داود (١٥٤٤). =

رحمه الله يقول: وسُئل عن الفقير الصادق متى يكون مستوجبًا لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام؟ قال: إذا كان الفقير معاملاً لله بقلبه موافقًا له فى جميع أحواله منعًا وعطاءً، يعد الفقر من الله نعمةً عليه، يخاف على زواله كما يخاف الغنى على زوال غناه وكان صابرًا محتسبًا مسرورًا باختيار الله له الفقر، صائنًا لدينه كاتمًا لفقره يظهر الإياس من الناس، مستغنيًا بربه فى فقره كما قال عز من قائل **﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله...﴾** الآية، قال: إذا كان الفقير بهذه الصفة دخل الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، ويُكفى فى القيامة مؤنة الموقف[1].

وقيل فى قوله: **﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله﴾** قال: الذين وقفوا مع الله بهممهم، فلم يرجعوا منه إلى غيره.

قوله تعالى: **﴿لا يستطيعون ضربًا فى الأرض﴾**.

لا يتحرّكون لطلب الأرزاق.

وقال محمد بن الفضل فى هذه الآية: تمنعهم علُومهم عن رفع حوائجهم إلى مولاهم.

قوله تعالى: **﴿يحسبهم الجاهلُ أغنياء من التعفف﴾**.

قال ابن عطاء: يحسبهم الجاهلُ بحالهم أغنياء فى الظاهر، وهُم أشدُّ الناس افتقارًا إلى الله فى الظاهر واستغناءً به فى الباطن.

وقال أيضًا: سُموا جُهالاً لجهلهم بالفقر والغنا، ولتوهمهم أن الفقر قلة الشىء

= وكان يقول فى دبر كل صلاة: «اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر» أخرجه النسائى (٥٤٨٠)

فانظر رحمك الله كيف قرن الفقر والقلة بالذل فى حديث ومرة أخرى يقرنه بالكفر. فنعوذ بالله من الفقر.

(١) قلت: هذا إشارة إلى قول النبى ﷺ «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم».

أخرجه الترمذى فى كتاب «الزهد» باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (٤/٥٧٨) حديث رقم (٢٣٥٣) من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة... به، وابن ماجه فى كتاب «الزهد» باب «منزلة الفقراء» (٢/ ١٣٨٠) حديث رقم (٤١٢٢) من طريق محمد بن عمرو به.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

والغناء كثرتهُ، ولم يعلموا أن الفقر هو الفقر إلى الله والغناء هو الاستغناء به.

قوله تعالى: ﴿تعرفهم بسيماهم﴾.

قال: بطيب قلوبهم وحسن حالهم وبشاشة وجوههم ونور أسرارهم وجولان أرواحهم فى ملكوت ربهم.

وقال النورى: تعرفهم بسيماهم، بفرحهم بفقرهم واستقامة أحوالهم عند موارد البلاء عليهم.

وقال أبو عثمان: تعرفهم بإيثار ما يملكون مع الحاجة إليه.

وقال المرتعش(١): سيماهم: غيرتهم على فقرهم وملازمتهم إياه.

قوله تعالى: ﴿لا يسألون الناس إلحافًا﴾.

قال الجنيد رحمة الله عليه كلّت ألسنتهم عن سؤال من يملك الملك، فكيف من لا يملك!

قوله تعالى: ﴿واتقوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله﴾ [الآية: ٢٨١].

قال الواسطى رحمة الله عليه: هذا ترهيب للعام فأما للخواص فقوله «وإياى فاتقون».

---

(١) أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابورى من محلة الحيرة، صحب أبا حفص الحداد، وأبا عثمان الحداد، ولقى الجنيد وصحبه وأقام ببغداد، حتى صار أحد مشايخ العراق وأئمتهم.
وكان يقال: عجائب بغداد فى التصوف ثلاث: نكت أبى محمد المرتعش، وحكايات الخلدى، وإشارات الشبلى.
وكان المرتعش منقطعًا بمسجد الشونيزية.
[والشونيزية: موضع معروف ببغداد، كانت فيه مقبرة للصوفية].
حكى عنه: محمد بن عبد الله الرازى، وأحمد بن عطاء الروزبادى، وأحمد بن على بن جعفر.
قيل له: فلان يمشى على الماء، قال: عندى أن من مكنّه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على الماء.
وسئل أى العمل أفضل؟ قال: رؤية فضل الله.
توفى ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.
ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٠، وطبقات الصوفية ص٨٥، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٥).

قوله تعالى: ﴿لله ما فى السموات وما فى الأرض﴾.

قال ابن عطاء: لله الكونان هو مبدعهما من غير شىء، فمن اشتغل بهما اشتغل بلا شىء عن كل شىء.

قال جعفر: لله ما فى السموات وما فى الأرض، من اشتغل بهما قطعاه عن الله، ومن أقبل على الله وتركهما ملّكهُما الله إياه.

قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه﴾ [الآية: ٢٨٤].

من الأفعال الظاهرة والأحوال الباطنة يحاسبكم به الله أى: يثيبكم عليه.

قال جعفر: «وإن تبدوا ما فى أنفسكم» الإسلام أو تخفوه الإيمان.

قال الواسطى رحمة الله عليه: إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه من إرادة الكون أو المكوّن يحاسبكم به الله أى بإرادتكم، فيغفر لمن يشاء لمن أراد الجنة ونعيمها، ويُعذّبُ من يشاء من آثر الدنيا على الآخرة.

وقال على بن سهل البوشنجى[1]: إن تبدوا ما فى أنفسكم من الأعمال، أو تخفوه من الأحوال، يُحاسبكم به اللهُ العارف على أحواله والزاهد على أفعاله.

قوله عز وجل: ﴿آمن الرسولُ بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كُلٌّ آمن بالله وملائكته﴾ [الآية: ٢٨٥].

قال ابن عطاء: إن النبى ﷺ: معدنُ سرِّ الحقِّ، فإذا أظهره للعام أوقعه على شرائطه قوله «آمن الرسول بما أنزل إليه» وإذا أخفاه أخبر عنه بقوله ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[2] وهو مستغرقُ أوقاته فى انتظار ما يظهر عليه من الزيادات على روحه وسرِّه وفؤاده وقلبه وشخصه، الا تراهُ كيف يغنيه عن صفاته بقوله: ﴿إنك ميت﴾[3] عن صفاتك بحياتك بنا بإظهار صفاتنا عليك ﴿وإنهم ميتون﴾[3] عاجزون عن بلوغ درك

---

(١) أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجى أحد فتيان خراسان لقى أبا عثمان وابن عطاء والحريرى وأبا عمرو الدمشقى.

سئل البوشنجى عن المروءة فقال: هى ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين، مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

ترجمته فى: (الرسالة القشيرية ١/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٢) سورة (النجم) الآية رقم (١٠).

(٣) سورة (الزمر) الآية رقم (٣٠).

صفاتك، فإيمان رسول الله ﷺ إيمان مكاشفة ومشاهدة وإيمان المؤمنين إيمانٌ بالوسائط والعلائق.

وقيل في قوله: ﴿والمؤمنون كلٌّ آمن بالله﴾ حكمًا وتسمية ولا المؤمن موجودٌ ولا الإيمان ظاهرٌ [1].

* * *

(١) قلت: هذا كلام غير مفهوم المعنى فبماذا يعنى «لا المؤمن موجود ولا الإيمان ظاهر». لعله يريد إذا كان الإيمان غيبى بالمؤمن مثله وهذا خلاف الوارد فى الكتاب والسنة وتفسير أهل العلم فقوله (آمن الرسول) قال النبى ﷺ: «حق له أن يؤمن» أخرجه الحاكم وصححه.
وقوله: ﴿كلٌّ آمن﴾ قال ابن كثير: قوله: ﴿والمؤمنون﴾ عطف على الرسول ثم أخبر عن الجميع فقال: ﴿كل آمن بالله وملائكته ...﴾ الآية. فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه. ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارّون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذى تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين. (ابن كثير ١/ ٣٥٠).

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الم اللهُ لا إله إلا هُو﴾ [الآية: ١ ـ ٢].

قيل: الألِفُ من الأحدية واللام من اللُّطفِ والميم من الملك.

وقيل: الواحدُ اللطيفُ، الملكُ هو اللهُ الذى لا إله إلا هو.

قال جعفر: الحروف المقطوعةُ فى القرآنِ إشارات إلى الوحدانية والفردانية والديمومية وقيام الحقِّ بنفسه بالاستغناءِ عما سِوَاهُ. قوله «الحى» هو الذى لا طول لحياته ولا أمد لبقائه.

وقال بعضهم: «الحيُّ» الكاملُ فى ذَاته لا بعلة وبه قيام كل منعوت بالحق.

قال بعضهم: «الحيُّ» هو الذى به حياة كل حيٍّ ومن لم يحى به فهو ميت.

قوله تعالى: ﴿القيوم﴾ قيل: هو مُزيلُ العِلل عن ذاته بالدَّرَكِ أو بالعبادة عنه أو بالإشارة، فلا يبلغ أحد شيئًا من كُنه معرفتِه لأنه لا يعلم أحد ما هو إلا هو.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ [الآية: ٤].

قال أبو سعيد الخراز: بإظهار كرامةِ الله تعالى على أوليائه، لهم عذاب شديد بتعجيزهم الحق عن ذلك، واللهُ عزيزٌ يعز بولايتهِ وإظهار الكرامة على من يشاء من عباده ذو انتقام ممن يجحدُ ذلك.

وقال الواسطى: عزيز عن أن يخالف إرادته أحد، بل ينتقم بما يجرى. نفى أن تكون عقوبته مقابلةً للأفعال المحدثة.

قوله تعالى: ﴿إن اللهَ لا يَخفَى عليه شىء فى الأرضِ ولا فى السماءِ﴾ [الآية: ٥].

قيل: لا يخفى عليه شىء فطالعوا همومكم أن تكون خاليةً عن الأهواءِ والشبهات، فإنه لا يخفى عليه شىء.

قال جعفر فى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يخفى عليه شىء﴾ قال: فلا يطلعنَّ فيرى فى قلبك سواه فيمقتك.

قوله تعالى: ﴿هَو الذى يُصَوِّرُكُم فى الأرحَام كيفَ يشاءُ﴾ [الآية: ٦].

قيل: يُصوركُم عالمًا به وعالمًا بصفاته وعالمًا بأوامره وجاحدًا له فمن يصحبه حُزن ما قدر عليه فى وقت تصويره من الشقاوة والسعادة فهو الجاهلُ بهِ والآمنُ مكره.

قال محمد بن على: ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاءُ﴾ من الأنوار والظلمات. قال النبى ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلق الخلق فى ظلمةٍ، وألقى عليهم من نوره فمن أصاب ذلك النورُ اهتدى، ومن أخطأهُ ضَلَّ»(١).

قال الحسين: خصوصية تصويره إياك قومك وسواك وعدلك وأنزلك منزلة المخاطبين.

قوله تعالى: ﴿مِنه آياتٌ مُحكماتٌ﴾ [الآية: ٧].

قال أبو عثمان: هو فاتحةُ الكتاب التى لا تجزئ الصلاةُ إلا بها.

قال محمد بن الفضل: هو سورة الإخلاص، لأنه ليس فيه إلا التوحيد فقط.

قوله تعالى: ﴿الراسخون فى العلم﴾.

قال الواسطى: هم الذين رسخوا بأزواجهم فى غيب الغيب فى سرِّ السِّر فعرفهم ما عرفهُم، وخاضوا فى بحر العلم بالفهمِ لطلبِ الزيادةِ، فانكشفَ لهم من مدخور الخزائنِ تحت كل حرفٍ منه من الفهمِ وعجائبَ الخطاب فنطقوا بالحكم. قال الخرَّاز: هُمُ الذين كملُوا فى جميع العلوم وعرّفُوها واطلعُوا على هِمم الخلائق كلهم أجمعين.

قال بعضهم: الراسخ من قُوربَ روحه فى ذاته، وكُوشفَ بصفاته وخُوطبَ بذاته.

قال بعضهم: الراسخ من طُولعَ على محل المراد من الخطاب.

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب «الإيمان» باب «ما جاء فى افتراق هذه الأمة» (٥/ ٢٦) حديث رقم (٢٦٤٢) من طريق إسماعيل بن عياش عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله بن الديلمى، وأحمد فى «مسنده» (٢/ ١٧٦) حديث رقم (٦٦٤٤/ شاكر) من طريق الأوزاعى، والحاكم فى المستدرك (١/ ٣٠ ـ ٣١) من طريق الأوزاعى قال حدثنى ربيعة بن يزيد عن عبدالله ابن الديلمى به ضمن حديث طويل وقال الحاكم. حديث صحيح قد تداوله الأئمة وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة».

وقال الذهبى: على شرطهما ولا علة له ونقله ابن كثير فى التفسير (٧/ ٢١٠) عن هذا الموضع من المسند.

وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٧/١٩٣ ـ ١٩٤) وقال: رواه أحمد بإسنادين والبزار والطبرانى، ورجال أحد إسنادى أحمد ثقات.

قوله تعالى: ﴿ربَّنَا لا تُزِغْ قُلوبنَا بعد إذ هَديتَنا﴾ [الآية:٨].

قال جعفر: لا تزغ قلوبنا عنك بعد إذ هديتنا إليك «وهب لنا من لدنك رحمة» أى لزومًا لخدمتك على شرط السُّنة «إنك أنت الوهاب» المعطى بفضله عباده ما لا يستحقون من نعمةٍ.

قال ابن عطاء: الزيغ: الميل إلى شىء سوى الحق.

قوله تعالى: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [الآية:٩].

الذى وعد من السعادة والشقاوة فى أزل علمه، لا يخلف الميعاد لزُهدِ زاهد ولا لفسق فاسق.

قال الواسطى فى قوله: ﴿إن الله لا يُخلفُ الميعادَ﴾ قال: فى إنزال كل أحَدٍ ما كان يطلبُه من الأعواضِ، وإيصال الخُصوصِ إلى محلِ الخاص من اللقاءِ والقُرب.

قوله تعالى: ﴿واللهُ يؤيد بنصره من يشاء﴾ [الآية:١٣].

قال القاسم: يُوفق من يشاءُ من عبادهِ للزوم السُّنَّة وترك البدعة.

قوله تعالى: ﴿زُينَ للنَّاسِ حُبُّ الشهوات مِنَ النساءِ والبنين﴾ [الآية:١٤].

قيل: من اشتغل بهذه الأشياء قطعته عن الحق، ومن استصغرها وأعرض عنها عُوِّضَ عليها السلامةَ منها وفُتح له الطريقُ إلى الحقائق.

قوله: ﴿قُل أؤنبئُكُم بخيرٍ من ذَلكُم للَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِم جنات﴾ [الآية:١٥].

قيل فيه: من عَمِل رجاء الجنة فإن غاية بُلوغهِ إلى غايةِ رجائه من دُخُولِ الجنة، ومن كانت معاملتُه على رؤية الرضا فإنَّ له الرضوان. قال الله تعالى: ﴿ورضوانٌ من الله أكبرُ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿واللهُ بَصيرٌ بالعباد﴾ قال: عالمٌ بهمم العاملين وإرَادَاتِهم.

قوله تعالى: ﴿الصَّابِرينَ والصَّادقينَ والقانتينَ والمنفقينَ والمستغفرينَ بالأسحارِ﴾ [الآية:١٧].

قال احمد بن عاصم الأنطاكى[2]: الصَّابرُ غيرُ المتصبِّر، لأن الصَّابرَ المستسلِمُ فى كلِّ

(١) سورة (التوبة) الآية رقم (٧٢).

(٢) أبو عبد الله احمد بن عاصم الأنطاكى وقيل كنيته: أبو على من أقران بشر بن الحارث والسرى والحارث المحاسبى، ويقال: إنه رأى الفضيل بن عياض.

أمُوره ومساكنُ القلبِ فيه محفوظًا، والمتصَبّر ما رُددتَ فيه إلى حَالِكَ وعجزك يكابد نفسه في الصبر على المكاره.

قال أبو حفص: الصبر ما كنت فيه محفوظًا، والتصبر ما رددت فيه إلى حالك وعجزك.

قال عمرو المكي: ليس الصبر تَرك الاختيار على الله تعالى، لكن الصبر هو الثبات فيه وتلقى بلاه بالرحب والدعة.

قال عمرو[١]: من صبَر على رؤية العوض يكونُ صَبرهُ مشوبًا بعجز، وما هو بمتحقق في الصبر، ومن صَبَر على رُؤية المنَّة يكون متلذذًا بالبلاء كتلذذه بالنعمة، إذ هما من عينٍ واحدة.

قال ابن عطاء: «الصابرين» هُم الذين صَبَرُوا بالله تعالى فى طاعة الله تعالى مع الله تعالى، و «الصادقين» هم الذين صَدقُوا ما عاهدوا الله عليه عن صدقٍ قويم واعتمادٍ صحيح وسرٍ لا يشوبه شيء و «القانتين» هم الذين أطاعوا الله تعالى فى سرِّهم وعلانيتهم، و «المستغفرين بالأسحار» هم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع[٢]

وقال بعضهم: الصابرين مع الله تعالى على موارد قضائه، والصادقين فى توحيدهم

= يروى عن: أبى معاوية الضرير، ومخلد بن الحسين والهيثم بن جميل، وإسحاق بن إبراهيم الحسينى حدث عنه: أحمد بن أبى الحوارى، وأبو زرعة الدمشقى، ومحمود بن خالد، وعبد العزيز بن محمد الدمشقى، وآخرون.

قال أبو حاتم الرازى: أدركته بدمشق وكان صاحب مواعظ وزهد.

ترجمته فى: (السير ١١/٤٠٩، وطبقات الصوفية ص٣٣).

(١) أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكى.

كان ينتسب إلى الجنيد فى الصحبة ولقى أبا عبد الله الناجى، وصحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ القدماء وهو عالم بمعالم الأصول، وله كلام حسن.

قال أبو نعيم: توفى بعد الثلاثمائة.

ومن كلامه: العلم قائد، والخوف سائق، والنفس بينهما خؤون خداعة.

وقيل: كان من أئمة الفقه، ولما تولى قضاء جده، هجره الجنيد. وكان ينكر على الحلاج ويذمه.

ترجمته فى: (السير ١٤/٧٥، طبقات الصوفية ص٤٧).

(٢) إشارة إلى قول الله عز وجل: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون﴾ [السجدة: ١٦].

ومحبتهم والقانتين الراجعين إليه فى السراءِ والضراءِ والمنفقين ما سِواهُ له، والمستغفرين بالأسحار من أفعالهم وأحوالهم وأقوالهم. وقال بعضهم: الصابرين من صَدَّقَ ما أجاب به من لَفظه بَلى.

قوله تعالى: ﴿شهد اللهُ أنَّهُ لا إله إلا هُوَ والملائكةُ وأُولُوا العلمِ قائمًا بالقسط﴾ [الآية:١٨]. سُئِلَ سَهلُ بن عبد الله عن هذه الآية فقال: شهد لنفسه بنفسه وهو مشاهدٌ ذاتهُ، واستشهد من استشهد من خلقه قبل خلقه لهم، فكان ذلك تنبيهٌ أنهُ عالم بما يكونُ قبل كونهِ، وإنهُ لا يتجاوزُ أحدٌ من خلقه ما تجلى بهِ.

وقيل فى قوله تعالى: ﴿وأولوا العلم﴾: إن العلماء ثلاثةٌ: عالمًا بأمور الله تعالى وأحكامه فهم عُلماءُ الشريعة، وعالمًا بصفاته ونعوته فهم عُلماء النسبة، وعالمًا به وبأسمائه فهم العالم الربانى.

قال أبو يزيد يومًا لأصحابه: بقيتُ البارحة إلى الصباح أُجْهدُ أن أقُولَ: أشهدُ أن لا إله إلا الله ما قدرت عليه قيل: ولِمَ؟ قال: ذكرت كلمةً قلتها فى صباى جائتنى وحشة تلك الكلمة فمنعتنى عن ذلك[١] وأعجب من يذكر الله تعالى وهو متصف بشىء من صفاته[٢]

سَمِعتُ محمد بن عبد الله يقول: سَمِعتُ الشبلى يقول: ما قلت الله إلا استغفرت من ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هُوَ﴾ فمن شهد بذلك له من الأكوان إلا عن أمنٍ أو غفلة[٣].

وقال ابن عطاء: أولُ ما نحلوا من حقائق البقاءِ فَنوا عن كل شىء دونَ الله تعالى

---

(١) انظر بَصرَّك الله تعالى كيف جاهد هذا المزعوم بولى الله تعالى نفسه على قول «لا إله إلا الله» فلم يستطع مع إنها كلمة الإخلاص والتوحيد والتقوى لا يؤمن العبد إلا بها ولا يشم رائحة الجنة إلا إذا قالها ونطق بها وأعلنها فوالله لقد وعد الله الذين لم يقولوها وأشركوا معه بالنار مخلدين فيها ووعد الذين قالوها مخلصين له بها مع فعل الكبائر بالتطهير ودخول الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ونعوذ بالله من الشطط والزلل ولا إله إلا الله وحده لا شريك له.

(٢) انظر إلى كلامه فقد جعل من نفسه ربًا فلا يذكره ويحمل صفة من صفاته، والبسطامى هذا تقدمت ترجمته مفصلة فانظر إلى أقواله وأقوال العلماء فيه.

(٣) لم يبتعد كثيراً عن سابقه فى قوله فإنه يستغفر من كلمة «الله» فماذا يقول عند الاستغفار؟ فهل لا يذكر كلمة «الله» فيها فالواجب أن يقول «استغفر الله العظيم» فماذا يفعل هذا التائه.

حتى بقوا مع اللهِ تعالى.

وقيل: لا يصلُ إلى الشهادة للهِ تعالى بما شهدَ لنفسه حتى يصل إلى الفاقة الكبرى قيلَ: وما الفاقةُ الكبرى؟ قال: حتى يعلم أنه لا يصل إليه إلا بهِ، ولا ينجُو منه إلا به.

وقال ابنُ منصور لرجل: أتشهد فى الأذان؟ قال: نعم قال: ألحدت من حيثُ وحدَّت فى تشهُّدك حين شهدت لله تعالى وللرسول ﷺ ولم تفرق بينهما حتى تشهد لله تعالى بالتعظيم وللرسول ﷺ بالبلاغ والتسليم، عند ذلك باهت الأسرار فيما وراء الغيرة ولا غير[1].

وقيل للشبلى رحمه الله: لِمَ تقول اللهُ[2] ولا تقول لا إله إلا الله؟ فأنشأ يقول:

شَمسٌ يَغالِبُ فقدَهـا بثبُوتهـا ... فإذَا استحال الفَقدُ ماذا يغيبُ

ثم قال: وهل يبقَى إلا ما يستحيل كونُهُ، وهل يثبت إلا ما لا يَجُوز فقدُه؟

وقال ابن عطاء فى قوله: ﴿شهد اللهُ أنَّه لا إله إلا هو﴾، فقال: دَلَّنا بنفسه من نفسه على نفسه بأسمائه وفيه بيان ربُوبيته وصفاته، فجعل لنا فى كلامهِ وأسمائه شاهدًا ودليلاً، وإنما فعل ذلكَ لأنَّ الله تعالى وحَّدَ نفسَهُ ولم يكن معهُ غيره، فكان الشاهدُ عليه توحيده، ولا يستحق أن يشهدَ عليه من حيثُ الحقيقة سواهُ، إذ هو الشاهدُ فلا شاهدَ معهُ، ثم دعا الخلق إلى شهادته، فمن وافقت شهادته فقد أصاب حظَّهُ من حقيقة التوحيد، ومن حُرِمَ ضل.

وقال جعفر فى قوله «شهدَ اللهُ» فقال: شَهِد الله بوحدانيته وأبديته وصَمديته، وشهِدَ الملائكةُ وأولوا العلم له بتصديق ما شهد هو لنفسه.

---

(١) انظر وفقك الله إلى الرشد والصواب إلى هذا الذى أنكر على من يردد وراء المؤذن الشهادتين وضربه بالإلحاد من حيث التوحيد. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.
فالرسول ﷺ كان يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول » الحديث. من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (أخرجه البخارى ومسلم).
وعند مسلم من حديث عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قال المؤذن: الله اكبر الله أكبر فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر ثم قال: اشهد أن لا إله إلا الله. قال: اشهد أن لا إله إلا الله إلى آخر الأذان، قال النبى ﷺ دخل الجنة» فانظر بمن نقتدى؟ ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾.

(٢) تناقض الشبلى فى أقواله وضرب بعضها ببعض فقبل قليل كان لا يقول كلمة (الله) وكان يستغفر منها وهنا يقولها مفردة (الله) ولا يتشهد فتعجب!

سُئِلَ جعفر عن حقيقة هذه الشهادة ما هى؟ قال: هى مبنيةٌ على أربعة أركان: أولّها اتباعُ الأمرِ، والثانى اجتنابُ النهى، والثالثُ القناعةُ، والرابعُ الرضَا.

قال ابن عطاء: إن اللهَ شَهِدَ لنفسه بالفردانية والصمدية والأبدية ثم خلق الخَلْق فشغلهم بعبادة هذه الكلمة[1] فلا يطيقون حقيقة عبادتها، لأن شهادتهُ لنفسه حق، وشهادتُهم له بذلك رسمٌ، وأنى يستوى الحق مع الرّسم.

قال أبو عبد الله القرشى[2] فى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ الله أنه لا إله إلا هو﴾ فقال: هو تعليمٌ منه ولُطفٌ وإرشادٌ بعبادهِ إلى أن تشهدوا له بذلك، ولو لم يُعلِّمهم ذلك ولم يرشدهم لهلكوا كما هلك إبليسُ عند المعارضة. قال المزنى: دَخَل أبو منصور مكة فسُئِلَ عن شهادة الذّر للحقّ بالوحدانية وعن التوحيد، فقال: هذا يليقُ به من حيثُ رضى به نعتًا وأمرًا، ولا يليقُ به وصفًا ولا حقيقةً كما رضى بشُكرنا لنعمه، وأنّى يليقُ شكرنا بنعمه. قال: وما دمتَ تشيرُ فلستَ بموحد حتى يستولى الحقّ على إشارتك بإخفائها عنك فلا تبقى مشيرًا، وفى إشارة قوله تعالى: ﴿العزيزُ الحكيمُ﴾ قال: العزيزُ: الممتنعُ عن أن تلحقهُ توحيدُ موحّدٍ، أو صفةُ التوحيدِ من حيثُ التوحيد ما شهد به الحقُ لنفسه قبل الأكوان. وقال بعضهم: شهادة الله تعالى لنفسه بما شهد به شهادةُ صدق ولا تقبل الشهادة إلا من الصادقين، فظهر بهذا أنه لا يصح إلا للصادقين دون غيرهم من الخلق.

قال الحسين فى قوله: ﴿شَهِدَ اللهُ أنَّهُ لا إله إلا هو﴾ شهادته لنفسه أن لا صانع غيره، آمن بنفسه قبل أن يُؤمن به مما وصفَ من نفسه، فهو المؤمن بغيبه الداعى إلى نفسه، والملائكةُ مؤمنونَ به وبغيبهِ داعين إليه، والمؤمنون يؤمنون به وبغيبه، دَاعُون إليه بكتُبهِ

---

(١) هذا قول باطل إن الله تعالى لم يشغل العباد بعبادة كلمة بل قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ولفظ الجلالة (الله) هى اسمه سبحانه وتعالى فالعباد مخيرون بما افترضه الله عليهم من فرائض وبما أنزل عليهم من كتب وما أرسل إليهم من رسل فالمؤمن بهم المطيع لنهجهم فائز بجنات الله تعالى ونعيمها والكافر المنافق ليس له إلا نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها

(٢) أبو عبد الله القرشى كان رضى الله عنه جليل القدر وكان يعظم الفقراء أشد التعظيم ويقول إنهم انتسبوا إلى الله تعالى.

قال أبو حفص: المراد بالانتساب قوله تعالى: ﴿أنتم الفقراء إلى الله﴾. انظر الطبقات الكبرى للشعرانى (١/ ١٣٦).

ورُسُله، فمن آمَنَ به فقد آمن بغيبه، وكل ما فى القرآن مما يشيرُ إلى غيبه، فإنما يشير بنفسه إلى غيبه ولا يعلم غيبه إلا هُوَ.

قوله تعالى: ﴿إنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلامُ﴾ [الآية: ١٩].

قال أبو عثمان: إن الدين ما سلم لك من البدع والضلالات، والأهواء، وسَلِمْتَ فيهِ من الرياء والشهوةِ الخفيَّة، ورؤية الخلق وتعظيم الطاعات.

وقال محمد بن على فى قوله تعالى: ﴿إنَّ الدِّينَ عندَ الله الإسلامُ﴾ إن المتدين بالإسلام من سلم من رؤية الخلق وسلمَ قلبُه من شهوات نفسه، وسلم رُوحه من خَواطر قلبه، وَسلم سِرُّه من طيران رُوحه، فهو فى حال الاستقامة مع الله تعالى.

قال جعفر: إن الدين عند الله الإسلام هو ما سلم عليه صاحبُه من وساوس الشيطان وهواجس النفس وعذاب الآخرة[(١)].

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللهمَّ مَالِكَ المُلك﴾ [الآية: ٢٦].

قال الواسطى: عَزَّى المُلوك بذلك فأعلمهم أنهم مجبُورُونَ فى مُلكهم وأن المُلكَ عَوارى[(٢)] لديهم بقولِه: ﴿تُؤتى الملكَ من تشاء وتنزعُ الملك ممَّن تشاءُ﴾.

قال أبو عثمان: الملكُ: الإيمانُ وهذا دليل أن الإيمان لا يتحقق على شخص إلا بعد الكشف والسلامة له فى الانقلاب إلى ربه، فربما يكونُ عارية وربما يكونُ عطاء. قال الله تعالى: ﴿تُؤتى الملكَ من تشاء وتنزعُ الملك ممَّن تشاءُ﴾ فهو مترسمٌ برسم الملوكِ، وقد نُزِعَ منه مُلكُه.

---

(١) إن إشارة السلمى لهذه الآية بعيد المعنى غير مستساغ لدى العوام فضلاً عن طلاب العلم والصحيح ما ورد فى كتب التفسير المعتمدة لدى جمهور المفسرين.

قال ابن كثير فى «تفسيره»: ذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ ﴿شهد الله إنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم * أن الدين عند الله الإسلام﴾ بكسر (إنه) وفتح (أن الدين عند الله الإسلام) أى: شهد هو وملائكته وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام. والجمهور قرؤوها بالكسر على الخبر، وكلا المعنيين صحيح. ولكن هذا على قول الجمهور أظهر. والله أعلم.

(٢) عوارى: قال الأزهرى: وأما العارية والإعارة والاستعارة فإن قول العرب فيها: هم يتعاورون العوارى ويتعورونها، بالواو كأنهم أرادوا تفرقة بين ما يتردد من ذات نفسه وبين ما يردد. قال: والعارية منسوبة إلى العارة، وهو اسم من الإعارة، تقول: أعرته الشىء أعيره إعارة وعارة كما قالوا: أطعته إطاعة وطاعة وأجبته إجابة وجابة، قال: وهذا كثير فى ذوات الثلاثة، منها العارة والدارة والطاقة وما أشبهها. ويقال: استعرت منه عارية فأعارنيها. (اللسان/ مادة عور).

قال محمد بن على: المعرفةُ، تُعطى معرفتك من تشاءُ من عبادك وتنزعُها ممن تشاء، وتعز من تشاء باصطفائك واجتبائك، وتذلُّ من تشاءُ بالإعراض عنه، بيدك الخيرُ أى منك الاصطفاءُ والاجتباءُ قبل إظهار عبادةِ العابدين.

قال الحسينُ: تؤتى الملك من تشاء «فتشغله به»، وتنزع الملك ممَّن تشاءُ أى ممن اصطفيتهُ لك، فلا يؤثرُ فيه أسبابُ الملك، لأنه فى أسرَارِ الملك، وتُعزُ من تشاءُ بإظهار عزتك عليه وتُذل من تشاءُ بإنصافه برسُومِ الهياكل.

قال الواسطىُ فى هذه الآية: طُوبى لمن مُلكهُ قلبُه وجوارحُه كى يسلمَ من شُرورهما.

قال الشبلى رحمه الله فى قوله تعالى: ﴿تُؤتى الملكَ من تشاء﴾ هذه الآية الملكُ: الاستغناءُ بالمكوّنِ عن الكونين.

قوله تعالى: ﴿لا يتَّخذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ من دُون المُؤمنينَ﴾ [الآية: ٢٨].

سُئِلَ أبو عثمان عن هذه الآية فقال: لا ينبسط سُنىٌ إلى مبتدع لفضل عشرة ولا لقرابة نَسبٍ ولا يلقاهُ إلا ووجهه له كارهٌ، فإن فعل شيئًا من ذلك فقد أحبَّ من أبغضه الله تعالى وليس بوليِ لله من لا يُوالى أولياء الله تعالى ولا يعادى أعداءه.

قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ قال ابن عطاء: إنما يُحذِّرُ نفسه من يعرفه، فأمَّا من لا يعرفه فإن هذا الخطاب زائلٌ عنه قال الواسطى فى قوله تعالى ﴿ويحذركم اللهُ نفسه﴾ قال: فلا يأمن من أحد أن يُفعل به ما فُعِلَ بإبليس، زيّنهُ بأنوار عبادته وهو عنده فى حقائق لعنته، فستر عليه ما سبق منه إليه حتى غافصهُ [١] بإظهاره عليه. وقال أيضًا: لا يُحذِّر نفسهُ من لا يعرفه وهذا خطاب الأكابر، فأما الأصاغر فخطابهم ﴿واتقوا يومًا تُرجعُونَ فيه إلى الله﴾[٢]، ﴿واتقوا النَّارَ﴾[٣]، ﴿واتقوا الله ما استطعتُم﴾[٤].

---

(١) غافصه: غافص الرجل مغافصة وغفاصًا: أخذه على غرة فركبه بمساءة والغافصة من أوازم الدهر؛ وانشد.

* إذَا نَزَلَت إحدَى الأعور الغوافص *

وفى نوادر الأعراب: أخذته مغافصة ومغابصة ومرافصة أى أخذته معارّة. اهـ. (اللسان/ مادة: غفص).

(٢) سورة (البقرة) الآية رقم (٢٨١).

(٣) سورة (البقرة) الآية رقم (١٣١).

(٤) سورة (التغابن) الآية رقم (١٦)، وهى قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا استَطعتُم واسمَعُوا وأطِيعُوا وانفقُوا خيرًا لأنفسكُم ومن يُوق شُحَّ نَفْسِهِ فاولئكَ هُمُ المُفلحُونَ﴾.

وقال أيضًا فى قوله: ﴿ويحذركم اللهُ نفسه﴾ هل هو إلا الإثبات وليس له من ذلك شيء وإنما هو إيقاعُ البقيَّة للسَّرائرِ، وتيقُّظ الطبع من الرعونة، وخلوصُه من وساوسُه.

قال جعفر رحمه الله: ﴿ويحذركم اللهُ نفسه﴾: أن تشهد لنفسك بالصلاح، لأنَّ من كانت له سابقة ظهرت سابقتُه فى خاتمته.

قوله تعالى: ﴿واللهُ رَءوفٌ بِالعبَاد﴾ [الآية: ٣٠].

قال ابن عطاء: عَمَّ رحمته لعبادِه، أجمع مُؤمنهم وكافرهم وَبرُّهُم وفاجرُهُم، وخصَّ رحمة الرسولِ ﷺ بوقوفه على المؤمنين دونَ من سِواهُم، وهذا كقول إبراهيم ﷺ حين قال: ﴿وارزُق أهلهُ من الثمرات من آمنَ باللهِ واليوم الآخر قال ومن كفر﴾[١] فإنه لا رازق له فى السموات والأرض غيرى.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إن كُنُتُمْ تُحبُّون الله فاتبعُونى يُحْبِبكُمُ اللهُ﴾ [الآية: ٣١].

قال عمرو بن عثمان[٢]: محبَّة الله تعالى منى معرفته ودوامُ خشيتهِ ودوامُ اشتغال القلب به ودوامُ انتصاب القلب بذكره، ودوام الأنس به.

قال محمد بن خفيف[٣]: المحبَّةُ: الموافقة لله تعالى فى التماس مرضاته.

وقيل المحبَّةُ: اتباعُ الرسول ﷺ فى أقوالِه وأفعَاله وآدابهِ إلا ما خصَّ به، لأنَّ الله تعالى قرَن محبتَّه باتباعه.

وقيل المحبَّةُ: هى الأثرةُ لله تعالى على جميع خلقه.

---

(١) سورة (البقرة) الآية رقم (١٢٦).

(٢) أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكى كان ينتسب إلى الجنيد فى الصحبة، ولقى أبا عبد الله الناجى، وصحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ القدماء.
وهو عالم بعلم الأصول، وله كلام حسن. مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين، ويقال سنة سبع وتسعين، والأول أصح (طبقات الصوفية ص٤٧).

(٣) أبو عبد الله محمد بن خفيف بن أسفكشاذ الضبى المقيم بشيراز. كانت أمه نيسابورية، وكان شيخ المشايخ فى وقته.
صحب رويما والجريرى وأبا العباس بن عطاء وطاهرًا المقدسى وأبا عمرو الدمشقى. ولقى الحسين بن منصور. وكان عالمًا بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق.
أوحد المشايخ فى وقته حالاً وعلمًا وخلقًا.
مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. (طبقات الصوفية ص١١٣).

قال بعضُهُم: المحبَّةُ هى موافقةُ القلوب عند بروز لطائفِ الجمال.

قال أبو يزيد: أحبَبتُ الله تعالى حتى أبغضتُ نفسى، وأبغضتُ الدُنيا حتى أحببتُ طاعة الله تعالى، وتركتُ ما دُون الله تعالى حتى وصلتُ إلى الله تعالى، واخترتُ الخالقَ على المخلوقِ، فاشتغل بخدمتى كلُّ مخلوق.

سُئِلَ الأنطاكى ما علامةُ المحبَّة؟ فقال: أن يكونَ قليلَ العبارةِ دائم التفكر، كثير الخلوة، ظاهر الصمت، لا يبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودى، ولا يحزنُ إذا أُصيب ولا يفرحُ إذا أصاب ولا يخشى أحدًا ولا يرجوه.

سُئل يحيى بن معاذٍ[1] عن حقيقة المحبَّةِ فقال: الذى لا يزيد بالبر ولا ينقُصُ بالجفوة.

قال سهلُ بن عبد الله: مُحِبُّ الله تعالى على الحقيقة من يكون اقتداؤه فى أحواله وأفعاله وأقواله بالنبى ﷺ.

قال جعفر رحمه الله فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إن كُنتُمْ تُحبُّون الله فاتبعُونى يُحْبِبكُمُ اللهُ﴾ قيَّدَ أسرار الصديقين بمتابعة نبيه ﷺ لكى يعلمُوا أنهم وإن علت أحوالهم وارتفعت مراتبهم لا يقدرون مجاورته ولا اللحوق به.

قال ابن عطاءٍ فى هذه الآية: أمرَ بطلب نُورِ الأدنى من عمى عن نُور الأعلى.

قال أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله: لا وصول إلى النور الأعلى لمن لا يستدلُّ عليه بالنور الأدنى، ومن لم يجعل السبيل إلى النور الأعلى التمسُّك بآداب صاحب النور الأدنى ومتابعته ﷺ فقد عمى عن النورين جميعًا فأُلبس ثوب الاغترار.

قال أبو عثمان فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إن كُنتُمْ تُحبُّون الله فاتبعُونى﴾ قال: صدِّقوا محبتكم إياى بمتابعة حبيبى، فإنه لا وصول إلى محبتى إلا بتقديم محبَّته، واتباعه على طريقته، فإن طريقته هى الطريقة المثلى والوصلةُ إلى الحبيبِ الأعلى.

---

(١) يحيى بن معاذ جعفر الرازى، الواعظ. تكلم فى علم الرجاء، وأحسن الكلام فيه وكانوا ثلاثة إخوة: يحيى وإسماعيل وإبراهيم، اكبرهم سنًا إسماعيل، ويحيى اوسطهم، واصغرهم إبراهيم، وكلهم كانوا زهادًا.

وإبراهيم خرج مع يحيى إلى خراسان، وتوفى فيها بين نيسابور وبلخ. وقيل إنه مات فى بعض بلاد جوزجان ـ بخراسان ـ وخرج يحيى إلى بلخ، واقام بها مدة، ثم رجع إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين. (طبقات الصوفية/ ص٢٦).

قال أبو يعقوب السُّوسى[1] رحمه الله: حقيقة المحبَّة هى أن ينسى العبدُ حَظَّهُ من ربه وينسى حوائجه إليه.

قال الواسطى: لا تصح المحبَّةُ وللإعراض على سرّه أثر وللشواهد فى قلبه خطرٌ، بل صحةُ المحبَّة نسيانُ الكلّ فى استغراق مُشاهدة المحبوب وفناهُ به عنه.

قال ابن منصور: حقيقةُ المحبّة قيامُك معَ محبوبك وخلع أوصافكَ والاتصاف بأوصافه.

قال محمد بن الفضل فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إن كُنتُمْ تُحبُّون الله فاتبعُونى يُحْببكُمُ الله﴾: نفى اسم المحبة عمن يخالف شيئًا من سُنن الشريعة ظاهرًا وباطنًا، أو يترك متابعة الرسول ﷺ فيما دَقَّ وجل، لأن المتابع له من لا يخالفه فى شىء من طريقته ﷺ.

سمعت النصرآباذى يقول: محبَّةٌ توجب حقنَ الدم، ومحبَّةٌ توجبُ سفكهُ بأسياف الحُبّ وهو الأجل.

سمعت السلامىّ [2] يقولُ فى قولِ الله تعالى: ﴿قُلْ إن كُنتُمْ تُحبُّون الله﴾ قال: اشتقت المحبَّة من حبَّة القلب، وحبَّةُ القلبِ عينُ القلبِ، وهو مثلُ أن تقع الحبَّةُ فى الأرض فتنبت.

قوله تعالى: ﴿إنَّ الله اصطَفَى آدَمَ ونُوحًا﴾ [الآية: ٣٢].

---

(١) لم أجده فيما بين يدى من مصادر.

وقال السمعانى فى كتابه «الأنساب» (٣/ ٣٣٥) السوسى: بالواو بين السينين المهملتين، الأولى مضمومة والأخرى مكسورة. هذه النسبة إلى السوس والسوسة. قلت: ولم أجد أبا يعقوب بينهم.

(٢) لعله الإمام المحدث الحافظ حفيد العراق أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن على بن عمر السَّلامى البغدادى.

مولده فى سنة سبع وستين وأربعمائة.

وربِّى يتيمًا فى كفالة جده لأمه الفقيه أبى حكيم الخبرى.

توفى أبوه المحدث ناصر شابًا، فلقنه جده أبو حكيم القرآن، وسمعه من أبى القاسم على بن أحمد بن البُسرى، وأبى طاهر بن أبى الصقر الأنبارى، وقرأ ما لا يوصف كثرة، وحصَّل الأصول، وجمع وألف، وبعد صيته، ولم يبرع فى الرجال والعلل وكان نصيحًا، مليح القراءة، قوى العربية، بارعًا فى الفقه، جم الفضائل، توفى فى سنة خمسين وخمسمائة».

ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٦٥، وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٣).

قال الواسطى: اصطفاهُم للولاية، وقال: اصطفاهُم فى أزليّته وصفاهم لقربهِ وصفاهم لمودته.

وقال أيضًا: اصطفاهُ فى الأزَل قبل كونه، فأعلم بهذا خلقه أن عصيان آدم لا يؤثر فى اصطفائه له، لأنه سبق العصيانَ مع علم الحق له بما يكونُ منه.

وقال أيضًا: اصطفى الأنبياءَ بالمشاهدة والتقريب، واصطفى المؤمنين للمطالعةِ والتهذيب، واصطفى العام للمخاطبة والترتيب.

قال النصرآباذى: إذا نظرت إلى آدم بصفته لقيته بقوله: ﴿وعَصَى آدَمُ ربَّهُ فغوى﴾[1] وإذا لقيته بصفة الحق لقيتهُ بقوله تعالى: ﴿إنَّ الله اصطفى آدمَ﴾ وماذا يؤثر العصيانُ فى الاصطفاء؟

قال الواسطى: الاصطفاءُ قائم بالحق، والمعصيةُ إظهار البشرية وتوبتُه أعجب لأنه من نفسه إلى نفسه رَجعَ.

قوله تعالى: ﴿إنِّى نَذَرْتُ لكَ ما فى بَطنى مُحرَّرًا﴾ [الآية: ٣٥].

قال جعفر رحمه الله: عتيقًا من رق الدنيا وأهلها.

قال محمد بن على رحمهُ الله فى قوله تعالى: ﴿نَذَرْتُ لكَ ما فى بَطنى مُحرَّرًا﴾ أى: يكون لك عبدًا مخلصًا، ومن كان خالصًا لك كان حرًا مما سواك.

سئل سهل بن عبد الله عن المحرَّر قال: هو المعتق من إرادات نفسه ومتابعة هواهُ.

قال النورى ـ تغمده الله برحمته ـ فى قوله تعالى: ﴿إنِّى نَذَرْتُ لكَ ما فى بَطنى مُحرَّرًا﴾ قال: محررًا عن شغلى به وتدبيرى له، ويكونُ مسلمًا إلى تدابيرك فيه وحُسنِ اختيارِكَ له.

قال محمد بن الفضل رحمه الله فى قوله تعالى: ﴿إنِّى نَذَرْتُ لكَ ما فى بَطنى مُحرَّرًا﴾، قال: عن الاشتغال بالمكاسب.

قال جعفر: تقبَّلها حتى تعجَّب الأنبياءُ مع عُلوّ أقدارهم فى عظم شأنها عند الله تعالى، ألا ترى أن زكريا قال: ﴿أنَّى لكِ هذا قالت هو من عند الله﴾ أى: مِنْ عند من تقبَّلنى.

قال الواسطى رحمه الله: بقبول حسن: محفوظة، وأنبتها نباتًا حسنًا: أضاف

(١) سورة (طه) الآية رقم (١٢٠).

الإحسان إليها فى الشريعة، وفى الحقيقة حفظها وأنبتها.

قوله تعالى: ﴿وأنبتها نباتًا حسنًا﴾ [الآية: ٣٧].

قال ابن عطاء: ما فتح الله تعالى على عبدٍ من عبيده حالةً سنِّية إلا باتباع الأوامر وإخلاص الطاعات ولزوم المحاريب.

قال الواسطى: ﴿وهو قائم يصلى﴾ سرّه بمحاربة نفسه وهواهُ.

قال أبو عثمان: المحراب بابُ كل برٍ وموضع الإجابة واستفتاح الطريق إلى الانبساط، والمناجاة والإعراض عن المحراب سببُ إغلاق الباب دونك.

قوله تعالى: ﴿فَنَادتهُ الملائكةُ وهو قائمٌ يُصلّى فى المحراب﴾ [الآية: ٣٩].

حدثنى أحمد بن محمد قال: ما ظهرت على أحد حالةٌ شريفةٌ، إلا وأصلها الصبرُ تحت الأمر والنهى.

وقال: ملازمةُ الخدمة توريك آداب الخدمةِ وآداب الخدمةِ توريك منازل القُربة، ومنازل القربة توريكَ حلاوة الأمن.

وقال بعضهم ـ رحمة الله عليه ـ: العبادات تجرٌ إلى الإعواض والأحوال تجرٌ إلى المعوِّض.

قوله تعالى: ﴿وسيّدًا وحصُورًا﴾.

قال ابن عطاء رحمه الله تعالى: السيّدُ المتحقق حقيقة الحق والحصور المنزه عن الأكوان وما فيها.

قال جعفر رحمةُ الله تعالى عليه: السيّد المعاينُ عن الخلق وصفًا وحالاً وخلقًا.

قال الجنيد رحمةُ الله تعالى عليه: السيد الذى حاد بالكونين عوضًا عن ربه[1].

قال محمد بن على رحمةُ الله تعالى عليه: السيد من استوت أحواله عند المنع والعطاء.

---

(١) هذا تفسير عار من الصحة فكيف يحيد مخلوق مهما كانت درجته بالكونين عوضًا عن الله عز وجل. والتفسير الصحيح كما عند ابن كثير قال عن بعض العلماء السيد: الحكيم. وقال آخرون: الحكيم المتقى وقال سعيد بن المسيب: هو الفقيه العالم.
وقال عطية: السيد فى خلقه ودينه.
وقال عكرمة: هو الذى لا يغلبه الغضب.

قال ابن منصور رحمةُ الله تعالى عليه: السيد من خلا من أوصاف البشرية وأظهر نعوت الربوبية.

قال أبو الحسين الوراق رحمةُ الله تعالى عليه: السيدُ من لا تغلبُه نفسُهُ وهواه.

قال النصرآباذى تغمده الله برحمته: من صحَّح نسبته مع الحق استوجب منه ميراث النسبة.

قوله تعالى: ﴿ويُكلمُ النَّاسَ فى المَهد وكَهْلاً﴾ [الآية:٤٦].

قال: يُكلمُ الناسَ وكهلاً قال: تكليمُ الناس فى المهدِ معجزةٌ له وكهلاً داعيًا إلى ربه والمهدُ معجزةٌ له.

وقيل: ويُكلّم الناسَ فى المهدِ ويكون كهلاً من الصالحين.

وقيل ويكلم الناس فى المهدِ صبيًا وعند نزوله من السماء كهلاً، ليكون على طرفى كلامه معجزةً.

قوله تعالى: ﴿وأُبرِئُ الأكمهَ والأبْرصَ وأُحيى المَوتَى بإذنِ الله﴾ [الآية:٤٩].

قيلَ: مَن اشتملت عليه صفاتُ الربوبية وغابَ عن أوصافِ لا يجدن حَيىَ بنفسه وأُحيىَ به كل شىء وأبطِلَ بهذهِ الآيةِ دَعَاوى من ادَّعى إظْهارَ معجزةٍ عليهِ به دونَ إذن ربه، فالله قادر على الإعجاز فى جميع الأوقات، يظهرها على من يشاء فالإعجاز لله والسببُ المظهر عليهم، ذلك هو الهياكل والصورُ.

قوله تعالى: ﴿ربّنا آمنّا بما أنزلتَ واتَّبعْنَا الرَّسُولَ فاكتُبْنَا﴾ [الآية:٥٣].

قال ابن عطاء: آمنَّا بما نُورثُ به قلوبَ أصفيائك من عُلُوم غيبكَ، واتَّبعْنا الرسُولَ فيما أظهرتَ من سُنن أوَامِرك ونواهيك، رجاءً أن يُوصلنا ابتغاؤُك إلى محبتك، واكتبنا مع الشاهدين مع من يُشهدك ولا يَشهدُ معك سواك.

قوله تعالى: ﴿ومكَرُوا ومكَر اللهُ واللهُ خَيرُ المَاكرِينَ﴾ [الآية: ٥٤].

قال محمد بن على: مكرُوا انفسهم فحسَّن اللهُ مكرهُم عندهم، وهو كان فى الحقيقة الماكرُ بهم لتزيينه ذلك عندهم، الا تراه يقول: ﴿أفَمن زُيّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلهِ فرآه حَسنًا﴾[1]

---

(١) سورة (فاطر) الآية رقم (٨).

سُئِلَ بعضُ أهلِ الحقيقة: كيف يُنسَبُ المكرُ إلى الله؟ فصاحَ وقال: لا علَّةَ لصُنْعِه وأنشد:

ويقْبحُ من سِوَاكَ الفِعلُ عندى   وتفعَلُه فيحسنُ منكَ ذاكا

قوله تعالى: ﴿إذ قالَ اللهُ يا عيسى إنِّى متوَفِّيكَ ورافعُكَ إلىَّ﴾ [الآية: ٥٥].

قال الواسطى: إنى متوفيك عنك ورافعك إلىَّ ومطهِّرُك من إرادتك وهواك، وذلك لإظهار نُعُوت الأزلِ عليه[1].

وقال بعضهم: إنّى مُتوفِيكَ عن حُظُوظِك ورافع شَخصِك إلىَّ ومُطهرُ سرّك من مطالعات الأعيان والأعواض.

قوله تعالى: ﴿الحقُّ مِن ربِّكَ فلا تكُن مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ [الآية: ٦٠].

قال بعضهم: الحق من ربك إذ لا يظهر شىءٌ من المكتوبات إلا من تحت ذُلِّ كُنْ فلا تكن، فإنه مُنفردٌ بأسمائه وصفاته، لا ينازعه فى صفاته أحدٌ من عبيده وخلقه.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فيه مِنْ بَعدِ ما جَاءكَ مِنَ العلم﴾ [الآية: ٦١].

قال جعفر: هذه إشارةٌ فى إظهار المدَّعين لأهل الحقائق؛ ليفتضحوا فى دعاويهم عند آثار أنوار التحقيق وبُطلان ظلمات الدعاوى الكاذبة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أهلَ الكتابِ تعالوا إلى كلمةٍ سوآءٍ بيننَا وبَيْنَكُمْ﴾ [الآية: ٦٤].

قال الواسطىُّ: هو إظهارُ العبودية عند ملاحظة الصَّمَدية.

قال ابن عطاء: هو تحقيق التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ألاَّ نعبُدَ إلا اللهَ ولا نشرك به شيئًا﴾ الآية.

قال أبو عثمان: أعلمك طريقَ التعبد فى هذه الآية، وهو أن لا تطالع بسرِّك عند

---

(١) ليس لأحد صفات الأزلية إلا الله تعالى. وعيسى ابن مريم (عليه السلام) بشر ككل البشر غير أنه نبى أوحى الله إليه وأرسل معه معجزات وقد قال الله تعالى فيه ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران:٥٩]، والله عز وجل رفعه إليه وسوف ينزل إلى الأرض يكسر الصليب ويقتل الخنزير فهو علَم للساعة كما قال الله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ ثم يموت الموتة التى كتبت على بنى آدم ثم يبعث يوم القيامة أما الذين جعلوا له صفات الأزلية وأشركوه مع الله إلها ثالثًا فهم فى جهنم خالدين فيها فالله تعالى وحده له صفات الأزلية واحد أحد فرد صمد تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

اشتغالك العبادة سوى معبودك، ولا تفزَعْ فى أمرٍ من أمُورك إلى غيره فتتخذ ذلك ربًّا.

قوله تعالى: ﴿إنَّ أولى الناسِ بإبراهيم للّذين اتّبعوهُ وهذا النبىّ﴾ [الآية:٦٨].

قال جعفر: للذين اتبعوه فى شرائعهم ومناسكهم وهذا النبى يقرب حال إبراهيم من حال النبى ﷺ وشريعته من شريعته دون سائرِ الأنبياء وسائر الشرائع، والذين آمنوا لقُرب حالهم من حال إبراهيم، والله ولىٌّ المؤمنين فى تشريعهم إلى بُلوغ مقام الخليل ﷺ إذ القُربُ منه فى درجة المحبة بقوله: ﴿يُحبّهم ويُحبُّونَهُ﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿ولاَ تؤْمِنُوا إلا لِمَن تَبِعَ دِينَكُم﴾ [الآية: ٧٣].

قال بعضُهم: لا تعاشروا إلا لمن يوافِقُكمُ على أحوالكم وطريقتكم، قال المرتعشُ فى هذه الآية: لا تُفشُوا أسرار الحق إلا إلى أهله.

قال أبو بكر بن طاهر: لا تُصدقوا ظهور الكرامة على أحد ما لم تتبينُوا أوائلهُ ورياضته ومحافظته على ظاهر الشريعة.

قوله عز وعلا: ﴿يَختَص برحمتهِ من يشاء﴾ [الآية: ٧٤].

قال أبو عثمان: أهمل القول ليتقى معه رجاء الراجى وخوف الخائفِ.

وقال بعضهم: أزال العلل فى العطايا ومنع النفوس عن ملاحظات المجاهدات ما تطلعهم عن الشواهد والموارد قال: ﴿ولا يُشرك فى حُكمه أحدًا﴾[2].

قال سهل فى قوله: ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ قال: ارتفعت العلل فى العطايا وفيما أظهر من النعوت والخفايا وفتن النفوس عن مطالعات المجاهدات فكيف يتوسل المتوحّد بالوسائلِ من أعمال البرِّ بعد قوله ﴿يختص برحمته من يشاءُ﴾ فأيقن بأن ليسَ إليه طريقٌ بالشواهد والموارد والعوايد والفوائد.

[قال ابن عطاء فى قوله ﴿يختص برحمته من يشاء﴾: أنبأ أن لا طريق إليه بالعوائد والفوائد][3].

قال الواسطى رحمة الله عليه فى قوله: ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ قال: أن تكون حيث كُنتَ بلا أنت، ويكونُ القائم هو لك بذاته ونعوته.

(١) سورة (المائدة) الآية رقم (٥٤).

(٢) سورة (الكهف) الآية رقم (٢٦).

(٣) زيادة على هامش المخطوط.

قال الواسطى فى قوله: ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ من تجلى له بأحوال ليس كمن تجلى بحال واحدة لذلك يختص برحمته من يشاء، قال: لما أن شاهدوا البرهان وعاينوا الفرقان؛ فزعوا من صفاتهم إلى صفاته، ومن فعلهم إلى فضله فسكنوا إلى سبق حسناته، حيث يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾.

وقال أبو سعيد فى هذه الآية: إن الرحمة ها هنا فهم معانى السَّماع بالسمع الحقيقى، وهو الذى خصَّ به الحقُّ خواص السادة من عباده.

قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [الآية:٧٩].

قال الواسطى: يملكون الأشياء ولا يملكهم شىء.

وقيل: كونوا ربانيين علماء بالله حكماء بين عباده.

وقال ابن عطاء: عاينوا أوقات ترتيبكم لتتخلّصوا من هذه الآفات كُلها.

وقال جعفر فى قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: مستمعين بسمع القلوب وناظرين بأعين الغيوب.

قال ابن عطاء: أخرجهم بهذا الخطاب عمَّا خاطبهم به من العبودية.

قال الواسطىُّ رحمة الله عليه: عاينوا أوقات ترتيبكم وتقديركم قبل آدم ومحمد ﷺ والانتساب إلى آدم، والافتخار بمحمد ﷺ ليس كالافتخار بمن قدَّسك فى الأزل.

وقال أيضًا: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: كونوا كأبى بكر رضى الله عنه إذ ورد عليه فوادح الأمور لا يؤثر على سِرِّه حين قال للنبى ﷺ يوم بدرٍ: «دع مناشدتك مع ربك فإنه ينجز لك ما وعدك»[1]

وقال أيضًا فى هذه الآية: أمر إبراهيمُ ﷺ بالاستسلام، وأمر محمدًا ﷺ بالعلم فقال: ﴿فاعلم﴾[2]، فالاستسلام إظهار العبودية والعلم به والتوسل إلى الأزلية

(١) صحيح: أخرجه: مسلم فى كتاب «الجهاد والسير» باب «الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر، وإباحة الغنائم» (٥٨/٦) (ص٣٢٧/ حديث ١٧٦٣)، والترمذى فى كتاب «التفسير» باب «ومن سورة الأنفال» (٢٦٩/٥ ـ ٢٧٠) حديث رقم (٨١ ـ ٣) جميعًا من طريق عكرمة بن عمار حدثنا أبو زمين حدثنا عبد الله بن عباس حدثنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . . . به.

(٢) يقصد المؤلف بكلمة (فاعلم) أى الكلمة التى فى الآية رقم (١٩) من سورة محمد (ﷺ) وهو ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾.

والأبدية، لذلك قال خاطبهم فقال: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾.

وقال في قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: جذبهم بهذا من الافتخار بالطين إلى الافتخار بالحق.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: أخرجهم من الكون جملة، وجذبهم إلى الحق إشارة، وإذا أردت أن تعرف مقامات الخلق ومواطنهم في الحقيقة، فانظر إلى تصرف أخلاقهم تجد كُلاً قائمًا في أشجانه، استقطعه ما وافق سريرته، فانظر بما ربطت القلوب فتشهد سرائرهم، لأنهم أخذوا من المصادر الأول، فمن لم يستقطعه إلا إنسال أنواره والحياء فيما ورد عليه أتقن كيفية باطنه على الحقيقة ينازعه في ربوبيته ويمنٌ عليه بعبوديته ولا تشعر أنت.

وقال بعض العراقيين: أخرجهم من آدم وبرأهم منه كي ينسوا العبودية ويتركوا الافتخار بالماء والطين[1].

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُم تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُم تَدرُسُونَ﴾. من آلائي ونعمائي عليكم وبما كنت توليت من أموركم.

وقال الشبلي في قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: أخرجهم عما خاطبهم به من العبودية، فمن استحق العلم به استحق علم الربانية، لأن الرباني النبي لا يأخذ العلوم إلا من الرب ولا يرجع في بيانه إلا إلى الرب جل وعلا.

قال الواسطي رحمة الله عليه في هذه الآية: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: لأن تكون ابن الأزل والأبد خيرٌ لك وأحسن من أن تكون من أبناء الماء والطين والأفعال والإحصاء والعدد.

وقال سهلٌ: الرباني هو العالم بالله والعالم بأمر الله والمكاشف له من العلوم اللَّدُنِّي

---

(١) المؤلف (غفر الله له) كثيرًا ما ينسب الكلام لمجهولين لا نعرف لهم اسمًا ولا علمًا إلا هذه الكلمات التي تناقض العقيدة في نظر إلى هذا الكلام ففيه تجاوز شديد فكيف يخرجهم من آدم ثم يتبرأون منه والنبي ﷺ يقول: «الناس لآدم وآدم من تراب». أخرجه (أبو داود، والترمذي، وأحمد في مسنده).

وأما الافتخار فكان من نصيب إبليس (لعنه الله) حيث قال: ﴿أنا خير منه﴾ أما آدم وذريته من المؤمنين ما افتخروا أبدًا بماء ولا طين وما تناسوا عبوديتهم لله عز وجل الواحد الأحد ولا أعرف لكلام العراقيين مصدرًا ولا معنى.

ما غيبه عن غيره.

وقال أيضًا: الربانيّ الذى لا يختار على ربه حالاً.

وقال الجريرى[١]: ﴿كُونُوا رَبانيين﴾ أى سامعين من الله ناطقين بالله.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت الفضل بن العباس يقول: فى قوله عز وعلا: ﴿كُونُوا ربانيين﴾ قال: كونوا كأبى بكر الصديق رضى الله عنه فإنه لما مات النبى ﷺ اضطربت الأسرارُ كلها لموته، ولم يؤثر فى سرٍّ أبى بكر فقال: «من كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت»[٢]

وقال القاسم: ﴿كُونُوا رَبانيين﴾ متخلقين بأخلاق الحق علماء حلماء.

وقال بعضهم: ﴿كُونُوا رَبانيين﴾ أى: عبيدًا منقطعين يقتدون بالسيد ويتخلقون بأخلاقه لا يلاحظون الكون بأسره، ولا ما يجرى من المحو فى وقته.

وقال بعضهم: الربانى بحقِّه من نسى نفسه فى نسيانه، ونسى أوقاته بأوقاته، ونسى حاله وصفاته وأرزاقه بصفاته، فصفاته حديثه إلى ذاته وذاتُه ملكه عن صفاته.

قوله تعالى: ﴿وَلا يأمُرَكُم أن تَتَّخذُوا الملائكَةَ والنبيين أرْبابًا﴾ [الآية: ٨٠].

قال ابن عطاء: موضعًا للملاحظات وليس بأيديهم من الضر والنفع شىء، فكيف بمن دونهم؟!

قال الواسطى فى هذه الآية: لا يخطرن بأسراركم تعظيمهم ولا الفكر فى معانيهم، واعلموا أنما هى ربوبية تولت عبودية.

سمعت أبا الحسن الفارسى يقول: سمعت ابن عطاء يقول: إياك أن تلاحظ مخلوقًا

---

(١) أبو محمد الجريرى. يقال أن اسمه أحمد بن محمد بن الحسين، وكنية والده أبو الحسين. وكان من كبار أصحاب الجنيد، وصحب أيضًا سهل بن عبد الله التسترى. وهو من علماء مشايخ القوم، أقعد بعد الجنيد فى مجلسه، لتمام حاله وصحة علمه مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. سئل عنه الفراء فقال: هو الذى طلب الآخرة، وسعى لها سعيها وأعرض عن الدنيا والاشتغال بها (طبقات الصوفية ص٦١).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبى ﷺ «لو كنت متخذًا خليلاً» (٧/ ٣٤) حديث رقم (٣٦٦٨)، وابن ماجه فى كتاب «الجنائز» باب «ذكر وفاته ودفنه ﷺ» (١/ ٥٢٠) حديث رقم (١٦٢٧)، وأحمد فى مسنده (١/ ٣٠٢).

وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلاً. قال الله: ﴿وَلا يأمُرَكُم أن تَتَّخِذُوا الملائكَةَ والنبيين أرْبابًا﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه فى هذه الآية مجال للملاحظات وموضع للمعاملات ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ أيأمركم بالاحتجاب عن الحق بعد معاينة الحق أو بالانقطاع عن الحق بمواصلة غيره.

وقيل فى قوله: ﴿أيأمركم بالكفر﴾ أيأمركم بالتوسل إلى من لا وسيلة إليه إلا بالحق.

قوله تعالى: ﴿بَلَى من أوفى بِعَهدِه﴾ [الآية: ٧٦].

قال جعفر: من أوفى بالعهد الجارى عليه فى الميثاق الأول واتقى وطهر ذلك العهد وذلك الميثاق أن يدنسه بباطل، والوفاء بالعهد والكون معه يقطع ما سواه لذلك.

قال النبى ﷺ: «أصدق كلمة تتكلم بها العرب كلمة لبيد:

* ألا كُلّ شىءٍ ما خَلا الله باطلٌ *

ومن أوفى بالعهد سمِّى محبًا والله يحب المتقين.

قوله تعالى: ﴿أفَغَير دينِ الله يَبْغُونَ﴾ [الآية: ٨٣].

قال الواسطى: من تمسك بغير الوجدانية بل بغير الواجِد فهو يعبد من عين الحقيقة.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أسْلمَ مَن فى السموات والأرضِ طَوعًا وكَرْهًا﴾.

قال الحسين: أخذهم عن شهودِ شواهدهم بخصائص الإطلاع عليهم، فمن طالع الذات أسلم طوعًا وكرهًا، ومن طالع الهيبة أسلم كرهًا.

قوله تعالى: ﴿قل آمنَّا بالله﴾ [الآية: ٨٤].

قال ابن عطاء: صدقنا وأقمنا على طريق الصدق معه، لأنه الذى كتب علينا الإيمان وخصنا به فى علمه قبل أن أوجدنا فنحن مؤمنون به لسابق تفضله علينا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يبتغ غير الإسلام دينًا فَلَنْ يُقْبل منه﴾ [الآية: ٨٥].

قال القاسم: من يأخذ غير الانقياد طريقًا فى التعبد لم يصل إلى شىء من حقيقة العبودية.

وقال مجاهد: من لم يعتد أفعاله بالسُّنة لا يُقبل منه عملٌ.

وقال سهلٌ في قوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا﴾: إنه التفويض، ومن لم يفوض إلى مولاه جميع أموره لم يقبل منه شيئًا من أعماله.

قوله تعالى: ﴿لن تَنَالوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [الآية: ٩٢].

قال ابن عطاء: لن تصلوا إلى القربة وأنتم متعلقون بحظوظ أنفسكم.

وقال جعفر: بإنفاق المهج يصل العبد إلى حبيبه وقرب مولاه. قال الله تعالى: ﴿لن تَنَالوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وقال أبو عثمان في قوله: ﴿لن تَنَالوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال: لن يصل إلى مقامات الخواصّ من بقى عليه شيء من آداب النفوس ورياضاتها.

قال الواسطى رحمه الله: عليه الوصول إلى البر بإنفاق بعض المحاب والوصول إلى البار بالتخلى من الكونين وما فيهما.

وقال النصرآباذى: أفردك له باستنفاقه المحاب منك، لتكون خالصًا فى محبته، لا تلتفت إلى شىء سواه. والوصول إلى البار بالتخلى من الكونين وما فيهما.

قال بعضهم: البر محاورة الحق وقربه، ولا تنال ذلك المقام وأنت تجد شيئًا سواه أو تؤثر عليه غيره.

وقال ابن عطاء: لن تنالوا وصلتى وفى أسراركم موافقة ومحبة لسواى.

وقال النصرآباذى: قال بعض المفسرين فى قوله: ﴿لن تَنَالوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا﴾ إنه الجنة.

وعندى البر صفة البارى فكأنه قال: لن تنالوا قربى إلا بقطع العلائق.

وقال جعفر: لن تنالوا معرفتى وقربى حتى تخرجوا من أنفسكم وهممكم بالكلية.

وقال العلوى[1]: فى قوله: ﴿لن تنالوا البر...﴾ الآية. قال: أحب الأشياء روحك فاجعل حياتك نفقةً عليك لك تنل برى بك.

وقال أبو بكر الوراق فى قوله: ﴿لن تنالوا البر﴾ الآية: قال: ولهم بهذه الآية على الفترة.

---

(١) لم أجده فيما بين يدى من مصادر وتراجم.

وقال: لن تنالوا برّى بكم إلا ببركم إخوانكم والإنفاق عليهم من أموالكم وجاهكم بكم وما تحبونه من أملاككم، فإذا فعلتم ذلك نالكم برّى وعطفى، وأنا أعلم بنياتكم فى إنفاقكم وبركم، فما كان لى خالصًا قابلته ببرى وهو أعلى، وما كان ذلك من الرياء والسمعة، فإنى أغنى الشركاء للشريك كما روى عن المصطفى ﷺ(١).

قال جعفر الصادق عليه السلام: لن تنالوا وصلتى وفى سركم موافقة مع سواى.

وقال أيضًا: لن تنالوا الحق حتى تنفصلوا عمًّا دونه.

وقال الجنيد رحمة الله عليه فى قوله: ﴿لن تَنَالوا البِرَّ حَتَّى تُنفقُوا...﴾ الآية. قال: لن تنالوا محبة الله حتى تسخوا بأنفسكم فى الله.

قوله تعالى: ﴿إنَّ أوّل بيتٍ وُضع للنَّاسِ للَّذى ببكةَ مباركًا﴾ [الآية: ٩٦].

قال الحسين: إن الحق تعالى أورد تكليفه على ضربين: تكليفًا عن وسائط وتكليفًا بحقائق، فتكليف الحقائق بدت معارفه منه وعادت إليه، وتكليف الوسائط بدت معارفه عمن دونه ولم يتصل به إلا بعد الترقى منها إلى الفناء عنها، فمن تكليف الوسائط إظهار البيت والكعبة فقال: ﴿إنَّ أوّل بيتٍ وُضع للنَّاسِ للَّذى ببكةَ﴾ فما دمت متصلاً به كنت منفصلاً عنه، فإذا انفصلت عنه حقيقة وصلت إلى مطهره وواضعه، فكنت مترسمًا بالبيت متحققًا بواصفه.

قوله تعالى: ﴿مباركًا﴾. قال: مباركًا لمن ينزل عليه بهمةٍ وطالب الطرق به إلى ربه.

قوله تعالى: ﴿وهدًى للعالمين﴾. قال: هدًى لمن اهتدى به إلى الهادى.

قوله عز وعلا: ﴿فيه آياتٌ بيِّنات﴾ [الآية: ٩٧].

قال محمد بن الفضل: علامات ظاهرة يستدل بها العارف على معروفه.

قوله عز وعلا: ﴿مقام إبراهيم﴾.

قال الشبلى: مقام إبراهيم هو الخُلَّة، فمن شاهد فيه مقام إبراهيم الخليل فهو

(١) صحيح: إشارة إلى حديث قدسى اخرجه مسلم فى كتاب «الزهد» باب «من أشرك فى عمله غير الله» (٩/ ص٣٤٢) (٤٦/ حديث رقم/ ٢٩٨٥)، وابن ماجه فى كتاب «الزهد» باب «الرياء والسمعة» (٢/ ص١٤٠٥) حديث رقم (٤٢٠٢)، وأحمد فى مسنده (٣/ ٦٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى، تركته وشركه» اللفظ لمسلم.

شريف، ومن شاهد فيه مقام الحق فهو أشرف.

وقال محمد بن على الترمذى[1]: مقام إبراهيم بذل النفس والمال والولد فى رضا خليله، فمن نظر إلى المقام ولم يَتخلَّ مما تخلى منه إبراهيم من النفس والمال والولد سفره فقد بطل وخابت رحلته[2].

قوله تعالى: **﴿ومن دخله كان آمنًا﴾**.

قال النورى: من دخل قلبه سلطان الاطلاع كان آمنًا من هواجس نفسه ووساوس الشيطان.

قال الواسطى: من دخله على شرط الحقيقة كان آمنًا من رعونات نفسه.

قال ابن عطاء: من دخله كان آمنًا من عقابه ولله فى الدنيا ثواب وعقاب، فثوابه العافية وعقابه البلاء، فالعافية أن يتولى عليك أمرك، والعقوبة أن يكلك إلى نفسك.

قال جعفر فى قوله: **﴿ومن دخله كان آمنًا﴾** قال: من دخل الإيمانُ قلبه كان آمنًا من الكفر.

قال الواسطى رحمة الله عليه فى موضع آخر: من جاور الإيمانُ قلبه كان آمنًا من رعونات نفسه. سمعت منصورًا يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندرانى يقول بإسناده عن جعفر الصادق عليه السلام فى قوله: **﴿ومن دخله كان آمنًا﴾** فقال: من دخله على الصفة التى دخلها الأنبياء والأولياء والأصفياء كان آمنًا من عذابه كما آمنوا.

قوله تعالى: **﴿ولله على الناس حج البيت ...﴾** الآية.

قيل: لم يخاطب الله عباده فى شىء من العبادات بأن لله عليهم إلا الحج وفيه فوائد:

---

(١) يكنى أبا عبد الله، من كبار مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة وكان يقول: ما صنفت شيئًا ليُنسب إلىَّ لكن كنت إذا اشتد علىّ وقتى أتسلى بمصنفاتى.
لقى أبا تراب النخشبى، وصحب يحيى الجلاء، وأحمد بن خضرويه.
ومن كلامه: ليس فى الدنيا حمل أثقل من البِرّ لأن من برَّك فقد أوفقك، ومن جفاك فقد أطلقك، ويقول أيضًا: العاقل من اتقى ربه وحاسب نفسه.
ترجمته فى: (صفة الصفوة ٤/١٤٦، وطبقات الصوفية ص٥١).

(٢) هذا خطأ والصحيح الذى عليه جمهور المفسرين أن مقام إبراهيم عليه السلام هو موضع القدمين، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: هو الحرم كله.

إحداها: أنه ليس من العبادات عبادة يشترك فيها المال والنفس إلا الحج فأخرجه بهذا الاسم.

وقيل: هى عبادة يكثر فيها التعب والنصب على مباشرتها فأخرجه بهذا الاسم ليكون عونًا له على ما تباشره لعلمه أنه يؤدى ما لله عليه فى ذلك.

وقيل: لما كان فيه الإشارات القيمة من تجريد ووقوفٍ وغيرة قال الله تعالى: عليك لتهيئ باطنك للموقف الأكبر كما هيأت ظاهرك لهذا الموقف.

وفى الحج إشاراتٌ قيل: إنَّ رجلاً جاء إلى الشبلى فقال له: إلى أين؟ قال: إلى الحج، قال: هات غرارتين فاملأهما رحمة واكبسهما وجئ بهما لتكون حظنا من الحج نعرضُها على من حضر ونحيى بها من زار، قال: فخرجت من عنده فلما رجعت قال لى: أحججت؟ قلت: نعم، قال لى: أى شىء عملت؟ قلت: اغتسلت وأحرمت وصليت ركعتين ولبيت، فقال لى: عقدت به الحج؟ قلت: نعم، قال: أفَسَختَ بعقدك كل عقدٍ عقدت منذ خُلِقت مما يضاد هذا العقد، قلت: لا، قال: فما عقدت، قال: ثم نزعت ثيابك؟ قلت: نعم، قال: تجردت عن كل فعل فعلته؟ قلت: لا، قال: ما نزعت قال: ثم تطهرت؟ قلت: نعم. قال: أزلت عنك كل علةٍ بطهرك؟ قلت: لا. قال: ما تطهرت قال: ثم لبيت؟ قلت: نعم. قال: وجدت جواب التلبية مثلاً بمثلٍ؟ قلت: لا. قال: ما لبيت. قال: ثم دخلت الحرم؟ قلت: نعم، قال: عقدت بدخولك ترك كل محرم؟ قلت: لا، قال: ما دخلت الحرم. قال: أشرفت على مكة؟ قلت: نعم، قال: أشرف عليك من الله حالٌ بإشرافك؟ قلت: لا، قال: ما أشرفت على مكة. قال: دخلت المسجد الحرام؟ قلت: نعم، قال: دخلت فى قربه من حيث علمته؟ قلت: لا، قال: ما دخلت المسجد. قال: رأيت الكعبة؟ قلت: نعم، قال: رأيت ما قصدت له؟ قلت: لا. قال: ما رأيت الكعبة. قال: رملت ثلاثًا ومشيت أربعًا؟ قلت: نعم. قال: هربت من الدنيا هربًا علمت أنك به فاصلتها، وانقطعت عنها ووجدت بمشيك الأربع أمنًا مما هربت منه فازددت لله شكرًا لذاك؟ قلت: لا. قال: فما انقطعت. قال: أصافحت الحجر؟ قلت: نعم، قال: ويلك قيل من صافح الحجر فقد صافح الحق[1]

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما جاء بلفظ: الحجر الأسود يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده. قال الألبانى فى السلسة الضعيفة (٢٢٣) أخرجه أبو بكر بن خلاد فى الفوائد (١/ ٢٢٤/ ٢)، .

ومن صافحه فهو فى محل الأمن، أظهر عليك أثر الأمن؟ قلت: لا. قال: ما صافحت الحجر. قال: أصليت ركعتين بعدها؟ قلت: نعم، قال: وقفت الوقفة بين يدى الله جل وعز، ووقفت على مكانك من ذلك وأديت قصدك؟ قلت: لا. قال: ما صليت. قال خرجت إلى الصفا ووقفت بها؟ قلت: نعم. قال: أى شىء عملت؟ قلت: كبرت عليها. قال: هل صفا سرك بصعودك على الصفا، وصَغُرَ فى عينيك الأكوان بتكبيرك ربك؟ قلت: لا. قال: ما صعدت ولا كبرت. قال: هرولت فى سعيك؟ قلت نعم. قال: هربت منه إليه؟ قلت: لا، قال: ما هرولت ولا سعيت. قال: وقفت على المروة؟ قلت: نعم. قال: رأيت نزول السكينة عليك وأنت على المروة؟ قلت: لا. قال: لم تقف على المروة. قال: خرجت إلى منى؟ قلت: نعم. قال: أعطيت ما تمنيت؟ قلت: لا. قال: ما خرجت إلى منى. قال: دخلت مسجد الخيف؟ قلت: نعم. قال: هل تجدّد عليك خوف بدخولك مسجد الخيف؟ قلت: لا قال: ما دخلته. قال مضيت إلى عرفات؟ قلت: نعم. قال: عرفت الحال التى خلقت لها والحال التى تصير إليها؟ وهل عرفت من ربك ما كنت منكرًا له؟ وهل تعرَّف الحق إليك بشىء مما تعرَّف به إلى خواصه؟ قلت: لا. قال ما مضيت إلى عرفات. قال أنفدت إلى المشعر؟ قلت: نعم. قال: ذكرت الله فيه ذكرًا أنساك فيه ذكر من سِواه؟ وهل شعرت بماذا أجبت وبماذا خوطبت؟ قلت: لا. قال: ما نفدت إلى المشعر. قال: ذبحت؟ قلت: نعم. قال: أفنيت شهواتك وإرادتك فى رضا الحق؟ قلت: لا. قال: ما ذبحت. قال: رميت؟ قلت: رميت جهلك منك بزيادة علم طهر علمك. قلت: لا. قال: ما رميت. قال: زرت؟ قلت: نعم. قال: كوشفت شيئًا من الحقائق، أو رأيت زيادة الكرامات عليك للزيارة، فإن النبى ﷺ قال: «الحاجُّ والعمَّار زوار الله حقٌّ على المزور أن يكرم زائره»[1]. قلت: لا. قال: ما زرت قال: أحللت؟ قلت: نعم. قال: عزمت على أكل

= وابن عدى (٢/١٧) وغيرها وهو ضعيف، وقال ابن الجوزى: حديث لا يصح، وقال ابن العربى: هذا حديث باطل فلا يلتفت إليه.

(١) لم أجده بهذا اللفظ ولكن جاء بلفظ: «الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم».

أخرجه ابن ماجه فى كتاب «المناسك» باب «فضل دعاء الحاج» (٢/ ٩٦٦) حديث رقم (٢٨٩٢) من طريق صالح بن عبد الله بن صالح عن يعقوب بن يحيى بن عبد الله بن الزبير عن أبى صالح السمان عن أبى هريرة... به. =

الحلال؟ قلت: لا. قال: ما أحللت. قال: ودَّعت؟ قلت: نعم. قال: خرجت من نفسك وروحك بالكلية؟ قلت: لا. قال: ما ودَّعت ولا حججت وعليك العود إن أحببت وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك.

ولما دخلت على الشيخ الحصرى[1] ـ قدس الله روحه ـ ببغداد قال لى: أحاجٌّ أنت؟ قلت: أنا مع القوم. قال لى: أليس فرائض الحج أربعةٌ: الإحرام والدخول فيه بلفظ التلبية؟ قلت: نعم. قال: والتلبية إجابة. قلت: نعم. قال: والإجابة من غير دعوة سوء الأدب. قلت: نعم. قال: فتحققت الدعوة حتى تُجيب ثم الوقوف. قلت: نعم. قال: فاجتهد فيه فإنه محل المباهاة وانظر كيف تكون، والطواف وهو محلٌّ القربة من الحق، فيكون قربك منه بحسن الأدب ثم السَّعيُ وهو محل الفرار إليه من التبرى مما

= وفى الرواية: فى إسناده صالح بن عبد الله. قال البخارى فيه: منكر الحديث.

وأخرجه البزار (١١٥٣) من طريق محمد بن أبى حميد عن محمد بن المنكدر عن جابر . . . به.

وفى إسناده محمد بن أبى حميد: قال الحافظ: ضعيف وللحديث شاهد عن ابن عمر مرفوعًا به وزاد فى أوله: «الغازى فى سبيل الله والحاج . . . فذكره»

أخرجه ابن ماجه فى المصدر السابق حديث رقم (٢٨٩٣)، وابن حبان (٩٦٤) زوائد.

والطبرانى فى المعجم الكبير (١٣٥٥٦) من طريق عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد . . . عنه

وفى الزوائد: إسناده حسن وعمران مختلف فيه.

وأورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٨٢٠) وصححه بطرقيه.

وأورده المنذرى فى الترغيب (٢/ ١٦٧، ١٨٠)، والعجلونى فى كشف الخفا والإلباس» (١/ ٤٢١).

والبيهقى فى السنن (٥/ ٢٩٢) عن ابن عمر . . . به.

(١) ابو الحسن على بن إبراهيم الحصرى بصرى الأصل، سكن بغداد، وكان شيخ العراق، ولسانها، لم نر فيما رأينا من المشايخ أتم حالاً منه، ولا أحسن لسانًا منه، ولا أعلى كلامًا.

كان أوحد المشايخ ولسان الوقت، وكان أوحد فى طريقته، من أجل المشايخ وأظرفهم والطفهم، له لسان فى التوحيد يختص هو به، وقام فى التفريد والتجريد مسلم له لم يشارك فيه أحد بعده.

وهو استاذ العراقيين، وبه تادب من تادب منهم صحب أبا بكر الشبلى، وغيره من المشايخ، مات ببغداد فى يوم الجمعة فى ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. اهـ. (طبقات الصوفية ص ١٢٠).

سواه، فإيَّاك أن تتعلق بعد سعيك بعلاقةٍ من الدارين وما فيهما.

سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت عبد البارى يقول: سُئل ذو النون[١] لمَ صُير الموقف بالمشعر الحرام ولم يُصيَّر بالحرم؟ فقال ذو النون: لأن الكعبة بيت الله والحرم حجابه والمشعر بابه، فلما أن قصدها الوافدون وقفهم بالباب. الأول: يتضرعون إليه حتى أذن لهم بالدخول ووقفهم بالحجاب.

الثانى: وهو المزدلفة فلما أن نظر إلى تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم وقَضوا تفثهم طهروا من الذنوب التى كانت لهم حجابًا من دونه، فأذن لهم بالزيادة على الطهارة.

قال فارس: الإحرام هو الاعتقاد، والاعتقاد اعتقادان: إعتقاد قصدٍ وإرادة واعتقاد استشعار فى الحال.

وقال بعضهم: لما أجابوا التلبية أدخلوا الحرم مقامه مقام الدهليز، ثم دخلوا الحرم باعتقاد ترك كل محرم، ثم أشرفوا على الكعبة فأشرفَت عليهم حالٌ من الحق بإشرافهم على الحق، ثم دخلوا المسجد الحرام فشهدوا عند ذلك قربة فطافوا ولاذوا وحنوا وهرولوا، وكانوا فى ذلك هداهم من الدنيا، والحجر شاهد لهم بوفاء عهودهم، وخرجوا إلى الصفا فصفوا عن كل كدورةٍ من آفاق الدنيا والنفس، ولما وصلوا إلى منًى وقع بهم التمنى لما يأتلون فأعطوا ما تمنَّوْا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ﴾ [الآية: ١٠١].

---

(١) الزاهد شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبى الإخميمى، يكنى أبا الفيض، ويقال: أبا الفياضى. ولد فى أواخر أيام المنصور.

روى عن مالك، والليث، وابن لهيعة وغيرهم وعنه: أحمد بن صبيح الصوفى، وربيعة ابن محمد الطائى . . . وآخرون.

وكلٌ ما روى من الحديث، ولا كان يتقنه.

قيل: إنه من موالى قريش، وكان أبوه نوبيًا. قال ابن يونس: كان عالمًا نصيحًا حكيمًا.

توفى فى ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين.

ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢/ حلية الأولياء ٩/ ٣٣١/ وفيات الأعيان ١/ ٣١٥).

قال ابن عطاء: من افتقر إلى الله من جميع ما سوى الله فقد فتح له الطريق إلى الحج وهو أقوم الطريق.

قال جعفر فى هذه الآية: من عرفه استغنى به عن جميع الأنام.

قال الواسطى رحمة الله عليه: الاعتصام به منه فمن زعم أنه يعتصم بالله من غيره فهو وَهنٌ فى الربوبية.

وقال أيضًا: من يعتصم بالله للأئمة والعامة.

﴿واعتصموا بحبل الله﴾ [الآية: ١٠٣].

وقال أيضًا فى قوله: **﴿ومن يعتصم بالله...﴾** قال: هل شاهدت من شواهدك شيئًا يفزع منك إليه وهل فزعت إلا إلى نفسك.

والاعتصام: أن ترى نفسك فى ظلّه وكنفه وحسن قيام نظره لك فى أبده، فإن التحقيق فصحة الاعتصام والتصديق يوجب الاعتصام.

وقيل: الاعتصام هو اللجأ بترك الحول والقوة والسكون والأمر والهدوء تحت مراد الله.

وقيل: الاعتصام للمحجوبين ولأهل الحقائق رفع الاعتصام لأنهم فى القبضة.

وقال أبو بكر الوراق: علامات الاعتصام ثلاثة: قطع القلب عن معونة المخلوقين، وصرفه بالكلية إلى رب العالمين، وانتظار الفرج من الله.

قوله تعالى: **﴿اتقوا الله حق تقاته﴾** [الآية: ١٠٢].

تلف النفس فى مواجبه.

قال القاسم: بذل المجهود واستعمال الطاعة وترك الرجوع إلى الراحة، ولا سبيل إليه لأن أوائل طرق الوصول التلف.

قال الواسطى رحمة الله عليه: هو إتلاف النفس فى مواجبه.

قال ابن عطاء: حق تقاته: هو صدق قول لا إله إلا الله وليس فى قلبك سواه.

وقال بعضهم: أراد به أن يُعرّفنا مواضع فضله فيما رفهنا فيه من استعمال مواجبه، لأن واجب الحق لا يتناهى والعمل به لا يتناهى.

سمعت أبا الحسين الفارسي[1] يقول: سمعت ابن عطاء يقول: حقيقة التقوى كل التقوى من إذا قال قال لله، وإذا عمل عمل لله، وإذا نوى نوى لله، ويكون بالله ولله، وقيل أيضًا إنه التورع عن جميع الشبهات.

قال النصرآباذي: حق تقاته أن يتقى كل ما سواه.

قال جعفر: التقوى: أن لا ترى في قلبك شيئًا سواه.

قال الواسطي رحمة الله عليه: الأكوان كلها أقدار في ميدان الحق، وميدان الحق لا يطأه إلا من اتقى ما سواه؛ قال الله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾.

قال بعضهم: ما اتقى الله حق تقاته من سكن إلى شيء سواه.

قوله تعالى: ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله﴾.

قال الواسطي رحمه الله: صفَّى النبي أصحابه وخاصَّهم فاختار منهم سبعين رجلاً الذين بايعوا ليلة العقبة[2] ثم صفاهم ثانيًا فاختار منهم عشرةً، فقال: هؤلاء في الجنة[3]، ومدح كل واحدٍ منهم بمدحةٍ وحلاه بحليةٍ ثم صفاهم فاختار منهم أربعة جعلهم خلفاء من بعده[4] ثم صفَّى واختار اثنين، وقال: «اقتدوا بالَّذَيْن من بعدي أبي

(١) أبو الحسين علي بن هند الفارسي القرشي من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم.
صحب جعفرًا الحذاء، ومن فوقه من المشايخ بفارس، وصحب أيضًا الجنيد وعمر المكي ومن في طبقتهم. وكان له الأحوال العالية والمقامات الزكية من أقواله: عمارة القلب في أربعة أشياء في العلم، والتقوى، والطاعة، وذكر الله وخرابه من أربعة أشياء من الجهل، والمعصية، والاغترار، وطول الغفلة.
ترجمته في: (طبقات الصوفية ص٩٧).

(٢) العقبة هي التي بُويع فيها النبي ﷺ، بمكة فهي بين منى ومكة بينها وبين مكة نحو ميلين وعندها مسجد ومنها ترمى جمرة العقبة. (معجم البلدان ٤/ ١٣٤).

(٣) قال سعيد بن زيد: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رسول الله ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة. ثم قال: إن شئتم أخبرتكم من العاشر. ثم ذكر نفسه».

(٤) هذا غير صحيح فالنبي ﷺ لم يختر الأربعة الخلفاء من بعده ولم يختر حتى من يتولى الخلافة من بعده ﷺ إلا أنه ارتضى ان يكون أبو بكر رضي الله عنه إمامًا للناس في الصلاة في حال غيابه في مرضه ﷺ حينما قال: «مروا أبا بكر يصلي بالناس» وعلى هذا الأساس =

بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ»[1] ثم صفَّى فاختار واحدًا، فقال: «لو وزن إيمانُ أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم»[2]. ثم نقاه من الأصل فقال: «لو كنت متخذًا

= بايع عمر أبا بكر وبايع المسلمون من بعده فى حادثة السقيفة المشهورة ثم بعد ذلك اختار أبو بكر عمر رضى الله عنهما ورضيه خليفة له من بعده ثم بعد ذلك جعل عمر بن الخطاب الأمر شورى بينهم فكان عثمان بن عفان ثم صارت الفتنة بعد موت عثمان رضى الله عنه، وتنازع المسلمون الأمر وكانت وقعة الجمل المشهورة وكان وقتئذٍ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فلو أن النبى ﷺ اختار الأربعة كما زعم المؤلف ما كان هناك تنازع بين المسلمين. والله أعلم.

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذى فى كتاب «المناقب» باب «فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كليهما» (٥/ ٦١٠) حديث رقم (٣٦٦٣) من طريق عمرو بن هرم عن ربعى بن حراش عن حذيفة رضى الله عنه به.

وفى باب «مناقب عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (٥/ ٦٨٢) حديث رقم (٣٨٠٥) من طريق سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن ابن مسعود به، وفيه زيادة «واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود).

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود لا نوفه إلا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل. ويحيى بن سلمة يضعف فى الحديث، وأبو الزعراء اسمه عبد الله بن هانئ، وأبو الزعراء الذى روى عنه شعبة والثورى وابن عيينة اسمه عمرو بن عمرو، وهو ابن أخى أبى الأحوص صاحب عبد الله بن مسعود.

وأخرجه ابن ماجه فى «المقدمة» باب «وفى فضائل أصحاب رسول الله ﷺ» (١/ ٣٧) حديث رقم (٩٧) من طريق ربعى بن حراش به.

والحاكم فى المستدرك (٣/ ٧٥) من طريق عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن حذيفة به وصححه ووافقه الذهبى.

ثم ذكر حديث ابن مسعود فقال الذهبى سنده واهٍ.

وأخرجه ابن حبان فى صحيحه (رواته) (٧/ ١٠٩) حديث رقم (٢١٩٣)، من طريق عمرو بن هرم الربعى بن حراش عن حذيفة به.

وأخرجه: أحمد فى «مسنده» (٥/ ٣٩٩) من طريق ربعى ... به.

(٢) **صحيح موقوف**: أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (١/ ٣٢٣). وقال: أخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف بلفظ «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبى بكر» وهكذا هو فى مسند إسحاق بن راهويه قال الحافظ السخاوى ورواه عن عمر هذيل ابن شرحبيل. قلت: وهو الأودى الكوفى ثقة مخضرم من رجال البخارى والأربعة. اهـ. قال: وهو عند ابن المبارك فى الزهد ومعاذ بن المثنى فى زيادات مسند مسدد اهـ. ورأيت فى ذخيرة الحناظ لابن طاهر المقدسى الذى رتب فيه الكامل لابن عدى وهو بخط المصنف ما نصه «لو =

خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»[1].

وأصل هذا كله. انقطاع الرؤية عن المكتوبات لقوله: ولا يتخذ بعضُنا بعضًا أربابًا من دون الله.

قوله عز وعلا: ﴿واعتصمُوا بحبْلِ اللهِ جَميعًا وَلا تفرَّقُوا﴾ [الآية: ١٠٢].

قال أبو يزيد: ما لم تفقد نفسك ولا تعتصم بخالقك لا يُستجاب لك ومتى كنت وسط الأمور والمخلوق لا يهتدى إلى الخالق، فإذا طرحت عنك كنت معتصمًا به.

وقيل: الاعتصام إليه هو ميل القلب بالوفاء وأداء الفرائض بغير تقصير.

قال ابن عطاء: حبل اللهِ متصل بعبده يتوقع منه المزيد والفوائد فى كل وقت، وحبلهُ عهده وكتابه فمن اعتصم به وصل.

سُئل الجنيد رحمة الله عليه عن قوله: ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ معناه قالت المتصوفة: هو خصوص وعموم أما قوله: ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ معناه: اعتصموا بالله عن الاعتصام بحبل الله.

= وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح» رواه عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه عن نافع عن ابن عمر وعبد الله لم يتابع عليه وهذا الذى أشار له العراقى أنه بإسناد ضعيف ولكن ليس فيه بإيمان العالمين وكذا أخرجه ابن عدى فى ترجمة عيسى بن عبد الله بن سليمان العسقلانى عن رواد بن الجراح عن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع وعيسى ضعيف الحديث. اهـ.

وأورده العجلونى فى كشف الخفا والإلباس (٢/ ٢١٦)، حديث رقم (٢١٣٠)، وقال: رواه إسحاق بن راهويه والبيهقى فى الشعب بسند صحيح عن عمر من قوله وأخرجه ابن عدى والديلمى كلاهما عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ. لو وضع إيمان أبى بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها، وفى مسنده عيسى بن عبد الله ضعيف، لكن يقويه ما أخرجه ابن عدى أيضًا من طريق أخرى بلفظ «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم» وله شاهد أيضًا فى السنن عن أبى بكرة مرفوعًا أن رجلاً قال يا رسول الله كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت ثم وزن أبو بكر بمن بقى فرجح الحديث. اهـ.

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الصلاة» باب «الخوخة والممر فى المسجد» (١/ ٦٦٥) حديث رقم (٤٦٦)، ومسلم فى كتاب «فضائل الصحابة» باب «من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه» (٤/ ١٨٥٤ ـ ١٨٥٥)، (٢/ حديث ٢٣٨٢) من حديث أبى سعيد رضى الله عنه.

وقال أبو عثمان: الاعتصام بالله والامتناع به من الغفلة والكفر والشرك والمعاصى والبدع والضلالات وسائر المخالفات.

وقيل: اعتصموا بحبل الله: اجتمعوا على موافقة الرسول ﷺ فإنه الحبل الأوثق، ولا تفرقوا عنه ظاهرًا وباطنًا وسرًا وعلانية.

قال الواسطى رحمة الله عليه: اعتصموا بحبل الله ومن يعتصم بالله فقد هدى خطاب الخاص وخطاب العام: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾.

قيل: كنتم أعداء بملازمة حظوظ أنفسكم فألف بين قلوبكم فأزال عنكم حظوظ الأنفس وردّكم منها إلى حظ الحق فيكم.

وقال بعضهم: خصّ اللهُ الأنبياء والأولياء والمؤمنين بخاصيته فأزال ﴿إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم﴾ بعلمه.

قال: عطاياه لا تحمل إلا خطاياه فألف بين قلوب المرسلين بالرسالة، وقلوب الأنبياء بالنبوة، وقلوب الصادقين بالولاية، وقلوب الشهداء بالمشاهدة، وقلوب الصالحين بالخدمة، وقلوب عامة الخلق بالهداية، فجعل المرسلين رحمة على الأنبياء، والأنبياء رحمة على الصديقين، والصديقين رحمة على الشهداء، والشهداء رحمة على الصالحين، والصالحين رحمة على عباده المؤمنين، والمؤمنين رحمة على الكافرين.

قوله تعالى: ﴿فأصبحتُم بنعمتِه إخوانًا﴾.

قال ابن عطاء في هذه الآية: فأثر فيكم عنايتُهُ وحسن نظره، فألف بين قلوبكم وأرواحكم، وجعل الحظين فيها حظًا واحدًا.

قوله عز وعلا: ﴿وكُنتُم عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِن النَّارِ فأنقَذَكُم منها﴾.

قيل: برؤية النجاة بأعمالكم فأنقذكم منها برؤية الفضل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسودُّ وُجوهٌ﴾ [الآية: ١٠٦].

قال محمد بن على: تبيض وجوهٌ بنظرهم إلى مولاهم وتسود وجوه باحتجابه عنهم.

(١) سورة (يونس) الآية رقم (٥٨).

وقال الحسين بن الفضل[1]: يوم تبيض وجوهٌ بالشهادة وتسود وجوه بالفرار من الزحف.

وقال محمد بن الفضل: تبيض وجوهٌ بالقناعة وتسود وجوهٌ بالطمع.

قوله تعالى: **﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾** [الآية: ١٢٣].

لضعفكم وصحة توكلكم على ربكم وانقطاعكم عن حولكم وقوتكم وردكم الأمر إليه بالكلية، وأنتم أذلة عند أنفسكم لقلتكم وما كان يدٌ وعزّ قط إلا بتذليل النفس ومنعها من الشهوات، فأنزل الله عليكم نصره وأيدكم **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا﴾**[2]

قوله عز وعلا: **﴿لَيسَ لكَ من الأمر شيءٌ﴾** [الآية: ١٢٨].

قال النورى: ليس لك من الأمر شيء ولكن الأمر كله إليك.

قال: لك من الأمر، فالأمرُ كله إليك وليس لك منه شيء جل قدرك أن يلاحظ غير الحق فيما يبدئ ويعيد.

قوله عز وجل: **﴿واتَّقوا النَّار التى أعدت للكافرين﴾** [الآية: ١٣١].

قال ابن عطاء: أمر العوام باتقاء النار لخوفهم منها وتركهم المعاصى من أجلها، وأمر الخواص بأن يتقوه وينظروا إليه دون غيره فقال: **﴿واتقون يا أولى الألباب﴾** أى: يا أهل الخصوص.

قوله تعالى: **﴿الذين ينفقون فى السراء والضراء﴾** [الآية: ١٣٤].

الذين يتبرءون من الأملاك والأنفس والقلوب، وينفقونها فى رضا الله لا يبخلون بشىء عليه.

وقيل: هذا خطاب خاطب به العام المتفرقين من أهل الذنوب ليردهم به إلى طريق التوبة وخاطب الأوساط بقوله **﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله﴾**[3] اتقوه فى تصحيح طاعاتكم وإخلاصها وإخراج الشرك الخفى منها، وخاطب الخاص بقوله: **﴿اتقوا الله**

---

(١) لم أجده فيما بين يدى من مصادر.

(٢) سورة (التوبة) الآية رقم (٢٥).

(٣) سورة (البقرة) الآية رقم (٢٨١).

حق تقاته﴾[1] وهو القيام معه فى جميع الأحوال بحسن الموافقة.

قوله تعالى: ﴿والذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أنفسهُمْ ذَكَرُوا اللهَ﴾ [الآية: ١٣٥].

قال الواسطى: الطاعات فواحش، لا بل النظر إليها عجبًا واستكبارًا هى الفواحش لا الطاعات.

سُئل أبو عبد الله بن الجلاء[2] عن الظلم فقال: متابعة النفس على ما تشتهيه.

سُئل محمد بن على عن قوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ قال: النظر إلى الأفعال أو ظلموا أنفسهم برؤية النجاة بأعمالهم، ذكروا الله، لحقَهُم التوفيق من الله تعالى وأدركتهم العصمة منه فاستغفروا لذنوبهم من أفعالهم وأقوالهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، علموا أن لا وصول إلى الله تعالى إلا به.

قال أبو بكر الورّاق: والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بمتابعة الهوى ومخالفة السنة.

قال جعفر المراوحى فى هذه الآية: إنها على وجهين:

العامة: ذكروه بأنهم أحشموه[3] فاستغفروه لترضوه.

والخواص: ذكروه بأنه تولاها منهم على ما سبق لهم فاستغفروه أدبًا وذكروه توحيدًا.

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ للنَّاسِ﴾ [الآية: ١٣٨].

قال جعفر: أظهر البيان للناس، ولكن لا ينتبه إلا من أيد منه بنور اليقين وطهارة

---

(١) سورة (آل عمران) الآية رقم (١٠٢).

(٢) أبو عبد الله بن الجلاء، واسمه أحمد بن يحيى ـ ويقال محمد بن يحيى، وأحمد أصح كان أصله من بغداد، أقام بالرملة ودمشق، وكان من جلة مشايخ الشام. صحب أباه يحيى الجلاء، وأبا تراب النخشبى، وذا النون المصرى، وأبا عبيد البسرى، وكان أستاذ محمد بن داود الدقى. وكان عالمًا ورعًا.
ترجمته فى: (طبقات الصوفية ص٤١).

(٣) أحشموه: قال ابن الأثير: الحِشْمَة، والحُشْمَة: أن يجلس إليك الرجل فتؤذيه وتسمعه ما يكره، حشمه يحشِمُه ويحشُمُه حشمًا واحشمه. وحشمته: أخجلته، واحشمته أغضبته. [انظر اللسان مادة حشم (١٢/ ١٣٥)].

السرّ ألا تراه يقول: ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ أي: أن الاهتداء بهذا البيان والاتعاظ به للمتقين الذين اتقوا كل شيء سواه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحزَنُوا وَأَنتُم الأَعْلَوْنَ﴾ [الآية: ١٣٩].

سُئل محمد بن موسى ما بال الإنسان يحزن مرة ويفرح أخرى؟ فقال: إن الأرواح غذاؤها وتهذيبها فى الاستتار والتجلى، يطرب عند التجلى ويحزن عند الاستتار، فمن حجبه حزن ومن طالعه بعين البر واللطف فرح، ومن طالعه بعين السخط خاف وقلق.

قوله تعالى: ﴿وسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ من ربكُمْ﴾ [الآية: ١٣٣].

فالطلب للمغفرة والغفران هو حظ النفس وكذلك طلب الجنان، وما دام العبد بهذه الصفة فهو عبد نفسه[1] وطالب حظه إلى أن يستوى فى ميادين لطائف الخطاب وورود الرضوان ودخول النيران، حينئذٍ فنى عن حظوظه وبقى بلا حظٍّ، واستولت عليه فى ذلك جلابيب القدرة، فحينئذٍ يأنف أن ينظر إلى حظوظه فيبقى أثر الأثر لغير الحق عليه.

قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس﴾.

قال يحيى بن معاذ[2]: هذه مدحة لهم ولم يكن الله تعالى ليمدح قومًا ثم يعذبهم.

وقال جعفر الصادق رحمة الله تعالى عليه: يأمرون بالمعروف والمعروف هو موافقته الكتاب والسُّنة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قبله الرُّسُلُ﴾ [الآية: ١٤٤].

قال الحسين: ليس للرسول إلا ما أُمر به أو كوشف به، ألا تراه لما سُئل فيم يختصم الملأ الأعلى بقى حيث لم يسمع حِسًا ولا نُطقًا فقال: لا أدرى[3]، فلما غيب عنه شاهده

---

(١) كيف والخطاب من الحق بالمسارعة إلى ما يوجب مغفرة من ربكم ولا شك أن الموجب للمغفرة ليس إلا فعل المأمورات وترك المنهيات، فكان هذا أمرًا بالمسارعة إلى فعل المأمورات وترك المنهيات، وتمسك كثير من الأصولين بهذه الآية فى أن ظاهر الأمر يوجب الفور ويمنع من التراخى ووجهه ظاهر. اهـ. بتصرف (التفسير الكبير ٩/ ٥).

(٢) يحيى بن معاذ جعفر الرازى، الواعظ تكلم فى علم الرجاء، وأحسن الكلام فيه وكانوا ثلاثة إخوة . . . وتقدم الكلام عليه سابقًا.

(٣) إشارة إلى حديث النبى ﷺ حين رأى ربه فى المنام فقال فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث.

=

بوقع الصفة عليه، شاهدهم بشهود الحق وذهب عنه صفة آدميَّته، أى: لما عاين ما أطلعه الله عليه من مشاهدته غاب عن صفته لأنه صار غير آدمى فتكلم بالعلوم كلها.

قال الواسطى: سقمت البصائر عند موت محمد ﷺ إلا من رجل واحد فُضِّلَ عليهم وهو الداعى إلى الله على البصيرة، وهو أبو بكر رضى الله عنه فكأن هذه الآية خصٍّ هو بها، وعجزت الأمة عن ذلك لضعف تحايزها ووهن بصائرها وبأن فضيلة أبى بكر رضى الله عنه بذلك وهو قوله: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات»[1].

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدنيا نؤته منها﴾[2].

قيل: ثواب الدنيا: العافية والإكثار منها.

وقيل: إلهامُ شكر النعمة.

﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾: ثواب الآخرة: الجنة ونعيمها.

قوله تعالى: ﴿بلى والله مولاكم﴾ [الآية: ١٥٠].

قال ابن عطاء: معينكم على ما حَمَلكم من أوامره ونواهيه.

قال جعفر: متولى أموركم بدءًا وعاقبةً وهو خير الناصرين.

قال ابن عطاء: خير الناصرين لكم على أنفسكم وهواكم ومرادكم.

قال بعضهم: «نعم المولى» حيث لم يطالبهم بحقيقة ما تحملوا من الأمانات حين أشفق مِن حَملها السموات والأرض «ونعم النصير» حين نصرهم إلى بلوغ رشدهم.

قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنيا وَمِنكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [الآية: ١٥٢].

قيل: قرئت هذه الآية بين يدى الشبلى فقال: أوَّاه قَطعَ طريق الخلق إليه وردَّ الأشباح إلى قيمها.

= أخرجه الدارمى فى كتاب «الرؤيا» باب «فى رؤية الرب تعالى فى النوم» (٢/ ١٧٠) حديث رقم (٢١٤٩)، واحمد فى مسنده (١/٣٦٨) حديث رقم (٣٤٨٤/ شاكر)، وقال: إسناده صحيح.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) كذا فى المخطوط، والصحيح قوله تعالى: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ [آل عمران: ١٤٥].

قال محمد بن على: منكم من يريد الدنيا للآخرة ومنكم يريد الآخرة لله تعالى.

قال أبو سعيد الخراز فى هذه الآية: ما دمتم بكم وبأوصافكم كانت هممكم الحوادث والدارين، فإذا توليتكم وأجليتكم من صفاتكم وأكوانكم، علوتم بهممكم إلى فأنفتم من النظر إلى الأكوان وإرادتها وقمتم بالحق مع الحق.

وقال: متى ما طالعهم بأسرارهم محقهم عن إثارتهم ودهشتهم فى مناديهم، أى: ينظرون إلى ما صنع إليهم بدءاً فى منع أحوالهم لا إلى حركاتهم.

قال النُّورىُ: العامة فى قميص العبودية والخاص فى قميص الربوبية، فلا يلاحظون العبودية وأهل الصفوة حَدٌّ بهم الحق ومحاهم عن نفوسهم.

قال الشبلى ـ تغمده الله برحمته ـ: منكم من يريد الدنيا للطاعة، ومنكم من يريد الآخرة للجنة فأين مريد الله تعالى؟ ومريد الله تعالى من إذا قال قال لله، وإذا سكت فليس لسوى الله تعالى.

قال سهل بن عبد الله: دنياك نفسك فإذا قتلتها فلا نفس لك(١).

قال بعضهم فى قوله تعالى: ﴿ثم صرفكم عنهم﴾ قال: صرف المريدين له عما دونه وسواه.

قال الشبلى ـ رحمة الله عليه ـ فى هذه الآية: أسقط العطفتين وقد وصلت، قيل: وما العطفتان(٢)؟ قال: الكونين بما فيهما.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيكُم مِن بَعدِ الغَمِّ أَمَنَةً﴾ [الآية: ١٥٤].

قال ابن عطاء: من صَدَّقَ إرادته واجتهاده ورياضته، ردٌّ إلى محل الأمن أى: عصم من كل مخوف.

قوله تعالى: ﴿رِبِّيُّون كثير﴾.

قال الجريرى: منقطعين إلى الرب جل وعز فانيةً عنهم أوصافهم وإراداتهم متطلعون لإرادة الله تعالى فيهم.

---

(١) على هامش المخطوط (فإذا فنيتها فلا دنيا لك).

(٢) شبه هنا العطفتان بالكونين وفى اللسان هو الانحناء يقال عطفت رأس الخشبة فانعطف أى حنيته فانحنى، وعطفت أى ملت. (اللسان بمادة/ عطف).

قال بعضهم: ﴿ربيون كثير﴾: وزراء الأنبياء فما وهنوا لما أصابهم اعتماداً على الله تعالى، وما ضعفوا لما أصابهم فى ذات الله تعالى، و «ما استكانوا» لم يتضرعوا لنزول البلاء بهم.

قوله تعالى: ﴿فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله﴾.

قال الواسطى: كونوا كأبى بكر الصديق رضى الله عنه لما كانت نسبته إلى الحق لم يؤثر عليه فقدان السبب، ولما ضعفت نسبتهم أثر عليهم الخطاب، فعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: «من قال مات محمد ﷺ ضربت عنقه وأبو بكر رضى الله عنه نظر إلى ما دله عليه المصطفى ﷺ فقرأ: ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَت من قبله الرسل﴾.

قوله تعالى: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [الآية: ١٥٩].

قال الواسطى: جميع أوصافك وما يخرج من أنفاسك رحمة منى عليك وعلى من اتبعك، ثم أمره بإقامة العبودية فى حسن المعاشرة مع أوليائه وتقريب منزلتهم والمشورة معهم بقوله ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ ثم قال: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ أى فاقطع عنهم جملة، وانقطع إلى سيرك وتوكل عليه، عاشرهم ظاهراً وطالع ربك سراً.

قال بعضهم: «فاعفُ عنهم»: تقصيرهم فى تعظيمك واستغفر لهم قعودهم عن أمرك، وشاورهم فى الأمر: لا تبعدهم بالعصيان عنك واشملهم بفضلك فإنك بنا تعفو وبنا تغفر وإيانا تطالع.

ويقال: لا تعتمد عليهم وعلى كثرتهم فى شىء من أمورك، إذا عزمت فأخلص عزمك لنا، فإنك الحبيب ولا يحسن بالحبيب أن يلاحظ غير حبيبه.

قال ابن عطاء: لما علا خلُقُه جميع الأخلاق عظمت المؤنة عليه، فأمر بالغض والعفو والاستغفار لهم.

قال جعفر: أمر باستقامة الظاهر مع الخلق وبتجريد باطنه للحق، الا تراه يقول: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾.

قوله تعالى: ﴿وسنجزى الشاكرين﴾.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن سعيد يقول: الشاكر من يشكر

على الرخاء، والشكور من يشكر على البلاء.

وقد قيل: الشاكر من يشكر على النعماء والشكور من يتلذذ بالبلاء.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [الآية: ١٦٠].

قال بعضهم: إنما يدرك نصر الله تعالى من تبرأ من حوله وقوته، واعتصم بربه فى جميع أسبابه لا من اعتمد على حوله وقوته ورأى الأشياء منه فإنه مردود إلى حوله وقوته وعمله.

قوله تعالى: ﴿وما كَانَ لنبىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [الآية: ١٦١].

قال بعضهم: ما كان لنبى أن يستأثر بالوحى والشريعة بعض متبعيه على بعض.

قال يحيى العلوى فى هذه الآية: ما كان لنبى أن يضع أسراره إلا عند الأمناء من أمته.

قوله تعالى: ﴿لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنين إذْ بَعثَ فيهم رَسُولاً من أنفُسِهِم﴾ [الآية: ١٦٤].

قال بعضهم: أكبر منن الله تعالى على الخلق وسائط الأنبياء إليهم، ليصلوا بهم إليه لأنه لو أظهر عليهم من صفاته ذرة لأحرقتهم جميعًا وأضلوا فيه عن الطريق إلا المعصومين.

قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادفَعُوا﴾ [الآية: ١٦٧].

قال الجوزَجانى: جاهدوا أنفسكم وهواكم وجاهدوا معهم إلى أن تبلغوا منازل الصديقين ودرجاتهم، فإن لم تستطيعوا ذلك فادفعوها عن ارتكاب المحارم والتوثب على المناهى.

وقيل: قاتلوا أنفسكم على ملازمة الأوامر والنواهى، أو ادفعوها عن طريق الشرك ظاهرًا وباطنًا.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أمواتًا بَل أحيَاءٌ عِندَ رَبِهم﴾ [الآية: ١٦٩].

قال ابن عطاء: المقتول على المشاهدة باقٍ برؤية شاهده، والميت من عاش على رؤية نفسه ومتابعة هواه.

قال أبو سعيد القرشى فى هذه الآية: لا تظننَّ أنَّ الهالكين فى طريق الإرادة طلبًا للوصلة مردودين إلى مقاماتهم، بل قد بلغ بهم غاية ما قصدوا من القرب والوصلة، أحياء بقرب الحى عند ربهم فى مجلس المشاهدة، يرزقون زيادة الفوائد من أنوار الاطلاع، فرحين بالغين أقصى الرضا.

قوله تعالى: ﴿يستبشرُونَ بنعمةٍ من الله وفَضْلٍ﴾ [الآية: ١٧١].

قال ابن عطاء: لو نظروا إلى المنعم لتبغض عليهم الاستبشار بنعمه وفضله ولكان استبشارهم بالمنعم المتفضل.

قال بعضهم: الاستبشار بالنعمة منه هو الاستبشار بالمنعم.

قال بعضهم: يستبشرون بما أنعم عليهم من فضله القديم، حيث جعلهم أهلاً لنعمه وفضله.

قوله تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافونى﴾ [الآية: ١٧٥].

قال الجنيد رحمة الله تعالى عليه: الخوف توقع العذاب مع كل نفس.

قال بعضهم: خوف أهل المعرفة ثلاثة: خوف من تقلب القلب، وإفراط القول، وتخليط العمل.

قال الواسطى: الخوف من شرط الإيمان والحسبة من شرط العلم.

قال ابن عطاء فى قوله تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافونى﴾ قال: ما دمتم متمسكين بالطريقة فخافونى فمن ترك الخوف فقد ترك الطريقة المستقيمة.

وقال أيضًا فى هذه الآية: الخوف رقيب العمل والرجاء شفيع المحن.

وقال أحمد بن عاصم[1]: أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصى، وأطال منك الحزن على ما قد فات وألزمك الفكر فى بقية عمرك وخاتمة أمرك.

قال الواسطى: ليس الخوف من وقعت به العبرة كخوف من لم تقع به، بل ليس قلق

---

(١) أبو عبد الله احمد بن عاصم الانطاكى وقيل كنيته: ابو على من اقران بشر بن الحارث والسرى، والحارث المحاسبى ويقال إنه راى الفضيل بن عياض من اقواله: أنفع العقل ما عرفك نعم الله تعالى عليك، واعانك على شكرها وقام بخلاف الهوى. (طبقات الصوفية ص٣٣).

من شاهد ما غاب كقلق من حذر ما غاب، بل ليست رهبة من هو غائب عن حضوره كرهبة من حضر فى غيبته، بل ليس خوف من هو فى وقاية الحق كمن هو فى رعاية الحق.

قال سهل بن عبد الله فى قوله: ﴿فلا تخافوهم وخافونى إن كنتم مؤمنين﴾: إن كنتم مصدقين أنه لا دافع ولا نافع غيرى.

قوله تعالى: ﴿وَلا يَحْزُنكَ الَّذِين يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ﴾ [الآية: ١٧٦].

قال الواسطى: الحزن فى الأحوال كلها، وفى الحقيقة تعريف لهم وتنبيه، وهذه الآية من حياد الحقائق التى جرت أنهم لن يضروا الله شيئًا.

قال: لأنهم جحدوا ما يليق بطبائعهم.

قوله تعالى: ﴿الذَّينَ استجابُوا لله والرسُولِ﴾ [الآية: ١٧٢].

قال الواسطى: استجابوا لله تعالى بالوحدانية وأجابوا الرسول فى اتباع أوامره واجتناب نواهيه، وقبول الشريعة منه على الرأس والعين.

وقيل: فى قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله﴾: باستجابة الرسول ﷺ فبلغتهم استجابتهم المصطفى ﷺ إلى حقيقة استجابة الحق تعالى.

وقيل: استجابوا لله بالفردانية وللرسول ﷺ بالبلاغ.

قوله تعالى: ﴿للذين أحسَنُوا مِنهُم واتَّقَوْا أجرٌ عَظِيمٌ﴾.

قيل: للذين أحسنوا فى أداء الشرائع واتقوا فى التوحيد، أن يخالطوه بشرك خفى «أجر عظيم» هو حفظ أسرارهم وأوقاتهم عليهم من كل شاغل يشغلهم عن الحق.

وقيل للذين أحسنوا منهم فى إجابة المصطفى ﷺ واتقوا مخالفته سرًا وعلنًا. ﴿أجر عظيم﴾ وهو البلاغ إلى المحل العظيم من محاورة الحق ومشاهدته.

قوله تعالى: ﴿إنَّهم لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيئًا﴾ [الآية: ١٧٦].

لأنه الذى تولاهم وفى البلية ألقاهم.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ ألا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًا فى الآخِرَةِ﴾.

شغلهم فيما فيه هلاكهم من تكبير أنفسهم وطلب معاشهم، وقد سبق القضاء فيهما ولا تغيير ولا تبديل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطلِعَكُم عَلَى الغَيبِ﴾ [الآية: ١٧٩].

قيل فى هذه الآية: ما كان الله ليطلعكم على الغيب وأنتم تلاحظون أشباحكم وأفعالكم وأحوالكم، فإنما يطلع على الغيب من كان أمين السرّ والعلانية موثوق الظاهر والباطن، فيفتح له من طريق الغيب بقدر أمانته ووثاقته ألا تراه يقول: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾[1].

وهو الفانى عن أوصافه المتصف بأوصاف الحق.

قوله تعالى: ﴿ولَكنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِه مَن يَشَاءُ﴾.

أى فيطلعه على الغيب، ألا ترى النبى ﷺ كيف حكم على الغيب[2] بقوله: «عشرة من قريش فى الجنة»[3].

قوله تعالى: ﴿وَلا يحسبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه﴾ [الآية: ١٨٠].

قال ابن عطاء: السلوك فى طريق الحضّ على السخاء واجتناب البخل، وهو بذل المال والنفس والسرّ والروح والكل، فمن بخل بشىء فى طريق الحق حجب به وبقى معه، ومن نظر فى طريق الحق إلى الغير حُرم فوائد الحق وسواطع أنوار القرب كما

---

(١) سورة (الجن) الآية رقم (٢٦).

(٢) هناك من علوم الغيب لا يعلمها أحد إلا الله عز وجل كما وردت فى آخر سورة لقمان ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [لقمان: ٣٤].
أما غير ذلك فإن الله تعالى يُعلمه لمن ارتضى سبحانه وتعالى.

(٣) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الصغير» (١/ ٢٩) من طريق سفيان بن عيينة عن سعير بن الخمس عن حبيب بن أبى ثابت عن ابن عمر به.
وابن سعد فى الطبقات (٣/ ٣٨٣)، من طريق حماد بن سلمة عن الكلبى عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فذكره.
وأخرجه: أبو داود فى كتاب «السنة» باب «فى الخلفاء» (٤/ ص١٩٨٨) حديث رقم (٤٦٤٩) بتحقيقنا (ط. دار الحديث). من طريق الحر بن الصباح عن عبد الرحمن بن الأخفش أنه كان فى المسجد فذكر رجل عليًا عليه السلام فقام سعيد بن زيد فذكره.
والترمذى (٥/ ٦٠٩) حديث رقم (٣٧٥٧)، والنسائى (٥/ ٦٠) حديث رقم (٨٢١٠)، وأحمد فى مسنده (١/ ١٨٨) من حديث سعيد وليس فيه قوله (من قريش) فلعلها زيادة من أحد الرواة، وهى صحيحة إن شاء الله تعالى حيث أن العشرة كلهم من قريش والله أعلم.

رُوى عن النبى ﷺ: «ما جُبلَ ولىٌّ الله إلا على السخاء»[1].

قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية:١٨٦].

قال ابن يزدانيار[2]: لتبلون فى أموالكم بجمعها ومنعها، والتقصير فى حقوق الله تعالى فيها، وأنفسكم باتباع شهواتها وترك رياضاتها وملازمتها أسباب الدنيا وخلوها عن النظر فى أمور المعاد.

وقيل: ﴿لتبلون فى أموالكم﴾ بحبها ومنع حقوقها، وأنفسكم برؤية أعمالها والاعتماد عليها.

وقيل: لتبلون فى أموالكم بالاشتغال بها أخذًا وعطاءً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية:١٨٧].

قيل: أخذ الله تعالى المواثيق على الأولياء أن لا يخفوا لألباب الله تعالى عندهم من لا يفتتن بذلك ولا يتخذه دعوى، وأن يُعلِّموا من قصدهم من المريدين الطريق إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾.

---

(١) موضوع: أخرجه ابن الجوزى فى كتاب الموضوعات. (٢/ ١٧٩) من طريق يوسف بن السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة . . . به.

وقال: هذا حديث لا يصح. قال أبو زرعة والنسائى: يوسف متروك الحديث، وقال نعيم: ليس بشيء. وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به بحال. وقال الدارقطنى: متروك يكذب والحديث لا يثبت.

وأورده ابن عراف فى كتاب «تنزيه الشريعة» (٢/ ١٢٩) وقال: قال الدارقطنى: رواه أبو همام من حديث عائشة ولا يثبت فيه ليوسف بن السفر، وأورده العجلونى فى كشف الخفا (٢/ ٢٤١)، وقال: رواه الديلمي عن عائشة مرفوعًا بسند ضعيف.

وأورده الألبانى في الأحاديث الضعيفة (٦٢٢)، وأشار إلى وضعه ونسبه إلى أبى القاسم القشيرى فى الأربعين «والقاضى أبو عبد الله القلاكى فى «الفوائد» وابن عساكر من طريق يوسف بن السفر أبى الفيض ثنا الأوزاعى حدثنى الزهرى عن عروة عن عائشة مرفوعًا

قال الألبانى: وهذا إسناد مركب موضوع، وآفته ابن السفر هذا فإنه كذاب. اهـ.بتصرف.

(٢) أبو بكر الحسين بن على بن يزدانيار، من أهل أرمية، له طريقة فى التصوف يختص بها وكان ينكر على بعض مشايخ العراق أقوالهم وكان عالمًا بعلم الظاهر. وعلم المعاملات والمعارف. (طبقات الصوفية ص٩٩).

قيل: ادَّعوا ذلك لأنفسهم ليفتنوا به الخلق.

قوله تعالى: ﴿إنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرضِ واختِلافِ الليلِ والنَّهَارِ لآياتٍ لأُولى الألْبابِ﴾ [الآية: ١٩٠].

قال الواسطى: فى هذه الآية أثبت للعامة المخلوق فأثبتوا به الخالق فقال: ﴿لآيات لأولى الألباب﴾.

قال لأهل الحقائق، وقال للخواص «ألم تر إلى ربك».

قال الجنيد رحمه الله: كل من أثبته بعلة فقد أثبت غيره، لأن العلة لا تصحب إلا معلولاً لأجل الحق عن ذلك.

قال الواسطى فى هذه الآية: هو فرق بين معرفة العامة ومعرفة الموحدين، لأن العامة اعتقدته بما يليق به، وكل حالٍ أثبته العموم جحدته الخصوص فهو عند الخاص منزه عن كل ما وصفه به العام لأن العام أثبتوه من حيث العبودية والخاص أثبتوه من حيث الربوبية.

قال بعضهم فى قوله تعالى: ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾: إن الخواص لم ينظروا إلى الكون والحوادث إلا بمشاهدة الآيات، وما شاهدوا الآيات إلا بمشاهدة الحق فيها، ومن شاهد الحق لم يمازج سريرته طعم الحدث، وأنَّى بالحدث لمن الحدث عنده غير حدث.

قال النصرآباذى: من لم يكن من أولى الألباب لم يكن له فى النظر إلى السموات والأرض اعتبار، وأولوا الألباب هم الناظرون إلى الخلق بعين الحق.

قوله تعالى: ﴿الذينَ يذكرُونَ الله قيامًا وقعودًا وعلى جُنوبِهم﴾ [الآية: ١٩١].

قال أبو العباس بن عطاء[1]: يذكرونه قيامًا بشرط قيامهم لوفاء الذكر، ويذكرونه قعودًا بقعودهم عن المخالفات، وعلى جنوبهم على كل جهة يجنبهم عليها أى يحملهم.

وسُئل بعضهم هل فى الجنة ذكر؟

قال: الذكر طرد الغفلة فإذا ارتفعت الغفلة فلا معنى لذكره وأنشد:

كفى حُزنًا أنى أناديك أبيًا كأنى بعيدُ وكأنك غائب

(١) تقدمت ترجمته.

وأطلبُ منكَ الفضلَ من غير رغبةٍ ولم أرَ مثلى زَاهدًا فيكَ راغبُ

قال جعفر: يذكرون الله تعالى قيامًا فى مشاهدات الربوبية، وقعودًا فى إقامة الخدمة، وعلى جنوبهم فى رؤية الزُّلَف.

قال الواسطى: كل ذاكرٍ على قدر مطالعة قلبه بذكر، فمن طالع ملك الجلال ذكره بذلك، ومن طالع ملك رحمته ذكره بذلك، ومن طالع ملك معرفته ذكره على ذلك، ومن طالع ملك سخطه وغضبه كان ذكره أهيب، ومن طالع المذكور أُغلق عليه باب الذكر.

قال النصرآباذى: الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا بقيوميته «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت»[١]. وقعودًا بمجالسة أنا جليس من ذكرنى»[٢] وعلى جنوبهم إشارة ﴿يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله﴾[٣].

قال بعضهم: «الذين يذكرون الله قيامًا»: يذكرونه قائمين باتباع أمر الله، وقعودًا أى قعودًا عن زواجره ونواهيه، وعلى جنوبهم أى وعلى اجتنابهم مطالعات المخالفات بحالٍ.

وقيل: الأصل فى الذكر أنه ذكرك إما بالتوحيد أو بالإلحاد، وذكرك للعطية أو للمحبة فما أظهر عليك من نعمته ظهر عليك من ذكره قال النبى ﷺ: «كلٌّ ميسرٌ لما خُلق له»[٤].

قال سهل: ما ذكره أحدٌ إلا من غفلة.

---

(١) سورة (الرعد) الآية رقم (٣٣).

(٢) ضعيف: أورده العجلونى فى كشف الخفا (١/ ٢٣٢) حديث رقم (٦١١) وقال: رواه الديلمى بلا سند عن عائشة مرفوعًا، وعند البيهقى فى الشعب عن أبىّ بن كعب قال قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك، فقيل له يا موسى أنا جليس من ذكرنى.

وأورده الزبيدى فى الإتحاف (٦/ ٢٨٧).

(٣) سورة (الزمر) الآية رقم (٦).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «القدر» باب «جف القلم على علم الله» (١١/ ٤٩٩) حديث رقم (٦٥٩٦)، ومسلم فى كتاب «القدر» باب «كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه» (٤/ ٩/ ص٢٠٤١) كلاهما من طريق مطرف عن عمران بن حصين ... به.

قال فارس: الذكر طرد الغفلة وليس للمذكور من الذكر إلا حظ الذاكر منه، وكل من ذكر فبنفسه بدأ لأن ثمرته عائدة عليه والحق وراء ذلك.

قال ذو النون: إنما حسن ذكرك له لأنه تبع ذكره لك، ولولا ذاك لكان كسائر أفعالك.

قال القناد: الذكر غذاء الأرواح كما أن الطعام غذاء الأشباح.

قال الشبلى رحمة الله تعالى عليه: ذكر الغفلة يكون جوابه اللغز. وأنشد:

مَا إن ذكرتك إلا هم يلعننى سرِى   وذكرى وفكرى عند ذكراكا

حتى كأن رقيبًا منك يهتف بى   إياك ويحك والتذكار إيّاكا

قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرضِ﴾.

قال بعضهم: قدم الذكر على التفكر، ليتم شكر النعمة على حسب استحقاق المزيد من واجب الشكر لأن الفكر يبرئ الكل منك، ولا ينصرف إلا بحق.

قال بعضهم: فكرة العامة فى العواقب، وفكرة الخاصة فى السوابق، وفكرة الأوساط فى الطوارق وهذا يدخل فى مثلات تفسير قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتابَ الذينَ اصطفينا من عبادنا﴾[1].

قال بعضهم: الفكرة بالملاحظة والبصيرة والنجيزة، فخلوص النجايز[2] أورثت مطالعات المعارف وسلامة البصائر أورثت الضياء فى الضمائر وملاحظة الكريم أوجبت البر والنعيم.

قال بعضهم: التفكر يتولد على قدر اليقين ولا يخلو القلب من فكرتين: فكرة فى الآخرة وفكرة فى الدنيا، ومن صحة التفكر أن يكون حشوه اليقين والرجوع إلى الحق، ومن فساد التفكر أن يجلب عليك الكدورات والشبهات.

قال بعضهم: التفكر أن تتفكر فى تنبهك وغفلتك وطاعتك ومعصيتك، فإذا تفكرت

---

(١) سورة (فاطر) الآية رقم (٣٢).

(٢) النجيزة: قال فى اللسان: نجز ونَجزَ الكلام: انقطع. ولجز الوعد ينجز لجزًا: حضر، وقد يقال: لجز. قال ابن السكيت كان لجز فَنِى وانقضى، وكأن لجز قضى حاجته. (مادة/ لجز/ ٥/ ٤١٣).

فيه خلَّص لك أفعالك.

قال بعضهم: هو رؤية الله تعالى قبل التفكر فى الأشياء، وواسطة التفكر أن ترى الأشياء قائمة بالله تعالى، وفساد التفكر أن ترى الأشياء فتستدل بها على الله تعالى.

قال ذو النون: من وفقه الله تعالى للتفكر فُتح عليه المنّه وغرَّقه فى بحار النعمة وأوصله إلى محبة المولى.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: خَلَق الله تعالى على الفطرة وأطلق لهم الفكرة، فبالفطرة عرفوه وبالفكرة عبدوه.

وقيل: ذلك بالتفكر فى صفات الحق لا فى المحدثات ولو دلك على المحدثات لقال فى حق السموات والأرض.

قال النصرآباذى رحمة الله عليه: أوائل التفكر بالتمييز، وانتهاؤه عنده سقوط التمييز بالتمييز وانتهاؤه.

قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بما لم يَفْعَلوا فلا تَحسبَنَّهُم بمفازةٍ منَ العَذَابِ﴾ [الآية: ١٨٨].

قال حاتم الأصم رحمة الله تعالى عليه: حذر الله تعالى بهذه الآية سلوك طريق المرائين والمتقربين والمتزهدين والمتوسمين بسيما الصالحين وهم من ذلك خوالى، قال الله تعالى: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ إن ذلك الظاهر ينجيهم من العذاب كلا بل لهم عذاب أليم، وهو أن يحجبهم عن رؤيته ويمنعهم لذيذ مخاطبته.

قوله تعالى: ﴿سُبحَانكَ فقِنَا عذاب النار﴾ [الآية: ١٩١].

كأنه يقول: نزهنى يا من لا ينزهنى أبدًا غيره وعظمنى يا من لا يعظمنى أبدًا غيره.

قال النصرآباذى: سبحانك إنى نزهت نفسك بنفسك فى نفسك، بمعناك فى معناك، بما لاق منك بك لك.

قوله تعالى: ﴿ربَّنَا إنَّنَا سَمِعْنَا مناديًا يُنَادِي للإيمان أن آمِنُوا بِربِّكُم فآمَنَّا﴾ [الآية: ١٩٣].

قال القاسم: الإيمانُ أنوار الحق إذا اشتملت على السريرة، وهو أن يغيب العبد تحت

أنواره ويبدو له بحر الاختراق، فيغيبه عن وساوس الافتراق فيكون مصحوب الحق في أوقاته لا يشعر بتسخيره ولا يعلم بحجابه، وإنما تحجب الكل بالكل وحجب كُلاً بكلية وقمع كلا بحده، لئلا يستوى علم أحدٍ مع علمه، وهذا هو صريح الإيمان.

قال أبو بكر الوراق: للمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر، وصمته تفكر، ونظره عبره، وعمله بِرّ.

قال ابن عطاء: المؤمن واقف مع نفسه، الا تراه يقول: ﴿ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ كيف أثبت أفعال نفسه ورجوعه إلى الإيمان ولم يعلم أ مقدور ومدبرها ما هو فيه.

قوله عز وجل: ﴿ربَّنا ما خلقتَ هذا باطلاً﴾.

قال فارس رحمه الله: الحكمة فى إظهار الكون إظهار حقائق حكمته بالفه الحكيمى.

وقال غيره: الحكمة فى إظهار الكون ارتفاع العلة فإذا ارتفعت العلة ظهرت الحكمة

وقال إبراهيم الخواص: أمرهم بالتفكر فى خلق السموات والأرض ثم قطعهم ء ذلك بقوله: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ دلهم عليها ثم حثهم على الرجوع إليه؛ ل يقفوا معها فينقطعون عن مشاهدته والإقبال عليه.

قوله عز وجل: ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾.

قال: مع من رضيت ظاهرهم للخلق وباطنهم للحق عز وجل.

وقال أبو عثمان رحمه الله: الأبرار هم الذين أسقطوا عن أنفسهم أشغال الد واشتغلوا بما يقربهم إلى مولاهم.

وقال: الأبرار هم القائمون لله تعالى على حد التفريد والتوحيد والتجريد.

وقال سهل: هم المتمسكون بالسنة.

وقال: الأبرار: الناظرون إلى الخلق بعين الحق.

قوله عز وجل: ﴿ولا تخزِنَا يومَ القيامةِ﴾ [الآية: ١٩٤].

لا تخزنا بأعمالنا علينا بفضلك ورحمتك ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ بقولك «سبة

رحمتي غضبي»[1].

قوله عز وجل: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وأُخرِجُوا من دِيَارِهِم﴾ [الآية: ١٩٥].

تركوا الشرور وفارقوا قرناء السوء.

قوله تعالى: ﴿وأُوذُوا في سبيلى﴾.

قيل: إن الله تعالى خيرّ القوم بصحبة الفقراء ومجالستهم والتزّين لربهم لأن الفقراء هم طريق الحق، ألا ترى المصطفى ﷺ لما جلس معهم كيف قال: «المحيا محياكم والممات مماتكم»[2]

قوله تعالى: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فى البِلادِ﴾ [الآية:١٩٦].

قال يوسف[3] رحمه الله: لا تفتننكم الدنيا بوقوع الجهَّال عليها والاغترار بما فيها والتكبر بنعيمها، فإنها زادهم إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ الله خَيرٌ للأبرَارِ﴾ [الآية:١٩٨].

قيل: ما عنده لهم خير مما يطلبونه بأفعالهم قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّها الذِين آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا ورابطوا﴾ [الآية: ٢٠٠].

قال الجنيد: إن الله تعالى ذكر الصبر وشرَّفه وعظم شأن الصابرين عليه لديه، فقال: ﴿يَا أَيُّها الذِين آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ وأمرهم بالصبر على الصبر ثم قال: ﴿ورابطوا﴾ وهو ارتباط السر مع الله تعالى سرًا، والوقوف مع الله تعالى جهرًا.

قال النبي ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[4]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم فى كتاب «الجهاد» باب «فتح مكة» (٣/ ٨٦/ ص١٤٠٧).
وأحمد فى مسنده (٢/ ٥٣٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازى شيخ الرَّى والجبال فى وقته. كان أوحد طريقته فى إسقاط الجاه، وترك التصنع واستعمال الإخلاص.
صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى، ورافق أبا سعيد الخراز فى بعض أسفاره وكان عالمًا دينًا. وقال عبد الله بن عطاء: مات يوسف سنة أربع وثلاثمائة. (طبقات الصوفية ٤٣).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الجنائز» باب «الصبر عند الصدمة الأولى». (٣/ ٢٠٥) حديث رقم (١٣٠٢). من طريق شعبة، ومسلم فى كتاب «الجنائز» باب «الصبر على المصيبة =

قال الحارث[1] رحمه الله: فى قوله تعالى: ﴿اصبروا﴾ قال: الصبر: التهدف بسهام البلاء.

قال الجريرى رحمه الله: الصبر إسبال البلوى قبل وقوع البلوى، فإذا صادف البلوى تلقاه بالمولى فلم يجزع.

قال الجنيد رحمه الله: الصبر حبس النفس مع الله تعالى بنفى الجزع عما سواه.

قال ابن عطاء رحمه الله: اليقين سيف النفس، والصبر من سر الله تعالى فى أرضه، وإن الشيطان ليتعوذ من الصابرين كما يتعوذ المؤمن من الشيطان.

قال: وسمعت أبا العباس البغدادى يقول: سمعت جعفرًا الخلدى[2] رحمه الله يقول: خير الدنيا والآخرة فى صبر ساعة.

قال ذو النون رحمه الله: علامة الصبر خمسة:

- التباعد عن الخلطاء فى الشدة والسكون إليهم.
- مع تجرُّع غصص البلية.
- وإظهار الغنى مع كثرة العيال.
- وجفاء الخلق مع هجرانهم له.
- وقول الحق مع احتمال الضرر فى المال والبدن.

= عند الصدمة الأولى» (٢/ ١٤) (ص٦٣٧) حديث رقم (٦٢٦). كلاهما من طريق شعبة عر ثابت عن أنس رضى الله عنه . . . به.

(١) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى من علماء مشايخ القوم معلوم الظاهر ومعلوم المعاملات والإشارات، وله كتب مشهورة، فيها كتاب الرعاية لحقوق الله، وهو أستاذ أكثر البغداديين وهو من أهل البصرة، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين (طبقات الصوفية ١٦).

(٢) أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخواص الخلدى، بغدادى المولد والمنشأ صحب الجنيد بن محمد وعرف بصحبته وصحب أبا الحسين والثورى ورويمًا وسمنون وأبا محمد الجريرى وغيرهم من مشايخ الوقت وكان المرجع إليهم فى علوم الفقه وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم. قال: عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانًا من دواوين الصوفية، فقيل له: عندك من كتب محمد ابن على الترمذى شىء، فقال: لا، ما عددته فى الصوفية كان من أفتى المشايخ وأجلهم وأحسنهم قولاً حج قريبًا من ستين حجة وتوفى ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وقبر بالشونيزية عند قبر سرى السقط والجنيد. (طبقات الصوفية ١٠٦).

وقال بعضهم: اصبروا تحت حكمى، وصابروا فى الجهاد مع أعدائى، ورابطوا قلوبكم بموافقتى ورضائى.

وقيل: اصبروا قال: الصبر يوجب الرضا والرضا يوجب الحياء والحياء يوجب الغنى.

قال جعفر الصادق[١] رحمه الله: اصبروا عن المعاصى، وصابروا على الطاعات، ورابطوا الأرواح بالمشاهدة، واتقوا الله بحسن الانبساط مع الحق عز وجل، لعلكم تفلحون: تبلغون مواقف أهل الصدق فإنه محل الفلاح.

وقال بعضهم: اصبروا بجوارحكم على الطاعات وصابروا مع الله، ورابطوا أسراركم بالحقائق لعلكم تجردون من همومكم وخطراتكم.

قال الجنيد رحمه الله: الصبر حبس النفس على المكروه.

* * *

(١) تقدمت ترجمته.

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقى

﴿يا أيها الناسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ﴾ [الآية: ١].

قال بعضهم: ﴿يا أيها الناس﴾ يا بنى النسيان والجهل.

قال الواسطى رحمه الله: يا بنى الأعمار والأعمال والآمال، لا تذهبون فيما س ولا تغيبون عما أنتم فيه.

وقال ابن عطاء رحمه الله: ﴿يا أيها الناس﴾ كونوا من الناس الذين آنسوا با واستوحشوا ممن سواه.

وقال جعفر الصادق رحمه الله: ﴿يا أيها الناس﴾ كونوا من الناس الذين هم الناس ولا تغفلوا عن الله فمن عرف أنه من الناس الذين خص خلقه ما خص به، كبرت هـ عن طلب المنازل، وسمت به الرفعة حتى يكون الحق عز وجل نهايته كما قال تعالى ﴿وأنّ إلى ربكَ المنتهى﴾[1] وسمُو همته فيما خص به من الاختصاص من التعر والإلهام.

وقال بعضهم: ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب العام، و«يا عبادى» خطاب الخاص، وخط خاص الخاص ﴿يا أيها النبى﴾، و﴿يا أيها الرسول﴾.

قوله تعالى: ﴿اتقوا ربكم﴾.

روى الليث عن مجاهد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى ال ﷺ فقال له: أوصنى قال: «اتقِ الله فإنه جماع كل خير».

وقال بعضهم: أصل التقوى أنه وصفك وقابلك بما يليق بك.

قال سمعت النصرآباذى رحمه الله يقول: التقوى نيل الحق، قال الله عز وج

(١) سورة (النجم) الآية رقم (٤٢).

﴿لن ينالَ اللهَ لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾[1].

قال بعضهم: التقوى ترك المخالفات أجمع.

وقال سهل رحمه الله: من أراد التقوى فليترك الذنوب كلها وكل شيء يقع فيه خلل فيدخل عليه التقوى شاء أم أبى.

وقال أيضًا: التقوى ترك النهى والفواحش.

وقال بعضهم رحمه الله: التقوى الاقتداء بالنبى ﷺ.

وقال بعضهم: التقوى فى الأمر ترك التسويف والتقوى فى النهى ترك الفكرة والقيام عليه. والتقوى أداب مكارم الأخلاق، والتقوى فى الترغيب أن لا يظهر ما فى سرك، والتقوى فى الترهيب أن لا يقف على الجهل.

وقال بعضهم رحمه الله: التقوى من الله الاجتناب من كل شيء سوى الله.

وقال الجريرى رحمه الله: من لم يحكم فيما بينه وبين الله تعالى بالتقوى والمراقبة لا يصل إلى الكشف والمشاهدة.

قال الواسطى رحمه الله: التقوى على أربعة أوجه: للعامة تقوى الشرك، وللخاص تقوى المعاصى، وللخاص من الأولياء تقوى التوسل بالأفعال، وللأنبياء تقواهم منه إليه.

وقال أبو يزيد رحمه الله: كل التقوى من إذا قال لله ولم يقل لغيره، وإذا نوى نوى لله ولم يتب لغيره، هكذا في جمعي ما يبدو منه.

قوله تعالى: ﴿الذى خَلَقكُم من نَفْسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها﴾ الآية.

قيل: من أوجد النفس الأولى إلا القدرة الجارية والمشيئة النافذة.

وقال عمرو بن عثمان: إن الله عز وجل خلق العالم فهيأه باتساقه نظمًا وذكرًا من أطرافه وأكنافه وأوله وآخره وبدؤه ومنتهاه من أسفله إلى أعلاه، وجعله بحيث لا خلل فيه ولا تفاوت ولا فطور، أحكم بناءه باتصال التدبير وحبسه عن حد تقديره وإن اختلفت أجزاؤه فى التفرقة والأجسام والهيئات والتخطيط والتصوير، وفرقه بتفرقة الأماكن وحققه بائتلاف المصالح، فهو مربوط بحدود تقديره وشائع بأفضال تدبيره وبث

(١) سورة (الحج) الآية رقم (٣٧).

فيه الأجناس بينهما من شواهد الزينة، فأظهر القدرة بإيجاد آدم عليه السلام ثم بث أولاده فى البسط إلى تصاريف التدبير لهم والمشيئة.

قال الله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها﴾.

قال الواسطى رحمه الله فى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفسٍ واحدة﴾ قال: خلقهم بعلم سابق ودبرهم بالتركيب وألبسهم شواهد النعت، حتى عرَّفهم فكانت أنفاسهم مدخرة عنده، حتى أبداها، فما أبداها هو ما أخفاها، وما أخفاها هو ما أبداها.

قوله تعالى: ﴿ولا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَموَالَكُم﴾ [الآية: ٥].

قيل: أولادكم الذين يمنعونكم عن الصدقة.

قال سهل رحمه الله: أسفه السفهاء نفسك فإن زخرفتها بالعلم والخوف والورع، وإلا حجزتك عن طريق نجاتك من الخروج عن الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ولا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَموَالَكُم التى جعل الله لكم قيامًا﴾ أى: جعلها لكم إن قطعتم فى سبيلى وأورثتكم المحن إن تركتم قوله تعالى: ﴿فإن آنَستُم منهم رشدًا﴾ قيل: يعنى أبصرتم منهم إصابة الحق.

وقيل: القيام فى العبادات على شرط السنة.

وقيل: سخاء النفس، وقيل: صحبة الأكابر والميل إليهم.

وقال أبو عثمان رحمه الله: صحبة أهل الصلاح.

قال رويم[1]: الرشيد: الرجوع إلى التفويض وترك التدبير.

وقال ابن عطاء رحمه الله: الرشيد من يفرق بين الإلهام والوسوسة.

قوله تعالى: ﴿وكفى بالله شهيدًا﴾.

قال: هو الشاهد عليك، الشهيد على خواطرك وأنفاسك فاتقه فيها.

وقال الواسطى رحمه الله: لا تشهد أفعالك ولا أحوالك وكفى بالله شهيدًا عليها

---

(١) أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد. ويقال رويم بن محمد بن أحمد ـ والأول أصح وهو من أهل بغداد، ومن جلة مشايخهم وجده رويم بن يزيد. حدث عن الليث بن سعد وغيره. وقيل: وكنيته أبو بكر، وكان فقيهًا على مذهب داود الأصبهانى وكان مقرئًا، فقرأ على إدريس ابن عبد الكريم الحداد. مات سنة ثلاث وثلاثمائة (طبقات الصوفية ص٤٢).

وهو شاهد لها.

قوله عز وجل: ﴿إن الله كان عليكم رقيبًا﴾.

قيل: هو المراقب بسرك والناظر إليك، فاجتهد أن لا ينظر إليك فيراك مشتغلاً بغيره فيقطعك ويمحقك.

وقال ابن عطاء رحمه الله: فى قوله تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيبًا﴾ قال: عالمًا بما تغمره فى سرك وما تخفيه من خواطرك، فراقب من هو الرقيب عليك.

قوله عز وجل: ﴿وإذَا حَضَرَ القسمَةَ أولو القُربى واليتامى والمساكينُ فارزقُوهُم منه﴾ [الآية: ٨].

قال محمد بن الفضل رحمه الله: دلت هذه الآية على كرم الله عز وجل مع عباده، لأنه أمر إذا حضر من لا نصيب له فى الميراث أن يرزقوهم منه، ولهذا إنه إذا حضر عباده يوم القيامة فى المشهد العظيم إنه يتفضل بعطائه على من لم يكن له مستحقًا لعطائه، لمخالفاته باتصال رحمته إليه، بفضله وسعة رحمته وبلوغه إلى منازل أولى الأعمال، لأنه قال عز وجل ﴿قل بِفَضلِ الله وبرحمته فَبِذَلكَ فَلْيَفرحُوا هُو خَيرٌ ممّا يَجمعُونَ﴾[1]. يعنى هو خيرٌ من أفعالكم وطاعاتكم التى اعتمدتم عليها، فاعتمدوا على فضلى وسعة رحمتى.

قوله عز وجل: ﴿ولْيَخشَ الَّذينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ [الآية: ٩].

قيل: استعينوا على كثرة العيال وقلة ذات اليد بالتقوى، فإنه الذى يجبر الكسر ويغنى الفقير.

وقال جعفر بن محمد الصادق رحمه الله: الصدق والتقوى يزيدان فى الرزق ويوسعان المعيشة.

قال الله عز وجل: ﴿فليتَّقُوا اللهَ وليَقُولُوا قَولاً سَديدًا﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿آبَاؤُكم وأبناؤُكم لا تَدرُونَ أَيُّهم أقرَبُ لَكُم نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾ [الآية: ١١].

(١) سورة (يونس) الآية رقم (٥٨).

(٢) سورة (النساء) الآية رقم (٩).

آباؤكم ببرهم وأبناؤكم بالشفقة عليهم والتأديب لهم هما محل النفع.

قوله عز وجل ﴿تلكَ حُدُود الله﴾.

قال محمد بن الفضل رحمه الله: حدود الله أوامره ونواهيه، فمن تخطاها فقد ضل عن سبيل الرشد. وقيل ﴿تلك حدود الله﴾ أى: الإظهار من الأحوال للمريدين على حسب طاقتهم لها فإن التعدى فيها يهلكهم.

قال أبو عثمان رحمه الله: ما هلك المرء إذا لزم حدَّه ولم يتعد طوره.

وقال بعض البغداديين رحمه الله: العبد يتقلب فى جميع الأوقات على الحدود، لكل وقت ولكل حالٍ حد، ولكل عملٍ حد، فمن تخطا الحدود فدخل فى هتك الحرمات قال الله عز وجل: ﴿تلك حُدودُ الله فلا تَقْرَبُوهَا﴾[1] لإن المرتع إلى جانب الحمى ربما يخالط الحمى.

قوله أيضًا: ﴿إنَّما التَّوبَةُ على اللهِ للَّذِينَ يَعملُونَ السُّوءَ بجهالةٍ﴾ [الآية: ١٧].

قال: للذين يتقربون بالطاعات إلى من لا يتقرب إليه. الآية.

وقال محمد بن الفضل رحمه الله: ضمن الله عز وجل التوبة لمن يبدر منه الذنب من غير قصد، لا لمن يضمره ويتأسف على فوته، قال الله تعالى: ﴿إنَّما التَّوبَةُ على اللهِ للَّذِينَ يَعملُونَ السُّوءَ بجهالةٍ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وعَاشِروهنَّ بالمعرُوفِ﴾ [الآية: ١٩].

قيل: علموهن السُنن والفرائض.

وقال عبد الله بن المبارك[2]: العشرة الصحيحة ما لا تورثك الندم عاجلاً وآجلاً.

(١) سورة (البقرة) الآية رقم (١٨٧).

(٢) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح كان أبوه تركيًا عند رجل من التجار من بنى حنظلة، وكانت أمه تركية خوارزمية ولد سنة ثمانى عشرة ومائة، وقيل تسع عشرة فطلب العلم وهو ابن عشرين سنة. فأقدم شيخ لقيه: هو الربيع بن أنس الخراسانى تحيل ودخل إليه إلى السجن، فسمع منه نحوًا من اربعين حديثًا، ثم ارتحل فى سنة إحدى واربعين ومائة، وأخذ العلم عن بقايا التابعين، وأكثر من الترحال والتطواف، إلى ان مات فى طلب العلم، وفى الغزو، وفى التجارة، والإنفاق على الإخوان فى الله، وتجهيزهم معه إلى الحج.
سمع من سليمان التيمى، وعاصم الأحول، وحميد الطويل وهشام بن عروة ... وخلق كثير.
وصنف التصانيف النافعة الكثيرة.

وقال أبو جعفر رحمه الله: المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال فيما سأل وكرهت صحبتها.

قوله عز وجل: ﴿فَعَسى أن تكرَهُوا شَيْئًا ويَجعَل اللهُ فيهِ خيراً كَثيراً﴾.

قيل: غيَّب عنك العواقب لئلا تستكن إلى مألوف ولا تفر من مكروه.

وقال أبو عثمان رحمه الله: السكون إلى كراهية النفس جعل الله فيه خير الدارين.

قال الله تعالى: ﴿ويجعل اللهُ فيهِ خيراً كثيراً﴾ والخير الكثير هو ما يتصل بالعقبى، لأنه لا كثير فى الدنيا، ﴿وأن تصبروا خيرٌ لكم﴾.

قال: وسمعت سعيد بن أحمد يقول: سمعت جعفرًا الخلدى يقول: سمعت الجنيد رحمه الله يقول: الصبر مفتاح كل خير.

قال: وسمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: أفضل الصبر الصبر عن المخالفات.

وسُئل الجنيد رحمه الله عن الصبر فقال: حمل الضَّرر لله حتى تنقضى أوقاته.

وقال أيضًا: لا يتم تحملك الصبر إلا مع الاستقبال بما يخامر البلايا بالصبر.

= حدث عنه: معمر والثورى، وأبو إسحاق الفزارى وطائفة من شيوخه، وبقية وابن وهب، وأمم يتعذر إحصاؤهم، ويشق استقصاؤهم. وحديثه حجة بالإجماع، وهو فى المسانيد والأصول قال الذهبى: ويقع لنا حديثه عاليًا. وبينى وبينه بالإجازة العالية ستة أنفس، ارتحل ابن المبارك إلى الحرمين، والشام ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان وحدّث بأماكن.

قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك يكثر الجلوس فى بيته، فقيل له: الا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبى ﷺ وأصحابه؟.

قال أحمد العجلى: ابن المبارك ثقة ثبت فى الحديث، رجل صالح يقول الشعر. وكان جامعًا للعلم.

قال عبدان بن عثمان: مات ابن المبارك بهيت وعانات(*) فى شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة.

ترجمته فى: (سير أعلام النبلاء ٨/٣٧٨، حلية الأولياء ٨/ ١٦٢، وفيات الأعيان ٣/ ٣٢).

(*) قال ياقوت: بلد مشهور بين الرقة وهيت، بعد فى أعمال الجزيرة وهو مشرف على الفرات قرب مدينة النورة وبها قلعة حصينة.

قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الآية: ٢٦].

فتبينوا ولا تكونوا عُميًا عماً بيِّن لكم.

وقال بعضهم رحمه الله: لا يتبين بيان الله عز وجل إلا المكاشفون من حقائق الحق.

وقال بعضهم رحمه الله: يريد الله ليبين لكم أنه ليس إليكم من أموركم شيء.

قوله عز وجل: ﴿وَيَهْدِيَكُم سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

قيل: سنن الأنبياء والصديقين، وسننهم من التفويض والتسليم والرضا بالمقدور ساء أم سَرَّ.

قوله عز وجل: ﴿واللهُ يُرِيدُ أن يَتُوبَ عَلَيكُمْ﴾ [الآية: ٢٧].

قال النصرآبادى رحمه الله: ما تبت حتى أراد الله بك التوبة، ولولا إرادته لك التوبة كنت عن التوبة بمعزل.

وقال أيضًا: أراد لك التوبة فتاب عليك ولو أردتها لنفسك لعلك كنت تحرم.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ أن يُخفِّفَ عنكم﴾ [الآية: ٢٨].

قيل: يعنى يُقال العبودية لعلمه بضعفكم وجهلكم.

وقيل: يريد الله أن يخفف عنكم ما حملتموه بجهلكم من عظيم الأمانة.

قوله عز وجل: ﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضَعيفًا﴾.

قيل: ضعيف الرأى ضعيف العقل إلا من أمره الله بنور اليقين، فقوته باليقين لا بنفسه.

قوله عز وجل: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ [الآية: ٢٩].

بارتكاب المخالفات واستكبار الطاعات.

وقال سهل رحمه الله: ولا تقتلوا أنفسكم بالمعاصى والذنوب والإصرار وترك التوبة والرجوع إلى الاستقامة.

وقال محمد بن الفضل رحمه الله: لا تقتلوا أنفسكم باتباع هواها.

وقال بعضهم رحمه الله: بالحرص على الدنيا.

وقال بعضهم رحمه الله: ولا تقتلوا أنفسكم بالرضا عنها.

قوله عز وجل: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الآية: ٣١].

قال أبو تراب اليخشبي[1] رحمه الله: أمر الله عز وجل باجتناب الكبائر، وهى الدعاوى الفاسدة والإشارات الباطلة وإطلاق الألفاظ من غير حقيقة.

قوله عز وجل: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ [الآية: ٣٤].

وقال بعضهم رحمه الله: بحفظ الله لهن صرن حافظات للغيب، ولو وكلهن إلى أنفسهن لهتكن ستورهن.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: ٣٢].

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس الإيمان بالتمنى»[2].

---

(١) أبو تراب عسكر بن محمد بن حصين صحب أبا حاتم العطار البصرى، وحاتمًا الأصم البلخى، وهو من جلة مشايخ خراسان، والمذكورين بالعلم، والفتوة والتوكل، والزهد، والورع.

قال أبو على الحسن بن حيزان الفقيه: مر أبو تراب النخشبى بحزين فقال له: تحلق رأسى لله عز وجل؟ فقال له: اجلس، فجلس. ففيما يحلق رأسه مر به أمير من أهل بلدة فسأل حاشيته فقال لهم: أليس هذا أبا تراب؟ قالوا: نعم. فقال: أى شىء معكم من الدنانير؟ فقال له رجل من خاصته: معى خريطة [أى وعاء من جلد أو غيره يشد على ما فيه] فيها ألف دينار. فقال: إذا قام فأعطه واعتذر إليه وقل له: لم يكن معنا غير هذه، فجاء الغلام إليه فقال له: إن الأمير يقرأ عليك السلام وقال لك: ما حضر معنا غير هذه الدنانير. فقال له: ادفعها إلى المزين. فقال المزين: أى شىء أعمل بها؟ فقال: خذها. فقال: لا والله ولو أنها ألفا دينار ما أخذتها فقال له أبو تراب: مُرّ إليه فقل له إن المزين ما أخذها فخذها أنت فاصرفها فى مهماتك. اهـ.

قال إسماعيل بن نجيد: كان أبو تراب يقول: بينى وبين الله عز وجل عهد أن لا أمد يدى إلى حرام إلا قصرت يدى عنه، أسند أبو تراب عن محمد بن نمير ويعمر بن حماد وغيرهما. توفى بالبادية نهشته السباع فى سنة خمس وأربعين ومائتين.

ترجمته فى: (صفوة الصفوة ٤/ ١٥٠، طبقات الصوفية ٣٤).

(٢) باطل: أخرجه: ابن عدى فى كتابه «الكامل فى الضعفاء» (٦/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) قال ثنا أحمد، ثنا محمد حدثنى أبى، حدثنى مالك، حدثنى أبو الزناد عن الأعرج، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ . . . فذكره.

قال ابن عدى: محمد بن عبد الرحمن روى عن الثقات بالمناكير وعن أبيه، عن مالك بالبواطيل.

قلت: وهذا منها فقد رواه عن مالك فهو باطل. اهـ.

وقال بعضهم رحمه الله: لا تتمنوا منازل السادات والأكابر أن تبلغوها، ولم تهذبوا أنفسكم فى ابتداء إرادتكم برياضات السنن والأسرار بالتطهير على الهمم الفاسدة ولا قلوبكم عن الاشتغال بالفانية، فإن الله عز وجل قد فصَّل هذه الأحوال أولئك، فلا ترتقوا إلى الدرجات العلى وقد ضيعتم الحقوق الأدنى.

وقال أبو العباس بن عطاء رحمه الله: لا تتمنوا فإنكم لا تدرون ما تحت تمنيكم، فإن تحت أنوار نعمه نيران محنته، وتحت أنوار محنته أنوار نعمه.

وقال الواسطى رحمه الله فى هذه الآية: من تمنى ما قدر له فقد أساء الظن بالحق عز وجل، وإن تمنى ما لم يقدر له أساء التَّمنى على الله عز وجل بإنه ينقص قسمته من أجل تمنى عبده.

وقال ابن عطاء رحمه الله فى قوله عز وجل: ﴿واسألُوا الله من فضله﴾ فإن عنده أبواب كرامته.

قوله عز وجل: ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ فى طلب المحبة وخلوص القلب منهن لكم، فإنهن غير مالكات لقلوبهن والقلوب بيد الله عز وجل، وقد قال المصطفى ﷺ: «اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك»[(١)].

قوله عز وجل: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا﴾ [الآية: ٣٦].

قال أبو عثمان رحمه الله: حقيقة العبودية قطع العلائق والشركاء عن الشرك.

وقال الجنيد رحمه الله: إذا أحزنك أمر فأول خاطر تستغيث به فهو معبودك.

وقال الواسطى رحمه الله: الشرك رؤية التقصير والعثرة من نفسه والملامة عليها.

---

(١) صحيح: اخرجه أبو داود فى كتاب «النكاح» باب «فى القسم بين النساء» (٢/ ٢٤٢) حديث رقم (٢١٣٤)، والترمذى فى كتاب «النكاح» باب «ما جاء فى التسوية بين الضرائر» (٣/ ٤٤٦) حديث رقم (١١٤٠)، والنسائى فى كتاب «عشرة النساء» باب «ميل الرجل إلى بعض نساء دون بعض» (٧/ ٧٥) حديث رقم (٣٩٥٣)، وابن ماجه فى كتاب «النكاح» باب «القسمة بين النساء» (١/ ٦٣٤) حديث رقم (١٩٧١)، والدارمى فى كتاب «النكاح» باب «فى القسمة بين النساء» (٢/ ١٩٣) حديث رقم (٢٢٠٧)، وأحمد فى مسنده (٦/ ١٤٤) من حديث عائشة رضى الله عنها، وقد فصلنا فيه القول عند تحقيقنا لسنن أبى داود وقد طبعت والحمد لله بدار الحديث بالقاهرة.

يُقال لها: لزمت الملامة من تولى إقامتها ومن قضى عليها العثرة.

وقال ابن عطاء رحمه الله: الشرك أن تطالع غيره أو ترى من سواه ضرًا ونفعًا.

وقال بعضهم رحمه الله: العبادة أصلها ستة: التعظيم والحياء والخوف والبكاء والمحبة، والهيبة، من لم يتم له هذه المقامات لم تتم له العبودية.

وقال الطيب البصرى رحمه الله: من لم يدرج وفاء العبودية فى عز الربوبية، لم تصف له العبودية.

وقال بعضهم رحمه الله: العبودية خلع الربوبية وهى جوهرة تظهر الربوبية من غير علة.

وقال يحيى بن معاذ[١] رحمه الله: دللهم ثم ذللهم ليعرفوا بالدّل فاقة العبودية، وبالذُّل عز الربوبية.

وقال ابن عطاء رحمه الله: العبودية ترك الاختيار وملازمة الذل والافتقار.

وقال أيضًا: العبودية ترك الاختيار وهى جامعة لأربع خصال: الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضا بالموجود والصبر عن المفقود.

وقال الجنيد رحمه الله: العبودية ترك المشيئة ومن خرج من قال بالعبودية صنع به ما يصنع بالآبق.

وقال بعضهم رحمه الله: العبودية بناؤها على ستة خصال: التعظيم وعنده الإخلاص، والحياءُ وعنده اضطراب القلوب، والمحبة وعندها الشوق، والخوف وعنده ترك الذنوب، والرجاء وعنده متابعة الرسول ﷺ، والتخلق بأخلاقه، والهيبة وعنده ترك الاختيار.

قوله عز وجل: ﴿والجارِ ذى القُربى والجارِ الجُنب والصَّاحِب بالجنب﴾.

قال سهل رحمه الله: الجار ذى القربى هو القلب، والجار الجنب هى النفس، والصاحب بالجنب وهو العقل الذى ظهر على اقتداء السنة والشرع، وابن السبيل الجوارح المطيعة لله عز وجل[٢].

---

(١) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى، الواعظ تكلم فى علم الرجاء وأحسن الكلام فيه. وتقدمت ترجمته مفصلة (طبقات الصوفية ٢٦).

(٢) هذا تفسير أو (إشارة) كما يدعون أهل الصوفية بعيدة عن تفسير الآية فالله سبحانه وتعالى =

قوله عز وجل: ﴿الذينَ يَبخلُونَ ويأمُرُون النَّاسَ بالبخلِ﴾ [الآية: ٣٧].

قال الذين يمنون بالعطاء ويطلبون من الناس الثناء عليه.

قوله عز وجل: ﴿ويكتُمون ما آتاهُم اللهُ من فَضْلِه﴾.

قال ابن عطاء رحمه الله: من البراهين الصادقة.

وقال بعضهم: لا يشكرون نعمة العافية عليهم.

قوله عز وجل: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ [الآية: ٤١].

جئنا من كل أمةٍ بوليٍّ وصديق، وجئنا بك مصدقًا لولايتهم أو مكذبًا لها(١).

= بدأ الآية بالتحذير من الشرك بالله تعالى ثم أوصى بالإحسان للوالدين ثم ثنى بالتوصية بذى القربى واليتامى والمساكين ثم وصى بالجار وفرق بين الجار القريب وغيره قال ابن كثير فى تفسيره (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

الجار ذى القربى: أى الذى بينك وبينه قرابة.

الجار الجنب: المسلم الذى ليس بينك وبينه قرابة، وقيل الرفيق فى السفر، وقيل اليهودى والنصرانى، والصاحب بالجنب: قال سعيد بن جبير: هو الرفيق الصالح، وقال زيد بن أسلم: هو جليسك فى الحضر ورفيقك فى السفر.

قلت: على أية حال فالمقصود هنا بالآية الكلام على الجار وكيفية معاملته ولذلك قال النبى ﷺ «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (أخرجاه فى الصحيحين).

(١) يقول الله عز وجل: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ ويقول السلمى «بولى» والشهيد كما قال المفسرون: هم الأنبياء عليهم السلام يقول ابن كثير فى تفسيره (٢/ ٣٦٥) بعد أن ذكر الآية: يقول الله تعالى مخبرًا عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه: فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة وحين يجىء من كل أمة بشهيد يعنى الأنبياء عليهم السلام؟ كما قال تعالى ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم﴾ الآية.

قال البخارى: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبى ﷺ: «اقرأ علىّ» قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «نعم، إنى أحب أن أسمعه من غيرى» فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ قال: «حسبك الآن» فإذا عيناه تذرفان.

قال (أبو حفص سيد عمران) (غفر الله له ذنوبه وعفا عنه): انظر رحمك الله إلى هذا التفسير الصحيح من سنة رسول الله ﷺ فتمسك به وابتعد عن الخرافات والتقاويلات الفاسدة حتى تنجو بنفسك من عذاب الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

قال الله عز وجل: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١).

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [الآية: ٤٣].

قال بعضهم: السكر على أنواع: منها سكر الخمر وهو أسرعها إفاقة، وسكر الغفلة وسكر الهوى وسكر الدنيا وسكر المال وسكر الأهل والولد وسكر المعاصى وسكر الطاعات، وكل هذا وما أشبهها يمنع صاحبه عن تمام الصلاة والقيام إليها بالقعود عن كل ما سواها.

قال الواسطى رحمه الله فى هذه الآية: لا تقربوا يعنى لا تتقربوا إلى مواصلتى، إلا وأنت منفصل عن جميع الأكوان وما فيها.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الله لا يَغفِرُ أن يُشركَ بِهِ ويغفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لمن يَشَاءُ﴾ [الآية: ٤٨].

قال: أن يطالع سره شيئًا سوى الله عز وجل.

وقيل: إن رؤية العمل ورؤية النفس وطلب الثواب على العمل وطلب المدح عليه، كلها من أنواع الشرك التى أخبر الله تعالى أنه لا يغفره.

قال رسول الله ﷺ حاكيًا عن ربه عز وجل: «من عمل عملاً أشرك فيه غيرى، فأنا منه برىء وهو للذى أشرك»(٢).

وقال محمد بن على رحمه الله: هذا الذى أخبر الله عز وجل أنه لا يغفره، وهو أن يتواضع العبد لغيره فى طلب الدنيا وهو المالك له دون الغير.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذينَ يُزَكُّونَ أنفُسَهُم﴾ [الآية: ٤٩].

قال بعضهم: ليست الأنفس محل التزكية، فمن استحسن من نفسه شيئًا فقد أسقط عن باطنه أنوار اليقين.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ﴾ [الآية: ٥١].

---

(١) سورة (البقرة) الآية رقم (١٤٣).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم فى كتاب «الزهد» باب «من أشرك فى عمله غير الله» (٩/ ٣٤٢)، (٤٦/ ح ٢٩٨٥/ نووى)، وابن ماجه فى كتاب «الزهد» باب «الرياء والسمعة» (٢/ ١٤٠٥) حديث رقم (٤٢٠٢)، وأحمد فى مسنده (٢/ ٣٠١، ٤٣٥) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

قال سهل بن عبد الله: لا ينظر إليهم.

قال ابن عطاء رحمه الله: أعطوا الكتاب حجة عليهم لا كرامة لهم.

وقال بعضهم رحمه الله: أوتوا نصيبًا من الكتاب لا الكتاب، ونصيبهم منه كفرهم وإيمانهم بالجبت والطاغوت.

قوله عز وجل: ﴿بالجبتِ والطَّاغُوتِ﴾.

قال سهل رحمه الله: الطواغيت نفسك الأمَّارة بالسوء، إذا خلى العبد معها عن العصمة.

وقال بعضهم رحمه الله: الجبت مرادك. والطاغوت هيكلك.

قوله عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ﴾ [الآية: ٥٤].

من الكرامات والولايات والمشاهدات ويكذبون صاحبها ولا يعظمونه، كذلك كانت الأولياء والصديقون قبل ذلك، فمن بين مكذب ومصدق قال الله عز وجل ﴿فَمِنْهُم مَنْ آمنَ به وَمنهُم من صدَّ عَنه﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿وآتينَاهُم مُلكًا عظِيمًا﴾.

قال: إشرافًا على الأسرار.

وقيل: فراسة صادقة، فمنهم من آمن به أى صدقهم بذلك، ومنهم من صدَّ عنه اتهمهم فى ذلك.

قوله عز وجل: ﴿إنَّ الذينَ كفروا بآياتنا﴾ [الآية: ٥٦].

قال بعضهم رحمه الله: بإظهار البيان على الخواص.

قوله عز وجل: ﴿إنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا﴾ [الآية: ٥٨].

قال الجريرى رحمه الله: أفضل الأمانات الأسرار فلا تظهرها ولا تكشفها إلا لأهلها، لأنهم أهل الأمانات العظماء.

وقال سهل رحمه الله: عندك أمانة فى سمعك وبصرك وعلى لسانك وعلى فرجك وظاهرك وباطنك. عرض الله عليك الأمانة فحملتها وجعلك محلاً لها، فإن لم تحفظها

(١) سورة (النساء) الآية رقم (٥٥).

خنت نفسك والله لا يحب الخائنين.

وقيل الأمانة هي: أسرار الله عز وجل وأهل الأمانة هم العارفون بالله والعالمون بأسراره، وهم الناظرون إلى القلوب بأنوار الغيوب، فيحكمون عليها ويحقق الله تعالى أحكامهم وهو الذى قال: ﴿فَوجَدَا عَبدًا من عبَادنا آتيناهُ رحمةً من عِندنا وَعلمنَاهُ من لدنَّا علمًا﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنُوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسُولَ وأُولى الأمرِ منكُم﴾ [الآية: ٥٩].

قال محمد بن على رحمه الله: أطع الله عز وجل فإن تمَّ لك ذلك وإلا فاستعن بطاعة الرسول ﷺ على طاعة الله عز وجل، فإن وصلت إلى ذلك فاستعن بطاعة الأئمة والمشايخ على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، ولا تسقط عن هذه الدرجة فتهلك[2].

وقال الجنيد رحمه الله فى هذه الآية: قال: العبد مبتلًى بالأمر والنهى، ولله تعالى فى قلبه أسرار تخطر دائمًا، فكلما خطر خطرة عرضه على الكتاب وهو طاعة الله تعالى، فإن وجد له شفاء وإلا عرضه على السُّنة وهو طاعة الرسول ﷺ فإن وجد له شفاء وإلا عرضه على سنن السلف الصالحين وهو طاعة أولى الأمر.

وقال جعفر بن محمد الصادق رحمه الله: لابدَّ للعبد المؤمن من ثلاث سنن: سنة الله عز وجل، وسنة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وسنة الأولياء.

فسنة الله تعالى كتمان السر. قال الله عز وجل: ﴿عَالِم الغَيب فَلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسولٍ﴾[3].

---

(١) سورة (الكهف) الآية رقم (٦٥).

(٢) الاستعانة بطاعة الأئمة والمشايخ على طاعة الله ورسوله لم يقل به أحد من العالمين إلا هذه الحقبة من مشايخ الصوفية بل قالوا لا يجوز الاعتراض على أوامر المشايخ أو (الخليفة) كما يسمونه فى الطريقة ويقولون مقولتهم المشهورة [من اعترض طرد]. فهذا كلام ساذج ويكون كلامًا صحيحًا يُعمل به فى حالة واحدة إذا وافق كلامهم كلام الله عز وجل ورسوله اى كلام (الشرع) وما جاء به القرآن والسنة الصحيحة فيقول النبى ﷺ «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» فمهما كان هذا المخلوق سواء كان إمامًا أو وليًا أو شيخًا فلا طاعة له فيما يخالف الشرع فانتبه ولا تغتر.

(٣) سورة (الجن) الآيتين رقم (٢٦ ـ ٢٧).

وسنَّة الرسول ﷺ مداراة الخلق، وسنة الأولياء الوفاء بالعهد والصبر فى البأساء والضراء.

قال: سمعت عبد الله بن محمد الدمشقى يقول: سمعت إبراهيم بن المولد[1] يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: العبودية ثلاثة: الوفاء لله عز وجل على الحقيقة ومتابعة الرسول ﷺ فى الشريعة والأمر لجميع الأمة بالنصيحة.

قوله عز وجل: ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾.

قيل: إذا أشكل عليكم شىء من أحوال الكبار والسادة واختلفتم فيه، فاعرضوا ذلك على أحوال الرسول ﷺ فردوه إليه، فإن لم يبين ذلك لكم، فردوه إلى الكتاب المنزل من رب العالمين.

قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أنْ يَتَحاكَمُوا إلى الطَّاغوت﴾ [الآية: ٦٠].

قال أبو عثمان رحمه الله: يعنى إلى إرادتهم وأهوائهم وأمثالهم وأشكالهم.

قال الله عز وجل: ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ أن يخالفوه.

وقال بعضهم رحمه الله: أعظم طاعة لك نفسك فلا تركن إليها فى شىء من أوامرها وإن أمرتك بالطاعة فإنها تخفى عنك شرها وتبدى لك خيرها.

قوله عز وجل: ﴿أولئكَ الذينَ يعلمُ اللهُ ما فى قُلوبهم فأعرض عنهم وَعِظْهُم﴾ [الآية: ٦٣].

قال الواسطى رحمه الله: أعرض عن الجهَّال وعظ الأوساط وأخبر بعيوب الأشراف وخاطب كُلاً على قدر طاقته.

وقال فارس رحمه الله: فأعرض عنهم وعظهم وتوكل، ولا يصح للعبد توكل وهو لا يجد غير الله معولاً.

وقيل فى قوله عز وجل: ﴿أعرض عنهم﴾ بقولك وأعرض عنهم بفعلك.

قوله عز وجل: ﴿وَقُل لَهُم فى أنفسهم قولاً بليغًا﴾.

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن المولد من كبار مشايخ الرقة وفتيانهم.
صحب أبا عبد الله بن الجلاء الدمشقى، وإبراهيم بن داود القصار الرقى، وكان من أفتى المشايخ، وأحسنهم سيرة. (طبقات الصوفية ١٠٠).

قال الجنيد رحمه الله: كلمهم على مقادير العقول ومحتمل الطاقة.

وقيل: أرهم عيوب ما يعتمدونه من طاعتهم.

قوله عز وجل: ﴿سَمِعْنَا وعَصَيْنَا واسْمَعْ غَيْرَ مُسمَعٍ﴾ [الآية: ٤٦].

قال: إذا سمع ولم يفهم فهو غير مسموع، وإذا سمع وفهم فهو السَّمعُ المبتغى فى ذلك الفهم وهو التفضيل.

قوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قدمت أيديهم﴾ [الآية: ٦٢].

قيل: أعظم المصائب اشتغالك عن الله عز وجل، وأعظم الغنائم اشتغالك بالله تعالى.

وقيل: المصائب كثيرة وأجَلُّ المصائب ذهاب وقتك عنك بلا فائدة.

وقال أبو الحسين الوراق[1] رحمه الله: أعظم المصائب سقوط الحرمة من قلبك ونزع الحياء من وجهك ونقل السنن عن جوارحك.

قوله عز وجل ﴿وَقُل لَهُمْ فِى أَنفُسِهِم قَوْلاً بَلِيغًا﴾ [الآية: ٦٣].

قال سهل رحمه الله: مبلغًا بلسانك كنه ما فى قلبك بأحسن العبادة عنى.

قوله عز وجل: ﴿وَلَو أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: ٦٤].

قال: بالمخالفات قصدوك فدللتهم على سبيل الموافقة.

وقيل: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك قال ابن عطاء رحمه الله: جعلوك الوسيلة إلى الوصلة ليصلوا إليَّ، وقال: من لم يجعل قصده إلينا على سبيلك، وسنتك وهداك ضل الطريق وأخطأ الرشد.

قال بعضهم رحمه الله: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بالمخالفات قصدوك فدللتهم على سبيل الموافقة.

وقيل: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بالإعراض عنا، استشفعوا بك إلينا لأقبلنا عليهم بالبر والفضل.

---

(١) أبو الحسين محمد بن سعد الوراق، وهو من كبار مشايخ نيسابور، ومن قدماء أصحاب أبى عثمان، وله كلام على سنن كلام أبى عثمان. وكان عالمًا بعلوم الظاهر، ويتكلم فى دقائق علوم المعاملات وعيوب الأفعال مات قبل العشرين وثلاثمائة (طبقات الصوفية ٧١).

قوله عز وجل: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: ٦٥].

قال بعضهم رحمه الله في هذه الآية: أظهر الحق عز وجل على حبيبه ﷺ خلعة من خلع الربوبية. فجعل الرضا بقضائه ساَء أم سر سببًا لإيمان المؤمنين، كما جعل الرضا بقضائه سببًا لإيقان الموقنين، فأسقط عنهم اسم الواسطة، لأنه متصف بأوصاف الحق عز وجل متخلق بأخلاقه ألا ترى كيف قال حسان بن ثابت[1]:

* فذُوا العرش محمودٌ وهذا محمدٌ *

وقال بعضهم: هذا فى مخالفات الرسول فكيف فى مخالفة أوامر الله تعالى وأحكامه، هل هو إلا الدخول فى خبر المخالفين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِم أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: ٦٦].

قال محمد بن الفضل رحمه الله: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها أو اخرجوا من دياركم، يعنى أخرجوا حُبَّ الدنيا من قلوبكم، ما فعلوه إلا قليل فى العدد كثير فى المعانى، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة.

قوله عز وجل: ﴿مَنْ يطع الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله﴾.

قال جعفر بن محمد الصادق رحمة الله عليه: من عرفك يا محمد بالرسالة والنبوة فقد عرفنى بالربوبية والإلهية.

قال سهل رحمه الله: من يطع الرسول فى سنته فقد أطاع الله فى فرائضه.

وقال أيضًا: لأهل المعرفة همة الاقتداء بالنبى ﷺ.

---

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد. سيد الشعراء المؤمنين المؤيد بروح القدس. أبو الوليد، ويقال: أبو الحسام. الأنصارى الخزرجى البخارى المدنى، ابن الفريعة.
شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه حدث عنه ابنه عبد الرحمن، والبراء بن عازب، وسعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وآخرون وحديثه قليل.
قال ابن سعد: عاش ستين سنة فى الجاهلية، وستين سنة فى الإسلام. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد.
وقال ابن منده: حدث عنه عمر، وعائشة، وأبو هريرة قال ابن إسحاق: توفى حسان سنة أربع وخمسين وأما الهيثم بن عدى، والمدائنى فقالا: توفى سنة أربعين.

قال: من صحح الاقتداء بالنبى ﷺ وألزم نفسه طاعته، أوصله الله تعالى إلى مقامات الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه، والصديقين والشهداء. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطع اللهَ والرَّسُولَ فأولئكَ مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبِيينَ والصِّدِيقين والشُّهَداءِ والصَّالِحينَ﴾ [الآية: ٦٩].

وقال بعضهم: لم يصل الأنبياء والصديقون إلى الرتب الأعلى بأفعالهم، ولكن أنعم الله عليهم فأوصلهم، وليس يصل أحد إلى تلك الرتب إلا بملازمة الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

وقال بعضهم: المتحققون فى طاعة الرسول مع الأنبياء والمقتصدون مع الشهداء والظالمون مع الصالحين.

وقيل: طاعة الرسول ﷺ طاعة للحق عز وجل لفنائه عن أوصافه وقيامه بأوصاف الحق، وفنائه عن رسومه وبقائه بالحق ظاهرًا وباطنًا، وطاعته طاعته وذكره ذكره، فيه يصل العبد إلى الحق وبمخالفته يقطع عنه.

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لَّنا من لَّدُنكَ وَلِيًا﴾ [الآية: ٧٥].

قيل: وليًا يدلنا منك عليك.

قوله عز وجل: ﴿الَّذينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ والَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [الآية: ٧٦].

قال سهل بن عبد الله: المؤمنون خصماء الله على أنفسهم، وأبدانهم، والمنافقون خصماء النفس على الله، يبتدرون إلى السؤال والدعاء ولا يرضون بما يختار لهم وهو سبيل الطاغوت.

قوله عزّ وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: ٧٧].

قيل: وفيه قصروا أيديكم عن تناول الشهوات.

قوله عز وعلا: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ﴾.

قال محمد بن الفضل: متاع الدنيا قليل وأقل قيمة منها من يطلبها ويفرح بها، وللآخرة خير لمن اتقى الدنيا وأهلها والركون إليها.

قال الواسطى: قل متاع الدنيا قليل: هَوِّن الدنيا فى أعينهم، لئلا يشق عليهم تركها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِندِ اللهِ﴾ [الآية: ٧٨].

سمعت النصرآباذى يقول: الكل منه ومن عنده، ولكن لا يطيب ما منه ومن عنده إلا بما به وبماله.

قوله عزّ وعلا: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [الآية: ٧٩].

قال محمد بن على: أجلُّ الحسنات والنعم عليك أن عرفك نفسه ووفقك لشكر نفسه وألهمك ذكره.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نفسك﴾.

بداها لاتباع هواها وتركها رضا مولاها، وهى من النفس الأمارة بالسوء.

قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ﴾ [الآية: ٨٢].

قال بعضهم: ألا يتعظون بكريم مواعظه ويتبعون محاسن أوامره.

قال الواسطى رحمة الله عليه: سُمى قرآنًا لأنه صفة الله عز وجل فلا تزايله بك قارئه فسُمى قرآنًا؛ لأن الصفة لا تزايل الموصوف.

سمعت أبا عثمان المغربى[1] يقول: تدبرك فى الخلق تدبر عبرة، وتدبرك فى نفسك تدبر موعظة، وتدبرك فى القرآن تدبر حقيقة ومكاشفة.

﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ جرأك به على تلاوة خطابه، ولولا ذلك لكلّت الألسن عن تلاوته.

سمعت أبا الحسين الفارسى[2] يقول: سمعت أبا الحسين يقول: سمعت على بن

---

(١) أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى، من ناحية قيروان، من قرية يقال لها كركنت أقام بالحرم مدة، وكان شيخه. صحب أبا على بن الكاتب، وحبيبًا المغربى، وأبا عمرو الزجاجى، ولقى أبا يعقوب النهرجورى، وأبا الحسن بن الصائغ الدينورى وغيرهم من المشايخ، وكان أوحد فى طريقته وزهده، بقية المشايخ وتاريخه. لم ير مثله فى علو الحال وصون الوقت، وصحة الحكم بالفراسة، وقوة الهيبة. ورد نيسابور، ومات بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة. (طبقات الصوفية (١١٧).

(٢) أبو الحسين على بن هند الفارسى القرشى. من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم صحب جعفراً الحذاء، ومن فوقه من المشايخ بفارس، وصحب أيضًا الجنيد وعمر المكى ومن فى طبقتهم. وكان له الأحوال العالية والمقامات الزكية.

حميد يقول: سمعت السرى يقول: فَهمُ الناس من فَهِمَ أسرار القرآن وتدبر فيه.

قال سهل فى قوله: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ قال: تدبروا بفهمه، ولا يكون التدبير إلا لمن عرف المقاصد فيه ونطق بمعنى الحق.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُولِ وَإلى أُوْلى الأمْرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَستَنْبِطُونَهُ﴾ [الآية: ٨٣].

قال ابن عطاء: لو أخذوا طريق السنة وطريق الأكابر فى إرادتهم، لأوصلهم ذلك إلى مقامات جليلة من مقامات الإيمان التى هى محل مقامات الاستنباط وطريق المكاشفات قال أبو سعيد الخراز: إن لله عباداً يدخل عليهم الخلل، ولولا ذلك لفسدوا وتعطلوا وذلك أنهم إذا بلغوا من العلم غاية، صاروا إلى العلم المجهول الذى لم ينصه كتابٌ ولا جاء به خبر، لكن العقلاء العارفون يحتجون به من الكتاب والسنة بحسن الاستنباط ومعرفتهم.

قال الله تعالى: ﴿لَعَلِمهُ الَّذين يَستنبِطُونَهُ مِنهُمْ﴾.

قال الحسين: استنباط القرآن على مقدار تقوى العبد فى ظاهره وباطنه وتمام معرفته، وهذا أجل مقامات الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ولَولاَ فَضلُ اللهِ عَلَيكُم وَرَحْمتُهُ﴾.

قال ابن عطاء: لولا فضله عليكم فى قبول طاعتكم، لخسرتم ما ضمن لكم فى آخرتكم ولكن برحمته نجاكم من خُسرانكم وتفضل عليكم بما نجاكم.

قوله عز وعلا: ﴿وَدُّوا لَو تَكْفُرونَ كَمَا كَفَرُوا فَتكُونُونَ سَواءً﴾ [الآية: ٨٩].

قال بعضهم: وَدَّ أهل الدعاوى الفاسدة أن يكون المتحققون فى أحوالهم أمثالهم فأظهر عليهم فضائح دعاويهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أرضُ اللهِ واسعةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [الآية: ٩٧].

حدثنا محمد بن عبد الله بن شاذان قال: حدثنا زيد بن عبد الله الرومى بمصر قال: سمعت عبد الله بن حُبيق قال: سمعت يوسف بن أسباط قال: سمعت الهندى يقول: حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه على بن الحسين عن أبيه قال: سمعت على بن أبى طالب عليه السلام يقول: ليس بين أحدكم وبين أرض نسب فخير البلاد ما حملكم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا﴾ [الآية: ٩٤].

قال: إذا سافرتم فاطلبوا أولياء الله وتثبتوا أن لا تفوتكم مشاهدتهم، فإنها الفوائد فى الأسفار وموضع التثبت والاستقامة[1].

قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية: ٩٥].

قال بعضهم: العاملين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على القاعدين عنه أجرًا عظيمًا.

قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ [الآية: ٩٨].

قال أبو سعيد: هم الذين أسرهم البلاء واستولى عليهم، حتى صار البلاء عليهم الحال وطنًا، ثم أفنى عنهم شاهد البلاء بإثبات علم البلاء، فدل عليهم علم الأشياء بم تثابت عليهم علم الحق وذلك حين ردت عليهم صفاتهم بعد محو آثارهم، فإذ ذاك لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الآية: ١٠٠].

قال: أن يهاجر عما دون الله عز وجل وقال بعضهم: أن يخرج من جميع مراداته وهواه متبعًا لأمر الله وما يوصله إلى رضوانه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ﴾ [الآية: ١٠٢].

قال الحسين: ليس لله مقام ولا شهود فى ناديه ولا استهلال فى حيزه ولا ذهول فى عظمه، يقطع عن آداب الشريعة ولا له مقام وقف فيه الموحدين أشهدهم فصبّح أ جزنا بها عليهم علمًا للغير لا له ومما يصحح هذا قوله: وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة، فجعل إقامته للصلاة أدبًا لهم وهو فى الحقيقة فى عين الحصول لا يرجع إلى غير الحق فى متصرفاته، ولا يشهد سواه فى سعاياته، وقال بعضهم: ما دمت فيه فى

(١) من هم أولياء الله المطالبون بطلبهم عند السفر هل هم الأموات فى القبور الذين صاروا ترابًا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن نفع غيرهم أم هم أهل العلم والتقوى العلماء العاملون نطلبهم فى أسفارنا نتعلم منهم الفقه والحديث إذا كان كذلك فلا بأس وأمر واجب على طالب العلم وإن كان غير ذلك فلا فالنبى ﷺ نهى عن شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الا وهى (مسجده ﷺ والمسجد الحرام والمسجد الأقصى).

الصلاة تكون قائمة، وإذا غبت فالصلاة آتية أيضًا كما قال: ﴿**ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى**﴾[1].

قوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُوا الله قِيامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُم**﴾ [الآية: ١٠٣].

قال أبو عثمان: وقت الله العبادات كلها بالمواقيت إلا الذكر، فإنه أمرك به على كل حال وفى كل أوان.

قوله تعالى: ﴿**لِتَحكُمَ بين النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ**﴾ [الآية: ١٠٥].

قال سهل: بما علمك الله من الحكمة فى القرآن والشريعة.

وقال بعضهم: لتحكم بين الناس بما أراك وأظهره لك لا على ما يظهرونه، فإن رؤيتك لهم رؤية كشف وعيان.

وقال ابن عطاء فى هذه الآية: بما أراك الله فإنك بنا ترى وعنا تنطق، وأنت بمرأى منا ومسمع.

قوله تعالى: ﴿**أَيَبْتَغُونَ عِندَهُم العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لله جَمِيعًا**﴾ [الآية: ١٣٩].

قال القاسم: أتطلب العز عند من عزته، ولا تطلبه منى وأنا الذى عزته.

قال الحسين: من اعتز بغير الحق فبعزه ذل.

قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُجادِل عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ**﴾ [الآية: ١٠٧].

قال بعضهم: خيانة النفس اتباع هواها ومرادها وترك نصيحتها.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت الحسن بن على البامعانى يقول: من خان الله فى السر هتك ستره فى العلانية.

قوله تعالى: ﴿**يَسْتَخفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ**﴾ [الآية: ١٠٨].

قال محمد بن الفضل: من لم يكن أعظم شىء فى قلبه ربُّه، كان جاهلاً ومبعدًا عنه.

﴿**وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيكَ عَظِيمًا**﴾ [الآية: ١١٣].

قال الواسطى رحمة الله عليه: إنما عظمت بالمباشرة فاحتمل الذات بعد ما احتمل

---

(١) سورة (التوبة) الآية رقم (٥٤).

الصفات، وموسى ﷺ احتمل الصفات ولم يحتمل الذات.

وقال بعضهم: فُضلت فى الأزل بالفضائل وقد تغتر فى المشاهد العثرة، كما قال الله عز وجل: ﴿عفا الله عنك﴾[(١)] فتعاتب ثم ترد إلى الفضل الذى جرى لك فى الأزل.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَمكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَم﴾.

قال الجنيد رحمة الله عليه: عرَّفك قدر نفسك وقال أيضًا: العلوم أربعة:

علم المعرفة، وعلم العبارة، وعلم العبودية، وعلم الخدمة. جعل حظك منها أوفر الحظوظ.

قال أبو يزيد[(٢)]: العلم علمان: علم بيان وعلم برهان.

قال سهل: العلماء ثلاثة: عالم بالله لا عالم بأمر الله ولا بأيام الله وهم المؤمنون.

وعالم بالله: عالم بأمر الله لا عالم بأيام الله وهم العلماء.

وعالم بالله: عالم بأمر الله عالم بأيام الله فهم النبيون والصديقون.

وقيل: علمتك من مكنون أسرارى ما لم تعلمه إلاَّ بى.

وقال أبو محمد الجريرى[(٣)]: الأدلة ثلاثة: العلماء والحكماء، والأكابر، فالعلماء يرون ظاهر الأشياء ومناقبها، والحكماء يرون باطن الأشياء وعيوبها، والأكابر يرون عيون الأشياء وحقائقها.

وقال بعضهم: العلماء أربعة: عالم حظه من اللهِ اللهُ. وعالم حظه من الله العلم، والمعرفة بالله، وعالم حظه السير إلى الآخرة. وعالم حظه علم السير إلى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِن نَجْواهُم إلا مَنْ أمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الآية: ١١٤].

---

(١) سورة (التوبة) الآية رقم (٤٣).

(٢) أبو يزيد البسطامى تقدم الكلام عنه.

(٣) أبو محمد الجريرى. يقال إن اسمه احمد بن محمد بن الحسين، وكنية والده أبو الحسين، وكان من كبار أصحاب الجنيد وصحب أيضًا سهل بن عبد الله التسترى وهو من علماء مشايخ القوم، أقعد بعد الجنيد فى مجلسه، لتمام حاله وصحة علمه. مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. (طبقات الصوفية ص٦١).

قيل: الأخير فى الجماعات إلا ما يعود نفعه عليك أو على أهل مجلسك.

وقيل: ﴿إلا من أمر بصدقة﴾ إلا من تصدق على نفسه بمنعه عن أذى المسلمين وارتكاب المحارم ﴿أو معروف﴾ قيل: المعروف حث النفس على سُبل الرشاد.

وقيل: إلا من تصدق بنفسه على الخلق فلا ينتقم لنفسه.

قوله تعالى: ﴿لأتخذنَّ منْ عبادكَ نَصيبًا مَفرُوضًا﴾ [الآية:١١٨].

قال الواسطى رحمة الله عليه: إن كان إليك شىء من القدرة والقوة فَاغوِ جيدًا سوى ما جعل له من النصيب المفروض عند ذلك يظهر عجزه وضعفه.

وقال بعضهم فى هذه الآية: أكثَر فى أعينهم طاعاتهم وأغلق دونهم أبواب الإنابة ورؤية الفضل.

قوله تعالى: ﴿يَعدُهُم ويُمنِّيهم﴾ [الآية: ١٢٠].

قال بعضهم: يعدهم طول العمر والموت غايتهم ويمنيهم الغنى والفقر سبيلهم.

﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾.

إلا ما يقربهم من الدنيا ويبعدهم عن الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحسِنٌ﴾ [الآية:١٢٥].

قيل: من أحسن حالاً ممن رضى بالمقدور، ومجاريها عليه من العسر واليسر، وأسلم قلبه إلى ربه وأخلص وجهه له، وهو محسن أى متبع السُّنة للمصطفى ﷺ.

قال الواسطى رحمة الله عليه: فى قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحسِنٌ﴾ أى وهو يحسن أن يسلم وجهه لله، فمن دخل على السلطان مسرعًا بطاعته بغير أدب فما ناله من المكروه أكثر، فلذلك من لا يحسن أن يبقى ولا يحسن أن يسلم وجهه لله.

وقيل: ومن أحسن طريقة إلى الله ممن أسلم دينه له ولم يشرك فيه غيره.

قوله تعالى: ﴿واتَّبعَ مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفًا﴾.

قال ابن طاهر: يخرج من الكونين إقبالاً منه على الحق.

وقال بعضهم: يبذل نفسه لربه وولده لاتباع أمره وماله شفقة على خلقه.

قال سهل بن عبد الله: كانت ملة إبراهيم السخاء وحاله التبرى من كل شىء سوى الله.

ألا تراه قال لجبريل صلى الله عليهما: «أما إليك فلا»[١] لم يعتمد فى الكونين سواه.

قال الواسطى رحمة الله عليه: حنيفًا: أى مطهرًا من أدناس الكون، خالصًا للحق فيما يبدو له وعليه.

قال تعالى: ﴿واتَّخَذَ اللهُ إبرَاهِيم خَلِيلاً﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: اتخذه فلما اتخذه اختص به.

قال ابن عطاء: اتخذه خليلاً فلم يخالل سرائره شيئًا غيره، وذلك حقيقة الخُلَّه وأنشد:

قد تخلَّلتِ مَسلكَ الرُّوح منِّى وبذَا سُمّىَ الخليلُ خليلاً

فَإذَا مَا نَطقتُ كنت حديثى وإذا ما سكَتُ كنتُ الغَليلاَ

قال الحسن: اتخذه خليلاً ولا صنع لإبراهيم فيه وذلك موضع المنَّة، ثم أثنى عليه بالخلة وذلك فعل الخلة.

وقال بعضهم: أخلاه عن الكل حتى كان له بالكلية.

قال الواسطى رحمة الله عليه: تخالله أنوار بره فسماه خليلاً.

وقال محمد بن عيسى الهاشمى: سمى خليلاً لأنه خلا به عما سواه.

سمعت منصورًا يقول: سمعت أبا القاسم بإسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام فى قوله: ﴿واتَّخَذَ اللهُ إبرَاهِيم خَلِيلاً﴾ قال: أظهر اسم الخلة لإبراهيم، لأن الخليل ظاهر فى المعنى وأخفى اسم المحبة لمحمد ﷺ لتمام حاله، إذ لا يحب الحبيب إظهار حال حبيبه، بل يحب إخفاءه وستره، لئلا يطلع عليه سواه ولا يدخل أحد فيما بينهم وقال لنبيه وصفيه محمد ﷺ لما أظهر له حال المحبة: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى﴾[٢] أى: ليس الطريق إلى محبة الله إلا باتباع حبيبه وطلب رضاه.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٩٣)، قال ذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو فى الهواء فقال ألك حاجة فقال: أما إليك فلا وأما من الله فبلى.

(٢) سورة (آل عمران) الآية رقم (٣١).

قوله تعالى: ﴿وأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [الآية:١٢٨].

قال النورى: ألزمت الأشباح مخالفة الحق فى جميع الأحوال، وشحها ما يضرها فى طلب الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ [الآية:١٢٩].

فكيف تستطيعون أن تعدلوا بينكم وبين الحق وليس من العدل أن تحب ما يشغلك عن حبيبك وليس من العدل أن تفتر عن طاعة من لا يفتر عن برك.

قوله تعالى: ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ﴾.

قال الواسطى رحمة اللهُ عليه: الجوارح تبع القلب، لأنه أمير أمرك أن تخالفه إذا خالفت الحق.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ [الآية: ١٣١].

قال بعضهم: أمر الكل بالتقوى، وأوصل إلى التقوى من جرى له فى السبق عناية.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [الآية: ١٣٥].

قال الجنيد رحمة الله عليه: لن يصل إلى قلبك روح التوحيد وله عندك حق لم تقضه أو لم تؤده.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾[1].

قال ابن عطاء: الحسيب الذى لا يضيع عنده عمل. وقيل: الحسيب الكريم فى المحاسبة أن يوفيك ما لك ولا يناقشك فيما عليك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الآية: ١٣٦].

سُئل فارس ما معنى هذه الآية وليس فى ظاهرها التجريد، قال: التجريد إنما يقع بلسان السر من جهة موافقة الحق، ومعنى الآية ﴿آمنوا بالله وبرسوله﴾ يريد تكرار الإيمان.

---

(١) رجع المؤلف إلى الآية رقم (٦) ليتكلم عنها وهذا دليل على صحة من قال إنه ليس بتفسير إنما هى إشارات فى الكلام عن آيات الله تعالى كما ذكرنا فى المقدمة.

وقال بعضهم فى قوله ﴿يَا أَيُّها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾ : أى يَا أَيُّها المدعون تجريد الإيمان فى من غير واسطة، لا سبيل لكم إلى الوصول إلى غير التجريد إلا بقبول الوسائط واتباعهم آمنوا بالله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ العِزَّةَ﴾ [الآية: ١٣٩].

قال محمد بن الفضل: كيف تبتغى العزة ممن عزه بغيره، فاطلب العزة من مظانها ومعدنها ومكانها، قال الله عز وجل: ﴿فإنَّ العِزَّةَ لله جميعًا﴾ فمن اعتز بالعز أعزه، ومن اعتز بغيره أذله.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من اعتز بالعبيد أذله الله، فابتغ العز من عند رب العبيد يعزك فى الدنيا والآخرة».

وقال سهل: ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ قال: النعمة.

قال أبو سعيد: العارف بالله لا يرى العز إلا منه.

وقال الواسطى رحمة الله عليه: ما مالت السريرة إلى حب العز إلا ظهر خوفها، وما مالت البحيرة إلى حب الدنيا إلا ظهر ظلمتها عليه، فصارت عن الباب محجوبة مصروفة.

قوله تعالى: ﴿إلا الَّذينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعتَصَمُوا بِالله وأَخْلَصُوا دِينَهُم لله فأُولَئِكَ مَعَ المُؤمِنينَ﴾ [الآية: ١٤٦].

ولم يقل من المؤمنين، لنعلم أن الاجتهاد لا يؤثر فى سبق الأزل.

قال أبو عثمان: التوبة: الرجوع من أبواب الاختلاف إلى أبواب الأئتلاف.

وقال محمد بن الفضل: الاعتصام: التشبث بالسنة وطريق السلف.

وقال بعضهم: تابوا من المخالفات وأصلحوا ظواهرهم باتباع الرسول واعتصموا بالله والقوا حبال القوة والحول عن ظواهرهم وبواطنهم وأخلصوا دينهم لله، لم تمنعهم رؤية الناس عن القيام بالخدمة.

وقال سهل: تابوا من التوبة.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: التوبة: الرجوع عما تأمرك به نفسك والطبع والهوى.

وقال سهل: تابوا من غفلاتهم عن الطاعات فى كل ساعة وأوانٍ.

قال بعضهم: ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ لا من المؤمنين، فإنهم مع المؤمنين ظاهرًا يعنى المنافقين، وهم معنا بتوبتهم فى الباطن. قال الله تعالى: ﴿وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرًا عظيمًا﴾ ظاهرًا وباطنًا.

قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُم إِن شَكَرْتُم وَآمَنتُمْ﴾ [الآية: ١٤٧].

قال الحسين: ما يفعل الله بتعذيبكم أنفسكم فى أنواع المجاهدات إن شكرتم، أن طالعتم برِّى وإحسانى إليكم وآمنتم. قال: قطعتم الهمم عمن سواى.

قوله: ﴿قد جاءكم من الله نور﴾[1].

قال عطاء: العبد ينال بهذا النور ما هو أجل من النور، من أخذ سراجًا إلى بيت مظلم فيدور.

قوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلا مَن ظُلِم﴾ [الآية: ١٤٨].

قال الواسطى رحمة الله عليه: لا يرضى الله من عباده بإسماع الخفاء لأمثاله، إلا من جحد نعم الله عنده فى البينات والبراهين.

قوله تعالى: ﴿وآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [الآية: ١٥٣].

قال بعضهم: قوة عظيمة على سماع المخاطبة من كلام الحق.

وقيل: أعطى سلطانًا على نفسه فى مخالفتها وهو المبين الظاهر للخلق.

قوله تعالى: ﴿لكن الرَّاسِخُونَ فى العلمِ مِنْهُم﴾ [الآية: ١٦٢].

قيل: الراسخون فى العلم هم: العلماء بالله، والعلماء بأمر الله، والمتبعون سنة رسول الله ﷺ.

وقيل: الراسخون فى العلم هم الواقفون مع حدود العلم وشرائطه لا يتجاوزونه بالرُّخَص والتأويلات.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبدًا لله﴾ [الآية: ١٧٢].

قيل: لا يأنف أحدٌ من القيام بالعبودية، فكيف يأنف منه وبه يتقرب إلى مولاه؟

(١) سورة (المائدة) الآية رقم (١٥).

انظر (رحمك الله تعالى) ما الذى جعله يتكلم عن هذه الآية مع أنها فى سورة المائدة أى بعد سورة النساء الذى هو بصددها.

قال بعضهم: كيف يأنف أحدٌ من عبودية من يظهر على العبيد آثار صنائع الربوبية، كما أظهر على عيسى ﷺ فى إحياء الموتى وغيره.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَبِّكُمْ﴾ [الآية: ١٧٤].

سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد التمار يقول: سمعت ذا النون المصرى رحمة الله عليه وعليهم يقول: استقرت منار الدجى وقامت حجة الله على خلقه فآخذ بحظه ومضيع لنفسه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُم نُوراً مُّبِينًا﴾ [الآية: ١٧٤].

قيل: خطابًا من القرآن فيه محل الشفاء لأسرار العارفين، والمبين ما يتبين به كل شيء.

* * *

ذكر ما فى سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمنوا﴾ [الآية: ١].

قال سرى[1]: أى خواص الخواص من عبادى.

قال ذو النون: علاقة المؤمن خلع الراحة وإعطاء المجهود فى الطاعة ومحبة سقوط المنزلة.

وقال ابن عطاء فى قوله ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمنوا﴾: أى يا أيها الذين أعطيتهم قلوبًا لا تغفل عنى ولا تحجب دونى طرفة عين.

قال الواسطى رحمة الله عليه: الإيمان إيمانان إيمان بضياء الروح وهو الحقيقى، وإيمان محبة بظلمة الروح، لذلك استثنى من استثنى فى إيمانه.

وقال بعضهم: صفة المؤمن كالأرض تحمل الأذى وتنبت المرعى.

وقال محمد بن خفيف: الإيمان تصديق القلوب بما عَلَّمه الحق من الغيوب.

وقال جعفر بن محمد فى قوله ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمنوا﴾ قال فيه أربع خصال: نداء وكناية، وإشارة وشهادة، فيا نداء وأى خصوص نداء وها كناية والذين إشارة وآمنوا شهادة.

قال ابن عطاء فى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾: هم الذين خصصتهم ببرى ومشاهدتى لا يكونون كمن أعميتهم عن مشاهدتى ومطالعة برى.

وقال فارس: الإيمان تعظيم الحقيقة، وصون الشريعة والرضا بالقضية، حتى تستيقن أنه ليس إليك من حركاتك وسكونك شىء.

---

(١) أبو الحسن سرى بن المغلس السقطى يقال إنه خال الجنيد وأستاذه. صحب معروفًا الكرخى.
وهو أول من تكلم ببغداد فى لسان التوحيد وحقائق الأحوال.
وهو إمام البغداديين وشيخهم فى وقته، وإليه ينتمى أكثر الطبقة الثانية من المشايخ المذكورين فى هذا الكتاب.
مات سرى السقطى سنة إحدى وخمسين ومائتين. (طبقات الصوفية ص١٤).

قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.

قيل: أول عقد عُقِد عليك إجابتك له بالربوبية، فلا تخالفه بالرجوع إلى سواه.

والعقد الثانى: عقد بحمل الأمانة فلا تحقرنها.

قال الواسطى رحمة الله عليه: العقود إذا لم تشهد القصور تلوَّن عليها المقصود.

وقال إبراهيم الخواص[1]: من عرف الحق بوفاء العهد ألزمته تلك المعرفة السكون إليه والاعتماد عليه.

وقال أبو محمد الجريرى: الوفاء متصل بالصفاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

قال جعفر: حكم بما أراد وأمضى، وإرادته ومشيئته نافذة، فمن رضى بحكمه استراح وهُدى لسبيل رشده، ومن سخطه فإن حكمه ماضٍ وله فيه السخط والهوان.

قوله عز وجل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾.

قيل البر: ما وافقك عليه العلم من غير خلاف والتقوى مخالفة الهوى ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ قيل: الإثم طلب الرُّخص، والعدوان هو التخطى إلى الشبهات.

وقيل: البر: ما اطمأن إليه قلبك من غير أن تنكره بجهة ولا سبب.

وقال بعضهم: ﴿تعاونوا على البر والتقوى﴾ هو طاعة الأكابر من السادات والمشايخ فلا تضيعوا حظوظكم منهم، ومن معاونتهم وخدمتهم ﴿ولا تعاونوا على الإثم﴾ وهو الاشتغال بالدنيا ﴿والعدوان﴾ هو: موافقة النفس على مرادها وهواها.

قال الحسين: يصح للمتوكل الكسب بنية المعاونة لقوله تعالى: ﴿تعاونوا على البر والتقوى﴾ ويصح له ترك الكسب بحقيقة ضمان الله له، فإن خالف فى العقد تركًا أو

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص. وهو أحد من سلك طريق التوكل من أقران الجنيد والنورى.

سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: مرض إبراهيم الخواص بالرى فى المسجد الجامع، وكان به علة القيام وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل، ويعود إلى المسجد ويركع ركعتين فدخل الماء مرة ليغتسل فخرجت روحه وهو فى وسط الماء».

مات سنة إحدى وتسعين ومائتين، إن صح وتوفى أمره فى غسله ودفنه يوسف بن الحسين.

(طبقات الصوفية ٦٧ ـ ٦٨، صفة الصفوة ٩٠/ الرسالة القشيرية ٢٤).

كسبًا فقد أخطأ.

وقال سهل: البر: الإيمان. والتقوى: السُّنة. والإثم: الكفر. والعدوان: البدعة.

قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ واخْشَوْنِ﴾.

قيل فيه: قطعك عن الكل قطعًا وجذبك إليه جذبًا بهذه الآية ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾ وقال ابن عطاء: لا تجعل لهم من قلبك نصيبًا وأفرد قلبك لى، تجدنى بصفة الفردانية مقبلاً عليك.

وقال سهل: أعجز الناس من خشى ما لا ينفعه ولا يضره، والذى بيده الضر والنفع يخاطبه بقوله ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾.

قوله عز وعلا: ﴿اليَومَ أكمَلتُ لكُم دِينكُم وأَتمَمتُ عَليكُم نِعْمَتِى﴾ [الآية: ٣].

قال أبو حفص[١]: كمال الدين فى شيئين: فى معرفة الله واتباع سنة نبيه ﷺ.

قال جعفر بن محمد: اليوم إشارة إلى يوم بعث فيه محمدًا ﷺ ويوم رسالته.

وقيل: اليوم: إشارة إلى الأزل، والإتمام: إشارة إلى الوقت، والرضا: إشارة إلى الأبد.

وقيل: ﴿أتممت عليكم نعمتى﴾ بأن خصصتكم من بين عبادى بمشاهدة المصطفى ﷺ يخاطب به أصحابه، وجعلتكم حجة لمن بعدكم من الأمة إلى يوم القيامة.

وقيل: ﴿أتممت عليكم نعمتى﴾ بالمعرفة.

وقال شقيق[٢] فى هذه الآية كمال الدين فى الأمن والفراغ، إذا كنت آمنًا بما

---

(١) أبو حفص عمرو بن سلمة - وقيل ابن سلم - والأول أصح، وهو من أهل قرية يقال لها «كورداباذ» على باب مدينة نيسابور إذا خرجت إلى بخارى صحب عبيد الله بن مهدى الأبيوردى، وعليًا النصرآباذى، ورافق أحمد بن خضرويه البلخى وكان أحد الأئمة والسادة، انتمى إليه شاه بن شجاع الكرمانى، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل توفى أبو حفص سنة سبعين ومائتين. وقيل سنة سبع وستين ومائتين.

(٢) أبو على شفيق بن إبراهيم الأزدى - من أهل بلخ - حسن الجرى على سبيل التوكل وحسن الكلام فيه. وهو من مشاهير مشايخ خراسان، وأظنه أول من تكلم فى علوم الأحوال بكور خراسان. وكان أستاذ حاتم الأصم، وصحب إبراهيم بن أدهم، وأخذ عنه الطريقة. (طبقات الصوفية ١٧).

تكفَّل الله لك صرت فارغًا لعبادته.

قوله تعالى: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾.

قيل: شرائط الإسلام كثيرة: منها سلامة روحك من جنايات سرك، وسلامة سرك من جنايات صدرك، وسلامة صدرك من جنايات قلبك، وسلامة قلبك من جنايات نفسك، وسلامة الخلق من جنايات شخصك وهيكلك وجوارحك، لذلك قال النبى ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١].

وقيل: كمال الدين التبرِّى من الحول والقوة والرجوع فى الكل إلى منزلة الكل.

قال الواسطى رحمة الله عليه: الإسلام خصلة مرضية ولكن لا يهتدى إليه الكل، والإسلام مرضى ولكن لا يلبسه الكل، والمرضى من أتى به ولكن على شرائط الاستقامة.

وقال أبو يعقوب السوسى: الإسلام دار عليها أربعة أبواب وأربع قناطر ثم المراتب بعد ذلك، من لم يدخل الدار ولم يعبر القناطر لم يصل إلى المراتب. فأول باب منها أداء الفرائض ثم اجتناب المحارم ثم الأمن بالرزق ثم الصبر على المكروه، فإذا دخل الدار استقبلته القناطر، فأول قنطرة منها الرضاء بالقضاء. والثانى: التوكل على الله.

والثالث: الشكر لنعماء الله. والرابع: إخلاص العمل لله، فمن لم يعبر هذه القناطر لا يصل إلى المراتب.

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية يوم عرفة فى حجة الوداع والنبى ﷺ واقف[٢] وعندها كان كمال الدين حيث يرد الحج إلى يوم عرفه، فإنهم كانوا يحجون فى كل سنة فى شهر فلما رد الله عز وجل وقت الحج إلى ميقات فريضته، أنزل الله تعالى: ﴿اليوم

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الإيمان» باب «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (١/ ٦٩) حديث رقم (١٠).
ومسلم فى كتاب «الإيمان» باب «بيان تفاضل الإسلام، وأى أموره افضل» (١/ ٦٤) (ص٦٤/ حديث رقم ٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

(٢) قال البخارى عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثورى، عن قيس، عن طارق قال: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا. فقال عمر: إنى لأعلم حين أنزلت وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت: يوم عرفة، وإنا والله بعرفة - قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ...﴾ الآية.

أكملت لكم دينكم﴾.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [الآية: ٤].

قال سهل: الطيبات: الرزق من الحلال.

وقال يوسف بن الحسين: الطيب من الرزق ما يبدو لك من غير تكلف ولا إشراف نفس.

وقال الروذبارى: أطيب أرزاق العارفين المعونات.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بالإيمان فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [الآية: ٥].

قيل: من لم يشكر الله على ما وهب له من المعرفة واليقين، فقد كفر بمعانى درجات الإيمان وفيه إحباط ما سواه من الاجتهادات والرياضات.

وقيل: من لم يَرَ سوابق المنن فى خصائص الإيمان فقد عمى عن محل الشكر.

وقال على بن بابويه فى هذه الآية: من لم يجتهد فى معرفته لا تقبل خدمته.

قوله عز وعلا: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِذَا قُمتُم إلى الصَلاة فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُم﴾ [الآية: ٦].

قال: شرائع الطهارة معروفة، وحقيقتها لا ينالها إلا الموفقون من طهارة السر وأكل الحلال وإسقاط الوساوس عن القلب، وترك الظنون والإقبال على الأمر بحسب الطاقة.

وقال سهل: أفضل الطهارات أن يطهر العبد من رؤية الطهارة.

وقال سهل: الطهارة على سبعة أوجه: طهارة العلم من الجهل، وطهارة الذكر من النسيان، وطهارة الطاعة من المعصية، وطهارة اليقين من الشك، وطهارة العقل من الحمق، وطهارة الظن من التهمة، وطهارة الإيمان مما دونه، وكل عقوبة طاهرة إلا عقوبة القلب، فإنها قسوة.

وقال سهل: إسباغ طهارة الظاهر يورث طهارة الباطن، وإتمام الصلاة يورث الفهم عن الله عز وجل.

وقال سهل: الطهارة تكون فى أشياء: فى صفاء المطعم، ومباينة الآثام، وصدق اللسان، وخشوع السر، وكل واحد من هذه الاربع مقابل لما أمر الله بتطهيره من

الأعضاء الظاهرة.

قال ابن عطاء: البواطن موضع النظر من الحق، لأنه روى عن المصطفى ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم» فموضع النظر إليَّ بالطهارة لحق. فالطهارة الظاهرة هو تطهير الأعضاء الظاهرة الأربع لاتباع الأمر والاقتداء وطهارة الباطن من الخيانات والجنايات وأنواع المخالفات وفنون الوسواس والغش والحقد والرياء والسمعة، وغير ذلك من أنواع النواهى لحق.

وقال بعضهم: ليس شيء أشد على العارفين من جمع الهمم وطهارة السر.

قال بعضهم: لا يصح لأحدٍ طهارة الباطن إلا بأكل الحلال والنظر إلى الحلال وأخذ الحلال والمشى إلى الحلال وصدق اللسان هذا، أولئك طهارات الأسرار.

قوله عز وعلا: ﴿ولكن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾.

قال بعضهم: يريد أن يطهركم من أفعالكم وأحوالكم وأخلاقكم، ويفنيكم عنها لترجعوا إليه لحقيقة الفقر من غير تعلق ولا علاقة بسبب من الأسباب.

قوله تعالى وتقدس: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ [الآية: ٧].

قال أبو عثمان: النعم كثيرة وأجل النعم المعرفة، والمواثيق كثيرة وأجل المواثيق الإيمان.

قيل للواسطى رحمة الله عليه: ما الحكمة فيما أنعم الله على خلقه، قال: أنعم عليهم لكى يشهدوا المنعم بالنعم، فاستقطعتهم النعمة عن المنعم كما استقطعتهم الآفات عن متوليها.

وقيل: اذكروا نعمة الله فيما أجرى عليكم من معرفته وطاعته.

قال بعضهم: اذكروا نعمة الله عليكم أن جعلكم من أمة محمد ﷺ ومن أهل القرآن، وأن زينكم بخدمته وجعلكم من أهل مناجاته حين قال ﷺ: «المصلى يناجى ربه».

قال أبو بكر الوراق فى قوله «اذكروا نعمة الله عليكم» حين زين باطنكم بأنوار معرفته وظاهركم بآداب خدمته.

وقال يحيى بن معاذ: أعظم نعمة عليك أن جعل قلبك وعاء لمعرفته، وأطلق لسانك بحلاوة ذكره، وإن أدبرت عنه خمسين سنة يصالحك باستغفار واحد.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاء بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: ٨].

قال بعضهم: كونوا أعوانًا لأوليائه على أعدائه.

قال بعضهم: كونوا خصماء الله على أنفسكم ولا تكونوا خصماء لأنفسكم على الله.

وقال بعضهم: كونوا طالبين من أنفسكم آداب الخدمة وقضاء حقوق المسلمين غير مقتضين منهم حقوق أنفسكم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَبَعَثْنَا منهم اثنى عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [الآية: ١٢].

قال: أبو بكر الوراق: لم يزل فى الأمم أخيار وبدلاء وأوتاد على المراتب، كما قال الله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا منهم اثنى عَشَرَ نَقِيبًا﴾ وهم الذين كانوا يرجعون إليهم عند الضرورات والفاقات والمصايب كما ذُكر عن النبى ﷺ قال: «إنه يكون فى هذه الأمة أربعون على خُلق إبراهيم، وسبعة على خلق موسى، وثلاثة على خلق عيسى، وواحد على خلق محمد صلى الله عليه وعليهم فهم على مراتبهم للخلق والذين ذكر النبى ﷺ أن بهم يمطرون، وبهم يدفع الله البلاء، وبهم يرزقون.

سمعت أبا عثمان المغربى يقول: البدلاء أربعون والأمناء سبعة والخلفاء من الأئمة ثلاثة، والواحد هو القطب، والقطب عارف بهم جميعًا ومشرف عليهم ولا يعرفه أحد ولا يشرف عليه وهو إمام الأولياء، والثلاثة الذين هم الخلفاء من الأئمة يعرفون السبعة، والسبعة الأمناء يعرفون الأربعين الذين هم البدلاء ولا يعرفهم البدلاء، والأربعون يعرفون سائر الأولياء من الأمة ولا يعرفهم من الأولياء أحد فإذا نقص الله من الأربعين واحدًا أبدل مكانه واحدًا من أولياء الأمة، وإذا نقص من السبعة واحدًا جعل مكانه واحدًا من الأربعين وإذا نقص من الثلاثة واحدًا جعل مكانه من السبعة فإذا مضى القطب الذى هو واحد فى العدد، وبه قوام إعداد الخلق جعل بدله واحدًا من الثلاثة هكذا إلى أن يأذن الله فى قيام الساعة.

قوله عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم لَعَنَّاهُم﴾ [الآية: ١٣].

قال أبو عثمان: نقض الميثاق: الرجوع إلى الخلق بعد الإقرار الأول بالوحدانية.

وقال بعضهم: نقض العهد مع الحق السكون إلى سواه.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [الآية: ١٥].

قال بعضهم: جاءكم نور قبلتم به ما آتاكم الرسول ﷺ من بيان الكتاب.

وقال بعضهم: بعناية الأزل وصلتم إلى نور الكتاب المبين ونور التوحيد والأنوار الظاهرة والباطنة.

قال ابن عطاء: تنال بهذا النور ما هو أجل من النور كمن أخذ سراجًا إلى بيت مظلم فبذره فى البيت، فيجد به أخلَّ من السراج.

وقيل: كشف عن أسرارهم غطاء الوحشة وألبسهم لباس الأنس.

قوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ [الآية: ١٦].

قيل: فبه يهدى الله لأسلم المسالك فى سبيل إرادته من خَصَّه برضوانه.

قيل: إيجاده ليوصله الرضوان إلى محل الرضا.

قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [الآية: ١٨].

قال: يغفر لمن يشاء فضلاً، ويعذب من يشاء عدلاً.

وقيل: يغفر لمن يشاء بتقصيره فى شكر النعمة، ويعذب من يشاء بتقصيره فى شكر المنعم، نسى قارون النعمة فخسف به ونسى المنعم فما يرجو.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُلُوكًا﴾ [الآية: ٢٠].

قال القرشى: ملككم سياسة أنفسكم.

وقال سهل: مالكين لأنفسكم ولا كملككم نفوسكم وأنشد فى معناه.

مَلكتُ نَفسى وَذَاك مُلكٌ ... مــا مثلُهُ للأنام مُلكُ

فصرت حرًا بملك نفسى ... فما خلفٍ علىَّ مِلكُ

وقال بعضهم: جعلكم ملوكًا أى: قانعين بما أعطيتم، والقناعة هو الملك الأكبر.

وقال بعضهم: جعلكم ملوكًا وزراء أنبيائكم.

وقال الحسين: ﴿وجعلكم ملوكًا﴾ قال: أحرارًا من رق الكون وما فيه.

قوله تعالى: ﴿وآتاكُم ما لَم يُؤتِ أحَدًا مِنَ العَالَمين﴾.

قال محمد بن على: أحل لكم أكل الغنائم والانتفاع بها.

وقال ابن عطاء: قلوبًا سليمة من الغش والغلّ.

وقال بعضهم فى قوله: ﴿وآتاكُم ما لَم يُؤتِ أحَدًا مِنَ العَالَمين﴾ قال: سياسة النبوة وآداب المُلك.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إن كُنتُم مُؤمِنين﴾ [الآية: ٢٣].

سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت رجلاً يسأل ذا النون ما التوكل؟

قال: خلع الأرباب وقطع الأسباب، فقال: زدنى، فيه حالة أخرى. فقال: إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا على الروذبارى يقول: التوكل على ثلاث درجات:

الأولى منها إذا أعطى شكر، وإذا منع صبر، وأعلا منها حالاً أن يكون المنع والعطاء عندهم سواء، وأعلا منها حالاً أن يكون المنع مع الشكر أحب إليهم.

وقال ذو النون: التوكل نفض العلائق وترك التملق للخلائق فى السلائق[1]، واستعمال الصدق فى الحقائق.

سمعت سعيد بن أحمد البلخى يقول: سمعت أبى يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت خالى محمد بن الليث يقول: سمعت حامدًا اللفاف يقول: سمعت حاتمًا الأصم يقول: سمعت شقيق بن إبراهيم يقول: التوكل طمأنينة القلب بوعود الله.

قال سهل: التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية.

وقال أيضًا: لا يصح التوكل إلا للمتقين.

وقال الواسطى رحمة الله عليه: من توكل على الله بعلة غير الله، فليس بمتوكل على

(١) السلائق: الشرائح ما بين الجنبين، الواحدة سليقة (اللسان مادة سلق).

الله جعله سببًا إلى مقصوده فى ذلك وله قلة المعرفة بربه.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِى﴾ [الآية: ٢٥].

قال سهل: فى مخالفة هواها.

وقال بعضهم: فى بذلها لله واستعمالها فى طاعته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِين﴾ [الآية: ٢٢].

قال بعضهم: معجبين بأنفسهم غير راجعين إلى ربهم فى أحوالهم.

قوله تعالى: ﴿لأَقْتُلَنَّكَ﴾ [الآية: ٢٧].

قال ممشاد الدينورى[1]: كان معصية آدم من الحرص، ومعصية إبليس من الكبر، ومعصية ابن آدم من الحسد، فالحرص يوجب الحرمان والكبر يوجب الإهانة والحسد يوجب الخذلان.

قوله تعالى: ﴿إِنما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

قال سهل: التقوى والإخلاص محلا القلوب لأعمال الجوارح.

وقال ابن عطاء: المخلصين له فيما يقولون ويعملون.

قال السلامى: القرابين مختلفة وأقرب القرابين ما وعد الله جل وعز بقبوله ووعده الصدق وهو الذكر فى السجود، لأنه محل القربة. قال الله تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾[2].

قوله تعالى: ﴿ولا يحزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فى الكُفرِ إنهُم لَن يَضُرُّوا الله شَيئًا﴾[3].

---

(١) الدينورى ممشاد، حارس همته العالية، وغارس خطراته الآتية.

سمعت أبى يقول ـ وكان قد لقيه وشاهده ـ قال سمعته يقول: الهمة مقدمة الأشياء فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال. (حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣).

(٢) سورة (العلق) الآية رقم (١٩).

(٣) سورة (آل عمران) الآية رقم (١٧٦).

قلت: لقد اختلط على المؤلف فى هذه الآية فبدلاً من أن يفسر الآية التى فى سورة المائدة التى نحن بصددها وهى رقم (٤١) فهى مشابهة لهذه الآية التى كتبها وهى فى آل عمران.

والآية التى فى المائدة ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم . . .﴾ الآية.

قال الواسطى: تعليمًا بعد تعليم، يريد الله ألا يجعل لهم حظًا فى الآخرة، لأنه استعملهم فيما فيه هلاكهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقُوا الله وابتغُوا إليهِ الوَسِيلةَ﴾ [الآية: ٣٥].

قال جعفر: اطلبوا منه القربة.

قال الواسطى رحمة الله عليه: فى أداء الفرائض واجتناب المحارم السلامة من النار، والوسيلة: القربة بآداب الإسلام إلى من وضعها وفرضها.

وقال أيضًا: ﴿وابتغُوا إليهِ الوَسِيلةَ﴾ قال: لو كشف عنهم ما عاملهم به، لنسبق أوقاتهم وأوقات من يقتدى بهم.

وقال أيضًا: ﴿وابتغُوا إليهِ الوَسِيلةَ﴾ قال: ما توسل به إليكم بقوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾[1].

وقال أيضًا: الوسيلة المشار إليها النعوت فمن توسل إلى من لا وسيلة إليه إلا به فلم يبتغ إليه الوسيلة.

ومن توسل بما لا خطر له فى الملك خسر.

وقال محمد بن على فى قوله ﴿وابتغُوا إليهِ الوَسِيلةَ﴾ قال: هو الرضا بالقضية والصبر على الرزية والمجاهدة فى سبيله والصبر على عبادته.

وقال ابن عطاء: الوسيلة: القربة بآداب الإسلام وأداء الفرائض لدخول الجنة والنجاة من النار.

قال فارس: اتقوه واجعلوا تقواكم سببًا لقربكم إليه.

قال الحسين: ﴿وابتغُوا إليهِ الوَسِيلةَ﴾ التى كانت لكم منى إلىَّ لا منكم إلىَّ، فالوسيلة منه إليك من غير سبب ولا سؤال.

قال بعضهم: اتقوا الله فى المخالفات، وابتغوا إليه الوسيلة بالطاعات.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَملِكَ لَهُ مِنَ الله شيْئًا﴾ [الآية: ٤١].

قال الخواص: من يُرِد افتراق أوقاته لم يملك جمعها له.

(١) سورة (الأنعام) الآية رقم (٥٤).

قال ابن عطاء: من يحجبه الله عن فوائد أوقاته لن يقدر أحد أيضًا لها إليه.

وقال أبو عثمان: أفتن الفتن اتباع الشهوات والغفلة فى الأوقات.

قوله تعالى: ﴿أُولئكَ الَّذينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أن يُطهر قُلُوبهُم﴾.

قال أبو عثمان: يطهر قلوبهم بالمراقبة والمراعاة.

وقال فى موضع آخر: بالحياء من الله عز وجل.

قال أبو بكر الوراق: طهارة القلب فى شيئين.

إخراج الحسد والغش منه وحسن الظن بجماعة المسلمين.

قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ أكالُونَ لِلسُّحتِ﴾ [الآية: ٤٢].

قال بعضهم: سمَّاعون للدعاوى الباطلة، أكَّالون للسحت يعنى: أكَّالون بدينهم.

قوله تعالى: ﴿والرَّبَّانِيُّونَ والأحْبَارُ﴾ [الآية: ٤٤].

قيل: الربانيون الراجعون إلى الرب فى جميع أحوالهم، والأحبار: العلماء بالله وبآياته.

وقيل: الربانيون: العلماء، والأحبار: العلماء بأحكام الله.

وقال ابن طاهر: الربَّانيُّون هم الصحابة الذين أخذوا كلام الربّ التدبير الأعلى، والواسطة الأدنى، والأحبار هم علماء الأمة العالمون بعلمهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [الآية: ٤٤].

قال محمد بن الفضل: لا تطلبوا الدنيا بعمل الآخرة.

وقال بعضهم: لا تجعلوا طاعاتكم سببًا لطلب الدنيا فقد خاب من فعل ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فأُولئكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾. والظالمون والفاسقون.

قال بعضهم: من لم يحكم للناس كحكمه لنفسه فقد كفر نعمة الله عنده، وجحد سنى مواهبه لديه وظلم نفسه بذلك.

قال بعضهم: من لم يحكم بخواطر الحق على قلبه كان محجوبًا من المبعدين.

قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرعَةً وَمِنهاجًا﴾ [الآية: ٤٨].

قال بعضهم: كلٌ قد فتح له الطريق إلى الله، فمن استقام على الطريق وصل إلى الله ومن زاغ وقع فى سُبل الشيطان وضل عن سواء السبيل.

وقال أبو يزيد البسطامي رحمة الله عليه فى هذه الآية: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الإله راجعه إلى الذات دون النعوت والصفات.

وسمعت السلامى يقول فى قوله: «يحبهم ويحبونه» بفضل حبه لهم أحبوه، كذلك ذكرهم بفضل ذكره لهم ذكروه.

وقال: الحب شرطه أن يلحقه سكرات المحبة، فإذا لم يكن كذلك لم تكن فيه حقيقة.

وقال يوسف بن الحسين[1]: المحبة: الإيثار.

وأنشدنى فى معناه الحسين بن أحمد الرازى قال: أنشدنى أبو على الرُّوذبارى لنفسه:

سَامَرتُ صفو صبابتى أشجانُها ... جُزَق الهوى وغليلهُ نيرانُها

وسألتُ عن فرطِ الصبابةِ قيل لى ... إيثارُ حبّك قلت جذب عنانها

وكُلٌ لَهُ وبهِ ومنهُ فزينَ ... وَصف فاوترُه فَطاحَ لِسانُها

وقال بعضهم: سكون بعد الطلب، وطلب بعد السكون، لأن الطلب لا يساكن الأحوال إلا بوجود مراده وهوى محبوبه.

[وقيل: المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات][2].

وقيل المحبة هى أن تصير ذات المحب صفة المحبوب.

وقال بعضهم: المحبون لله هم الذين قطعوا العلائق التى تقطع عن الله من قبل أن تقطعهم.

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازى شيخ الرى والجبال فى وقته. كان أوحد طريقته فى إسقاط الجاه، وترك التصنع واستعمال الإخلاص.

صحب ذا النون المصرى ولبا تراب النخشبى ورافق أبا سعيد الخراز فى بعض أسفاره، وكان عالمًا دينًا.

قال عبد الله بن عطاء: «مات يوسف سنة أربع وثلاثمائة». (طبقات الصوفية ٤٣).

(٢) هكذا على هامش المخطوط.

قال الواسطى رحمة الله عليه: بطل حبهم بذكر حبه لهم بقوله ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وأنَّى تقع صفات المعلولة من صفات الأزلى الأبدى.

وقال الشبلى: المحبة استواء الحب فى الشدة والرخاء، إذا صح قوله ودعواه.

سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الدارى يقول: سمعت أبا عثمان يقول: إنه قد ذكر حبهم له وحبه لهم، ثم نعتهم فى حبه لهم فقال: ﴿أذلة على المؤمنين﴾ فبدأ من نعت المحبة بالتواضع الذى ضده الكبر، والكبر يتولد من الجهل الذى يؤدى إلى الأمن واليأس. والتواضع يتولد من حقيقة العلم.

وقال الجنيد: من أثبت محبته لله من غير شرط محبة الله له، كان فى دعواه مبطلاً حتى يثبت أولاً محبة الله له، قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾.

قوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يخَافُونَ لَومَةَ لاَئمٍ﴾ [الآية: ٥٤].

قال أبو بكر الورَّاق: الجهاد ثلاثة: جهاد مع نفسك، وجهاد مع عدوك، وجهاد مع قلبك والجهاد فى سبيل الله هو مجاهدة القلب لئلا تتمكن منه الغفلة بحال، وجهاد النفس لا تفتر عن الطاعة بحال، وجهاد الشيطان أن لا يجد منك فرصة فيأخذ منك بحظه.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: الناس فى مجاهداتهم ثلاثة نفر مرتبطون بأفعالهم وصفاتهم، يقولون فى القيامة ﴿هآؤم اقرءوا كتابيه﴾[١] و ﴿يا ليت قومى يعلمون﴾[٢] ونفر غلبت صفات الله على سرائرهم، فهم ينظرون إلى السبق وإلى ما جرى به من الحكم، ونفر تجلى الله لقلوبهم فخشعت عما سواه، فهم لا يدركون صفاتهم وأعمالهم، ولا يدركون صفات الحق انقطاعًا إلى الله واتصالاً به.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾ [الآية: ٥٦].

قال سهل: التوبة لها مقامات وحالات، والتوبة الصحيحة ما قال الله عز وجل: ﴿ومن يَتَوَلَّ الله ورسوله فإن حزب الله هم الغالبون﴾.

---

(١) سورة (الحاقة) الآية رقم (١٩).

(٢) سورة (يس) الآية رقم (٢٦).

قال القاسم: موالاة الله مشتقة من موالاة رسوله، وموالاة الرسول مشتقة من موالاة السادة والأكابر من عباده وهم المؤمنون، ومن لم يعظم الكبراء السادة لا يبلغ إلى شىء من مقامات المولاة مع الله ورسوله فإن النبى ﷺ قال: «من تعظيم جلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم»[(١)]، وقال ﷺ: «بجلوا المشايخ فإن تبجيل المشايخ من إجلال الله»[(٢)].

وقال سهل فى قوله: ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ قال: لأهوائهم وإراداتهم ومقاصدهم.

وقال بعضهم: حزب الله أهل خاصته والقائمون معه على شرائط الاستقامة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم منَ الله نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: ١٥].

قال الواسطى رحمة الله عليه: ينال العبد بالنور ما هو أجلُّ من النور، كداخل البيت سراج يجد فيه جوهره.

قال النصرآباذى: إنه إنما دعى إلى النور الأدنى من عمى عن النور الأعلى.

وقال بعضهم: قد جاءكم من الله نور يفهمكم فوائد الكتاب المبين.

قوله تعالى: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ﴾ [الآية: ٦٣].

قال الواسطى رحمة الله عليه: الربانيون العارفون مقادير الخلق لرحمة الحق، والأحبار الآمرون بالمعروف والناهون على المنكر.

وقال أبو عثمان رحمة الله عليه: الربانيون هم أهل حقيقة الحق وهم أهل المحبة لله بالصدق.

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود فى كتاب «الأدب» باب «فى تنزيل الناس منازلهم» (٤/ ص٢٠٦٦) حديث رقم (٤٨٤٣)، والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٣)، وأورده الحافظ المنذرى فى «الترغيب والترهيب» (١/ ١١٣) من طريق عوف بن أبى جميلة عن زياد بن مخارق عن أبى كنانة عن أبى موسى الأشعرى.

(٢) موضوع: رواه ابن عدى فى «الكامل فى الضعفاء» (٤/ ٩٣)، وابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٤) من طريق صخر بن عبد الله الحاجبى ثنا الليث بن سعد عن الزهرى عن أنس به.
قال ابن عدى: وهذا حديث موضوع على الليث بن سعد وآفته صخر بن عبد الله الحاجبى قال ابن عدى: كان يضع الحديث، حدث عن الثقات بالبواطيل، وقال فيه ابن طاهر «كذاب».
وأورده ابن الجوزى فى «الموضوعات» (١/ ١٨٢) من رواية ابن حبان عنه، والسيوطى فى اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٤٩)، وآفته كما تقدم صخر بن عبد الله . . . به.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن ربِّك﴾ [الآية:٦٧].

قال الواسطى: حقائق الرسالة لو وضعت على الجبال لزالت، إلا أنهم يظهرون للعالم على مقادير طاقتهم، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ولم يقل ما تعرفنا به إليك.

وقال بعضهم: الرسول هو المبتدى والنبى هو المقتدى، قال الله تعالى فى صفة الأنبياء ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[1].

وقال بعضهم فى قوله: ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ معناه: بلغ ما أنزل إليك من ربك ودع ما تعرفنا به إليك، الأول: الشريعة والثانى: ما أنزل من الأنوار على سر محمد ﷺ لا يطيقها بسر.

وقال بعضهم: بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تبلغ ما خصصناك به من محل الكشف والمشاهدة فإنهم لا يطيقون سماع ما أطقت حمله من مشاهدات اللذات والتجلى بالصفات.

قوله تعالى: ﴿والله يَعْصِمُكَ مِن النَّاسِ﴾. قيل يعصمك منهم أن يكون منك إليهم التفات، أو يكون لك بهم اشتغال.

وقيل: يعصمك من أن ترى لنفسك فيها شيئًا بل ترى الكل منه وبه.

وقال بعضهم: لصون سرك عن الاشتغال بهم والنظر إليهم، لأنك معصوم السر عن مولد الشكوك ونزغات الشيطان وفلتات النفس.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِليكَ مِن ربِّكَ طُغيَانًا وكُفْرًا﴾ [الآية:٦٩].

قال الواسطى رحمة الله عليه: هم الذين تولى الله إضلالهم وصرف قلوبهم عن إدراك حقائق الحكمة.

قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا ألا تكون فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ [الآية: ٧١].

قال بعضهم ظنوا أن لا يفتتنوا فى آرائهم وأهوائهم فعموا عن رؤية الحق وصموا عن استماعه، إلا من أدركته رحمة الله وفضله فتاب عليه وفتح عينه لرشده.

(١) سورة (الأنعام) الآية رقم (٩٠).

وقيل: ظنوا أنهم لن يقعوا فى الفتنة وهم طالبون للدنيا معتمدون على الخلق، عميت أبصار قلوبهم وصمت آذان سرائرهم، إلا من يتداركه الله بكشف الغطا فيحله محل التابعين.

قوله عز وجل: ﴿أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: ٨٠].

قال الواسطى رحمة الله عليه: ما أظهر الله من الوشم المكروه على خلقه، جعل ذلك مضافًا إلى غضبه وسخطه من غير أن يؤثر عليه شىء، ألا ترى إلى قول الحكيم كيف يؤثر عليه، ما هو أحراه له كيف يغضبه ما هو أبداه وكيف يجرى عليه الغضب على نحو ما يعرف من الآدميين، ولا يكره شيئًا خلقه وتولى إظهاره، وإن كان نفس ما أظهره مكروها فى ذاته، إذ لا ضرر عليه فى شىء خلقه، كما لا زينة له فى شىء خلقه.

قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [الآية: ٧٤].

قيل: أفلا يتوبون إليه من رؤية أفعالهم ويستغفرونه من تقصيرهم فيها.

وقال أبو عثمان فى قوله: ﴿أفلا يتوبون إلى الله﴾.

قال: أفلا يرجعون إليه بالكلية ويقطعون قلوبهم عن الأسباب.

وقال رويم: حقيقة التوبة هى التوبة من التوبة.

وقال سهل: التوبة أن لا تنسى ذنبك.

وقال أبو حفص: التوبة أن لا تذكر ذنبك.

وقال السوسى: التوبة الرجوع عن كل ما ذَمَّه العلم إلى ما مدحه العلم.

وقال الدقاق: أن تكون وجهًا لله بلا قفًا كما كنت قفًا بلا وجه.

وقال النورى: التوبة أن تتوب مما سوى الحق.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِينَ وَرُهبَانًا وأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: ٨٢].

قال بعضهم: حرمات الخدمة أثبت عليهم وإن كانوا على طرق المخالفة، لكنهم لما أظهروا لزوم الباب بدت عليهم آثارها فى قبول الحرية وتحليل المناكحات والأسباب إلى التزهد والرهبانية.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ﴾ [الآية: ٨٣].

قال ابن عطاء: كادت جوارحهم وقلوبهم أن تنطق بقبول الوحى قبل سماعه فى مشاهدة المصطفى ﷺ فلما سمعوا منه لم يطيقوا إلا ببكاء فرح أو بكاء حسرة أو بكاء دهشة أو بكاء حركة أو بكاء معرفة، كما قال الله تعالى ﴿مما عرفوا من الحق﴾.

وقال بعضهم فى هذه الآية: كان فيهم ثلاثة أشياء: الدعاء والبكاء والرضاء.

فالدعاء على الجفاء، والبكاء على العطاء، والرضاء بالقضاء وكل أحد يدعى المعرفة ولا تكون فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحرِّموا طيبات ما أَحَلَّ اللهُ لَكُم﴾ [الآية: ٨٧].

قال سهل: هو الرفق بالأسباب من غير طلب ولا إشراف نفس، وقد يبدو الرفق بالسبب لأهل المعرفة على الظاهر وهم يأخذونه من المسبب على الحقيقة.

وقال أبو عثمان: لا تحرموا على أنفسكم المكاسب وطلب القوت الحلال من ذلك ولا تعتدوا لانزواء رازقًا سواه، فإنه الرازق. والرزّاق ربما أوصل إليك رزقك بسبب وربما قطعك عن الأسباب وردَّك إلى الأخذ منه.

قوله تعالى: ﴿كُلوا مِمَّا رَزَقكُم اللهُ حَلالاً طيبًا﴾ [الآية: ٨٨].

قال بعضهم: رزقك الذى رزقك ما هو من غير حركة منك ولا استشراف، وهو الطيب الحلال يحلك محل الدعة ويطيب قلبك بتناوله.

قوله تعالى: ﴿وأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [الآية: ٩٢].

قال الواسطى رحمة الله عليه فى هذه الآية: الحذر لا يزول عن العبد، وإن كان مدرجًا تحت الصفات ولولا ذلك لبسطه العلم إلى شرط الجور وقلة المبالاة بالأفعال، ولكن الآداب فى إقامة الموافقات كلما ازدادت السرائر به علمًا إزدادت له خشية.

وقال ابن العزمى: الحذر انكسار القلب.

وقال أيضًا: معنى الحذر مراقبة القلب.

وقال الواسطى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ أى: لا تلاحظوا طاعاتك فتسقطوا عن درجة الكمال.

وقال أبو سعيد الخراز: الحذر من ثمانية أوجه:

احذر الله فيما تعرفه من ذنوبك، واحذره فيما لا تعرفه أنت ويعرفه منك، واحذره فيما لا ترى من فضله عليك، واحذره أن لا ينسيك عيوبك، واحذره أن تكون مخدوعًا برؤية طاعتك ونسيان مخالفاتك، واحذره أن تكون مستدرجًا، واحذره أن يحجبك برؤية رحمته عن رؤية عدله، واحذره أن لا يغرك بثناء الخلق عليك بخلاف ما يعلمه منك.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَامًا للنَّاسِ﴾ [الآية: ٩٧].

سمعت محمد بن عبد الله الطبرى يقول سمعت الشبلى يقول: الكعبة أمام أعين الخلق، والحق إمام قبلة أوليائه.

وقيل: البيت الحرام[١] أى حرام فى مجاهرته لارتكاب المخالفات بحال.

وقيل: حرام على من يراه أن يرى وضعه بعد واضعه.

وقيل قيامًا للناس: أى من ذل عن قيامه فاعوجً بالتدنس بمعصية فأتاه فتعلق به إقامة بركاته وأثار الأنبياء عليهم السلام.

والصلاة فيه ورده إلى حال الاستقامة.

قوله تعالى: ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا﴾ [الآية: ٩٣].

قال سهل: إذا طلب الحلال ولم يأخذ فوق الكفاية وآثر مما حَصَّله وواسى.

قال أبو عثمان الحيرى[٢] فى قوله: ﴿لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ

(١) هذا بعيد جدًا عن التفسير الذى عليه جمهور المفسرين فالبيت الحرام هو الكعبة كما قال الله تعالى فى أول الآية ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام ...﴾ وجعله حرامًا حيث حرم فيه أشياء تحل للإنسان خارجه كالصيد والرفث وقتل بعض الدواب وغيرها.

(٢) أبو عثمان، سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيرى النيسابورى، وأصله من الرى. صحب قديمًا يحيى بن معاذ الرازى، وشاه بن شجاع الكرمانى، ثم رحل إلى نيسابور، إلى أبى حفص، وصحبه وأخذ عنه طريقته. وهو فى وقته من أوحد المشايخ فى سيرته، ومنه انتشرت طريقة التصوف فى نيسابور.
مات أبو عثمان بنيسابور، سنة ثمان وتسعين ومائتين ذكر ذلك محمد بن أحمد بن حمدان وقال: «صليت عليه» (طبقات الصوفية ٣٩).

﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ إذا ما اتقوا الحرام وآمنوا بوعيد الله وعملوا الصالحات اتبعوا السُّنَّة، ثم اتقوا البخل وآمنوا بالخلف ثم اتقوا كثرة الأكل وأحسنوا يعني قالوا: بالفضل.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَسأَلُوا عَنْ أَشياءَ إِنْ تُبدَ لَكُمْ تَسُؤكُم﴾ [الآية: ١٠١].

قال بعضهم: لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم قال بعضهم: لا تسألوا عن مقامات الصديقين ودرجات الأولياء، فإنه إن بدا لكم شيء منها فأنكرتم ذلك هلكتم.

وقال سهل: سؤاله حجاب ودعاؤه قسوة.

قوله عز وعلا: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا عَلَيكُم أَنفسكُم لا يَضرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم﴾ [الآية: ١٠٥].

قال محمد بن على: عليك نفسك إن كفيت الناس شرها فقد أديت أكثر حقها.

ودخل خادم الحسين بن منصور عليه الليلة التى وعد من الغد قتله، فقال: أوصنى: فقال: عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك.

وسُئل أبو عثمان عن هذه الآية فقال: عليك نفسك إن اشتغلت بصلاح فسادها وستر عوراتها، شغلك ذلك عن النظر إلى الخلق والاشتغال بهم.

قوله تعالى وتقدس: ﴿يَوْمَ يَجمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيقُولُ مَاذَا أُجِبتُم قَالُوا لا عِلْمَ لَنا﴾ [الآية: ١٠٩].

قال الواسطى رحمة الله عليه: أظهر ما منه إليهم كلهم من توليه فقالوا كيف نقول فعلت الأمم ـ أو فعلنا عندها ـ كلَّت إلا عن العبادة عن الحقيقة.

وقال بعضهم: لا علم لنا بسؤال عن الحقيقة.

وقال: خاطبهم لعلمه بأنهم يحملون ثقل الخطاب وأشد ما ورد على الأنبياء فى نبوتهم حمل الخطاب على المشاهدة، لذلك لم يظهروا الجواب ولم ينطقوا بالجواب إلا على لسان العجز، لا علم لنا مع ما كشفت لنا من جبروتك.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: رفق بهم ولو فقهوا أو علموا لماتوا هيبة لورود الجواب للخطاب.

وقال بعضهم: لولا أن الله تعالى أيدهم بخطابه بالوسائط، لذابوا حين فجئَهم

خطاب المشاهدة.

وقال بعضهم: طاشت عقولهم وذهلت ألبابهم لهيبة ورود الخطاب عليهم.

وقال ابن عطاء: لا علم لنا بسؤالك ولا جواب لنا عنه.

وقال سهل بن عبد الله: لا عقل لنا وكانت مخاطبتهم فى أصل العقل.

وقال بعضهم: لما ظهر لهم الحق بعلمه وسبقه ثم سألهم جحدوا علومهم ونسوها فى قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبتُم قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ [الآية: ١٠٩].

وذلك من إقامة الأدب لأجلها بما أجابوا.

وحكى الواسطى رحمة الله عليه عن الجنيد رحمه الله أنه قال عن غفلة: قالوا لا علم لنا ولو فقهوا لماتوا، ولو لحظت الرسل ما تحت خطابه لذابوا.

سمعت أبا بكر الرازى يقول: سمعت أبا عمرو محمد بن الأشعث يقول: فى قوله: ﴿ماذا أجبتم﴾؟ قالوا: لا علم لنا كعلمك، فإنك تعلم ما أظهروا وما أعلنوا وأضمروا، ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا فعلمك فيهم أنفذ.

وقال الواسطى رحمة الله عليه: خاطبهم بشاهدهم فثبتوا وأجابوا وسعوا فى أمره ونهيه، ثم خاطبهم بشاهده فى الآخرة وبالحقيقة فجحدوا أمرهم وأنكروا ذلك حقهم، لأن ما ستر عنهم لو أظهره لهم فى الدنيا لما أبدوا رسالة ولا قاموا بحق، وكأنهم قالوا: ما دعونا إلى الذى ظهر ولا قمنا بحق ما أظهرت لنا ﴿لا علم لنا﴾.

وقال سهل بن عبد الله فى قوله ﴿لا علم لنا﴾ أى: لا علم لنا بمرادك فى سؤالك وأنت علام الغيوب، وتلقى الخطاب بالجواب صعب ولا يتلقى خطابه إلا بالجهل والاستكانة والفقر والذلة والخضوع.

سمعت محمد بن شاذان يقول: سمعت محمد بن الفضل يقول: فى هذه الآية ﴿لا علم لنا﴾ أى: لا علم لنا بجواب ما يصلح لهذا السؤال.

وقال أيضًا: ﴿لا علم لنا﴾ إلا علمنا بأنك أنت أعلم بهم منا وليس علمنا كعلمك يا ربنا.

وقال بعضهم فى هذه الآية: ﴿ماذا أجبتم﴾؟ أى كيف شكركم عن عبادى قالوا: ﴿لا علم لنا﴾ بالإجابة، إن شكرنا كذبنا وإن صدقنا شكوا ولا تحتمل قلوبنا أن نشكوا

من ضعفاء إلى متكبر جبار، إنك أنت علام الغيوب، يستعفون من ذلك السؤال قوله: ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾.

قال بعضهم: قطعهم بذلك عن الشفاعات حتى يستأذنوا فيأذن لمن يشاء بقوله تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [الآية: ١١٠].

قال بعضهم: منهم من ألقى إليه روح النبوة، ومنهم من ألقى إليه روح الصديقية، ومنهم من ألقى إليه روح المشاهدة، ومنهم من ألقى إليه روح الإصلاح والحرمة، وأسر إليهم بما لا يترحم، ولا يُعبّر علم ربانى غاب وصفه وبقى حقه.

قال الواسطى رحمة الله عليه: لا تصح الصحبة مع الله إلا بصحبة الروح فى صحبة القِدم.

قال الله تعالى ﴿أيدتك برُوح القُدسِ تكلّم النَّاس فى المهدِ وكهلاً﴾ [الآية: ١١٠].

بالعقل فمن صحت صحبة روحه فى القدم صحت صحبته مع الله.

وقال فى قوله أيدتك بروح القدس: ذكر الروح فى هذا الموضع لطف بالقربة من المسترات.

قال بعضهم: قدست روحك أن تمازج شيئًا من هيكلك وطبعك، بل طهرته لئلا يرى غيرى ولا يشاهد سواى، وأسكنته قالب جسمك، سكون عارية كإسكان آدم ﷺ الجنة لأطهر به جسدك عن أدناس الكون حتى أقدسهما جميعًا وأخرجهما إلى مجد القدس.

قوله تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونى وأُمّىَ إِلهينِ مِن دُونِ اللهِ﴾ [الآية: ١١٦].

قال ابن عطاء: قمعه هذا الخطاب وأسره حتى أحوجه وجميع الأنبياء معًا أن أقروا بالجهل فقالوا: لا علم لنا.

قال تعالى: ﴿وتُبرِئُ الأكمَهَ والأبْرصَ بإذنِى﴾ [الآية: ١١١].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا على الروذبارى يقول: غاية الربوبية فى غاية العبودية لما استقام على بساط العبودية أظهر عليه شيئًا من أوصاف الربوبية بقضائه وقدره.

قوله تعالى: ﴿تَعلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: تعلم ما فى نفسى لك ولا أعلم ما فى نفسك لى.

قال يحيى: تعلم ما فى نفسى لأنك أوجدتها، ولا أعلم ما فى نفسك لبعد الذات عن الدرك.

سمعت محمد بن عبد العزيز يقول: سمعت محمد الجريرى يقول: سمعت الجنيد رحمة الله عليه يقول: وقد سُئل عن قوله تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك.

قال: تعلم ما أنا لك عليه وما لك عندى، ولا أعلم ما لى عندك إلا ما أطلعتنى عليه وأخبرتنى به.

وقال: تعلم ما فى نفسى من تدبيرك فى وقضائك لى، ولا أعلم ما فى نفسك من المحبه لى أو الإبعاد.

قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُم إلا مَا أمَرتَنِي بِهِ﴾ [الآية: ١١٧].

قيل أنى يكون لى لسان القول إلا بعد الإذن بعد قولك ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيهم﴾.

قيل: لما أسقطت عنى ثقل الإبلاغ، كنت أنت أعلم من إقبالهم بما أجريت عليهم من محتوم قضائك.

وقال أبو بكر الفارسى فى هذه الآية: الموحد ذاهب عن حاله ووصفه وعمًا لَهُ وعليه، وإنما هو ناظر بما يرد ويصدر ليس بينه وبين الحق حجاب، إن نطق فعنه وإن سكت فيه، حيث ما نظر كان للحق منظوره، وإن أخلده النار لم يلتمس فرجًا لأن رؤية الحق وطنه ونجاته، وهلكته من عين واحدة لم يبق حجاب إلا طمسه برؤية التفريد وكان المخاطِبُ والمخاطَب واحدًا، وإنما يخاطب الحق نفسه بنفسه لنفسه، قد تاهت العقول ودرست الرسوم وبطل ما كانوا يعملون.

قوله تعالى: ﴿إن تُعَذِّبْهُم فإنَّهم عِبادُك﴾ [الآية: ١١٨].

قال الوراق: إن تعذبهم بتقصيرهم فى طاعتك، فإنهم عبادك مقرُون لك بالتقصير، وإن تغفر لهم ذنوبهم فأنت أهل العزة والكرم.

وقال بعضهم: نزل عيسى عليه الصلاة والسلام له انبساط فى السؤال للأمة وترك المحاكمة فى أفعاله، ونبينا ﷺ لا يزال يشفع ويشفع ويقول: أمتى أمتى حتى يجاب فى الكل من أمته، وهذا هو المقام المحمود الذى خُصَّ به، ويغبطه عليه الأولون والآخرون حيث راجع الحق منبسطًا ويُجاب بقوله قل يُسمع واشفع تشفع[1].

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [الآية:١١٩].

سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الصدق: ملازمة الصادقين، والسكون عند نظر المتفرسين ووجدان الكراهية لتغير السر لرب العالمين.

سمعت النصرآباذى يقول: سمعت إبراهيم بن عائشة يقول: سمعت أبا سعيد القرشى وقد سُئل عن الصادق فقال: الذى ظاهره مستقيم وباطنه لا يميل إلى حظ النفس لاستقامته، وعلامة صاحبه أن يجد الحلاوة فى بعض الطاعة ولا يجد فى بعضها.

وإذا اشتغل بالذكر والاجتهاد يجد الروح وإذا اشتغل بحظوظ نفسه حُجب عن الله وعن الأذكار.

وقال بعضهم: فى قوله ﴿يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ حجاب الأكابر إخبارهم عن حضورهم ومن حضر نفسه لا يحضر ربه، ومن ادعى الصدق أثبت نفسه وأحضرها.

سمعت أبا بكر الرازى يقول: سمعت الكتانى يقول: سألت ابن عطاء بمكة عن قوله: ﴿يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ قال: إرادتهم فى بيان أعمالهم بجوارحهم.

وقال الحسينى فى هذه الآية: إذا قابل ربه بصدق، وجهل أمر ربه، وطالب ربه بحظه ووعده يطالبه ربه بصدق صدقه فافلسه عن رتبته وأبعده عما قصده، وينفع صدقه من لقيه الإفلاس وأيقن أنه كان مستعملاً تحت حكمه وقضيته.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الرقاق» باب «صفة الجنة والنار» (١١/ ٤٢٥) حديث رقم (٦٥٦٥)، ومسلم فى كتاب «الإيمان» باب «أدنى أهل الجنة منزلة» (٢/ ٣٢٢) (ص٥١/ حديث رقم ١٩٣/ نووى). كلاهما من طريق أبى عوانة عن قتادة عن أنس به.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ[1] أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الآية:١١٨].

قال الواسطي رحمة الله عليه: عَزَّ كلامه ونعوته وعزت صفاته وبيانه وأساميه فلم يبدها إلا لمن خلقه لها ومن كان هو أحق بها وأهلها.

* * *

(١) في المخطوط (إنك).

ذكر ما فى سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وعلا: ﴿الحمد لله الَّذِى خَلَقَ السَّمَوات والأرض﴾ [الآية: ١].

قيل: حمد نفسه بنفسه حين علم عجز الخلق عن بلوغ حمده.

وقيل: حمد نفسه على ما أبدى الخلق من مصالحهم ومعايشهم لغفلة الخلق عن ذلك.

وقيل فى قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوات والأَرض﴾ قال: السموات سماوات المعرفة، والأرض أرض الخدمة.

وقيل فى هذه الآية من ذا الذى يستحق الحمد، إلا من يقدر على مثل هذا الخلق من السموات والأرض وما فيهما.

وسُئل الواسطى رحمة الله عليه ما الحكمة فى إظهار الكون بقوله خلق السموات والأرض؟ فقال: لا حاجة به إلى الكون، لأن فقد الكون ظهوره وظهوره فقده عنده، فإن قيل لإظهار الربوبية قيل: ربوبيته كانت ظاهرة ولم يظهر ربوبيته لغيره قط، لأنه لا طاقة لأحد فى ظهور ربوبيته، بل أظهر الكون وحجب الكون بالكون، لئلا تظهر لأحد الربوبية فينطمس، لأن الحق لا يحتمله إلا الحق.

وسُئل بعضهم: ما الحكمة فى إظهار الكون؟ قال: ارتفاع العلة، فإذا ارتفعت العلة ظهرت الحكمة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلمات والنُّورَ﴾.

قال بعضهم: أبدأ الظلمات فى الهياكل والنور فى الأرواح.

وقال بعضهم: جعل الظلمات الكفر والمعاصى، وجعل النور الإيمان والطاعات.

وقال الواسطى: هو الكفر والمعاصى والنور والإيمان، وأصله الافتراق والاقتران.

وقال بعضهم: جعل الظلمات والنور، الظلمات: أعمال البدن والنور: فى التفويض.

قوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من طين﴾ [الآية: ٢].

قال الحسن: ردَّهم إلى قيمتهم فى أصل الخليقة، ثم أوقع عليهم نور السيد وخاصية الخلقة، فتميزوا بذلك عن جملة الحيوانات بالمعرفة والعلم واليقين.

قوله تعالى: ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ [الآية: ٣].

قال بعضهم: ما تضمرون فى سرائركم وما تجهرون به من دعواتكم.

قوله تعالى: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ [الآية: ٩].

قال الواسطى رحمة الله عليه: ليس على أهل ولايته بحضرته كما أنزل فى بعض الكتب بغيتى[1] ما يتحمله المتحملون من أجلى وطلب مرضاتى، أترانى أنسى لهم ذلك كيف وأنا الجواد الكريم، أقبل على من تولى عنى فكيف بمن أقبل علىّ.

وقال النورى فى قوله: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ قال: رحمهم من حيث لم يعلموا.

قوله عز وعلا: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية: ١٠].

قال: القاسم لما لم يعرفوا حقوق الرسل ولم يكرموهم ولم ينظروا إليهم بعين الحق، فصموا عن الأنوار والمشاهدات والرفيع من المقامات.

قوله عز وعلا: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُل سَلامٌ عَلَيكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحمَةَ﴾ [الآية: ٥٤].

قال: كتب فى الأبد لمن نظر إليه فى الأزل بعين الرحمة.

قال أبو عثمان: أوجب على نفسه عفو المقصرين من عباده، لذلك قال: كتب ربكم على نفسه الرحمة.

وقال بعضهم: فى قوله: ﴿سلام عليكم﴾ قال: هى الصفات الجارية عليهم ولهم، والذى أعتقهم من رق الكون وأظهرهم من خفايا المختزنات المصونات المكنونة بأعجب أعجوبة ثم أشهدهم السلام.

قال محمد بن على الكتانى: اختص الحقْ بقلوب العارفين لسكونها إليه، قال: «وله ما سكن» وكانوا سالمين منه فى أزليته، سالمين منه، فى ظاهر ربوبيته، سالمين فى

---

(١) على هامش المخطوط (بعينى).

آخريته، فاستحقوا اسم السلام بذلك.

قوله عز ذكره: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِى اللَّيلِ والنَّهَارِ﴾ [الآية: ١٣].

كيف لا يسكن إلى الحق ولدعاة الحقيقة تقصده وهو موضع النظر.

وقال الواسطى: ﴿وله ما سكن فى الليل والنهار﴾ فمن أدعى شيئًا من ملكه وهو ما سكن فى الليل والنهار من خطرةٍ أو حركة أنها له فقد جارب القبضة وأوهن العزة.

﴿ألا له الخلق والأمر﴾[1] أمر إطلاق.

وقال أيضًا فى هذه الآية: أزال الأملاك بل أبطلها حين أضافها إلى نفسه وتولاها بقدرته وأظهرها بمشيئته وأوجدها بعدما أفقدها، فهو المالك لها على الحقيقة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًا﴾ [الآية: ١٤].

قال الجوزجانى[2]: أبغى سواه ملجأ وقد سهل السبيل إليه.

وقال غيره: أسِوَاه أستكفى، وهو الذى يكفينى المهم فى الدارين.

وقال أبو عثمان: الالتجاء إلى الله عز وجل فإنه موضع اللجأ ﴿قل أغير الله أتخذ وليًا﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾.

قال بعضهم: أكون أول من انقاد للحق إذا ظهر.

وقال ابن عطاء: أن أكون من الخاضعين لما يبدو من مبادئ القدرة.

وقال جعفر: من الراضين بموارد القضاء.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ﴾ [الآية: ١٧].

قال الوراق: اعتمد على الله فى جميع أمورك وأحوالك، فإنه لا مانع لما أعطى ولا

---

(١) سورة (الأعراف) الآية رقم (٥٤).

(٢) أبو على الحسن بن على الجوزجانى من كبار مشايخ خراسان. له التصانيف المشهورة، تكلم فى علوم الآفات والرياضات والمجاهدات، وربما تكلم أيضًا فى شىء من علوم المعارف والحكم. صحب محمد بن على الترمذى، ومحمد بن الفضل وهو قريب السن منهم.
قال فى البخل: هو ثلاثة أحرف: الباء وهو البلاء، والخاء وهو الخسران، واللام وهو اللوم، فالبخيل بلاء فى نفسه، وخاسر فى سعيه، وملوم فى بخله. (طبقات الصوفية ٥٨).

دافع لما أنزل سواه، ألا تراه يقول: ﴿وإن يمسسك اللهُ بضرٍّ فلا كاشفَ له إلا هو﴾.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: معبودك أول خاطر يخطر لك عند نزول ضُرٍّ أو نزول بلاء إن رجعت فيه إلى الله فهو معبودك وهو الذى يكفيك، وإن رجعت إلى غيره تركك وما رجعت إليه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾ [الآية:١٨].

قيل: جبرهم وقهرهم حتى لو استطاعوا عنه معدلاً ما أطاقوا، يجحدون ظاهرين وتكذبهم البواطن.

وقال الحسين: القاهر يمحو به كل موجود.

وقال بعضهم: قهرهم على الإيجاد والإظهار، كما قهرهم على الموت والفناء.

وقال بعضهم: القاهر: الآمر بالطاعة من غير حاجة، والناهى عن المعصية من غير كراهية، والمثيب من غير عوض، والمعاقب من غير حقد، لا يشتفى بالعقوبة ولا يتعزز بالطاعة.

قوله عز وعلا: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ [الآية:١٩].

قال الحسين: لا شهادة أصدق من شهادة الحق لنفسه بما شهد به فى الأزل لقوله ﴿أى شىء أكبر شهاده قل الله﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً﴾ [الآية: ٢٥].

قال ابن عطاء: لأنه لم يجعل لهم سمع الفهم، وإنما جعل لهم سمع الخطاب.

قال الواسطى رحمة الله عليه: ومنهم من يستمع إليك بنفسه وهو فى ظلمات نفسه يتردد، ومنهم من يستمع منك بنا فهو فى أنوار المعارف يتقلب.

قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لهُم مَّا كَانُوا يُخفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية:٢٨].

قيل: ظهر لهم من عيوب أسرارهم ما كان يخفيه عنهم قلة عملهم.

قال أبو العباس الدينورى[1]: أبدا لهم الحق فساد دعاويهم التى كانوا يخفونها

---

(١) أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى. صحب يوسف بن الحسين، وعبد الله الخراز وأبا محمد الجيرى، وأبا العباس بن عطاء ولقى رويمًا. وهو من أفتى المشايخ، وأحسنهم طريقة واستقامة. =

ويظهرون للناس خلافها من التنسك والتقى.

قوله تعالى: ﴿وَلَو تَرى إذ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الآية: ٣٠].

قال ابن عطاء: وقفوا وقوف قهار، ولو وقفوا وقوف اشتياق لرأوا عن أنواع الكرامات ما تعجبوا منها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا إلا لَعِبٌ وَلَهوٌ﴾ [الآية: ٣٢].

قال محمد بن على: لعب لمن جمعه لهو لمن يرث عنه.

وقال الواسطى فى قوله ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون﴾ جهلهم بعلمهم.

قال النصرآباذى: لمن لزم التقوى واشتاق إلى مفارقة الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيرٌ للَّذينَ يَتَّقُونَ﴾، والإنسان يسارع إلى ما هو خير له.

قال بعضهم فى هذه الآية: تعزية للفقراء بما حرموا منها، وتقريع للأغنياء بما ركنوا إليها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية: ٣٤].

قال الواسطى رحمة الله عليه: طيب قلب نبيه ﷺ بما خالفوه به من أنواع الخلاف لئلا يشق عليه حال الإبلاغ.

قوله تعالى: ﴿وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾.

قيل: لا مغير لها لما أجرى فى الأزل عند ظهورها فى الأبد، والأزل والأبد عنده واحد ولا أزل ولا أبد حقيقة.

قوله تعالى: ﴿وَلَو شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُم على الهُدَى﴾ [الآية: ٣٥].

قال الواسطى: على جوهرة واحدة فى صفة واحدة.

وقيل هذا الخطاب استهانة بمن أعرض عنه، بأنه سيرهم فى مشيئته وصرفهم فى تدبيره.

= ورد نيسابور وأقام بها مدة، وكان يعظ الناس ويتكلم على لسان المعرفة بأحسن كلام ثم رحل من نيسابور إلى سمرقند، ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: ٣٦].

قال النورى: من فتح سمعه للسماع أجرى لسانه بالجواب.

قوله تعالى: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾.

قال ابن عطاء: أخبر الله أن أهل السماع هم الأحياء وهم أهل الخطاب والجواب، وأخبر أن الآخرين هم الأموات بقوله ﴿والمَوتَى يَبْعثُهُمُ اللهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيءٍ﴾ [الآية: ٣٨].

قيل: ما أخرنا فى الكتاب ذكر أحدٍ من الخلق ولكن لا يبصر ذكره فى الكتاب إلا المؤيدون بأنوار العزة:

قوله عز وعلا ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الآية: ٣٩].

قال بعضهم: لم يصدقوا إظهار كرامتنا على المقربين من عبادنا، عموا وصموا عن أنوار الملاحظات، وبقوا مع ظلمات النفوس وهواجس الهياكل.

قوله تعالى: ﴿مَن يَشَأَ اللهُ يُضْلِلهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

قال من يرد الله به الخير يجره إلى حسن اختياره له فيبقى على أسلم الطريق، وهو الرضا بمجارى القدرة وهو الصراط المستقيم. ومن يرد به الشر تركه فى سوء تدبيره فيبقى فى ضلاله.

قوله تعالى: ﴿أَغيرَ اللهِ تَدْعُونَ إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: ٤٠].

قيل أعلى غيره تتوكلون وإلى سواه ترجعون؟ وهو الذى وفقكم لمعرفته وأقامكم مقام الصادقين من عباده.

قال الجريرى: مرجع العارفين إلى الحق فى أوائل البدايات، ومرجع العوام إليه بعد الإياس من الخلق.

قال الله تعالى: ﴿أَغيرَ اللهِ تَدْعُونَ إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الآية: ٤١].

قال الجنيد رحمة الله عليه: من دعا الحق فبإياه لإيَّاه يدعو من غير حظ فيه ولا حضور من نفسه.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾.

قال بعضهم: بل إليه المرجع لمن عقل عنه خطابه.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الآية: ٤٢].

قال ابن عطاء: أخذنا عليهم الطرق كلها ليرجعوا إلينا.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرأَيتم إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ [الآية: ٤٦].

قال الجريرى: أى إن أخذ الله سمعكم عن فهم خطاباتهم وأبصاركم عن الاعتبار بصنائع قدرته، وختم على قلوبكم تسلبكم معرفته، هل يقدر أحد فتح باب من هذه الأبواب سواه؟ كلا بل هو المبتدئ بالنعم تفضلاً ومنتهى فى الانتهاء كرمًا.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: ٤٨].

قال بعضهم: من أخلص باطنه وأصلح ظاهره فلا خوف عليهم خوف القنوط ولا هم يحزنون حزن القطيعة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [الآية: ٥٠].

قال بعضهم: الأعمى من عمى عن طريق رشده والقائم مع عبادته، والبصير الناظر إلى منن الحق عليه وحسن توليه له أفلا تتفكرون فى اختلاف السبيلين وبيان المذهبين.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحشَرُوا إِلى ربِّهم﴾[1] [الآية: ٥١].

وقال أبو سعيد الخراز فى قوله: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ قال: أن يجعلوا إلىَّ وسيلة غيرى، أو شفيعًا إلىَّ سواى.

سمعت الأستاذ أبا سهل محمد بن سليمان يقول: لسنا مخاطبين بحقائق القرآن إنما المخاطب بحقيقته هم الذين وصفهم الله فقال: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشرو إلى ربهم﴾[2] وقال ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [ق: ٣٧].

---

(١) على هامش المخطوط: [قال أبو عثمان: أهل المعاملات وأرباب الهدف فى ذلك خائفون • يبدو منهم من الإيمان والتوكل واليقين وأنواع العبادات وعرض ذلك على ربهم يشغلهم خوف ذلك عن رؤيا شىء من افعالهم والتلذذ بها والاعتماد عليها قال الله تعالى: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾] اهـ.

(٢) قلت: بل القرآن يخاطب الناس جميعًا فقال الله تعالى:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم . . .﴾.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم من دُونه وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: من استقطعته المملكة عن الملك، لا يصلح لخدمة الملك.

وقال أيضًا: لا تلاحظ أحدًا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلاً.

قوله تعالى: ﴿لعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

قال: أن يجعلوا إلىَّ وسيلة غيرى.

وقيل فى هذه الآية: إنما يعطى الأطماع بمعاونة نصيب الكرم دون السعاية بضياء الهداية.

قوله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الآية: ٥٢].

سُئل النهرجورى[1] عن المريد، فقال: صفته ما ذكر الله عز وجل فى كتابه: ﴿ولا

= ﴿يا أيها الناس أعبدوا ربكم . . .﴾.

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم . . . .﴾

﴿يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض . . .﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق . . . .﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم . . .﴾

وغير ذلك من الآيات التى يخاطب الله فيها الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم، وكذلك يخاطب فى بعض المواضع أهل الكتاب خاصة فيقول عز من قائل:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء . . .﴾

﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم . . .﴾

﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون﴾، وغير ذلك أيضًا. . .

بل أمر الله الخلق جميعًا بالإيمان بالكتب والرسل بما فيهم القرآن الكريم وأقرهم بالتدبر فى آياته فقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن . . .﴾ فمن هولاء الذين استثناهم الأستاذ بعدم المخاطبة فتعجب!.

(١) أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجورى من علماء مشايخهم صحب الجنيد، وعمر بن عثمان المكى، وأبا يعقوب السوسى وغيرهم من المشايخ.

أقام بالحرم سنين كثيرة مجاورًا، وبه مات وكان أبو عثمان المغربى يقول: «ما رأيت فى مشايخنا أنور من النهرجورى» مات سنة ثلاث وثلاثمائة (طبقات الصوفية ٩٢).

تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾ الآية.

وهو دوام ذكره وإخلاص عمله، أوصى بذلك أكابرهم فى التعطف عليهم والصفح عن زللهم.

وقال أبو عثمان: الحال التى تجب على العبد لزوم حقيقة الذكر وخلوص السر وهو المبدئ وهو المنهى.

وقال بعضهم فى هذه الآية: لا تبعد عنك من زيَّناه بزينة العبودية، وجعلنا أيامه وفقًا على الإقبال علينا.

وقال أبو بكر الفارسى: إرادتك لله ذكرك له على الدوام، قال الله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى﴾ وهذه صفة المتحققين من أهل الإرادة، ومن علامة المريد الصادق أن يتنافر من غير جنسه ويطلب الجنس.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الآية: ٥٣].

قال الحسين: قطع الخلق بالخلق عن الحق، قال: ﴿فتنا بعضهم ببعض﴾.

قال أبو بكر الوراق: هى فتنة الرجل بولده وزوجته والاشتغال بهم وبأسبابهم وقا ذُكر عن بعض السلف أنه قال: ما شغلك عن الله فهو مشئوم وهو بلاء وفتنة.

وقال محمد بن حامد فى هذه الآية: فتن الفقراء بالأغنياء وفتنة الأغنياء بالفقراء ففتنة الفقير فى الغنى رؤية فضله عليه وسخطه لما يمنعه مما فى يده ويراه المعطى والمان دون الله، وفتنة الغنى بالفقير ازدراؤه بالفقراء وتحقيره إياهم ومنعهم ما أوجب الله له عليه مما فى يده وامتنانه عليهم بإيصالهم إلى حقوقهم أو إيصال الحقوق إليهم، والذى يسقط عن الفقير فتنة فقره رؤية فضل الأغنياء والذى يسقط عن الغنى فتنة غنائه رؤية فضل الفقراء.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الآية: ٥٣].

قال ذو النون: الشاكر هو المستزيد لذلك فضَّل الله الحامدين على الشاكرين.

وقال بعضهم: الشاكرين أى الراجعين إلى الله فى جميع أحوالهم.

قوله عز وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

قيل فى هذه الآية: تسلم انت على الذين يؤمنون بآياتنا، فإنَّا نسلم على الذ

يؤمنون بنا بلا واسطة وذلك قوله: ﴿سلام قولاً من ربٍّ رحيم﴾[1].

وقال بعضهم: إذا جاءك الذين خالفوا الأمر وهم على طريقة التوحيد فاقبلهم ولا تردهم بالمعاصى قال الله: ﴿لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

سمعت أبا عبد الله الرازى يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: والله إن الحق هو الذى يسلم على الفقراء، والنبى ﷺ فى ذلك واسطة.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: برحمته وصلوا إلى عبادته، لا بعبادتهم وصلوا إلى رحمته، وبرحمته نالوا ما عنده، لا بأفعالهم لأن النبى ﷺ يقول: «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمته»[2].

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سوءاً بِجَهالَةٍ﴾ [الآية: ٥٤].

قال ابن عطاء: كل من عصى الله عصاه جهالة، وكل من أطاعه أطاعه بعلم فإن العبد إذا لم يعظم قدر معرفة الله فى قلبه ركب كل نوع من البلاء.

قوله عز وعلا: ﴿إِنِّى عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى﴾ [الآية: ٥٧].

قال أبو عثمان: الأنبياء والأولياء والأكابر منهم على بينات، فبينات الأنبياء وحى ويقين وبينات الأولياء الفراسة الصادقة والإخبار عن الغيب كما كان ليوشع وللصديق الأكبر.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ﴾ [الآية: ٥٩].

قال الجريرى: لا يعلمها إلا هو ومن يطلعه عليها من صفى وخليل وحبيب وولى.

قال ابن عطاء فى هذه الآية: يفتح لأهل الخير المحبة والرحمة، ولأهل الشر الفتنة والمهانة، ولأهل الولاية الكرامات، ولأهل السرائر السر، ولأهل التمكين جذبًا.

---

(١) سورة (يس) الآية رقم (٥٨)، وسورة (النساء) الآية رقم (٤٨).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الرقاق» باب «القصد والمداومة على العمل» (١١/ ٣٠٠) حديث رقم (٦٤٦٧)، ومسلم فى كتاب «المنافقين» باب «لن يدخل احد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى» (٩/ ٧٨) (ص١٧٦/ حديث رقم (٢٨١٨/ نووى)، من طريق موسى بن عقبة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن عائشة به.

وقال ابن عطاء: الفتح فى القلوب الهداية وفى الهموم الرعاية وفى الجوارح السياسة.

وقال أيضًا: يفتح للأنبياء المكاشفات وللأولياء المعاينات وللصالحين الطاعات وللعامة الهداية.

وقال أبو سعيد الخراز فى هذه الآية: أبدأ ذلك لنبيه وحبيبه ﷺ ففتح عليه أولا أسباب التأديب، أدبه بالأمر والنهى، ثم فتح عليه أسباب التهذيب وهى المشيئة والقدرة، ثم فتح عليه أسباب التذويب وهو قوله ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾(١) ثم أسباب التغييب وهو قوله: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾(٢) فهذه مفاتيح الغيب التى فتحها الله لنبيه ﷺ.

وقال جعفر فى قوله ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ﴾ قال: يفتح من القلوب الهداية ومن الهموم الرعاية ومن اللسان الرواية ومن الجوارح السياسة والدلالة.

وقال بعضهم: يفتح لأهل الولاية ولاية وكرامة، ولأهل السر سر أبعد سر، ولأهل التمكين جذبًا وتقريبًا، ولأهل الإهانة بعدًا وتصريفًا، ولأهل السخط حجبًا وتبعيدًا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا﴾ [الآية: ٥٩].

قال الواسطى رحمة الله عليه: متى يعلمها؟ حين لا متى! أقبل نضرتها وخضرتها ودهائها حتى لا يوجد منها شىء فما ستر من صفاته وما ظهر واحد، إذا كان ذلك على قدر الكون، إنما نتكلم بأقدارنا ونشير بأخطارنا، ولو كان بقدره كان الهلاك.

قوله تعالى: ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

فالاضطراب أن تقدم ما أخر أو تؤخر ما قدَّم، منازعة لربوبيته وخروجًا عن عبوديته.

وقال فى قوله: ﴿وَمَا تَسقُط من وَرقة إلا يعلمُها﴾ قال: هى فى الأصل لا وزن لأنها اخضرت ثم اصفرت ثم يبست ومرّت، إنما الإشارة إليها لطفًا، لأن ما دونها القلة، وما فوقها فى الرتبة، بمنزلة لا زيادة فى وجودها، ولا نقصان فى فقدها.

---

(١) سورة (آل عمران) الآية رقم (١٢٨).

(٢) سورة (المزمل) الآية رقم (٨).

وقال بعضهم: من مفاتيح غيبه ما قذف فى قلبك من نور معرفته، وبسط فيه بساط الرضا بقضائه وجعله موضع نظره.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ﴾ [الآية: ٦٢].

قال بعضهم: هى أرجا آية فى كتاب الله، لأنه لا مرد للعبد أعز من أن يكون مرده إلى مولاه.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الآية: ٦٤].

قال بعضهم فى هذه الآية يقول الله: «أنا كاشف الكروب، فمن قصدنى عند كربائه وحاجاته كشفت عنه كروبه ومن قصد غيرى أسقطت عنه وجاهته».

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُم﴾ [الآية: ٦٥].

قال القاسم: عذابًا من فوقكم اللهو والنظر إلى المحرمات والنطق بالفواحش، أو من تحت أرجلكم: المشى إلى الملاهى وأبواب السلاطين وهتك أستار المحرمات، أو يلبسكم شيعًا يرفع عما بينكم الألفة، ويذيق بعضكم بأس بعض بتكفير أهل الأهواء بعضهم بعضًا.

قوله عز وعلا ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الآية: ٦٧].

قال الحسين: لكل دعوى كشف.

قوله عز وعلا: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الآية: ٦٩].

قال أبو صالح بن حمدون[1]: الطريق إلى الله التقوى، والتقوى أكل الحلال وحفظ الجوارح وزمها عن الشبهات.

وقيل: ما على التاركين الاعتماد على الوسائط والآخذين من الحق حظوظهم حساب.

قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الآية: ٧٠].

---

(١) أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابورى، شيخ أهل الملامة بنيسابور ومنه انتشر مذهب الملامة.

توفى حمدون سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور، ودفن فى مقبرة الحيرة (طبقات الصوفية/ ٢٩ ـ ٣٠).

قال الحسين: لا نلاحظ من شغلهم خلقنا عنا وأنسوا بحياتهم فى دنياهم وهى فى الحقيقة موت، والحى من يكون به حيًا.

قوله عز ذكره ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى﴾ [الآية: ٧١].

قال القاسم: الطريق إلى الله هو الأصح، والقاصد عرصته هو المعان.

قال الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾.

قال أبو عثمان: أمر العبد بالتسليم، والتسليم: ترك التدبير والرضا لمجارى القضاء.

قوله تعالى: ﴿وأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ﴾ [الآية: ٧٢].

قال بعضهم: إقامة الصلاة حفظ حدودها والدخول فيها بشرط الخدمة والقيام فيها على سبيل الهيبة، والمناجاة فيها بلسان الاقتصار والذلة، والخروج منها رؤية التقصير فى الخدمة، هذه إقامة الصلاة لا الترسم بالركوع والسجود.

قال ابن عطاء: إقامة الصلاة حفظ حدودها مع الله وحفظ الأسرار فيها مع الله أن لا يختلج فى سره سواه.

قوله تعالى: ﴿قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ﴾ [الآية: ٧٣].

قال الحسين: هو الحق ولا يظهر من الحق إلا الحق، قال الله تعالى: ﴿قوله الحق﴾.

قوله عز وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: ٧٥].

أراه ذلك ليطيق الهجوم على عظمته.

وقال فارس فى قوله ﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ قال بدايات أعلام الغيوب التى لا تبقى على النفوس غير الله، وهى دلائل أهل التوحيد مـِ الله.

وقال بعضهم: أرى الخليل الملكوت لئلا يشتغل بها ويرجع إلى مالكها.

وقال بعضهم: أرى الخليل الملكوت فاشتغل بالاستدلال على الحق، فلما كشف من الحقيقة تبرأ من الكل فقال: «أمَّا إليك فلا».

قوله جل ذكره: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾.

بأن لها صانعًا يقلبها.

وقيل: أرى ملكوت السموات والأرض أنها محدثة وأن لها مدبرًا، فصار من الموقنين بأن لا دافع ولا نافع سوى الله.

وقيل فى قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾: بعد معرفة اليقين.

وقال النصرآباذى فى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ولم يقل رأى إبراهيم ولا يمكن رؤية الفروع بالفروع، إنما رأى الفروع من الملكوت بالأصول.

قوله عز اسمه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الآية: ٧٦].

قال بعضهم: كَمُنَ فيه كواكب الوحدانية وشموسها وأقمارها، فغلب به الشكوك فى رؤية الأقمار والنجوم والشمس.

قال الواسطى رحمة الله عليه: فى قوله رأى كوكبًا قال: إنه كان يطالع الحق بسره لا الكواكب، وكذلك فى الشمس والقمر بقوله: ﴿لا أحب الآفلين﴾ عند رجوعه إلى أوصافه بارتفاع المعنى البادى عليه، إنى لا أحب زوال ما استوفانى من لذة المشاهدة فأذهلنى عنه وأحضرنى فيه.

وقال النصرآباذى: أراه بالفرع الأفول وأراه فى الأصول نفى الأفول وبطلانه فقال: ﴿لا أحب الآفلين﴾.

وقال أيضًا: أراه الأفول حتى هيمه فيمن لا أفول له وأنشد:

أنَّ شمسَ النَّهار تَغرُبُ باللَّيلِ وشمسَ القُلُوب ليسَ تَغيبُ

قال ابن عطاء فى هذه الآية ﴿هذا ربى﴾ قال: كان الأول تفريقًا للقوم، والثانى مسأله الازدياد للهداية، فلما أزال العذر والتقريع به وقام بالحجة رجع إلى البراءة.

وقال: ﴿يا قوم إنى برىء مما تشركون﴾.

وقيل هذا دليل على ربى، لأن ربى لم يزل ولا يزال ولا يزول وهذا آفل، ومن لا يقوم بنفسه، وتحويه الأماكن ويزول منها لا يكون ربًا.

وقال بعضهم: لما أظلم عليه الكون وعمى عن الاختيار وألجأه الاضطرار إلى النفس، الاضطرار ورد على قلبه من أنوار الربوبية فقال: هذا ربى ثم كشف له عن أنوار الهيبة فازداد نورًا، فصاح ثم أفنى بنور الإلهية عن معنى البشرية فقال: ﴿لئن لم

يهدنى ربى﴾ ثم أبقى ببقاء الباقى فقال: ﴿يا قوم إنى برىء مما تشركون﴾.

قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّم يَهْدِنِي رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ القومِ الضَّالِّين﴾ [الآية: ٧٧].

قال الواسطى رحمة الله عليه: لئن لم يقمنى ربى على الهداية التى شاهدتها بإعلام بواديه ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾ فى نظرى إلى نفسى وبقاءى فى صفاتى.

وقال سهل فى هذه الآية: لئن لم يهدنى ربى بمعُونة منه لأكونن مثلكم فى الضلالة.

وقال بعضهم: لئن لم يزدنى هدى ولم يثبتنى على الهداية.

وقال بعضهم: لئن لم يكرمنى بمزيد الهداية لأكونن كما أنتم فى عبادتكم، فلما ثبتت الحجة عليهم إنها ليست بآلهة رجع إلى وطنه فقال: ﴿إنى برىء مما تشركون﴾.

وقيل فى قوله: ﴿إنى برىء مما تشركون﴾ من الاستدلال بالمخلوقات على الخالق بعلمى أن لا دليل على الله سواه.

وقيل فى قوله: ﴿وما أنا من المشركين﴾.

قال الواسطى: منى الدعوة ومن الله الهداية.

قال ابن عطاء فى قوله: ﴿هذا ربى﴾ قال: كان إبراهيم ﷺ من شدة حبه لربه وشغفه به لما رأى الصنع والآثار غاب عنها وتعلق بالصانع، وهذا من عطشه وامتلائه بربه، لم يكن فيه فضل من ربه أن يقول هذا صنع ربى الذى يظهر مثل هذه البدائع والآثار، وهذا مقام الجمع أن لا يكون فيه فضل من ربه أن يذكر سواه أو يرى سواه.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهتُ وَجهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّموات والأرض﴾ [الآية: ٧٩].

قال جعفر: يعنى أسلمت قلبى للذى خلقه وانقطعت إليه من كل شاغل وشغلى للذى فطر السموات والأرض قال: الذى رفع السموات والأرض بغير عمد، وأظهر فيها بدائع صنعه قادر على حفظ قلبى من الخواطر المذمومة والوساوس التى لا تليق بالحق.

قوله تعالى: ﴿الَّذين آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الآية: ٨٢].

قال ابن طاهر: لم يلبسوا إيمانهم أى: لم يرجعوا فى النوائب والمهمات إلى غير الله ﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ راجعون إلى من إليه المرجع.

قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [الآية: ٨٣].

قال: الصفاء: السر وصحه الهمة.

قال جعفر الخلدى: نرفع درجات من نشاء بالخلق السنى والهمة الزكية.

وقال محمد بن الفضل: نرفع درجات من نشاء بطاعة الرسول ﷺ واتباع سنته.

وقال النورى: نرفع درجات من نشاء بالكون مع الله والفهم عنه.

وقال بعضهم: نرفع درجات من نشاء بالسخاء وهو خلق الأنبياء ولذلك قيل حسن الخلق.

قوله تعالى: ﴿واجْتَبَيْنَاهُم وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مستَقِيمٍ﴾ [الآية: ٨٧].

قال الجنيد: فى هذه الآية أخلصناهم لنا وأدَّبناهم بحضرتنا ودللناهم على الاكتفاء بنا عما سوانا.

قوله عز وعلا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه﴾ [الآية: ٩٠].

قيل: أولئك الذين هدى الله لآداب عبادته وطرق خدمته، فاقتدِ بهم فى آداب العبودية.

قال الواسطى: هذَّبهم بذاته وقدَّسهم بصفاته، فأسقط عنهم الشواهد والأغراض ومطالبات الاعتراض، فلا لهم إشارة فى سرائرهم ولا عبارة عن أماكنهم.

وقيل فى هذه الآية: لا تصح الإرادة إلا بالأخذ عن الأئمة وبركات نظرهم ألا ترى كيف أثر نظر المصطفى ﷺ فى وزيريه بين أصحابه فقال: «اقتدوا باللذين من بعدى»[1] فلا يصح الاقتداء إلا بمن صحت بدائته ويسلك سلوك السادات وأثر فيه بركات شواهدهم، ألا ترى المصطفى عليه الصلاة والسلام يقول: «طوبى لمن رآنى»[2] أى فاز

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد فى مسنده (٥/ ٢٤٨، ٢٥٧)، والبخارى فى التاريخ الكبير (٢/ ٢٧)، وابن حبان فى صحيحه (٧/ ٢٩١)، (٢٣٠٣/ موارد)، وفى الإحسان (٩/ ١٧٨) رقم (٧١٨٨)، جميعًا من طريق قتادة عن أيمن عن أبى أمامة به، وأورده الألبانى فى الصحيحة (١٢٤١)، وفى إسناده أيمن فإنه مجهول.

ولكن الشيخ الألبانى جاء بشاهد من حديث أنس عن أحمد فى مسنده (٣/ ١٥٥) ولكن فى طريق جسر بن فرقد وفيه ضعف من قبل حفظه ولكن لم ينفرد به فقد تابعه محتسب عن ثابت عن أنس عن أبى يعلى فى «مسنده» (٨٥٧) وإسناده رجاله ثقات غير محتسب هذا فقال فيه الذهبى فى الميزان لين».

وأورده الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ٦٧) وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى وإسناده حسن؛ كما =

من أثر فيه رؤيتى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الآية: ٩١].

قال الحسين: كيف يقدر أحد حق قدره، وهو بقدره يريد أن يقدر قدره، وأوصاف الحدث أين تقع من أوصاف القدم.

قال بعضهم: ما عرفوا حق قدره، ولو عرفوا ذلك لذابت أرواحهم عند كل وارد يرد عليهم من صنعه.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾.

قال بعضهم: دعا خواصه بهذه الآية إلى انقطاع من كشف ما له إلى الكشف عما به، وقد قال الله إشاره إلى جريان السر «قل الله» فى سرك وذر ما فى لسانك.

قال الواسطى: كان محمد ﷺ مكافحًا فى سره، وكان يسمع له أزيز كأزيز المرجل»[1] فلذلك كل من تحقق بذكره امتحق ما دونه من سره، قال الله عز من قائل: ﴿قُلْ اللهُ ثُمَّ ذَرهُمْ﴾.

وقال بعضهم: من أصحاب الشبلى قلت له: أوصنى وقت مفارقتى له؟ فقال: عليك بالله ودع ما سواه وكن معه ﴿وقل الله ثم ذرهم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

= تقدم، وإسناد أحمد فيه جسر وهو ضعيف، وقد ذكر أيضًا فى (١٠/٦٦)، أن فى رجال أبى يعلى محتسبًا وثقه ابن حبان وضعفه ابن عدى، وبقية رجاله رجال الصحيح غير الفضل ابن الصباح، وهو ثقة وللحديث شاهد عن أبى عبد الرحمن الجهنى أخرج أحمد فى مسنده (٤/١٥٢) فى «مسند عقبة بن عامر الجهنى» وكأنه اشار بذلك إلى أن أبا عبد الرحمن الجهنى راوى هذا الحديث هو عقبة هذا.

وهذا إسناد صحيح، وفى طريقه محمد بن إسحاق فهو مدلس ولكنه صرح فى هذا الإسناد بالتحديث فزالت شبهة التدليس ومن هنا فالحديث ثابت صحيح إن شاء الله تعالى.

(١) صحيح: اخرجه: أبو داود فى كتاب «الصلاة» باب «البكاء فى الصلاة». (١/ ص٣٩٧) حديث رقم (٩٠٤)، والنسائى فى كتاب باب (٣/١٨) حديث رقم (١٢١٣)، واحمد فى مسنده (٤/ ٢٥، ٢٦)، والترمذى فى «الشمائل المحمدية» (حديث رقم /٣٠٧)، وابن خزيمة فى صحيحه (٢/٥٣) حديث رقم (٩٠٠) جميعًا من طريق حماد بن سلمة به. عن ثابت عن مطرف عن عبد الله بن الشخير به.

أزيز: أى خنين من الخوف بالخاء المعجمة وهو صوت البكاء، وقيل هو أن يجيش جوفه ويغلو بالبكاء (كذا فى النهاية). المرجل: هو الإناء الذى يغلى فيه الماء.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية: ٩٢].

قيل: مبارك على من اتبعه وآمن به، مبارك على من صدقه وعمل بما فيه.

وقيل: مبارك على من فهم عن الله أمره ونهيه، مبارك على من عظم حرمته، مبارك على من قرأه بتدبيره وعلى من سمعه بحضوره.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الآية: ٩٣].

قال بعضهم: إن ما لا يليق بجلاله. قدره وحقيقة شأنه من التنافر به وإن كان مأذونًا فيه، لأن ذلك أقدار خلقه وطاقتهم لذلك.

قال سهل بن عبد الله: من ذكر فقد افترى، قال الله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ لا بأذكار الغفلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية: ٩٤].

قال بعضهم: أجل مقامات العبد إظهار إفلاسه والرجوع إليه خاليًا من جميع طاعاته.

قيل لأبي حفص: بماذا تقدم على الله، قال: وما للفقير أن يقدم به على الغني سوى فقره، قال الله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ خالين من جميع أعمالكم وأحوالكم وطاعاتكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الآية: ٩٥].

قال ابن عطاء: مظهر ما في حبة القلب من الإخلاص والرياء.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ [الآية: ٩٧].

قال أبو علي الجوزجاني: جعل الله تعالى الليل مطية ودليلاً، فالمطية يركبها في طلب الزلف، والدليل يستدل به على أبواب الرضا، قال الله تعالى ﴿لتهتدوا بها﴾ الطريق إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ[1] اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الآية: ٩٦].

(١) في المخطوط (وجاعل).

قال بعضهم: فالق القلوب بشرح أنوار الغيوب.

وقال بعضهم: منور الأسرار بنور المعرفة.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الآية:٩٨].

قال ابن عطاء: خلق أهل المعرفة على جهة ومنزلة واحدة فمستقر فى حال معرفته مكشوف عنه، ومستودع فى حال معرفته مستتر عنه.

قال بعضهم: مستقر لطاعته وعبادته مع الإيمان به، ومستودع لذلك زائلٌ عنه بعد موته.

قال الواسطى رحمة الله عليه: مستقر فيه أنوار الذات على الأبد، ومستودع لا يعود إليه إذا فارقه.

وقال محمد بن عيسى الهاشمى فى قوله مستقر ومستودع قال: لم يزل عالمًا بخلقه شائيًا لما أراد، وأودع اللوح فيما استقر من كلامه، ثم أودع اللوح إلى المقادير ما استقر فيه، ثم كذلك حالاً بعد حالٍ حتى يبلغه إلى درجة السعادة أو الشقاوة، وذلك قوله فمستقر ومستودع.

قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الآية:١٠١].

قيل: هو المبدع للأشياء والمبدئ لها.

قال بعضهم: فاق الأشياء جمالاً وكمالاً.

قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الآية:١٠٣].

قال أبو يزيد رحمة الله عليه: إن الله احتجب عن القلوب كما احتجب عن الأبصار، فإن أطيع تجلى فالبصر والفؤاد واحد وقيل معناه: إن الله عز وجل يطلع على الأبصار بالتجلى لها، لأن الأبصار تسمو إليه.

قال ابن عطاء: لا تحيط به وهو يحيط بها.

قوله تعالى: ﴿وهو اللطيفُ الخبيرُ﴾.

قال الحسين فى قوله اللطيف قال: لطف عن الكنه فأنَّى له الوصف، ومن لطفه ذكره لعبده فى الدهور الخالية، إذ لا سماء مبنية ولا أرض مدحية قبل سبق الوقت وإظهار الكونين وما فيهما فهذا معنى اللطيف.

قال القاسم: اللطيف الذى لم يدع أحدًا يقف على ماهية اسمه فكيف الوقوف على وصفه.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: ١٠٤].

قال الخواص: أنزل الله البصائر فطوبى لمن رزق بصيرة منها وأدنى البصائر أن يبصر الإنسان رشده.

قوله تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: ١٠٥].

قال ابن عطاء: لقوم يعلمون حقيقة البيان وهو الوقوف معه حيث ما وقف، والجرى معه حيث ما جرى لا يتقدمه بغلبة ولا يتخلف عنه لعجزه.

قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: ١٠٦].

قال بعضهم: الوحى سر عن غير واسطة والرسالة ولا يزال ظاهر بواسطة لذلك.

قال: «اتبع ما أنزل إليك من ربك» لأن الوحى كان خالصًا له مستورًا لقوله **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾**[1]

واتبع ما أوحى إليك من ربك.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الآية: ١٠٨].

قال أبو بشر المروزى: قوالب جفوها أنوار وظلمات، فالنور والظلمة يعيران والأعمال أصنام ولا يؤذن يوم القيامة إلا بحشوها.

قال الواسطى رحمة الله عليه: زينت الأعمال عند أربابها، فأسقطوا بها عن درجة المتحققين إلا من عصم بنور المشاهدة، فشاهد المنة فى التوفيق بل شاهد المنان.

وقال أيضًا: مهلنا ويسرنا له ما هو فيه حتى يستوفى ما قدرنا له وعليه.

قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الآية: ١١٠].

سمعت النصرآباذى يقول: النفوس فى التنقيل والقلوب فى التقليب لذلك قال النبى ﷺ «يا مقلب القلوب»[2].

---

(١) سورة (النجم) الآية رقم (١٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذى فى كتاب «الدعوات» باب «٩٠» (٥/٥٠٣) حديث رقم (٣٥٢٢)، من طريق شهر بن حوشب عن أم سلمة، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن. =

قال أبو حمزة[1]: أقبلَ اللهُ على قُلوبٍ فأقبلت عليه، وأعرض عن قلوب فأعرضت عنه.

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الآية: ١١٤].

قال محمد بن الفضل: أسواه أطلب سيدًا.

قوله تعالى: ﴿وتَمَّت كَلِمَةَ ربِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الآية: ١١٥].

قيل: صدقًا للأولياء تفضلاً عليهم وعدلاً على الأعداء أخذهم بميزان العدل.

قوله عز وعلا ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾ [الآية: ١١٦].

قيل: من نظر إلى سوى الخلق خاب وضل.

قوله عز وعلا: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيرِ عِلْمٍ﴾ [الآية: ١١٩].

قال القرشى: يتبعون مرادهم فيتركون أوامر الكتاب والسنة.

قوله عز وعلا ﴿وذَرُوا ظَاهِرَ الإِثمِ وبَاطِنَهُ﴾ [الآية: ١٢٠].

= وأخرجه ابن ماجه فى «المقدمة» باب فيما أنكرت الجهمية» (١/ ٧٢) حديث رقم (١٩٩) من طريق أبى إدريس الخولانى يقول: حدثنى النواس بن سمعان الكلابى بلفظ «يا مثبت القلوب...».

وأحمد فى مسنده (٤/ ١٨٢) من طريق أبى إدريس ... به.

والحاكم فى المستدرك (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) من طريق أبى سفيان عن جابر به، وصححاه.

وابن أبى عاصم فى كتاب السُّنة. (١/ ١٠٤) حديث رقم (٢٣٢)، من حديث أم سلمة (٢٣٣) من حديث عائشة وهما صحيحان.

وابن حبان فى صحيحه (٨/ ٦٣) حديث رقم (٢٤١٩، موارد) من حديث النواس بن سمعان به، وإسناده صحيح.

(١) أبو حمزة البغدادى البزاز، صحب السرى بن المفلس السقطى، وبشرًا الحافى كان يتكلم ببغداد فى مسجد الرصافة قبل كلامه فى مسجد المدينة، وكان ينتمى إلى حسن المسوحى، وكان عالمًا بالقراءات.

وتكلم يومًا فى جامع المدينة، فتغير عليه حاله، وسقط عن كرسيه، ومات الجمعة الثانية، ومات قبل الجنيد. وكان من رفقاء أبى تراب النخشبى فى أسفاره وهو من أولاد عيسى بن أبان. وكان أحمد بن حنبل إذا جرى فى مجلسه شىء من كلام القوم يقول لأبى حمزة «ما تقول فيها يا صوفى» ودخل البصرة مرارًا.

توفى سنة تسع وثمانين ومائتين (طبقات الصوفية ص٧٠).

قال بعضهم: ظاهر الإثم: رؤية الأفعال وباطنه الركون إليها فى السر باطنًا.

وقال النهرجورى: إن الله أمر الخلق ونهاهم فى الظاهر والباطن فقال: ﴿**وذروا ظاهر الإثم**﴾ وجعل حد الأمر والنهى فى العلم لقيام الحجة على من يتخلف عن أمر الله، فإذا بلغ العبد ذلك الحد، فقد بلغ حد الكمال من حيث السر والعلانية.

قال بعضهم: ﴿**ظاهر الإثم**﴾ طلب الدنيا، وباطن الإثم طلب الجنة والنعيم، وهما جميعًا يشغلان عن الحق وما شغل عن الحق فهو إثم.

وقيل: ﴿**ظاهر الإثم**﴾ حظوط النفس وباطن الإثم حظوط القلب.

وقال سهل: اتركوا المعاصى الجوارح وحبها بالقلب.

قوله تعالى وتقدس ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِم**﴾ [الآية: ١٢١].

قال أبو عثمان المغربى فى هذه الآية: يلقون على ألسنة المدعين ما يقطعون به الطرق على المتحققين.

قوله عز وعلا ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا**﴾ [الآية: ١٢٢].

قال شاه الكرمانى(١): علامة الحياة ثلاثة: وجدان الأنس بفقدان الوحشة، والامتلاء من الحق بإدمان التذكرة، واستشعار الهيبة بخالص المراقبة.

وقال جعفر فى قوله: ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ قال: ميتًا عنا فأحييناه بنا، وجعلناه إمامًا يهتدى به وبنوره الأجانب ويرجع إليه الضلال كمن مثله فى الظلمات كمن نزل مع شهوته وهواه فلم يؤيد بروائح القرب ومؤانسة الحضرة.

قال ابن عطاء: أو من كان ميتًا بحياة نفسه وموت قلبه، فأحييناه بإماتة نفسه وحياة قلبه، وسهلنا عليه سبيل التوفيق وكحلناه بأنوار القرب فلا يرى غيرنا ولا يلتفت إلى سوانا.

---

(١) أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى، كان من أولاد الملوك.

يقال: إن أصله من «مرو» صحب أبا تراب النخشبى، وأبا عبد الله الذراع البصرى، وأبا عبيد البسرى، وكان من أجلة الفتيان، وعلماء هذه الطبقة، وله رسالات مشهورة، والمثلثة التى سماها «مرآة الحكماء».

ورد نيسابور فى زيارة أبى حفص، ومعه «أبو عثمان الحيرى، ومات قبل الثلاثمائة. (طبقات الصوفية/ ٤٥).

وقال شاه: علامة النور فى القلب النظر إلى الدنيا بعين الزوال وتقرب الأجل بإبطال الأمل استعدادًا للموت، وإهمال الدمع عند ذكر الآخرة.

قال أبو محمد الجريرى: فى قوله ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاه﴾ قال: إذا أحيا الله عبدًا بأنواره لا تموت أبدًا، وإذا أماته بخذلانه لا يحيا أبدًا.

وقال جعفر: أو من كان ميتًا بالاعتماد على الطاعات، فأحييناه: فجعلنا له نور التضرع والاعتذار.

وقال بعضهم: ميتًا برؤية الأفعال فأحييناه برؤية الافتقار.

وقال القاسم: أحيا أولياءه بنور الانتباه، كما أحيا الأجساد بالأرواح.

قال القناء: هذه حياة المعرفة لا حياة البشرية، وقال: ميت لا ذكر له فى الفناء عن الأذكار، فأحييناه بالموت عن إدراكنا والحياة فينا.

وقال سهل: من كان ميتًا بالجهل فأحييناه بالعلم.

وقال ابن عطاء: أومن كان ميتًا بالانقطاع عنه، فأحييناه بالاتصال بنا وجعلنا له نورًا اتصالاً كمن تركه فى ظلمات الانقطاع.

قوله تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الآية: ١٢٤].

قال النصرآباذى: الله أعلم بالأوعية التى تصلح لسره ومنازلاته ومكاشفاته فيزينها لخواص الأنوار ويقدسها بلطائف الاطلاع.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ [الآية: ١٢٥].

قال سهل: فمن يرد الله أن يهديه إلى قوله حرجًا قال: الهداية: المعونة على ما أمر والعصمة عما نهى عنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الآية: ١٢٥].

قيل: الضلالة ها هنا هى الترك من العصمة مع الهوى.

قال النهرجورى: صفة المراد خلوه مما له، وقبوله ما عليه، وسعة صدره لموارد الحق عليه.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾.

قال سهل: إن الله ينظر فى القلوب والقلوب عنده فما كان أشد تواضعًا خصه بما

شاء، ثم بعد ذلك ما كان أسرع رجوعًا وهما هاتان الخصلتان.

وقال النهرجورى: مِنَّةٌ مِنَ الله ولطفًا منه، وإن لم يستأهل العبد ذلك.

وسُئل النبى ﷺ عن ذلك فقال: نورٌ يُقذف فى القلوب فيُشرح به الصدر(١)

قال ابن عطاء: ما بلاءٌ أشد من بلاء من أظلم عليه قلبه والتبس عليه أمره وخفى عليه قدر مولاه فهو يتردد فى أمره متمردًا على مولاه، لفقدان نور الهداية عن قلبه، وطلب النجاة من غير وجهه.

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية: ١٢٦].

قال أبو عثمان: أهدى الطرق وأقومها طريقة المتابعة، وأوهن الطريق وأضلُّها طريق الدعاوى والمخادعة، قال الله تعالى: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾(٢).

قال سهل: التوحيد والإسلام صراط ربك المستقيم.

قوله تعالى: ﴿لَهُم دَار السَّلام عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ [الآية: ١٢٧].

قال سهل: دار السلام هو الذى يسلم فيه من هواجس نفسه ووسواس عدوه.

وقال بعضهم: دار السلام هو محل السلامة من القطيعة.

وقال بعضهم: دار السلام هو الذى يكرمهم الله فيه بالسلام عليهم، وهو قوله: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحمَةِ﴾ [الآية: ١٣٣].

قال بعضهم: الغنى عن طاعات المطيعين، وذو الرحمة على المذنبين.

---

(١) **إسناده ضعيف جدًا:** أخرجه: الحاكم فى «المستدرك» (٤/ ٣١١) من طريق عدى بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود فذكره.

وسكت عنه الحاكم وتعقبه الذهبى بقوله «عدى» ساقط.

وأورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين. (٩/ ٣٢٨)، ونسبه إلى ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا وابن جرير وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب. . . .

وأورده السيوطى فى «الدر المنثور» (٣/ ٤٤، ٤٥) من حديث ابن مسعود وغيره.

(٢) سورة (البقرة) الآية رقم (٩).

(٣) سورة (الرعد) الآية رقم (٢٤).

قال الواسطى: الغنى بذاته والرحيم بصفاته.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُم ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الآية:١٤٧].

قال سهل: قيل للنبى ﷺ من أعرض عنك فرغبه فىَّ، فإنه من رغب فينا ففيك ب لا غير[١].

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُم ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: أطمعهم فى الرحمة ل تقطع قلبك عنهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾ [الآية:١٤٩].

قال النصرآباذى: الخلق كلهم منعهم شدة الحاجة إليهم عن معانى رؤية الحجة، ولو سقط عنهم الحاجات لكشف لهم براهين الحجة.

وقال أيضًا: رؤية الحاجة حسنة ورؤية الحجة أحسن.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: آثار مشية الهداية عند أهل الهدى تنبئة.

قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الآية:١٥١].

قال حارث المحاسبى[٢]: الفواحش ما أريد به غير الله.

قال بعضهم: ما ظهر من الفواحش فى الأفعال هو الرياء، وما بطن منها الدعاوى كاذبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُم فَاعْدِلُوا﴾ [الآية:١٥٢].

قال أبو سليمان فى هذه الآية: إذا تكلمتم فتعلموا بذكره.

وقال محمد بن حامد العدل: فى الكلام ما لا يكون على صاحبه فى ذلك تبعة عاجلاً وآجلاً.

---

١) لا أصل له: هذا إسناد مقطوع فمن سهل هذا حتى يروى عن النبى ﷺ وقد تقدم الكلام عن سهل التسترى فى ترجمته فالواضح منه أن هذا حديث ليس له أصل.

(٢) أبو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبى من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات، وله كتب مشهورة، منها كتاب «الرعاية لحقوق الله» وهو أستاذ أكثر البغداديين، وهو من أهل البصرة مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين وسيأتى مفصلاً (طبقات الصوفية ١٦).

قوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾.

قال الجوزجانى: العهود كثيرة وأحق العهود بالوفاء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فأمر نفسك بالمعروف، فإن قبلت منك وإلا روضها بالجوع والسهر وكثرة الذكر ومجالسة الصالحين لترغب فى المعروف، ثم تأمر به غيرك وتنهى نفسك عن المنكر، فإن قبلت منك وإلا فأدبها بالسياحة، والتقطع والعزلة وقلة الكلام وملازمة الصبر لتنتهى، فإن انتهت فانه الناس عن المنكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية: ١٥٣].

قال جعفر بن محمد: طريق من القلب إلى الله بالإعراض عما سواه.

قال سهل: الطريق المستقيم هو الذى لا يكون للنفس فيه مراد ولا حظ.

قوله عز وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الآية: ١٥٩].

قال فارس: لم يستقيموا لله على وتيرة واحدة.

قوله عز وعلا ﴿مَنْ جَاء بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الآية: ١٦٠].

ومن لاحظها من مواصلة الحق فهو الذى يصلى عليك وملائكته والله يضاعف لمن يشاء.

قوله عز وعلا ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ [الآية: ١٦١].

قال أبو عثمان: الصراط المستقيم الاقتداء والاتباع وترك الهوى والابتداع، ألا تراه يقول: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾[١].

وقيل فى قوله: ﴿دينًا قيمًا﴾ أى: سليمًا من الاعوجاج وهواجس الأنفس ووجود لذاذة المراد فيه.

وقال ابن المبارك[٢]: هدانى ربى إلى صراط مستقيم قال: إلى أوقات أداء الفرائض من الصلاة والصوم والحج.

قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الآية: ١٦٢].

---

(١) سورة (النجم) الآية رقم (٣).

(٢) تقدمت ترجمته.

قال الواسطى رحمة الله عليه: بيان هذه الآية في قوله ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ فمن لاحظها من نفسه قصمته، ومن تبرأ منها عصمته، كيف تجوز لموجود أن يلاحظ [فضلاً][1] ﴿وأنا أول المسلمين﴾ معنى قوله إنى أسلمت لتصاريف قدرته متبرئًا من حولى وقوتى مع أن التسليم فى الحقيقة علة.

قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الآية: ١٦٤].

قال الجوزجاني: أسِوَاه أطلب حافظًا وراعيًا ووكيلاً، وهو الذى كفانى المهم وألهمنى الرشد.

قوله تعالى: ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفسٍ إلا عَلَيْهَا﴾.

قال بعضهم: لا تكسب من خير وشر كل نفس إلا عليها أما الشر فمأخوذ به، وأما الخير فمطلوب منه صحة قصده وخلوه من الرياء والعجب والرؤية من نفسه والتزين به والافتخار به والاعتماد عليه والإحسان فيه فإذا حصلته وجدته عليه لا له، إلا أن يعفو الله جل وعز.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية: ١٦٥].

قال بعضهم: يخلف الولى وليًا والصديق صديقًا، ويرفع درجات البعض على البعض، ودرجات البعض بالبعض لئلا تخلو الأرض من حجة الله وأمانه.

وقال بعضهم: ورفع بعضكم فوق بعض درجات، ليقتدى الأدنى بالأعلى، ويتبع المريد درجة المراد ليصل إليه.

* * *

---

(١) على هامش المخطوط (الأفضل).

ذكر ما فى سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿المص﴾ [الآية: ١].

حكى محمد بن عيسى الهاشمى عن ابن عطاء أنه قال: لما أظهر الله صورة الأحرف جعل لها سرًا، فلما خلق آدم بث فيه ذلك السر ولم يبثه فى الملائكة، فجرت الأحرف على لسان آدم بفنون الجريان وفنون اللغات، فجعلنا الله صورة لها.

وقال الحسين: الألف ألف المألوف واللام لام الآلاء، والميم ميم الملك، والصاد صاد الصدق.

وقال: فى القرآن علم كل شىء وعلم القرآن فى الأحرف الست فى أوائل السور، وعلم الحروف فى لام الألف، وعلم لام الألف فى الألف، وعلم الألف فى النقطة، وعلم النقطة فى المعرفة الأصلية، وعلم المعرفة الأصلية فى الأقوال، وعلم الأول فى المشيئة، وعلم المشيئة فى غيب الهو، وغيب الهو ليس كمثله شىء.

وقيل فى قوله: ﴿المص﴾. قال: أنا الله أفضل.

وقال أبو محمد الجريرى: إن لكل حرف ولفظ من الحروف مشربًا وفهمًا غير الآخر، ومن شرح ذلك حين سمعه يقول: ﴿المص﴾ الألف عندهم للفهم فى محضرهم استماع إلى حسن مخرج، وطعم عذب موجود ونظر إلى المتكلم وكذلك اللام حسن استماع من مخرج غير الألف، وطعم فهم موجود وكذلك الميم حسن استماع من مخرج غير اللام، وطعم فهو موجود، والصاد حسن استماع إلى حسن مخرج، وطعم فهم موجود غير الميم فممزوج ذلك كله بملاحظة متكلمه.

وقال الحسين فى قوله: ﴿المص﴾ الألف ألف الأزل واللام لام الأبد والميم بينهما والصاد اتصال من اتصل به وانفصال من انفصل عنه، وفى الحقيقة الاتصال والانفصال وهى ألفاظ تجرى على حسن العبارات، ومعادن الحق مصونة عن الألفاظ والعبارات.

قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: ٢].

قال ابن عطاء: عهد خصصت به من بين الأنبياء أنك خاتم الرسل، وعهدك ختم العهود للشرح به صدرًا وتقر به عينًا.

قوله تعالى: ﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾.

قال الجنيد رحمة الله عليه: لا يضيقن قلبك بحمله وثقله فإن حمل الصفات ثقيلة إلا على من يؤيد بقبول المشاهدة.

وقال النورى: إن أنوار الحقائق إذا وردت على السر ضاق عن حملها كالشمس يمنع شعاعها عن إدراك نهايتها.

وقال القرشى: لما قص الله فى هذه السورة قصة الكليم، عَلِم أن قلب النبى ﷺ يتحرك لذلك فقال: ﴿فلا يكن فى صدرك حرج منه﴾ لأنه كُلِّمَ على الطور وكُلِّمتَ وراء الستور ومنع المشاهدة ورُزقتها.

قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم﴾ [الآية:٣].

قال بعضهم: من يتبع غير ما أنزل إليه من ربه فهو بعيد من عين الحق، ومن له نصيب فى الدارين لا يمكن أن يتبع ما أنزل إليه من ربه، والمتبعون هم أقل من القليل.

قوله تعالى: ﴿فَلَنَسأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِم وَلَنَسأَلَنَّ المُرسَلِينَ﴾ [الآية:٦].

قيل: لنسألن الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة والقيام بشروطها، ولنسألن المرسلين عن أداء الرسالة والأمانة فيها.

قال أبو حفص فى هذه الآية: لنسألن الذين أرسل إليهم عن حفظ حرمات الرسل، ولنسألن المرسلين عن الشفقة على الأمم.

قوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلمٍ﴾ [الآية:٧].

قال ابن عطاء: فى حال عدمهم ووجودهم.

قوله عز وعلا: ﴿والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ﴾ [الآية:٨].

قيل فى هذه الآية: من وزن نفسه بميزان العدل كان من المخبتين.

ومن وزن خطراته وأنفاسه بميزان الحق اكتفى بمشاهدته، والموازين مختلفة: ميزان للنفس والروح، وميزان للقلب والعقل، وميزان للمعرفة والسر. فميزان النفس والروح للأمر والنهى وكفتاه الكتاب والسنة، وميزان القلب والعقل الثواب والعقاب وكفتاه

الوعد والوعيد، وميزان المعرفة والسر الرضا والسخط وكفتاه الهرب والطلب، وقد فسر في غير هذا الموضع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُم ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الآية: ١١].

قال بعضهم: أبدع الله الهياكل وأظهرها على أخلاق شتى وصور مختلفة، وجعل لكل شيء منها عيشًا فعيش القلوب في الشهود، وعيش النفوس في الوجود، وعيش العبد معبوده، وعيش الخواص الإخلاص. وعيش الآخرة: العلم، وعيش الدنيا: الجهل والعمارة والاغترار بها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ﴾ [الآية: ١١].

قال أبو حفص: عرَّف الملائكة استغناءه عن عبادتهم فقال ﴿اسجدوا لآدم﴾ ولو كان سجودهم يزن عنده مثقال ذرة لما أمرهم بذلك ولصرف وجوههم إلى آدم، فإن سجود الملائكة وجميع خلقه لا يزيد في ملكه، لأنه عزيز قبل أن يخلقهم وعزيز بعد أن يفنيهم وعزيز حين يبعثهم وله العزة جميعًا.

وقال بعضهم: قوله لإبليس أمر تكليف وقوله ﴿اخرج منها﴾ أمر إهانة، ولولا ذلك لامتنع منها كما امتنع من السجود، وكان سجود الملائكة لآدم تحية له وطاعة لهم.

قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الآية: ١٢].

قال الواسطي رحمة الله عليه: من استصحب كلَّ نسك في الدنيا والآخرة، فالجهل وطنه والاعتراض عرضه، والبعد من الله سببه، لأن العبادات تقطع الدعيات، ورؤية النسك رؤية الأفعال والنفوس، ولا متوثب على الله أشد من طالع نفسه بعين الرضا.

قوله تعالى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾.

قال بعضهم: لما نظر إلى الجوهر والعبادة ظن أنه المسكين خير، وسبب فساد النفوس من رؤية الطاعات.

وقيل: لما قال إبليس: «أنا» قيل له: إنَّ عليك اللعنة، ما أبعده إلا رؤية نفسه.

وقيل في قوله: «أنا خير منه» توهم أن الجوهر من الكون على مثله وشكله في الخلقة، فضل من جهة الخلقة والجوهرية، ولم يعلم ولم يتيقن أن الفضل من المتفضل دون الجوهرية.

قال الواسطى رحمة الله عليه: من لبس قميص النسك خاصره «أنا» لذلك قال إبليس: «أنا خير منه» ولو لم يقل خير منه لأهلكه قوله فى المقابلة «أنا».

قال ابن عطاء فى قوله: «أنا خير منه»: حجب إبليس برؤية الفخر بنفسه عن التعظيم، ولو رأى تعظيم الحق لم يعظم غيره، لأن الحق إذا استولى على سِر شىء قهره فلم يترك فيه فضلاً لغيره.

قوله عز وعلا: **﴿وإن عليك اللعنة﴾**(1)، **﴿وإنّ عليك لعنتى﴾**(2) الفرق بينهما إذا قال: لعنتى أى سخطى الذى لم يزل منى جاريًا عليك، وإذا قال اللعنة بالتعريف والإشارة فهو ما ظهر للوقت عليه، ويزداد على الأيام إلى وقت سؤاله الإنظار.

قال الواسطى رحمة الله عليه: لا يأمنن أحد أن يُفعل به كما فُعِل بإبليس، لقيه بأنوار عصمته وهو عنده فى حقائق لعنته، فستر عليه ما سبق منه إليه حتى غافصه بإظهاره عليه بقوله **﴿وإن عليك اللعنة﴾**.

وقال بعضهم: لُعن إبليس بخمسة أشياء شقى بها: لم يقر بالذنب، ولم يندم عليه، ولم يلم نفسه، ولم يرَ التوبة على نفسه واجبة وقنط من رحمة الله.

وَسَعِدَ آدم بخمسة أشياء: أقر على نفسه بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وأسرع فى التوبة، ولم يقنط من رحمة الله.

قوله تعالى: **﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى﴾** [الآية: ١٦].

قال محمد بن عيسى الهاشمى: لو نجا إبليس بشىء لنجا برؤية القدرة عليه والإقرار على نفسه رب بما أغويتنى.

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم وَمِنْ خَلْفِهِم وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِم﴾** [الآية: ١٧].

سمعت أبا عثمان المغربى يقول: إن الشيطان يأتى على الناس عن أيمانهم بالطاعات، ومن بين أيديهم بالأمانى والكرامات، ومن خلفهم بالبدع والضلالات، وعن شمائلهم بالشرك فإذا جرى لعبدٍ سعادة قَبِل منهم ما يأمرونه من الطاعات، فإذا أرادوا أن يهلكوه بطاعته رُدّ إلى السعادة التى جرت له فيكون ذلك ربحًا وزيادة، الا تراه يقول: **﴿لآتينّهم**

(1) سورة (الحجر) الآية رقم (٣٥).

(2) سورة (ص) الآية رقم (٧٨).

من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ الآية.

قال: ولا تجد أكثرهم شاكرين، فالأكثر من هلك بطاعته، والأقل من أدركته السعادة فنجا إذ ذاك وشكر.

وقال بعضهم: **﴿لآتينَّهم من بين أيديهم﴾** من الدنيا ومن خلفهم للآخرة وعن أيمانهم الحسنات وعن شمائلهم السيئات.

وقال الشبلى: لم يقل: من فوقهم ولا من تحتهم لأن الفوق موضع نظر الملك إلى قلوب العارفين، والتحت مواضع الساجدين وموضع نظره وموضع عبادتهم لا يكون للشيطان هناك موضع ولا فيه طريق.

قوله تعالى: **﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾** [الآية: ٢٠].

قال أبو سليمان الدارانى: وسوس لهما الشيطان لإرادة الشر بهما، وكان ذلك سببًا لعلو آدم وبلوغه إلى أعلى الرتب، وذلك أن آدم ما عمل عملاً قط أتم له من الخطيئة التى هى أدبته وأقامته مقام الحقائق وأسقط عنه، فلعلَّه خامر سره من سجود الملائكة له ورده إلى البركة الأولى من التخصيص فى الخلقة باليد، حتى رجع إلى ربه بقوله **﴿ظلمنا أنفسنا﴾**.

قال سهل: الوسوسة ذكر الطبع ثم النفس ثم الهم والتدبير.

قوله تعالى وتقدس: **﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾** [الآية: ٢١].

قال أبو بكر الوراق: لا تقبل النصيحة إلا ممن يعتمد دينه وأمانته، ولا تكون له حظ فى نصيحته إياك، فإن العدو أظهر لآدم النصيحة وأضمر الخيانة قال الله تعالى: **﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾**.

قوله تعالى: **﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾**.

قيل: أشار إلى جنس الشجرة، فظن آدم أن النهى عن المشار إليها، وإنما أراد الله جل وعز جنس الشجرة المشار إليها فتناول آدم غيرها، وإنما وقعت التوبة على ترك التحفظ لا على المخالفة.

قال الله تعالى: **﴿فنسى ولم نجد له عزمًا﴾**[1]

---

(١) سورة (طه) الآية رقم (١١٥).

قال الخراز: والله ما هنئ آدم الجنة ولا سكناها، إذ جعل فى جواره الأمر والنهى، ولو نظر آدم فى نفس المكرمة إلى خفاء الأمر والنهى فى ذلك المحل، ما هنَّأه نعيم دار السلام ولا استغف عن تلك الشجرة التى ابتلاه الله بالنهى خوفًا، ولكنه أغفله لتقع به الهفوة التى من أجلها رأى الزلة وقامت بها الحجة، وأخرجه من جواره معنفًا وسماه عاصيًا.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الآية: ٢٢].

قال القرشى: قيل لآدم ادخل الجنة ولا تأكل من هذه الشجرة، فلما أكلا ناداهما ربهما والقول على معنى القرب، والنداء على حد البعد.

قوله تعالى: ﴿فَدَلاَّهُما بِغُرُورٍ﴾.

قيل: غرهما بالله ولولا ذلك ما اغتر.

وسئل بعضهم: ما الفرق بين آدم وبين إبليس وقد ترك كل واحدٍ منهما الأمر.

فقال: آدم طالع الخطيئة فأذهلته الخطيئة عن الأمر فارتكب النهى، وظن إبليس أن للعبادات العظيمة عنده خطرًا وأنه لا يقصد بالتعبد غيره، فنظر إلى الجنسين فقال: أنا خير منه فهلك، وإذا نظرت إلى شأنهما وجدتهما جريا تحت التلبيس، لكن أحدهما سُومحَ والآخر لم يُسامح.

قوله تعالى: ﴿فبَدَتْ لَهُمَا سَوءَاتُهُما﴾.

قال: سوء الأدب فى القرب ليس كسوء الأدب فى البعد - وأيضًا - لأن التوبة من الكفر تغفر لصاحبه لا محالة، والتوبة من الخطيئة لا تحكم بالقبول.

وقيل: يطالب الأنبياء بمثاقيل الذر، ولا تطالب العامة بذلك لبعدهم عن مصادر السر.

وقال بعضهم: ﴿بدت لهما سوأتهما﴾ قال: بدت لهما ولم يبدُ ذلك لغيرهما فهتك عنهما ستر العصمة.

قوله جل ذكره: ﴿قَالا رَبَّنا ظَلَمْنَا أَنفُسنا﴾ [الآية: ٢٣].

قال الحسين: الظلم هو الاشتغال بغيره عنه.

وقال ابن عطاء: ظلمنا أنفسنا باشتغالنا بالجنة وطلبها عنك.

قال الشبلي: ذنوب الأنبياء تؤديهم إلى الكرامة والرتب، كما كان ذنب آدم أداه إلى الاجتباء والاصطفاء، وذنوب الأولياء تؤديهم إلى الكفارة، وذنوب العامة تؤديهم إلى الإهانة.

قال الواسطي رحمة الله عليه في قوله: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ قال: لم يكن له في حال ظنيته خواطر غير الحق، فلما أحضره في حضوره غاب عن حضوره، فقال: «ربنا ظلمنا» هلا غيَّبه ما ورد عليه من ربه عن غيره، وهلا قطعه باتصاله في اتصاله عن اتصاله، وهلا غيبه ما عاينه في نفسه بنفسه عن نفسه.

قوله عزَّ اسمه: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الآية: ٢٥].

قال بعضهم: فيها تحيون بالمعرفة، وفيها تموتون بالجهل، ومنها تخرجون بما أنتم فيه من التقدير والتدبير إلى سوابق القدر عليكم وجرى الأحكام فيكم.

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ [الآية: ٢٦].

قال النصرآباذي: اللباس كله ملك الحق، ولباس التقوى لباس الحق، قال الله تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾.

واللباس الذي يواري السوأة لباس الكرامة.

ولباس التقوى لباس الإيمان وهو أشرف.

وقال بعضهم: لباس الهداية للعام ولباس التقوى للخاص ولباس الهيبة للعارفين ولباس الزينة لأهل الدنيا ولباس اللقاء والمشاهدة للأولياء ولباس الحضرة للأنبياء.

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الآية: ٢٧].

سُئل بعضهم ما الذي قطع الخلق عن الحق بعد إذ عرفوه؟ فقال: الذي أخرج أباهم من الجنة اتباع النفس والهوى والشيطان.

سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت ابن عطاء يقول: خروج آدم من الجنة وكثرة بكائه وافتقاره وخروج الأنبياء من صلبه، كان خيرًا له من الجنة والتلذذ والتنعم فيها.

قوله تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾.

قيل: هو أنوار كرامات القرب ولمعان العز.

قال أبو سعيد الخراز: هو النور الذي شملهما في القرب.

قال بعضهم: نزع عنهما اللباس الذى كان يسترهما من وساوس الشيطان.

سمعت النصرآباذى يقول: أحسن اللبس ما ألبس الصفى فى الحضرة، فلما بدت منه المخالفة نزع منه لذلك.

قال بعض السلف: من تهاون بستر الله عليه أنطقه الله بعيوب نفسه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾.

قال بعضهم: سلط عليك الشيطان يراك من حيث لا تراه، فلا اعتصام لك منه إلا بالتبرى من حولك وقوتك والرجوع إلى الله والاستعانة به.

قوله عز وعلا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن عطاء: إنَّا جعلنا الشياطين وأنهم اتخذوا الشياطين، فالحقيقة منها ما أضاف إلى نفسه، والمعارف ما أضاف إليهم كذلك خطابه فى جميع القرآن.

قوله عز وعلا ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ﴾ [الآية:٢٩].

قال الجنيد رحمة الله عليه فى هذه الآية: أمر بحفظ السر وعلو الهمة وأن يرضى بالله عوضًا عما سواه.

قال أبو عثمان: القسط الصدق.

قوله عز وعلا: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

قال رويم[1]: إخلاص الدعاء أن ترفع رؤيتك عن أفعالك.

قال ابن عطاء: إخلاص الدعاء ما خلص من الآفات.

وقال حارث المحاسبى[2]: إخلاص الدعاء إخراج الخلق من معاملة الله.

---

(١) الإمام الفقيه المقرئ، الزاهد العابد، ابو الحسن، رويم بن أحمد، وقيل: رويم بن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد البغدادى، شيخ الصوفية، ومن الفقاء الظاهرية. وهو رويم الصغير، وجده هو رويم الكبير، مات رويم ببغداد، سنة ثلاث وثلاثمائة. (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣٥).

(٢) الزاهد العارف، شيخ الصوفية، ابو عبد الله، الحارث بن أسد البغدادى المحاسبى صاحب التصانيف الزهدية.

يروى عن يزيد بن هارون يسيرًا.

روى عنه: ابن مسروق، وأحمد بن القاسم، والجنيد وغيرهم.

قال أبو عثمان: الإخلاص نسيان رؤية الخلق لدوام النظر إلى الخالق.

قال بعضهم: الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها.

قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُم تَعُودُونَ﴾.

قال: أبدأ خِلقَةَ إبليس على الكفر والخلاف ثم استعمله بأعمال المطيعين بين الملائكة والمقربين، ثم رده إلى ما ابتدأه عليه من الخلاف. والسحرة ابتدأ خَلقهم على الهدى والموافقة واستعملهم بأعمال المخالفين وأهل الضلالة ثم ردهم إلى ما ابتدأهم عليه من الإنفاق، لذلك قال الله تعالى: ﴿كما بدأكم تعودون﴾.

قال الحسين: فى قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ لا تغيير لما أجرى عليه من الأعمال، لأن الأعمال قد توافق الخلقة أو تخالف.

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الآية: ٣١].

قال الواسطى رحمة الله عليه: قوله ﴿يا بنى آدم﴾ تعيير كأنه يقول: يا بنى التقصير والعيب، يرد ذلك عليهم حتى لا ينظروا إلى نفوسهم ولا يلتفتوا إليها.

قال جعفر: ابعد أعضاءك عن أن تمس بها شيئًا بعد أن جعلها الله آلة تؤدى بها فرائض الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التى أَخْرَجَ لِعَبَادِهِ والطَّيِّبَات مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الآية: ٣٢].

قال بعضهم: الزينة التى أخرج الله لعباده هى المباحات فى البوادى والكسب الحلال فى الحضر، والطيبات من الرزق هى الغنائم.

قال أبو عثمان الدمشقى: من حرم التزين بما يبدو على الأولياء من المعونات والكرامات التى أخرجها الله لعباده المخلصين، والطيبات من الرزق هى كسر الفقراء الذين يأخذونها من ضرورة وفَاقة.

= قال الخطيب: له كتب كثيرة فى الزهد، وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة قال الجنيد: خلف له أبوه مالاً كثيرًا فتركه، وقال: لا يتوارث أهل ملتين. وكان أبوه واقفيًا. [يعنى يقف فى مسألة خلق القرآن، فلا يقول مخلوق أو غير مخلوق].
مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين (السير للذهبى ١٢/ ١١٠).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الآية: ٣٣].

قال أبو عثمان فى كتبه إلى إخوانه: واعلم يا أخى أن الفواحش ما أريد من الطاعات لغير وجه الله.

قال بعضهم فى هذه الآية: ما ظهر من الفواحش هو الكذب والغيبة والبهتان، وما بطن الغل والغش والحقد والحسد.

وقال بعضهم: «ما ظهر منها وما بطن» ما ظهر منها بتركه وما بطن محبته.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

قال سهل من تكلم عن الله بغير إذن وعلى غير سبيل الخدمة وحفظ الأدب، فقد هتك ستره وعلا طوره، وقد حذر الله عز وجل أن يقول أحد عليه ما لا يعلم فقال: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ﴾ [الآية: ٣٦].

قال بعضهم: من اتقى فى ظاهره عن تناول الشبهات، وأصلح باطنه بدوام مراقبة الله عز وجل فلا خوف عليهم فى الدنيا، ولا حزن عليهم فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ﴾ [الآية: ٤٣].

قيل: هو التحاسد والتباغض والتدابر الذى نهى رسول الله ﷺ عنه[1].

قال سهل: هو الأهواء والبدع.

قال بعضهم: من تخطى بساط القرب سقط عنه رعونات النفس وحظوظ الشيطان. قال الله ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ﴾.

قيل فيه: دلنا على توحيده وجعلنا فى سابق علمه على خواص عباده، واختار لنا أعز الأديان.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الأدب» باب «الهجرة وقول رسول الله ﷺ: «لا يحل...» (٥٠٧/١٠) حديث رقم (٦٠٧٦)، ومسلم فى كتاب «البر والصلة» باب «النهى عن التحاسد والتباغض والتدابر» (٢٣/٤/ ص١٩٨٣) من طريق مالك عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال». اهـ.

ولو وكلنا إلى اختيارنا لضللنا فى أول لحظة.

قال بعضهم فى هذه الآية: رؤية الهيبة توقع قبضًا فى الأحوال وربما تورث بسطًا، والعبد متردد فيما بينهما من قبض وبسط، وحال البسط أورث قوله: ﴿**الحمد لله الذى هدانا لهذا**﴾.

قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ**﴾ [الآية: ٤٦].

سمعت أبا الحسن الفارسى يقول: سمعت عباس بن عصام يقول: سمعت سهلاً يقول: أهل المعرفة هم أصحاب الأعراف قال الله ﴿**يعرفون كُلاً بسيماهم**﴾ أقامهم ليشرفهم على الدارين وأهلهما ويعرفهم الملكين، كما أشرفهم على أسرار العباد فى الدنيا والآخرة وأحوالهم[(١)].

قال فارس: وأصحاب الأعراف هم الذين عَرَّفهم الله مقام من استقطعتم عن الحق الحظوظ والمخالفات فأهل النار قطعهم عن الحق المخالفين وأهل الجنة قطعهم عنه الحظوظ، وبقى أصحاب الأعراف يعرفون كُلاً بسيماهم، ولا وَسْمَ لهم ولا سيما سوى الحق.

قوله تعالى: ﴿**أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ**﴾ [الآية: ٥٠].

قال بعضهم: ماء الرحمة، أو مما رزقكم الله من القربة.

قال بعضهم: أفيضوا علينا من ماء الحياة ليحيى به، أو مما رزقكم الله من النعمة

---

(١) هذا كلام وتأويل فيه تجاوز فإن الله تعالى لم يجعل أحدًا يطلع على أسرار العباد فى الدنيا فضلاً عن الآخرة لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فكيف بهؤلاء الذين ينتظرون رحمة الله تعالى يوم القيامة ليدخلوا الجنة بعد أن تساوت حسناتهم وسيئاتهم كما قال بعض الصحابة كابن عباس وابن مسعود وحذيفة بن اليمان ومن التابعين الشعبى والضحاك وابن جبير كما ذكره ابن كثير والقرطبى وابن جبير فى تفسيرهم. والأعراف فى اللغة: المكان المشرف جمع عرف. قال يحيى بن آدم: سألت الكسائى عن واحد الأعراف فسكت فقلت: حدثنا إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال: الأعراف سور له عرف كعرف الديك فقال: نعم والله، واحده يعنى، وجماعته أعراف، يا غلام، هات القرطاس فكتبه. اهـ. (تفسير القرطبى) وقد تكلم العلماء فى أصحاب الأعراف على عشرة أقوال منها القول السابق وكره وهناك تسعة أقوال لولا طول المقام لذكرتها فما وجدت فيها هذا التفسير وهذا التأويل (راجع تفسير القرطبى ٧/ ٢٠٥/ دار الحديث).

لتنعم به.

قوله عز وعلا: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: ٥٢].

قال بعضهم: أنزل الله عليك كتابًا فيه هدى من الضلالة ورحمة من العذاب، وفرق بين الولى والعدو، ولا يعلم معانيه إلا المؤمنون بمتشابهه والعاملون بأحكامه والتالون آناء الليل وآناء النهار، له فيه الفلاح لمن طلب الفلاح، والنجاة لمن رَامَ، لا يهلك عليه إلا هالك ولا ينجو به إلا ناجٍ، قال الله تعالى ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الآية: ٥٤].

قال الواسطى رحمة الله عليه: إذا كان له فمنه وبه وإليه، لأن الأمر صفة الآمر.

قال بعضهم: لله الخلق وهو الذى أنشأهم.

وله وفيهم الأمر لأنه ربهم تبارك الله رب العالمين، جل الله تعالى حيث كفاهم للاشتغال ليكون شغلهم به، فاشتغلوا بما هو كاف لهم عما لابد لهم منه.

قوله عز وعلا ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية: ٥٥].

قال أبو عثمان: التضرع فى الدعاء أن لا تقدم إليه أفعالك وصلاتك وصيامك وقرآنك ثم تدعو على أثره، إنما التضرع أن تقدم إليه افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك، ثم تدعو بلا غفلة ولا سبب فترفع دعاءك، ألا ترى ما ذكر عن أبى يزيد رحمة الله عليه أنه قال: قيل لى خزائننا مملوءة من الطاعات فإن أردتها فعليك بالذلة والافتقار، وكما قال أبو حفص حين قيل له بما تُقدِم على ربك؟

قال: وما للفقير أن يُقدم به على الغنى سوى فقره.

قال الواسطى رحمة الله عليه: قوله ﴿تضرعًا وخفية﴾ قال: تضرعًا بذل العبودية وخلع الاستطالة، و«خفية» أى أخفى ذكرى صيانة عن غيرى، ألا تراه يقول: خير الذكر الخفى.

قوله تعالى: ﴿وادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الآية: ٥٦].

قيل: خوفًا من عقابه وطمعًا فى ثوابه.

وقيل: خوفًا من بعده وطمعًا فى قربه.

وقيل: خوفًا من إعراضه وطمعًا فى إقباله.

وقيل: خوفًا منه وطمعًا فيه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال بعضهم: المحسن هو الذى صَحَّح عقد توحيده وأحسن سياسة نفسه وأقبل على أداء فرائضه وكفى المسلمين شره.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الآية: ٥٧].

قال بعضهم: كل ريح تنشر نوعًا من الرحمة فريح التوبة تنشر على القلب رحمة المحبة، وريح الخوف تنشر رحمة الهيبة، وريح الرجاء تنشر رحمة الأنس، وريح القرب تنشر رحمة الشوق، وريح الشوق تنشر نيران القلق، والولَه قال الله تعالى: ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الآية: ٥٨].

قال أبو عثمان: البلد الطيب مثل قلب المؤمن النقى، يخرج نباته بإذن ربه، تظهر على الجوارح أنوار الطاعات والزينة بالإخلاص، والذى خبث قلب الكافر لا يظهر منه إلا النكد والشؤم والظلم على الجوارح من إظهار المخالفات.

وقال الواسطى رحمة الله عليه: البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه أى بتوليه، والذى خبث لا يخرج إلا نكدًا، حُجب عن التجلى واللحظات ﴿كذلك نصرف الآيات﴾ كذلك الشمس تحرق طوائف من النبات وتفنيها، وتغذى طوائف من النبات فتطيبها وتنميها، وذلك على قدر جوهرها، كما أن بإرادة واحدة ظهرت المخالفات والموافقات.

وقال بعضهم فى قوله: ﴿والبلد الطيب يخرج﴾ قال: طيبها يرخص أسعارها.

وقال بعضهم: بكثرة علمائها.

وقال بعضهم: بظهور الطاعات فيها.

وقال بعضهم: طيبها بدوام الأمن وعدل السلطان.

وقال الجوزجانى: البلد الطيب هو القلب يخرج نباته بإذن ربه، بظهور أنواع الطاعات على الجوارح، والذى خبث من القلوب لا يظهر على الجوارح إلا بالمخالفات.

قوله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: ٦٢].

قال بعضهم: ﴿أنصح لكم﴾: أدلكم على طريق رشدكم، ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من سعة رحمته وقبول التوبة لمن رجع إليه بالإخلاص وقال شاه الكرمانى: علامة النصح ثلاثة: اغتمام القلب بمصائب المسلمين، وبذل النصح لهم. وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوها وكرهوها.

قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا ءَالاءَ اللهِ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: ٦٩].

والأكابر تحبه على الإثبات والربوبية ولكلٍّ علامة، فعلامة الأولى: دوام الذكر له والفرح به، والثانية: الاستئناس به لرؤية ما أنفذه منه، والثالثة: الاشتغال به عن كل ما يقطع عنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُم كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الآية: ٦٤].

قال ابن عطاء: ضالين عن طريق الحق.

وقال بعضهم: عميت أبصارهم عن النظر إلى الكون برؤية الاعتبار، ونظرهم نظر مراد وشهوة.

وقال بعضهم: متثاقلين فى القيام إلى الطاعات.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

قال أبو حفص: الناصح الأمين الذى لا يكون فى نصيحته حظ لنفسه ولا طلب جاه، وإنما يكون مراده منه قبول النصيحة والنجاة بها.

قال سهل: من لم ينصح الله فى نفسه ولم ينصحه فى خلقه هلك، ونصيحة الخلق أشد من نصيحة النفس، وأدنى نصيحة النفس الشكر وهو أن لا يعصى الله بنعمته.

وقال أيضًا: النصيحة أن لا يدخل فى شىء لا يملك صلاحه.

قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [الآية: ٨٢].

قال القرشى: عيروهم بغسل الجنابة والاستنجاء[1].

---

(١) قلت: انظر رحمك الله إلى هذا التأويل العجيب والتفسير الفذ الذى لا يخرج إلا من جاهل بكتاب الله تعالى فالآية ظاهرة للأعمى الذى لا يرى وللأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب فالآ تتكلم عن قوم لوط وأفعالهم الشنيعة والفاحشة الشاذة، الا وهى إتيان الذكور دون النساء

قال بعضهم: ﴿إنهم أُناس يتطهرون﴾ أى: يخالفون ما أنتم عليه من أديانكم وملككم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إلا أَخَذْنَا أَهْلَها بِالبأسَاءِ والضَّراءِ﴾ [الآية: ٩٤].

قال بعضهم: دعاك إلى بابه بالشفقة، فلمَّا لم تجبه ولم ترجع إليه صبَّ عليك أنواع البلاء لترجع إليه كرهًا، إذا أبيت الرجوع إلية طوعًا، قال الله عز وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إلا أَخَذْنَا أَهْلَها بِالبأسَاءِ والضَّراءِ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: ٩٦].

قيل معناه: لو أنهم صدَّقوا وعدى واتقوا مخالفتى، لنوَّرت قلوبهم بمشاهدى وهو بركة السماء، وزينت جوارحهم بخدمتى وهو بركة الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾ [الآية: ٩٧].

روى أن ابنة مالك بن دينار قالت لأبيها: إن الناس ينامون ما لك لا تنام، قال إن أباك يخاف البيات.

قال النصرآباذى رحمة الله عليه: كيف يأمن الجانى من المكر، وأى جناية أكبر من جناية من يشاهد شيئًا من أفعاله، هل هو إلا متوثب على الرؤية ومنازع للوحدانية.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ [الآية: ٩٩].

قال الحسين: لا يأمن المكر إلا من هو غريق فى المكر فلا يرى المكر به مكرًا؛ وأما أهل اليقظة فإنهم يخافون المكر فى جميع الأحوال، إذ السوابق جارية والعواقب خفية.

= فقال الله عنهم: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ فالقرآن فى وادٍ مع قوم لوط وأفعالهم وهذا الجاهل فى وادٍ آخر فى الاستنجاء وغسل الجنابة.

قال المفسرون: (يتطهرون) عن الإتيان فى هذا المأتى. يقال: تطهر الرجل تنزه عن الإثم. قال قتادة: عابوهم والله بغير عيب. اهـ.

(قال أبو حفص): فاحرص أخى الإسلام كل الحرص من هؤلاء والله ما قدمت على إخراج هذا الكتاب والعمل فيه إلا للتنبيه على هؤلاء والقوم وتخاريفهم وترهاتهم وأباطيلهم حتى لا يقع المسلمون فى الضلال نعوذ بالله من ذلك الضلال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وقال: من لا يرى المكر تلبيسًا كان المكر منه قريبًا.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا الخير الديلمى يقول: كنت يومًا عند الجنيد رحمة الله عليه فارتعدت فرائصه وتغير لونه وبكى وقال: ما أخوفنى أن يأخذنى الله فقال له بعض أصحابنا: تتكلم فى درجات الراضين وأحوال المشتاقين فقال له: إياك يا أخى أن تأمن مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وقيل: لا تعتمد فضله وتنسى مكره، فقد قال: **﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**.

قوله تعالى: **﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ﴾** [الآية: ١٠٢].

قال الجنيد رحمة الله عليه: أحسن العباد حالاً من وقف مع الله على حفظ الحدود والوفاء بالعهود.

قال الله تعالى: **﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾**.

قوله تعالى: **﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَ أَقُولَ عَلَى اللهِ إلا الحَقَّ﴾** [الآية: ١٠٥].

قال ابن عطاء: من تحقق بالحق فإنه لا يقول على الحق إلا ما يليق بالحق.

قال الخراز: سبيل الواصلين إلى الله أن لا يتكلموا إلا عن الحق، ولا يسمعوا إلا من الحق ولا ينطقوا إلا بحق، فإن حقائق الحق إذا استولت على أسرار المحقين أسقطت عنهم ما سوى الحق، ولا يبلغ أحد من هذه الدرجات شيئًا حتى يستوفى الحق أوقاته عليه ومنه، فحينئذ يبقى ولا وقت له ولا حال، فحينئذٍ الله أعلم.

قوله تعالى: **﴿إنَّكُم لَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾**[1] [الآية: ١١٤].

قال بعضهم: دعا فرعون السحرة إلى القرب منه، وجرى لهم فى الأزل إلى منازل القرب من الحق قال فرعون: «إنكم لمن المقربين». فقربوا إلى منازل الأبرار وبعدوا من قرب الأشقياء.

قوله عزَّ وعلا **﴿فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الآية: ١١٨].

قال السوسى: أظهر الحق لطيفة من صنعه فى خشبة عجز السحرة عنها وجعلها سببًا لنجاتهم فقال: **﴿فوقع الحق﴾** أى بإظهار القدرة فى جهادٍ **﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾** من

(١) كذا فى المخطوط والصواب قوله تعالى: ﴿نعم وإنكم لمن المقربين﴾.

الأباطيل.

قوله تعالى: ﴿فَأَلقى[1] السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الآية: ١٢٠].

قال الواسطى: أدركتهم سابقة ما جرى لهم فى الأزل من السعادة، فأظهر منهم السجود.

وقال جعفر: وجدوا نسيم رياح العناية القديمة بهم، فالتجؤوا إلى السجود شكرًا و ﴿قَالوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الآية: ١٢١].

قوله عز اسمه ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ﴾ [الآية: ١٢٤].

قال سمنون[2]: يحمل الهياكل من البلايا على المشاهدة ما لا تحمله فى حال الغيبة، ألا ترى كيف لم يبالِ سحرة فرعون بما هددهم من قوله ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ استَعِينُوا بِاللهِ واصبرُوا﴾ [الآية: ١٢٨].

قال أبو عثمان: من استعان بالله فى أموره وصبر على ما لا يلحقه فى مسالك الاستعانة؛ أتى الفرج من الله، قال الله تعالى: ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾.

قال سهل: أمروا أن يستعينوا بالله على أمر الله، وأن يصبروا على آداب الله.

وقال بعضهم: قال موسى لقومه استعينوا بالله على مصائبكم واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده. فقيل له: ما لك [ولدار تعز الظالمين][3] فعن قريب تراها خالية من الفاسقين.

قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَسْتَخْلِفَكُم فِي الأَرضِ﴾ [الآية: ١٢٩].

قال بعضهم فى هذه الآية: أعدى عدوٍّ لك نفسك، عسى أن يمكنك الله من قيادها

---

(١) كذا فى المخطوط والصواب قوله (والقى السحرة ساجدين).

(٢) سمنون بن حمزة أبو الحسن الخواص وقيل: أبو بكر بصرى، سكن بغداد ومات قبل الجنيد، سمى نفسه سمنون الكذاب وكان سبب ذلك أبياته التى قال فيها:

فليس لى فى سواك حظ فكيف ما شئت فامتحنى

فحصر بوله من ساعته، فسمى نفسه سمنون الكذاب (حلية الأولياء ١٠/٣٠٩).

(٣) على هامش المخطوط (ولدار الظالمين).

ويفنى عنها أهواءها ومراداتها الباطلة، ويجعلك خليفة على جوارحك وقلبك أميراً عليها فتقهر النفس بما فيها وتستولي عليها وعلى مخالفتها، فينظر كيف تعملون: كيف معرفتك بشكر ما أنعم عليك.

قوله عز وعلا ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الآية: ١٣٠].

قال: ذكرناهم النعم وأخذناهم بالمحن لعلهم يرجعون إلينا، فأبوا إلا طغيانًا وتماديًا.

رأيت فى كتاب عبد الله الرازى بخطه، سمعت محمد بن الفضل يقول: أذل رياضة يروض الإنسان بها نفسه الجوع، لأن الله تعالى أخذ الأعداء بذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ وأعز رياضة يروض بها الإنسان نفسه التقوى، لأن الله يقول ﴿فإيَّاى فاتقون﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ﴾ [الآية: ١٣٤].

قال القاسم: من لم يراع أسرار الأولياء فى الأوقات، لا ينفعه اللجأ إليهم فى أوقات البلاء، ألا ترى كيف لم يؤثر على أصحاب فرعون اللجأ إلى موسى فى اعتقاد المخالفة، قال الله ﴿فانتقمنا منهم﴾.

قوله تعالى: ﴿وتمت كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِى إِسَرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الآية: ١٣٧].

قال الجنيد: رحمة الله عليه فى كتاب «مراتب أهل الصبر» فى قوله: ﴿وتمت كلمه ربك﴾ قال: طلبوا تمام الكلمة بوجود النعمة والمواظبة على الصبر واستشعروا التشبث بحبائل الوفاء عند من أبلاهم، لتتم عليهم كلمة ربك الحسنى بجميل الثناء على الصبر التى ضمن لهم إتمامها بالوفاء.

قال أبو سعيد: طلبوا إتمام النعمة بالمواظبة على الصبر، واستشعروا وعده الذى وعد لهم إتمامه عند القيام بما لزمهم من شرائط الصبر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغيكُمْ إِلَهًا﴾ [الآية: ١٤٠].

قال بعضهم: من لم يرضَ بمجارى المقدور عليه ولم يستقبل نعمة الله بالشكر وبلا

(١) الآية فى سورة البقرة رقم (٤١) بلفظ ﴿وإياى﴾.

بالصبر فقد كفر بنعم الله عنده.

قال أبو عثمان: أتطلب ربًا غيره وهو فضلك على ما سواك من جميع ذوات الأرواح والجماد فتذل وتخضع لغيره، وهو فضلك عليه، ذُلَّ لمن لا يُذل من يذل له، تستوى معه وتنل به الأوفر من العز.

قوله عز اسمه ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [الآية: ١٤٢].

قيل لأبى بكر بن طاهر: ما بال موسى لم يَجع أربعين يومًا حين أراد أن يكلم ربه، وجاع فى نصف يوم حين أراد أن يلقى الخضر فقال: ﴿آتنا غداءنا﴾[١] الآية قال: لأنه فى الأول أنساه هيبة الوقوف الذى ينتظره الشراب والطعام، والثانى كان سفر التأديب فزاد البلاء على البلاء حتى جاع فى أقل من نصف يوم، والأول كان أوقات الكرامة.

قال جعفر: كان وعده ثلاثين ليلة فالتزم على ميعاد ربه وانتهى الأجل لقدومه فأخرجه عن حده ورسمه، وأكرم موسى بكلامه وبان عليه شرفه خارجًا عن رسوم البشرية حتى سمع ما سمع من ربه من غير نفسه وعلمه وغير وقته الذى وقته لقومه، دليلاً بذلك أن منار الربوبية خارج عن رسوم البشرية.

وسمعنا بعض المتأخرين يقول فى هذه الآية: مواعيد الأحبة وإن أخلفت بها فإنها يُؤنس بها.

وأنشد على أثره:

أمطلِينى وَسوِّفى   وعِـدينى ولا تَفِى

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الآية: ١٤٢].

قال محمد بن حامد فى قوله: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ قال: لم يزل الأنبياء والأولياء خلف يخلفهم فيمن بعدهم من أمتهم وأصحابهم، يكون هديهم على هديه، يحفظون على أمتهم ما يضعونه من سنتهم وأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان هو القائم بهذا المقام بعد النبى ﷺ ولو لم يقم هو؛ لذهبت سنن منها محاربة أهل الردة[٢] وغير ذلك.

(١) سورة (الكهف) الآية رقم (٦٢).

(٢) وهم الذين ارتدوا بعد وفاة النبى ﷺ من أحياء العرب ونجم النفاق بالمدينة وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة والتف على طليحة الأسدى بنو أسد وطىء وبشر كثير أيضًا، وادعى النبوة أيضًا كما ادعاها مسيلمة الكذاب، وعظم الخطب واشتدت الحال، ونفذ =

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الآية: ١٤٣].

قال أبو سعيد: من غَيرَةِ الله تعالى أنه لم يكلم موسى إلا فى جوف الليل، وغيَّبه عن كل ذى حسب حتى لم يحضر كلامه معه أحد سواه، وكذلك محادثته مع الأنبياء.

قال القرشى: إنما كلم الله موسى بإيَّاه، ولو كلمه على حد العظمة لذاب وصار لا شىء.

قال الواسطى رحمة الله عليه: لما غاب موسى عن أنفاسه وحركاته وقام مقام الانفراد مع الله ناداه ﴿إنى أنا الله﴾[1].

قال جعفر فى قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ قال: الميقات طلب الرؤية.

وقال جعفر: سمع كلامه خارجًا عن بشريته وأضاف الكلام إليه، وكلَّمه من نفسه موسى وعبوديته فغاب موسى عن نفسه وفنى عن صفاته، وكلَّمه ربه من حقائق معانيه، فسمع موسى ﷺ من ربه ومحمد ﷺ سمع من ربه صفة ربه، وكان أحمد المحمودين عند ربه، ومن هذا كان مقام محمد ﷺ المنتهى، ومقام موسى عليه السلام الطور، ومنذ كلم الله موسى على الطور أفنى صفته، فلم يظهر فيه النبات ولا تمكين لأحدٍ عليه.

وقال الحسين فى قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ قال: أزال عنه التوقيف والترتيب، وجاء إلى الله على ما دعاه إليه وأراده له وأخذه عليه وأوجده منه وأظهره عليه، ببذل الجهد والطاقات وركوب الصعب والمشقات، فلما لم تبق عليه باقية بها يمتنع، أقيم مقام المواجهة والمخاطبة وأطلق مصطنعة لسانه بالمراجعة والمطالبة، أما سمعت قوله قبل هذه الحال طالبًا منه لما طولع بحال الربوبية وكوشف بمقام الإلهية سائلاً حل عقدةٍ من لسانه ليكون ـ إذا كان ذلك ـ مالكًا لنطقه وبيانه.

وقيل: فسأل ربه شرح صدره ثم نظر إلى ألْيق الأحوال، وإذا هو تيسير أمره فسأل ذلك على التمام لتترقى به حاله إلى أرفع المقام وهو المجىء إلى الله بالله، لما علم أن من

= الصديق جيش أسامة فقل الجند عن الصديق، ولكن أبا بكر الصديق تصدى لهم، راجع القصة كاملة فى كتاب «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠٣). تحت عنوان «فى تصدى الصديق لقتال أهل الردة ومانعى الزكاة» فلتراجع.

(١) سورة (القصص) الآية رقم (٣٠).

وصل إليه لم تعترض عليه عارضة، حينئذٍ صلح للمجيء إلى الله وحده بلا شريك ولا نظير وكان ممن وَفَّى المواقيت حقها، غابت عنه الأحوال فلم يرها وذهبت عن عينه وحضوره، وما عداها إلا ما كان للحق منه ومعه حتى تحقق بقوله ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾[1] فهذا حال المجيء وهذا معنى قوله ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وكلمه ربه﴾ تفرد بكلامه لأنه كان قبل ذلك مكلمًا بالسر والسفرة والوسائط، فلما رقى الله به إلى المقام للأجل وحققه بالحال الأعظم الأرفع، خاطبه مكلمًا على الكشف، وغيَّبه عن كل عين رائية ومرئية وكل صورة مكونة ومنشئة إلا ما كان من المُكَلِّم والمُكَلَّم، وأفرد الله عبده بالشرف الأعظم فسمع خطابًا لا كالمخاطبات ومناج منه وله عند ذلك طلب لا كالمطالبات، واقتضى من الله ما لم تكن قبل يقتضيه، فلذلك سأل النظر إليه إذ رجع إلى حقيقته فرأى الله في كل منظور ومبصر، فلما تحققت له هذه الأحوال ﴿قال رب أرنى أنظر إليك﴾ فإنى فى كل مرادى راجع إليك، أى أرنى ما شئت فلست أرى غيرك مقابلى، إذ تحققت بما حققتنى به إنك غير مزايلى ألم يدلك على ذلك خطابه ورجوعه إليك إذ ذاك جوابه أرنى فإليك أنظر وأحضر ما شئت فلست غيرك أحضر بعد أن تحققت منك بحالٍ توجب لى منك ذاك، وحق لمن تحقق بهذا وتمكن فيه أن ينفرد بسؤال لا تشاركه فيه الخليقة.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِى وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الآية: ١٤٣].

فهو أشد منك جسدًا وأعظم منك خلقًا وأهيب منك منظرًا، فإن ثبت لرؤيتى ثبت ولا يحملنى ولا يصبر لمشاهدتى شيء إلا قلوب العارفين التى زينتها بمعرفتى وأيدتها بأنوار كرامتى وقدستها بنظرى ونورتها بنورى، فإن حملنى شيء وصبر لمشاهدتى فتلك القلوب دون غيرها[2]، لذلك قال المصطفى ﷺ: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت

(١) سورة (طه) الآية رقم (٣٦).

(٢) (قلت): سبحان الله العظيم انظر إلى هذا الافتراء الصارخ والبهتان العظيم. حيث جعل قلوب العارفين من أهل الصوفية الذين يتخذون بعض القبور من مشايخهم مزارًا واستغاثة واستعانة من دون الله أرقى وأقوى على تحمل رؤية الله تعالى ومشاهدته من موسى عليه السلام وهو النبى الرسول من أولى العزم من الرسل فأخرجوه من دائرة المعرفة ولم يكن من العارفين فلم يتحمل رؤية الجبل حينما تجلى له ربه أما هؤلاء العارفون فيتحملون سبحانك ربى إن هذا إلا بهتان يفترى.

سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره»[١].

ثم إذا حملتني تلك القلوب وصبرت لمشاهدتي فأنا حاملي لا غير، إذ بي حملني وبإياي صبر لمشاهدتي، فلا مشاهدة للحق سواه جَلَّ ربنا وتعالى.

قال ابن عطاء في قوله: ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل﴾: شغله بالجبل ثم تجلى، ولو لم يشغله بالجبل لمات وقت التجلي.

وقال الحسين قوله لموسى ﴿لن تراني﴾: لو تركه على ذلك لتقطع شوقًا إليه، ولكنه سكَّنَهُ بقوله: ﴿ولكن﴾.

وقال أيضًا في هذه الآية: انبسط على ربه في معاني الرؤية لما كان يرجع منه إلى شيء سواه.

قال الواسطي رحمة الله عليه: ﴿لن تراني﴾: إلى وقت ولا على الأبد.

وقال: كان موسى غائبًا عن طبع البشرية، حتى استطاع المقام في وقت الكلام والمفاجأة، فلما وجد حلاوة كلامه طلب الكشف في الحال غائبًا عن الحال كذلك.

قال يحيى بن معاذ: وعد نعمك يشير إلى وفاء كرمك.

وقال جعفر: انبسط إلى ربه في معنى رؤيته لأنه رأى جمال كلامه على قلبه فيه، فانبسط إليه فقال له «لن تراني» أي لا تقدر أن تراني، لأنك أنت الفاني فكيف السبيل لفانٍ إلى باق؟ ولكن انظر إلى الجبل أوقع على الجبل علم الاطلاع فصار دكًا متفرقًا، زال الجبل من ذكر اطلاع ربه، وصعق موسى من رؤية تدكدك الجبل فكيف له برؤية ربه عيانًا، معاينة رؤية الله لعبده والعبد فانٍ، ورؤية العبد لربه والعبد بربه باقٍ ثم قال ثلاث من يلتمس العبيد إلى ربهم محال: التجلي والوصلة والمعرفة، فلا عين تراه في الدنيا، ولا قلب يصل إليه، ولا عقل يعرفه لأن أصل المعرفة من الفطرة، وأصل المواصلة من المسافة، وأصل المشاهدة من المباينة.

---

(١) صحيح: اخرجه مسلم في كتاب «الإيمان» باب «في قوله عليه السلام «إن الله لا ينام» (١/ ص١٦٤) (٢٩٣/ حديث/ ١٧٩).

وابن ماجه في المقدمة «باب» فيما أنكرت الجهمية. (١/ ص٧٠) حديث رقم (١٩٥).

واحمد في مسنده (٤/ ٤٠٥)، جميعًا من طريق الأعمش عن عمر بن مرة عن عبيدة عن أبي موسى رضي الله عنه به.

وقال جعفر فى قوله: ﴿لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل﴾: شغله بالجبل ثم تجلى ولولا ما كان من اشتغاله بالجبل؛ لمات موسى صعقًا بلا إفاقة.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الآية: ١٤٣].

قال الواسطى رحمة الله عليه فى قوله ﴿جعله دكًا﴾ قال: امَّاع كأن لم يكن قط، ولا عجب لهيبة ما ورد عليه.

قال أبو سعيد القرشى: الكرم والجمال يبقيان والإجلال والهيبة يفنيان، كما أن الله كلَّم موسى بصفة الهيبة، تجلى للجبل فصار الجبل دكًا وخرَّ موسى صعقًا، وكان آخر عهده بالنسيان ولم يتهيأ لأحدٍ أن ينظر إلى وجهه.

قال الواسطى رحمة الله عليه: وصل إلى الخلق من صفاته ونعوته على مقاديرهم لا كليَّة الصفات، كما أن التجلى لم يكن بكلية الذات.

وقال بعضهم: ينال الكون من صفاته ونعوته على قدر احتمالهم.

قال الواسطى رحمة الله عليه: قالوا لن يغيب التجلى والله يقول: ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾.

وقال النبى ﷺ: «إن الله إذا تجلى لشىء خشع له»[1]

قلت: ذلك على التعارف ومقادير الطاقات أليس يستحيل أن يقال: تجلى الهواء لذرة واحدة، لو احتجب لساواها ولو تجلى لقاريها وهو أجلٌ من أن يخفى ويستتر وأعز من أن يرى، ويتجلى إلى وقت الميعاد تنزه عن أن تقع عليه للإلحاظ بمعانيها، أو يقع تحت الألسنة بأمانيها.

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه النسائى فى كتاب «الكسوف» باب (١٦) (٣/ ١٦٠) حديث رقم (١٤٨٦)، من حديث نبيصه الهلالى به.

وهذا إسناد فيه إضطراب كما ذكر الألبانى فى الإرواء (٣/ ١٣١).

وأخرجه أيضًا الدارقطنى فى «سننه» (٢/ ٦٤، ٦٥) من طريق الحسن عن أبى بكرة والحسن لم يسمع من أبى بكرة والحديث صحيح من غير الزيادة الا وهى (ولكن الله إذا تجلى لشىء..).

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٣٣٣) من طريق أبى قلابة عن النعمان به، وقال: وهذا مرسل أبو قلابة لم يسمعه من النعمان بن بشير إنما رواه عن رجل عن النعمان وليس فيه هذه اللفظة إلا حيره. اهـ. قلت: يعنى لفظة (التجلى) فهى ضعيفة.

قال: وجرى بين الجنيد رحمة الله عليه ذكر قوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه﴾ الآية فصاح وقال: بالجعل صار دكًا لا بالتجلى، ولو وقع عليه آثار التجلى لأفناه، فكيف التجلى.

وقال بعضهم: انفرد موسى بالتجلى لما صعق كأنه لما سأل الرؤية قيل له: أنت لا ترانا ببشريتك فقال: أفننى عنى وعن بشريتى فأفناه، وانفرد الحق بذاته فتجلى لموسى فى حال صعقته، لأنه كان معه قائمًا بالمحبة.

قال الله تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة منى﴾[1].

فأفناه حتى رآه ثم رده إلى صفاته.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾.

قال بعضهم: تبت أن أسألك حظًا لى، إذ لا يحيط بك أحد ولا يشهدك غيرك.

﴿سبحانك تبت إليك﴾ الآية.

قال ابن خفيف: لما قال: إن استقر مكانه فسوف ترانى. قال: تبت إليك من أن لا أصدقك بكل ما ورد منك ولا أطالب بالعلاقات، وذلك كما قال: ﴿أرنى أنظر إليك قال لن ترانى﴾ لم يكفه هذا حتى قال: «انظر إلى الجبل» فالتوبة من هذا.

قال الواسطى رحمة الله عليه: لم يزل المقصود ممتنعًا من الاستغراق، ألا ترى إلى قول موسى ﴿سبحانك تبت إليك﴾.

قال جعفر فى قوله: ﴿سبحانك تبت إليك﴾ قال: نزه ربه واعترف إليه، بالعجز وتبرأ من عقله، «تبت إليك» رجعت إليك من نفسى، فلا أميل إلى علمى، فالعلم ما علمتنى والعقل ما أكرمتنى ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ إنك لا ترى فى الدنيا وإنما جوز الكلام ولم تجوز الرؤية، لأن الرؤية الإشراف على الذات والكلام صفة من الصفات، والصفات سمات إلى عباده ولهم إلى ذلك سبيل، ولا سبيل لأحدٍ من خلقه إلى ذاته قال الله تعالى: ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾[2].

(١) سورة (طه) الآية رقم (٣٩).

(٢) سورة (طه) الآية رقم (١١٠).

قوله تعالى: ﴿إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِى وَبِكَلامِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ [الآية: ١٤٤].

قال بعضهم: الاصطفائية أورثت التكلم ولا التكلم، والكلام أورثا الاصطفائية.

وقيل فى قوله تعالى: ﴿فخذ ما آتيتك﴾ من عطائى، وكن من الشاكرين لا من المدعين المختارين، فما سبق منى إليك أكثر مما اخترته لنفسك.

قال بعضهم: لما قال اصطفيتك لنفسى أورث الاصطناع والاصطفائية، فكنت مصطفى على الناس، لا بسابقة سبقت لك إلىَّ بل بسابقة سبقت منى إليك.

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: ١٤٥].

قال بعضهم: سر الله عند عباده وأهل خصوصيته لا يحمله إلا الأقوياء بأبدانهم وقلوبهم ألا ترى الله جل وعز يقول لكليمه ﷺ ﴿فخذها بقوة﴾ والقوة هى الثقة بالله والاعتماد عليه، ولذلك قال بعضهم: عطاياه لا تحتمل إلا مطاياه.

وقيل فى قوله: ﴿فخذها بقوة﴾: أى خذها بى ولا تأخذها بنفسك، فالقوى من لا حول له ولا قوة، ويكون حوله وقوته بالقوى.

قوله عز وعلا: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ [الآية: ١٤٦].

قال بعضهم: التكبر تكبران: وتكبر بحق وتكبر بغير حقٍ، فالتكبر بالحق تكبر الفقراء على الأغنياء، استغناء بالله عما فى أيديهم وتكبر بغير حقٍ وهو تكبر الأغنياء على الفقراء إزدراءً لما هم فيه من فقرهم.

قال الواسطى رحمة الله عليه: والتكبر بالحق هو التكبر على الأغنياء و الفسقة والكفار وأهل البدع، لأنه روى فى الأثر: «ألقوا أهل المعاصى بوجوه مكفهرة».

قال بعضهم: أرباب الكبائر مصروفون عن الكرائم، لأن الله يقول: ﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون﴾.

قال سهل: هو أن يحرمهم فهم القرآن، والاقتداء بالرسول ﷺ.

قال ابن عطاء: سأمنع قلوبهم وأسرارهم وأرواحهم عن الجولان فى ملكوت القدس عن الحق، لأن ذلك فى ملكوت القدس قال الجريرى فى هذه الآية: ﴿سأصرف عن

آياتي الذين يتكبرون﴾ حتى لا يفهموها ولا يجدوا لها لذة، لأنهم تكبروا بأحوال النفوس بالخلق والدنيا، فصرف الله عن قلوبهم آياته لما انصرفوا عنه، ومن استولت عليه النفس صار أسيرًا فى حكم الشهوات، محصورًا فى سجن الهوى، حرم الله على قلبه فوائد آياته وكتابه وإن أكثر ترداده على لسانه.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِم عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الآية: ١٤٨].

قال سهل: عجل كل إنسان ما أقبل عليه وأعرض به عن الله من أهلٍ وولد، ولا نتخلص من ذلك إلا بعد إفناء حظوظه أجمع من أسبابه، كما لم يتخلص عَبدة العجل من عبادته، إلا من بعد قتلهم أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [الآية: ١٥٠].

قال: آسفًا على ما فاته من مخاطبة الحق إلى مخاطبة من لا أوزان لهم، فرده من شوقه إلى شاهده لِيلاً يقطعه من حال شوقه ﴿وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾.

قال ابن عطاء: غضبان على نفسه حيث ترك قومه حتى ضلوا، آسفًا على مناجاة ربه.

قال بعضهم: ماقتًا نفسه متأسفًا على ما فاته من اختصاصه بالمخاطبة.

قال بعضهم: من رأى من قومه من ارتكاب مخالفة الله وقيل: أغضبه الرجوع عن مفاجأة الحق إلى مخاطبة الخلق.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾.

قال القرشى: من تحرك غيرة للحق فإن الحق يحفظ عليه حدوده، لئلا تخرجا الحركة إلى شيء مذموم، كموسى لما ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه لما رأى قومه يعبدون العجل، فلم يعاتبه الله على ذلك، ولو باشر أحدٌ من الكسر والأخذ م باشر موسى، كان ملومًا على ذلك ولكن حركة موسى كانت بِلا حَظٍ لموسى فيها، بل قام غيرة لله وابتغاء ماله، فلم يزدد بذلك من الحق إلا قربًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِم﴾ [الآية: ١٥٢].

قال أبو عثمان: من أقبل على الله فلينتظر الراحة، والزلفة والفرج من القبول، ومر

أعرض عن الله فلينتظر الذل والسخط والبغض مع غضب الله فى الآخرة.

قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ﴾ الآية.

قال الحسين بن الفضل: لا ترى مبتدعًا إلا ذليلاً، لأن الله يقول: ﴿وكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾ [الآية: ١٥٥].

قال بعضهم: اختار موسى على عدد الأولياء فى الأمم السالفة وفى أمته وهم السبعون الذين إليهم متضرع الخلق وبهم يحفظون.

قوله تعالى ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ [الآية: ١٥٦].

قال الواسطى رحمة الله عليه: ذلك فى نفس المعارف ما عرفه أحد إلا تكدر عيشه، وأرباب الحقائق لا يُعذبون فى الدنيا إلا بتواتر نعم الله عليهم والتقرب، حتى يرد عليه ما منه يغيب من الصفات والنعوت، فيرتفع عند سوء الأدب فى السير.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: ١٥٦].

قال الكتانى رحمة الله عليه: تَسَعُ كل شىء ولكن خصَّ بها الأنبياء لقوله تعالى. ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ ومن يمكنه تصحيح التقوى فيكون بشرط الآية.

قال بعضهم: وصف العذاب بصفة الخصوص مقرونًا بالمشيئة، وعَمَّ الرحمة أنها تسع كل شىء.

قال أبو عثمان: لا أعلم فى القرآن آية أقنط من قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ والناس يرونها أرجى آية، وذلك أن الله يقول: ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الآية: ١٥٧].

قال ابن عطاء: الأمى هو الأعجمى[1]، قال أعجمى عما دوننا عالم بنا وبما ينزل عليه

---

(١) انظر إلى تأويلاتهم فسموا الأمى أعجمى مع أن الله عز وجل فرق بين العربى والأعجمى حيث ادعى أهل الباطل والضلال أن الذى يُعلِّمه أعجمى فقال الله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾ [النحل:١٠٣]، وأما معنى (الأمى) قال القرطبى فى تفسيره (٧/ ٢٨٤) هو منسوب إلى الأمة الأمية التى هى على أصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها. اهـ.

من كلامنا ومن حقائقنا.

وقال أيضًا فى قوله: ﴿النبى الأمى﴾ قال: الذى لا يدنسه شىء من الكون.

وقال الأمى: من لا يعلم من الدنيا شيئًا ولا فى الآخرة إلا ما علمه ربه، حالته مع الله حالة واحدة وهو الطهارة بالافتقار إليه والاستغناء عما سواه.

قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنهُمْ إِصْرَهُمْ والأغلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

قال جعفر: أثقال الشرك وذل المخالفات وغل الإهمال.

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ﴾.

قال بعضهم: صدقوا ما جاء به وبذلوا المنهج بين يديه.

وقيل فى قوله: ﴿واتبعوا النور الذى أنزل معه﴾ قال: اتبعوا سنته ليوصلهم اتباع السنن إلى ميادين الأحوال السنية.

قوله تعالى: ﴿واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: ١٥٨].

قال الحسين: إن الحق أورد تكليفًا عن وسائط وتكليف الحقائق، فتكليف الحقيقة بدت معارفه منه وعادت إليه، وتكليف الوسائط بدت معارفه عمن دونه فلا يصل إليه، فتناهى من معارفهم إلى نهايات معرفة أهل الوسائط، ولا تتناهى معارف من أحد معارفه عن شهود الحق، كل ذلك رفق من الحق بالخلق، لعلمه بأنه لا يوصل إليه إلا بما منه.

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعدِلُونَ﴾ [الآية: ١٥٩].

قوله ﴿يهدون بالحق﴾ قيل: يدلون الخلق على طريق الحق وإياه يسلكون.

قوله تعالى: ﴿فَانبَجَسَتْ مِنهُ اثْنَتَا عَشرةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [الآية: ١٦٠].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندرانى يقول: سمعت أبا جعفر الفلسطينى يحكى عن الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عليه السلام فى هذه الآية قال: انبجست من المعرفة اثنتا عشرة عينًا، يشرب كل أهل مرتبة فى مقام من عين من تلك العيون على قدرها، فأول عين منها عين التوحيد، والثانية عين العبودية والسرور بها، والثالثة عين الإخلاص، والرابعة عين الصدق، والخامسة عين التواضع،

والسادسة عين الرضا والتفويض، والسابعة عين السكينة والوقار، والثامنة عين السخاء والثقة بالله، والتاسعة عين اليقين، والعاشرة عين العقل، والحادية عشر عين المحبة، والثانية عشر عين الأنس والخلوة، وهى عين المعرفة بنفسها، ومنها تنفجر هذه العيون، ومن شرب من عين منها يجد حلاوتها ويطمع فى العين التى هى أرفع منها، من عين إلى عين حتى يصل إلى الأصل، وإذا وصل إلى الأصل تحقق بالحق.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾.

قال بعضهم: ظهر لكل سالك سلوكه وآثار براهينه وبركات سعيه وأنوار حقائقه.

قوله تعالى: ﴿لَسَرِيعُ العِقَابِ﴾ [الآية: ١٦٧].

قال بعضهم: ما كان فى القرآن آية أشد من قوله: ﴿لسريع العقاب﴾ فإنها عقوبة الحجاب بالحجاب عنه.

قوله تعالى: ﴿وبَلَوْنَاهُمْ بِالحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ﴾ [الآية: ١٦٨].

قال: اختبرناهم بالنعم طلبًا للشكر، واختبرناهم بالمحن طلبًا للصبر فأبى الجميع فلا هم عند النعم شاكرون ولاهم عند المحن صابرون.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِيثَاقُ الكِتَابِ أَن لا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إلا الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [الآية: ١٦٩].

قيل: ألم يبين لهم على لسان الوسائط فى الكتب المنزلة أن لا يصفوا الحق إلا بنفاد المشيئة وعلو القدرة.

قال سهل فى قوله ﴿ودرسوا ما فيه﴾ تركوا العمل به.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِم﴾ [الآية: ١٧٢].

قال أبو سعيد الخراز فى هذه الآية قال: تراءى لأهل الإيمان بالسكون فعرفوه وسكنوا واطمأنوا، وتراءى لأهل الكفر بالتعظيم فطاشت عقولهم وتفرقوا عنه.

وقال يوسف فى هذه الآية: قد أخبر أنه خاطبهم ربهم وهم غير موجودين إلا بإيجاده لهم، إذ كانوا واجدين للحق من غير وجودهم لأنفسهم، كان الحق بالحق فى ذلك موجود بالمعنى الذى لا يعلمه غيره ولا يجده سواه.

قال بعضهم فى قوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ من غير مشاهدة، ثم كوشفوا فشهدوا ما خوطبوا به، فقالوا «شهدنا» أى شاهدنا حقائق حقك وقال الحسين: أنطق الذر بالإيمان طوعًا. وكرهًا أنطقتهم بركة الآخذ أحدهم عنهم، ثم أشهدهم حقيقته فأنطقت عنهم القدرة من غير شركة كان لهم فيه.

وقيل: إن توحيد الخاص أن يكون العبد قائمًا بسره بين يدى ربه، يجرى عليه تصاريف تدبيره وأحكام تقديره فى بحار توحيده، بالفناء عن نفسه وذهاب نفسه بقيام الحق به فى مرادٍ منه، فيكون كما كان قبل أن يكون، كما قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم﴾ الآية.

قال النصرآباذى رحمه الله فى هذه الآية: مؤيل الأكبر ومالف الأعظم، معافون من السلالة والطين وما بعده من النطف والمضغ أفأنتم فى حملة للأخذ الأول، أم مردودون إلى ميعاد الأخذ فى السلالات والمضغ والنطف، فإن أخذ للأول أول بأول للأول وهو بأول للأول أول.

وقال النصرآباذى: أخذ ربك تلطفًا وتكرمًا بل أخذه جلالة وعظمة، بل أخذه غنى واستغناءً.

وقال أيضًا: أخذ لا للحاجة بل للحجة فمنع الخلق حاجتهم أن يَرَوا ذرة من معانى الحجة.

وقال أبو عثمان المغربى: وسُئل عنه ما الخلق؟

قال: قوالب تجرى عليها أحكام القدرة، وقال: أخذ ربك من معدن إلى معدن ومن معدن للمعدن.

وقال الجريرى فى قوله: ﴿ألست بربكم﴾ قال: تعرف إلى كل طائفة من الطوائف بما منحها من معرفته فقال: «بلى» وكلٌ أقر بما مخ ثم أخرجهم من صلب آدم فقال: ﴿وكنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾[1] وقال لنبيه ﷺ: ﴿لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم﴾[2].

---

(١) سورة (آل عمران) الآية رقم (١٠٣).

(٢) سورة (الأنفال) الآية رقم (٦٣).

قال أبو سعيد الخراز فى قوله «بلى» قال: من قال حين قال: ومن أين أجابوا عنهم إلا القدرة والنافذة والمشيئة التامة وهل كانوا إلا رسمًا لأحكام مليك.

وهل هم الآن إلا أشباح تختلف عليهم تصاريف تدبيره.

وقال بعضهم: خطب منصوب القدرة فى عين العدم.

قال ابن بنان[1] فى هذه الآية: قد أخبرك أنه قد خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم، إذ كان واجد الخليقة بغير معنى وجودها لأنفسها بالمعنى الذى لا يعلمه غيره ولا يجده سواه، فقد كان واجدًا مخاطبًا شاهدًا عليهم بديًا فى حال فنائهم عن بقائهم الذى كانوا به، كذلك هو الوجود الربانى والإدراك الإلهى الذى لا ينبغى إلا له.

وقال فى قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم﴾ خوطبوا بهذا الكلام وأيش كانوا فقال: كانوا موجودين فى القدرة مغيبين عن شهود التوحيد.

قيل: إنما أجيب عنهم على حسب الاستسلام فهذا مقام الفناء، وقد تقدمت الستلة الإجابة فالعالم يجرى فى التسخير من حيث التمكين فى قبضة الحق.

قال الحسين: لا يعلم أحد من الملائكة المقربين ما أظهر الخلق وكيف الانتهاء والابتداء، إذ الألسنة ما نطقت والعيون ما أبصرت والآذان ما سمعت، كيف أجاب من هو عن الحقائق غائب وإليها آيب فى قوله: ﴿ألست بربكم﴾ فهو المخاطب وهو المجيب.

وقال الحسين فى قوله: «بلى»: القائل عنكم سواكم والمجيب غيركم، فسقطتم أنتم وبقى من لم يزل كما لم يزل.

وسُئل على بن عبد الرحيم عن قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم﴾ قال: كانوا موجودين فى القدرة مغيبين عن شهود الوجود.

قال الواسطى رحمة الله عليه فى قوله: ﴿ألست بربكم﴾ قالوا بلى: «قال: هو تقرير فى صورة السؤال.

وقال بعضهم: القدرة أجابت القدرة.

---

(١) هو أبو الحسين بن بنان، وهو من جلة مشايخ مصر. صحب أبا سعيد الخراز وإليه ينتمى، وكان يتواجد وأبو سعيد الخراز يصفق به، مات فى التيه (طبقات الصوفية ٩٥).

وقيل فى قوله «بلى» قالوا: سمعوا كلامه أن ﴿ليس كمثله شيء﴾[1] وخلق حياتهم من ذلك النور وجعل قوام جميعهم بتلك الكلمة. وأنشد:

لَو يَسمَعون كَما سَمِعت كلامَه   خَـرُّوا لِعزَّةٍ رُكَّعًا وسُجُودًا

قال ابن بنان: لله خالصة من خلقه، انتخبهم للولاية واستخلصهم للكرامة وأفردهم به له، فجعل أجسادهم دنياوية وأرواحهم نورانية وأذهانهم روحانية وأوطان أرواحهم غيبية، وجعل لهم فسوحًا فى غوامض غيوب الملكوت الذين أوجدهم لديه فى كون الأزل، ثم دعاهم فأجابوا سراعًا، أجاب تركيبهم حين أوجدهم لديه فى كون الأزل، ثم دعاهم فأجابوا الدعوة منَّةً منه، وعرفهم نفسه حين لم يكونوا فى صدرة الإنسية، ثم أخرجهم بمشيئته خلقًا فاودعهم صلب آدم، فقال: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ فأخبر أنه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم، إذ كانوا غير واجدين للحق إلا بإيجاده لهم فى غير وجودهم لأنفسهم، وكان الحق بالحق فى ذلك موجودًا.

قوله تعالى: ﴿وَاتلُ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذى آتَيْنَاهُ آيَاتِنا فَانسَلَخَ مِنهَا﴾ [الآية: ١٧٥].

قال ابن عطاء: سوابق الأزل تؤثر على انتهاء الأبد، قال الله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنا فَانسَلَخَ مِنهَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أخْلَدَ إلى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الآية: ١٧٦].

قال ابن عطاء: لو جرى له فى الأزل السعادة لأثر ذلك عليه فى عواقب سعيه وكدحه فى آواخر أفعاله.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدى﴾ [الآية: ١٧٨].

قال بعضهم: ليس الناجى من سعى إنما الناجى من سبقت له الهداية من الهادى. قال الله تعالى ﴿من يهد الله فهو المهتدى﴾.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الآية: ١٧٩].

(١) سورة (الشورى) الآية رقم (١١).

قال: «قلوب لا يفقهون بها» شواهد الحق «وأعين لا يبصرون بها» دلائل الحق، «وآذان لا يسمعون بها» دعوة الحق.

قوله عز وعلا ﴿أُولَئِكَ[1] كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

قيل: الأنعام والبهائم لا تحس بالاستتار والتجلى، والأرواح نعيمها فى التجلى وغذاؤها فى الاستتار. قال الله تعالى: ﴿إن هم إلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الآية: ١٨٠].

قال بعضهم: كل اسم من أسمائه يبلغك مرتبة من المراتب، واسم الله يبلغك الوله فى حبه، والرحمن الرحيم يبلغانك إلى رحمته كذلك جميع أسمائه إذا دعوته بها عن خلوص ضميرك وصفاء عقدك.

وقال بعضهم فى هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾: أى قفوا معها عن إدراك حقيقتها.

وقيل فى قوله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال: إنه وراء الأسماء أسماءٌ والصفات صفاتٍ، لا تخرقها الأفهام لأن الحق نار تتضرم لا سبيل إليه ولابد من الاقتحام فيه.

وقال بعضهم: أبدى أسماءه للدعاء لا بطلب الوقوف عليها، وأنَّى يقف على صفاته أحد.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وبه يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: ١٨١].

قال بعضهم: يدعون إلى الصلاح وإياه يعملون.

وقال بعضهم: يدلون على اتباع الهدى واجتناب الهوى، «وبه يعدلون» أى: وإياه يسلكون.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِن حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: ١٨٢].

قال سهل: نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها، فإذا سكنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا.

---

(١) فى المخطوط (إن هم إلا).

قال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[١].

قوله تعالى: ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الآية: ١٩٢].

قال بعضهم: كيف ينصر غيره من هو عاجز عن نصرة نفسه، وكيف ينصر نفسه من لم يجعل إليه من أمره شيئًا وهو مدبر بالقدرة ومقدر فى المشيئة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الآية: ٢٠١].

قال بعضهم: من جَالَ سره فى ميادين الأنس والقربة، وحجز نفسه عن طوارق الفتنة وطوائف الشيطان هم الذين قال الله لهم ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾.

قال بعضهم: الناس فى مطالعة الأسرار على وجوه ثلاثة: منهم من له فى سره مطالع يطالعه فذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾. ومنهم من له فى سره ينهاه قال الله تعالى ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الآية: ٢٠٤].

قيل: فيه استمعوا له بآذانكم لعلكم تسمعون بقلوبكم وتفهمون مراد مخاطبة الحق إياكم، وتأدبوا بلطائف مواعظه فيوصلكم حسن الأدب إلى استماع، وبركة الخطاب إلى رحمته وهو أن يرزقكم آداب خدمته كما رزقكم سنن شريعته وأجل رحمةٍ رحم الله بها عباده آداب العبودية التى خص الله بها الأكابر من الأصفياء والسادات من الأولياء.

وقيل فى قوله: ﴿وأنصتوا﴾ أى من آداب الاستماع الإنصات والاشتغال، بما يبدو من بركات السماع دون طلب حظ فيه بحالٍ.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الآية: ٢٠٥].

قال الحسين فى هذه الآية: لا يظهر ذكرك لنفسك فتطلب به عوضًا، فأشرف الذكر ما لا يشرف عليه إلا الحق، وما خفى من الذكر أشرف مما ظهر.

---

(١) سورة (الأعراف) الآية رقم (١٩٩).

(٢) سورة (النازعات) الآية رقم (٤٠).

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الغَافِلِينَ﴾.

قال سهل: حقًا أقول لكم لا باطلاً يقينًا لا شك ما من أحد ذهب عنه نفس واحد بغير ذكر الله إلا وهو غافل.

وقال: الغافل من غفل عن درك حقائق الأمور.

* * *

ذكر ما فى سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ذكره ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية: ١].

قال سهل: التقوى ترك كل شىء يقع عليه الذم.

وقال: لا تصح التقوى إلا للمقتدى بالنبى ﷺ وأصحابه والتابعين.

وقال: التقوى فى الآداب: مكارم الأخلاق. وفى الترغيب أن لا يظهر ما فى سره، وفى الترهيب أن لا يقف مع الجهل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: ٢].

قال أبو سعيد الخراز فى هذه الآية: هل رأيت ذلك الرجل عند سماع الذكر أو عند سماع كتابه؟ وهل أخرسك سماع ذلك الذكر حتى لم تنطق إلا به؟ وهل أصمك حتى لا تسمع إلا منه هيهات؟

وقيل: المؤمن إذا سمع الذكر أو ذكر هو وَجِلَ قلبه أى: عاد القلب على اللسان بالذكر وعلى الآذن بسماع الذكر، فاضطرب وهو الوجل الذى ذكره الله عز وجل.

قال سهل فى قوله ﴿وجلت قلوبهم﴾ قال: هاجت من خشية الفراق فخشعت الجوارح لله بالخدمة.

قال الواسطى رحمة الله عليه: وجلت قلوبهم الوجل على مقدار مطالعته، ربما يريه مواضع السطوة، وربما يريه مواضع المودة والمحبة إن كان يريه التقريب والتبعيد.

قال الجنيد رحمة الله عليه: وجلت قلوبهم من فوات الحق..

وقال بعضهم: الوجل على مقدار المطالعات فإن طالع السطوة هابه، وإن طالع المودة وجِلَ قلبه مخافة فوته.

وجملة ذلك من طالع التقريب بالتأديب وجل، ومن طالع التهديد بالتبعيد وجل ومن طالعه مغيبًا عن شاهده قائمًا سرمده خاليًا من أزله وأبده، فلا وجل حينئذ ولا اضطراب ولا تباعد ولا اقتراب، فإنه تحقق بالذات ونسى الصفات وفنى من الذات

بالذات، كما هرب رسول الله ﷺ عن الصفات إلى الذات فقال: «أعوذ بك منك»[١].

قوله عز وعلا: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الآية: ٢].

قال بعضهم: أظهر عليهم بركة التلاوة وزيادة يقين فى بواطنهم، وزيادة طاعة على ظاهرهم.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: ﴿زادتهم إيمانًا﴾ إذ لا سبيل إلى الوصول إلى الله إلا بالله.

قال عمرو بن عثمان[٢]: الوجد الصحيح هو الذى يرى صاحبه زيادة ذلك فى أحواله وأفعاله وأقواله وأخلاقه، لأن الله عز وجل يقول ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا﴾.

قوله تعالى اسمه ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الآية: ٤].

قيل: اجتمع فيهم أشياء حقق بها إيمانهم التعظيم للذكر، والوجل عند سماعه، وإظهار الزيادة عليهم عند تلاوة الذكر وسماعه، وحقيقة التوكل على الله والقيام بشروط العبودية على حد الوفاء، وكملت أوصافهم فى حقيقة الحقائق فصاروا متحققين بالإيمان.

قال الجنيد رحمة الله عليه: حقًا إنهم سبقت لهم من الله السعادة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى كتاب «الصلاة» باب «ما يقال فى الركوع والسجود» (٢/ص٤٤٠) (٢٢٢/ حديث/ ٤٨٦/ نووى).

وأبو داود فى كتاب «الصلاة» باب «فى الدعاء فى الركوع والسجود». (١/ ٢٣٢) حديث رقم (٨٧٩).

وابن ماجه فى كتاب «الدعاء» باب «ما تعوذ منه رسول الله ﷺ، (٢/ ص١٢٦٣) حديث رقم (٣٨٤١).

وأحمد فى مسنده (٦/ ٥٨، ٢٠١)، من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٢) أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكى.

كان ينتسب إلى الجنيد فى الصحبة، ولقى أبا عبد الله الناجى، وصحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ القدماء.

وهو عالم بالأصول، وله كلام حسن مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين، ويقال سنة سبع وتسعين، والأول أصح (طبقات الصوفية/ ٤٧).

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: ٥].

قال ابن عطاء: أخرجك من بلدتك ليحيى بك قلوبًا عميًا عن الحق **﴿وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون﴾**[1] مفارقة أوطانهم [ولا يتم لعبد حقيقة الصحبة والنصيحة إلا بعد هجران أقاربه ومفارقة أوطانه][2].

أخرجهم من تلك البلدة حتى أَلِفَوا غيرها من البلاد، ولم يتبق عليهم مطالبة لها فردهم إليها لئلا يملكهم سوى الحق شىء.

وقال بعضهم فى هذه الآية: أفناك عن أوصافك ومواضع سكونك واعتمادك، وما كان يميل إليه قلبك، لئلا تلاحظ مجالاً ولا تسكن إلى مألوف، فأخرجك من المألوفات، ليكون بالحق قيامك وعليه اعتمادك **﴿وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون﴾** ظاهر خروجك ومفارقة أوطانك ولا يعلمون أن خروجك منها الخروج عن جميع الرسوم المألوفة والطبائع المعهودة، وإنك بمفارقة هذا الوطن المعتاد يصير الحق وطنك.

قوله عز اسمه: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الآية: ٧].

قال بعضهم: من ظن أنه يصل إلى الحق بالجهد فمتعنٍ، ومن ظن أنه يصل إليه بغير جهد فمتمنٍ.

قال بعضهم: لا يصل أحد إلى حياة القلب ما لم يمت نفسه بنزاع الشهوات عنه ومخالفتها فى جميع الأحوال وهو معنى قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾.

قوله عز وعلا: ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ﴾ [الآية: ٨].

قال بعضهم: ليحق الحق بالكشف، ويبطل الباطل بالستر.

وقال بعضهم: ليحق الحق بالقبول، ويبطل الباطل بالرد.

قال الواسطى: ليحق الحق بتجليه، ويبطل الباطل باستتاره.

وقال بعضهم: ليحق الحق بالإقبال عليه ويبطل الباطل بالإعراض عنه.

وقال بعضهم: ليحق الحق بالرضا، ويبطل الباطل بالسخط.

---

(١) سورة (الأنفال) الآية رقم (٥).

(٢) على هامش المخطوط.

وقيل: ليحق الحق للأولياء، ويبطل الباطل للأعداء.

وقيل: ليحق الحق بالجذب، ويبطل الباطل بالصرف.

وقيل: ليحق الحق بالبراهين، ويبطل الباطل بالدعاوى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصرُ إلا مِن عِندِ اللهِ﴾ [الآية: ١٠].

قيل: بيَّن الله آثار النصر وبدو السلامة فمن لم يطلب النصر والسلامة بالذلة والافتقار لا يناله، لأن طالب النصرة بالقوة والقدرة منازعة الربوبية، ومن نازع الولى قهره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: العزيز الذى لا يدركه طالبوه ولو أدركوه لضلَّ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الآية: ٩].

قال بعضهم: من صدق الاستعانة أجيب فى الوقت. قال الله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾.

قال أبو سعيد الخراز فى هذه الآية: ومناشدة النبى ﷺ ربه: «إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد» وقول الصديق أبى بكر رضى الله عنه: «دع مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك»[1].

أبو بكر رضى الله عنه تكلم عن التجريد برؤية الوعد بالوفاء ناظرًا بالإشارة إليه، والنبى صلوات الرحمن عليه كان أتمَّ وأبلغ وأقوى وأسكن من أبى بكر وأشد طمأنينة إلى إنجاز الوعد لأنه بالله أعرف، إلا أنه فى ذلك راجع إلى أوصافه، فخرج إلى ربه بآداب العبودية بقوله ﴿ادعونى أستجب لكم﴾[2] فرجع إلى الله بالله سائلاً من الله إنجاز وعده.

قال النصرآباذى: استغاثة منه واستغاثة إليه، فالاستغاثة منه لا يجاب صاحبها بجواب، بل يكون أبدًا معلقًا بتلك الاستغاثة واستغاثة إليه فذلك الذى يجاب إليه

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى كتاب «الجهاد» باب «الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر، وإباحة الغنائم» (٦/ ص٣٢٧)، (٥٨/ حديث/ ١٧٦٣/ نووى) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

(٢) سورة (غافر) الآية رقم (٦٠).

الأنبياء والأولياء والأصفياء.

وقال أيضًا: النفس تستغيث لطلب حظها من البقاء ودوام العافية فيها، والقلب يستغيث من خوف التقليب.

قال النبى ﷺ: «قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء»[1] والروح يستغيث لطلب الرواح، والسر يستغيث لاطلاعه على الخفيات ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور﴾[2].

قوله عز اسمه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الآية: ١١].

قال سهل: النعاس ينزل من الدماغ والقلب حَىٌّ، والنوم يحل بالقلب من الظاهر وهو حكم النوم، وحكم النعاس حكم الروح.

قال بعضهم: ألقى على الصحابة النعاس حتى غلبهم ذلك، فلم يبق منهم أحد إلا وهو ناعس تحت حجفته، فلما أزال عنهم أوصافهم وبرأهم من حولهم وقوتهم أيدهم بالأمن، ليعلموا أن النصر من عنده، وهو الذى يهزمهم لا هم وأنه الملقى فى قلوبهم الرعب، وأن الكل إليه وليس إليهم من الأمر شىء.

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ [الآية: ١١].

قال ابن عطاء: أنزل عليهم ماء طهر به ظواهر أبدانهم ودنسها، وأنزل عليهم رحمة نوَّر بها قلوبهم وشفا بها صدورهم عن وساوس العدو، وألبس بواطنهم لباس الطمأنينة والصدق.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى كتاب «القدر» باب «تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء» (٨/ ص٤٥٥)، (١٧/ حديث رقم / ٢٦٥٤/ نووى)، ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

وأخرجه الترمذى فى كتاب «القدر» باب «ما جاء ان القلوب بين أصبعى الرحمن» (٤/ ٤٤٨ - ٤٤٩) حديث رقم (٢١٤٠) من حديث أنس رضى الله عنه.

وابن ماجه فى «المقدمة» باب «فيما أنكرت الجهمية. (١/ ٧٢) حديث رقم (١٩٩). من حديث النواس بن سمعان الكلابى به.

واحمد فى مسنده (٢/ ١٦٨، ١٧٣)، (٤/ ١٨٢)، (٦/ ١٨٢، ٢٥١، ٣٠٢، ٣١٥) من حديثهم جميعًا رضى الله عنهم.

(٢) سورة (غافر) الآية رقم (١٩).

قال بعضهم: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة، تنسيهم الاستغفار من تلك الخطيئة.

قال بندار[1]: الاستدراج هو أن يترك المستدرج مع ظاهر الرسوم مع غيبته عن الحقائق والفهم الفائد.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2].

قال بعضهم: النظر فى الملكوت يورث الاعتبار والنظر إلى المالك يسقط عنهم الاشتغال بسواه.

قال سهل: أخبر الله عن قدرته على عباده ووصف حاجتهم إليه وما خلق من شىء مما سمعوا به ولم يروه فاعتبروا به، ولو شاهدوا ذلك بقلوبهم لوصفوه مثل المعاينة، آمنوا بالغيب فأدَّاهم الإيمان إلى مشاهدة الغيب الذى غاب عنهم، وورثوا بذلك درجات الأنوار فصاروا أعلامًا للهدى.

قوله تعالى: ﴿قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ولا ضَرًا إلا مَا شَاءَ اللهُ﴾[3].

قال سهل: كيف يملك نفع غيره من لا يملك نفع نفسه.

قال أبو الحسين الوراق حاكيًا عن أبى عثمان أنه قال: عجز الخلق عن إيصال نفع إلى نفسه أو دفع ضرر عنها آجلاً وعاجلاً، فكيف يثق بإيمانه وكيف يعتمد على طاعاته؟ قال الله تعالى: ﴿فلا أملك لنفسى نفعًا ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾ لأن النافع والضار هو الله مكَّن الخلق من الأسباب وهو المسبب لجميع ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَو كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.

---

(١) أبو الحسن بندار بن محمد المهلب من أهل شيراز، سكن أرجان، وكان عالمًا بالأصول، له اللسان المشهور فى علم الحقائق، وكان أبو بكر الشبلى يكرمه، ويعظم قدره، وبينه وبين أبى عبد الله بن خفيف معارضات فى مسائل شتى، مات سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وغسله أبو زرعة الطبرى. (طبقات الصوفية/ ١١٤).

(٢) لا أدرى ما الذى جعل المؤلف يرجع إلى الكلام عن سورة الأعراف فهذه هى الآية (١٨٥) منها مع أنه لا يستدعى السياق إلى الرجوع إلى سورة الأعراف وسوف ترى أيها القارئ العجب من هذا المؤلَف والمُؤلِف وسيوالى الكلام عن سورة الأعراف بعد ذلك كما ترى. فلعله جاءته حالة سكر كما تأتى لأهل الصوفية فنسى أنه يتكلم عن سورة الأنفال أسأل الله العفو والمغفرة.

(٣) سورة (الأعراف) الآية رقم (١٨٨).

قال بعضهم: لو كنت أملك الغيب وأقدر عليه لما مسنى السوء، ولكن طويت الغيوب عنا وأُلزمت الملامة لنا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[1].

قال بعضهم: خلقها ليسكن إليها فلما سكن إليها غفل عن مخاطبات الحقيقة لسكونه إليها، فوقع فيما وقع من تناول الشجرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[2].

قال بعضهم: لاحظ الأولياء بعين اللطف ولاحظ العباد بعين البر، ولاحظ الأنبياء بعين التولى فقال: ﴿إن وليِّى الله﴾.

وقيل فى قوله: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ عن رعونة البشرية توليًا، وأصلح الخواص بصحة المقصود والإقرار بالإخلاص للمعبود، وأصلح العوام بصحة الأوقات.

وسُئل جعفر عن الحكمة فى قوله: وهو يتولى الصالحين ونحن نعلم أنه يتولى العالمين، فقال: التولية على وجهين: تولية إقامة وإبراء، وتولية عناية ورعاية لإقامة الحق.

قال الواسطى رحمة الله عليه: يتولى الصالحين بالوقاية والرعاية، ويتولى الفاسقين بالغواية.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَى لا يَسْمَعُوا﴾[3].

قيل: كيف يسمع الدعاء من أصمه الداعى عن المدعو إليه، ولا يسمع نداء الحق إلا من أسمعه فبإسماعه يسمع لا باستماعه ولا بسمعه.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾.

قيل: بأنفسهم ينظرون إليك، فلا يبصرون خصائص ما أودعناه فيك، وبركات ما أجرينا فى الخليقة بك، وكذا من نظر بنفسه إلى رسول الله ﷺ حُجب عن إدراك معانيه حتى ينظر ببركة الرسول ﷺ بل هو أيضًا قاصر النظر حتى تنظر إليه بالحق ومن الحق،

---

(١) سورة (الأعراف) الآية رقم (١٨٩).

(٢) سورة (الأعراف) الآية رقم (١٩٦).

(٣) سورة (الأعراف) الآية رقم (١٩٨).

إذ ذاك يتبين له شرف ما خص به.

قال بعضهم: النظر إلى السفير للأدنى والمبلغ للأعلى، والرسول المصطفى ﷺ نظر عام، ولكن لا يبصره فى النظر إليه، ولا يراه إلا الخواص، فمن أبصره أو رآه ظهرت عليه بركات رؤيته بقدر ما كشف له عن رؤيته وفتح من بصره، ألا تراه يقول: «طوبى لمن رآنى»[١] وقد رآه الكفار وشاهدوه، ولكن طوبى لمن رآه بالموضع الذى وضع ورزق فى مشاهدة عظيم حرماته، ولم يكتفِ بمشاهدة ظاهره بهذه الرؤية التى تظهر على الرأى نتائج هذه البركات، التى لو فاضت واحدة منها على أهل الأرض لوسعتهم.

وقال سهل: هى القلوب التى لم يزينها الله بأنوار القربة، فهى عمى عن إدراك الحقائق ورؤية الأكابر.

وقال القناد: تراهم ينظرون إليك قال: لا يفهمون ما ألقى إليهم، بل يسمعون صفحًا وهم عنه معرضون.

قوله تعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾[٢].

قال بعضهم: أمر النبى ﷺ بمكارم الأخلاق[٣] ظاهرًا وباطنًا، والصفح عن زلات الخلائق، والأمر بمكارم الأخلاق، ويعرض عن الجاهلين أى: أعرض عن المعرضين عنًّا فهم الجُهَّال.

وروى عن النبى ﷺ سُئل جبريل ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال: «تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك».

وروت عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما أن النبى ﷺ أمر بالعفو عن أخلاق الرجال بقوله: ﴿خذ العفو﴾.

---

(١) صحيح: وقد تقدم تخريجه

(٢) سورة (الأعراف) الآية رقم (١٩٩).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «مناقب الأنصار» باب «إسلام أبى ذر الغفارى رضى الله عنه» (٧/ ٢١٤) حديث رقم (٣٨٦١) من طريق المثنى عن أبى حمزة عن ابن عباس. ومسلم فى كتاب «فضائل الصحابة» باب «من فضائل أبى ذر، رضى الله عنه» (٨/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) (١٣٣/حديث رقم / ٢٤٧٤/ نووى)، كلاهما عن المثنى عن أبى حمزة عن ابن عباس رضى الله عنهما به.

وقال بعضهم: أقبل عليهم بظاهرك ولا تكن بباطنك إلا مقيدة علينا.

قال ابن عطاء: ﴿خذ العفو﴾ المشاهدة، وأمر بالعرف واستعن بالله على ما نلت من القرب، وأعرض عن الجاهلين، قال: هى النفس إذا طالعت شهواتها.

وقال بعضهم: مكارم الأخلاق كلها فى قوله.

ماء اليقين إذا نزل على الأسرار أسقط عنها الاختلاج والشك، قال الله تعالى: ﴿أنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ من كل ما تدنستم به من أنواع المخالفات.

قوله تعالى: ﴿وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾.

قال بعضهم: ربط على قلوب أوليائه، لتلقى البلاء بأسلحة الصبر، وربط على قلوب العارفين لثبات الأسرار فى مشاهدة ما يبدو لهم من الغيوب.

قال بعضهم: القلوب ثلاثة: قلبٌ مربوط بالأكوان، وقلب مربوط بالأسامى والصفات وقلب مربوط بالحق.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الآية: ١٧].

قال فارس: ما كنت راميًا إلا بنا، ولا مصيبًا إلا بمعونتنا وإمدادنا إياك بالقوة.

قال بعضهم: أثبتهم فى القتل والرمى ومباشرتهما، ثم نفى عنهم ذلك كله لئلا يشهدوا من أنفسهم حالاً ولا سببًا ويشاهدوا الحق على جميع الأحوال بقوله ﴿ولكن الله قتلهم﴾ ورماهم، ومن رمى منكم فبإيانا رَمَى، ولو بإياكم رميتم لبلغ الرمى إلى مقدار ما يليق بكم.

وقال بعضهم: ﴿وما رميت إذ رميت﴾، ولكن رميت بسهام الجمع فغيبك عنك، فرميت وكنا الرامين عنك، لأن المباشرة لك والحقيقة لنا إذ لم نفترق.

وقال بعضهم قوله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ أضاف الفعل إليه بقوله رميت وسلبه بقوله: ﴿ولكن الله رمى﴾ فكأنه يقول: فإن كنت الرامى به، فأنا قد توليت عليك فى رميك، لأنك ما رميته بإياك لإياك بل رميته بنا لنا، وكل من عمل بنا لنا فنحن متولو تقويمه فى وقت مباشرته، والقائمون بقبوله والمثنون عليه بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا﴾.

سُئل الجنيد رحمة الله عليه عن هذه الآية فقال: البلاء الحسن أن يثبته عند الأمر ويحفظه عند النهى، وينفرد به عند مشاهدة العين.

وقال رويم: البلاء الحسن أن تكون رؤية الحق أسبق إليه من نزول البلاء، فيمر به البلاء وهو لا يشعر لاستغراقه فى رؤية الحق.

قال أبو عثمان: البلاء الحسن ما يورثك الصبر عليه والرضاء به.

سمعت منصورًا يقول بإسناده عن جعفر بن محمد أنه قال: يفنيهم عن نفوسهم، فإذا أفناهم عن نفوسهم؛ كان هو عوضًا لهم عن نفوسهم.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: ٢١].

قال بعضهم: من سمع ولم يُرَ عليه فوائد السماع وزوائده فى أحواله، فهو غير مستمع ولا سامع، والمستمع على الحقيقة من يرجع من حال السماع بزيادة فائدة أو زيادة حال، ومن حضر مجلس ذكر ولم يرجع بزيادة، فإنما يرجع بنقصان قال الله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: ٢٢].

قال بعضهم فى هذه الآية: الصم عن سماع الذكر وفهم معانيه، والبكم عن مداومة تلاوة الذكر وطلب الزوائد منه، الذين لا يعقلون ما خوطبوا به وما خلقوا له وما هم صائرون إليه فى الممات والمآب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ﴾ [الآية: ٢٣].

قال بعضهم: حقيقة السماع ما تبدو عليك منه بركات ما تسمعه من زيادة عمل أو زجر عن ارتكاب معصية.

ومن أراد الله به الخير أسمعه من الحكمة ما ينفعه.

قال يحيى بن معاذ: إن هذا العلم الذى تسمعونه، إنما تسمعون ألفاظه من العلماء ومعانيه من الله بآذان قلوبكم، فاعملوا تعقلوا ما تسمعون، فإن لم تعملوا كان ضره أقرب إليكم من نفعه.

قال بعضهم: علامة الخير فى السماع أن يسمعه بفناء أوصافه ونعوته، ويسمعه بحق من حق.

قال بعضهم: لو جعلهم أهلاً للسماع لفتح آذانهم للاستماع.

قوله تعالى ذكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الآية: ٢٤].

قال الجنيد رحمة الله عليه فى كتاب «رواء التفريط»[١] فى هذه الآية: قرع أسماع همومهم حلاوة الدعوة وتنسموا روح ما أدَّته إليهم الأفهام الظاهرة من الأدناس، فأسرعوا إلى حذف العلائق المشغلة قلوب الواقفين معها، وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر، وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله فى المعاملة، وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه، وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون؛ فاغتنموا سلامة الأوقات، وسجنوا همومهم عن التلفت إلى مذكور سوى وليهم، فيحيون حياة الأبد بالحق الذى لم يزل ولا يزال، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾.

وقال الواسطى رحمة الله عليه فى قوله: ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾.

قال: حياة [النفس][٢] تصفيتها من كل معلول لفظًا وفعلاً.

وقال جعفر: أجيبوه إلى الطاعة لتحيا بها قلوبكم.

وقال أيضًا: ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ قال: الحياة بالله هى الحياة وهى المعرفة، كما قال الله ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٣].

قال بعضهم: استجيبوا لله بسرائركم وللرسول بظواهركم، إذا دعاكم لما يحييكم حياة النفوس بمتابعة الرسول، وحياة القلب بمشاهدة الغيوب، وهو الحياء من الله برؤية التقصير.

قال ابن عطاء: الاستجابة على أربعة أوجه:

أولها: إجابة التوحيد.

والثانى: إجابة التحقيق.

والثالث: إجابة التسليم.

والرابع: إجابة التقريب.

---

(١) بحثت عن هذا الكتاب فلم أجده، ولم أجد من تكلم عليه فيما بين يدى من مصادر.

(٢) على هامش المخطوط (القلوب).

(٣) سورة (النحل) الآية رقم (٩٧).

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الآية: ٢٤].

وأنه قيل: ﴿أَنَّ اللهَ﴾ إشارة إلى قلوب أوليائه بأن الله يأخذها منهم ويحجبها لهم ويقلبها بصفاته، كما قال النبى ﷺ: «قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»[1]. فيختمها بخاتم المعرفة، ويطبعها بطابع الشوق.

وسمعت النصرآباذى يقول: القلوب فى التقليب والنفوس فى التنقيل.

وقيل: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أى: عَقْلُه فى التقليب وفهمه عن الله خطابه.

وقيل: يحول بين المؤمن والإيمان، والكافر والكفر، يردهما إلى ما سبق لهما منه فى الأزل.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الآية: ٢٥].

قيل: الفتنة التى يرضى العبد بها أو يميل إلى إحدى جوانبها، فإنها فتنة أصابته وإن لم يباشرها.

قال أبو عثمان: اكتساب المال من الحرام من الفتن التى تصيب غير مباشرها.

قال بشر بن الحارث: لا أرى هذه الآية ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ نزلت إلا فيمن يرى النكاح من غير ولى.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الآية: ٢٧].

قال أبو عثمان: من خان الله فى السر هتك ستره فى العلانية.

وقال بعضهم فى هذه الآية: خيانة الله فى الأسرار من حب الدنيا وحب الرياسة. والإظهار خلاف الإضمار، وخيانة الرسول فى آداب الشريعة وترك السنن والتهاون بها، وخيانات الأمانات فى المعاملات والأخلاق. ومعاشرة المؤمنين فى ترك النصيحة لهم.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: ٢٨].

قال بعضهم: أموالكم فتنة إن جمعتم وأمسكتم، ونعمة إن أنفقتم وبذلتم فى وجوه الخيرات.

---

(١) تقدم تخريجه فى هذه السورة.

قال بعضهم: المال فتنة لمن طلب به الفتنة. نعمة لمن كان خازنًا لله فيه يأخذه بأمره. ويخرجه بأمره إلى أربابه.

وقال أبو الحسين الوراق: ما اعتمدت سوى الله فى الدنيا والآخرة فهو فتنة، حتى تعرض عن الجميع وتقبل على مولاك وتعتمد عليه.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الآية: ٢٩].

قال سهل: نورًا فى القلب يفرق بين الحق والباطل.

قال الجنيد رحمة الله عليه فى هذه الآية: إذا اتقى العبد ربه جعل له تبيانًا يتبين به الحق من الباطل، وهذه نتيجة التقوى، فقيل له: أليس التقوى فرقانًا؟ قال: بلى.

الأول: بذاته من الله، والثانى: اكتساب فإذا اتقى الله اكتسب بتقواه معرفة التفرقة بين الحق والباطل، فيتبين هذا من هذا.

قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَيرُ المَاكِرِينَ﴾ [الآية: ٣٠].

قال: المكر مكران: مكر تلبيس ومكر هلاك.

وقال الشبلى: المكر فى النعمة الباطنة، والاستدراج فى النعمة الظاهرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الآية: ٣٣].

قال أبو بكر الوراق: ما كان الله ليظهر فيهم البدع وأنت فيهم، وما كان الله ليأخذهم بذنوبهم وهم يستغفرون.

قال بعضهم: الرسول ﷺ هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق، فإذا أميتت سنته فلينتظروا البلاء والفتن.

قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الآية: ٣٧].

قيل: المخلص من المرائى، والمؤمن من الكافر، والمطيع من العاصى.

قال محمد بن الفضل: الخبيث من الأموال هى التى لم يخرج منها حقوق الله، والطيب من الأموال ما أخرجت منها حقوق الله.

قال بعضهم: الطيب من الأموال ما أنفقت فى إرفاق الفقراء فى أوقات الضرورات والخبيث من الأموال ما أدخل عليهم فى أوقات استغنائهم عنها، فشغلت خواطرهم

وقال بعضهم: الطيب من الأموال ما أنفقت فى وجوه الطاعات، والخبيث ما أنفق فى وجوه الفساد.

قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا[1] أَنَّ اللهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الآية: ٤٠].

قال بعضهم: نعم المولى لمن والاه، ونعم النصير لمن استنصره.

وقيل: نعم المولى لأهل الولاية، ونعم النصير لأهل الإرادة.

قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الآية: ٤٢].

قال بعضهم: أظهر للخلق الآيات، ونصب لهم الأعلام، وفتح أعين قوم لرؤيتها، وأعمى أعين قوم دونها، وبعث إليهم الوسائط بالبراهين الصادقة والأنوار النيرة، ولكن يهدى لنوره من يشاء من عباده، وقدم هذه المقدمات ليهلك من هلك عن بينة.

وقال بعضهم: لا حياة إلا لمن حيى بذكره وأنس بقربه، والخلق كلهم متحركون فى أسبابهم، والحيّ منهم من تكون حياته بالحى الذى لا يموت.

قوله تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ [الآية: ٤٢].

قال جعفر: ما قضاه الله فى الأزل يظهره فى الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت.

وقال بعضهم: ليكشف عن سابق علمه فى غيبه، بإيصال كل من الفريقين إلى ما سبق له منه فى أزله.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: ٤٦].

سُئل محمد بن موسى الواسطى رحمة الله عليه عن ماهية الصبر وحقيقة قوله: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ قال: هو إسبالُ التولى قبل مخامرة المحبة، فإذا صادقت المحبة التولى حمتها بلا كلفة، هذا صفة من كان الله معه فى صبره.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية: ٤٨].

قال: عظَّم طاعاتهم فى أعينهم، وصَغَّر نعم الله عندهم.

وقال بعضهم: أظهر لهم قوتهم حتى اعتمدوها.

وقيل: هو مخالفاتهم للسنن.

---

(١) فى المخطوط (واعلموا).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيهِ﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: ترك الذنوب على ضروب: منهم من تركها حياء من نعمه كيوسف ﷺ، ومنهم من تركها خوفًا كإبليس حين قال: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيهِ﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: ٥٣].

قال جعفر: ما دام العبد يعرف نعم الله عنده، فإن الله لا ينزع عنه نعمة حتى إذا جهل النعمة ولم يشكر الله عليها، إذ ذاك حرى أن ينزع منه.

قال سهل: خص الأنبياء وبعض الصديقين بمعرفة تلك النعمة التى أنعم الله عليهم قبل زوالها وحكم الله عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ﴾ [الآية: ٦٠].

قيل فى هذه الآية: إنه الرمى، بل هو الرامى ظاهرًا بسهام القسى والرامى بسهام الليالى فى الغيب بالخضوع والاستكانة، ورمى القلب إلى الحق معتمدًا عليه راجعًا عما سواه.

قال أبو على الروذبارى فى قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

قال: القوة: هى الثقة بالله. وقوله ﴿هو الذى أيدك بنصره﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: قواك به وقوى المؤمنين بك، بل أيدك وأيد المؤمنين بنصرك.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: ٦٣].

قال أبو سعيد الخراز: ألف بين الأشكال وعين الرسوم لمقام آخر، وكل مربوط بمنحته ومستأنس فى أهل نحلته، وهذا معنى قول النبى ﷺ: «الأرواح جنود مجندة»[1].

قال بعضهم: ألف بين قلوب المرسلين بالرسالة، وقلوب الأنبياء بالنبوة، وقلوب

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الأنبياء» باب «الأرواح جنود مجندة» (٦/ ٤٢٦) حديث رقم (٣٣٣٦)، ومسلم فى كتاب «البر والصلة» باب «الأرواح جنود مجندة» (٤/ ١٥٩/ ص٢٥٣١) من حديث أبى هريرة.... به.

الصادقين بالصدق، وقلوب الشهداء بالمشاهدة، وقلوب الصالحين بالخدمة وقلوب عامة المؤمنين بالهداية، فجعل المرسلين رحمة على الأنبياء، وجعل الأنبياء رحمة على الصادقين، وجعل الصادقين رحمة على الشهداء، وجعل الشهداء رحمة على الصالحين، وجعل الصالحين رحمة على عامة المؤمنين، وجعل المؤمنين رحمة على الكافرين.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: ٦٤].

قال الواسطى رحمة الله عليه: حسبك الله وليًا وحافظًا وناصرًا، ومن اتبعك من المؤمنين فالله حسبهم.

قوله تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الآية: ٦٦].

قال ابن عطاء: ما فى السماء لا يوجد إلا بالافتقار، وما فى الأرض لا يوجد إلا بالاضطرار.

قال النصرآباذى: هذا التخفف كان للأمة دون الرسول ﷺ، ومن لا يثقله حمل أمانة النبوة كيف يخاطب بتخفيف اللقاء للأضداد، وكيف يخاطب به الرسول ﷺ، وهو الذى يقول: «بك أصول وبك أجول»[1]، ومن كان به كيف يخفف عنه أو يثقل عليه بعمل النبوة.

قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [الآية: ٦٧].

قال جعفر: تريدون الدنيا، والله يريد الآخرة وما يريده الله لكم خير مما تريدونه لأنفسكم.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُم حَلالاً طَيِّبًا﴾ [الآية: ٦٩].

قال جعفر: الحلال ما لا يعصى الله فيه، والطيب ما لا ينسى الله فيه.

قال بعضهم: الحلال ما أخذته عن فاقة وضرورة، والطيب من الحلال ما أثرت به مع الحاجة والفاقة.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ٩٠) حديث رقم (٦٩١) من حديث على قال: كان النبى ﷺ إذا أراد سفرًا قال: «بك اللهم أصول، وبك أجود وبك أسير» اهـ.
وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وقال بعضهم: الحلال ما يظهر لك من غير سبب، والطيب ما يبدو لك عن المسبب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ [الآية: ٧٢].

قال أبو يزيد: جهاد النفس فى هجرانها نزعها عن المألوفات، وإجراؤها فى سبيل الله بإسقاط العلائق من المال والأهل، وذلك قوله: ﴿هاجروا وجاهدوا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الآية: ٧٤].

قال شقيق: الجهاد ثلاثة:

جهاد فى سرك مع الشيطان.

وجهاد فى ظاهرك على أداء الفرائض.

وجهاد بنفسك مع أعداء الله.

قال بعضهم: «هاجروا» أى فارقوا قرناء السوء والأعمال القبيحة والدعاوى الباطلة.

قال بعضهم: «آمنوا»: صدقوا تصديق القلوب، وهاجروا وتركوا الشبهات من الأموال والأصحاب والإخوان والأخدان وجاهدوا الأنفس على ملازمة الحق واتباع الرشد، أولئك الذين جرت لهم السعادة فى الأزل بتحقيق الإيمان.

قال أبو بكر الفارسى: فضل أصحاب النبى ﷺ على الخلق بشيئين: بصحبتهم للنبى ﷺ والمجاهدة معه، وهجرتهم إلى الله بالسرائر وغربتهم مع أنفسهم، ألا ترى الله يقول: ﴿الذين آمنوا﴾ قال: آمنوا من طوارق الخذلان وهاجروا بقلوبهم فى ملكوت الغيوب وجاهدوا أنفسهم على طاعة رسوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ حقيقة إيمانهم لما قدَّم من الثناء عليهم.

* * *

ذكر ما فى سورة التوبة

قوله عز وجل ﴿أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: ٣].

قال ابن عطاء: كل من أشرك مع الله فيما لله غير الله، فهو برىء منه.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

قال أبو عثمان: مفتاح كل خير، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

قال الجنيد رحمة الله عليه: لا يبلغ التائب منزلة التحقيق فى التوبة، ما لم تجتمع فيه خصال أربع:

أولها: حل الإصرار من القلب بالندم.

والثانى: شدة المجاهدة فيما بقى.

والثالث: صحة العزم فى ترك العود.

والرابع: رد المظالم والخروج عن التبعات.

قوله تعالى: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ [الآية: ١٠].

قال محمد بن الفضل: حرمة المؤمن أفضل الحرمات وتعظيمه أجل الطاعات، قال الله تعالى: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾.

قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [الآية: ١٣].

قال بعضهم: الخشية للذات والخوف للصفات.

قال الله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾، وقال: ﴿يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾.

قال أبو على الجوزجانى: الخشية: التمسك بالالتجاء على الدوام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ [الآية: ١٨].

قال بعضهم: عمارة المسجد بعمارة القلب عند دخوله، بصدق النية وحسن الطوية وطهارة الباطن لله، كما طهرت ظاهرك بأمر الله ودخول المسجد بالخروج عن جميع الأشغال والموانع، فذلك من عمارة المساجد.

قال بعضهم: المساجد مواضع السجود منك، فاعمرها بحسن الأدب من غض طرف وإمساك لسان والإعراض عن اللغو، وإمساك اليد عن الشهوات.

قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾ [الآية: ٢١].

قال أبو عثمان: هو الذى تستجلب رضوانه. ورضوانه يوجب مجاورته، ومجاورته يوجب النعيم الدائم قال الله ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾.

قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [الآية: ٢٥].

قال جعفر: استجلاب النصر فى شىء واحد، وهو الذلة والافتقار والعجز لقوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ لم تقوموا فيها بأنفسكم، ولم تشهدوا قوتكم وكثرتكم، وعلمتم أن النصر لا يؤخذ بالقوة، وأن الله هو الناصر والمعين ومتى علم العبد حقيقة ضعفه نصره الله، وحلول الخذلان بشىء واحد وهو العجب، قال الله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ فلما عاينوا القوة من أنفسهم دون الله؛ رماهم الله بالهزيمة وضيق الأرض عليهم.

قال الله: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ موكلين إلى أحوالكم وقوتكم وكثرتكم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: ٢٦].

قال بعضهم: السكينة التى أنزلها الله على رسوله وعلى المؤمنين.

قال بعضهم: السكينة التى أنزلها الله على رسوله هى التى أظهرها عليه المسرى عند سدرة المنتهى ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ بل السكينة أقامته فى مقام الدُّنو بحسن الأدب، ناظرًا إلى الحق مستمعًا منه مثنيًا به عليه بقوله: «التحيات لله» والسكينة التى أنزلت على المؤمنين هو سكون قلوبهم إلى ما يأتيهم به المصطفى ﷺ من وعد ووعيد وبشارة وحكم.

وقيل: السكينة: سكون القلب مع الله بلا علاقة.

وقيل السكينة: هى الطمأنينة عند ورود القضاء.

قال الجوزجانى: السكينة هى التأدب بآداب الشريعة والتمسك بحبل السُّنَّة.

وقيل السكينة: المقام مع الله بفناء الحظوظ.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [الآية: ٢٨].

قال أبو صالح: المشرك فى عمله من يحسن ظاهره لملاقاة الناس ومجاورتهم، ويظهر للخلق أحسن ما عنده، وينظر إلى نفسه بعين الرضا عنها، إنما أظهر عليها من زينة العبادات وينجس باطنه مخالفة ما أظهره وهو الرياء واتباع الشهوات وسائر المخالفات فذلك المشرك فى عبادته النجس باطنه ولا يصلح لبساط القدس إلا المقدس ظاهرًا وباطنًا سرًا وعلانية، لأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ومن كان نجسًا، فإن الأمكنة لا تطهره، وسنن الظاهر عليه لا ينظفه.

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ﴾ [الآية: ٣١].

قال بعضهم: سكنوا أمثالهم وطلبوا الحق من غير مظانه، وطرق الحق واضحة لمن كحل بنور التوفيق وبصر سبيل التحقيق، ومن أعمى عن ذلك كان مردودًا من طريق الحق إلى طريق الجناس من الخلق.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الآية: ٣٣].

قيل: جعل الله الوسائط طريقًا للعباد بعثهم أعلامًا للهدى على الطرق، ونورًا يهتدى بهم، وعمر بهم سبل الحق وحقيقة الدين، قال الله عز وجل: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ﴾ [الآية: ٣٤].

قال بعضهم: من بخل بالقليل من ملكه فقد سد على نفسه باب نجاته، وفتح على نفسه طريق هلاكه.

وقيل: ليس من أخلاق الأنبياء والصديقين البخل، لأنه روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما جُبل ولى الله إلا على السخاء».

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: ٣٦].

قيل: باتباع الشهوات.

قال بعضهم: ظلم نفسه من أطلق عنانها فى طرق الأمانى من اتباع الشهوات

وارتكاب السيئات والتخطى إلى المحارم.

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ [الآية: ٣٧].

قال الواسطى: جبرهم على ما فيه هلاكهم ولم يعذرهم بقوله: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾.

سُئل جعفر الصادق عليه السلام عن قوله ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ قال: هو الرياء.

قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ [الآية: ٣٨].

قال يحيى بن معاذ: الناس من مخافة الفضيحة فى الدنيا وقعوا فى فضيحة الآخرة.

قال الله عز وجل: ﴿اثَّاقَلْتُم إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا فِى الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ﴾ [الآية: ٣٨].

قال النهرجورى: الدنيا بحر والآخرة ساحل والمركب واحد وهو التقوى والناس سفن.

وقال بعضهم: ما تعطاه عارية ينتزع منك أو تنتزع منها، وهو قليل فيما تملكه من نعيم الآخرة على الأبد.

قال النهرجورى: الدنيا أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء.

قوله تعالى: ﴿إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ﴾ [الآية: ٤٠].

قوله: ﴿فقد نصره الله﴾ حيث أغناه عن نصرتكم بقوله: ﴿والله يعصمك من الناس﴾. فمن كان فى ميدان العصمة، كان مستغنيًا عن نصرة المخلوقين، ألا ترى أنه لما اشتد الأمر كيف قال: «بك أصول فإنك النصار والمعين».

وقال ابن عطاء فى قوله: ﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار﴾ قال: فى محل القرب فى كهف الأنوار فى الأزل.

قال فى قوله: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ قال: ليس من حكم من كان الله معه أن يحزن.

وقال الشبلى: ﴿ثانى اثنين﴾ بشخصه مع صاحبه، وواحد الواحد بقلبه مع سيده

وقيل فى قوله: ﴿إذ أخرجه الذين كفروا﴾: قال: الذين جحدوا نعمة الله عليهم به وبمكانه.

قال ابن عطاء فى قوله: ﴿إن الله معنا﴾.

قال: معناه فى الأزل، حيث وصل بيننا وصلة الصحبة ولم ينفصل.

وقال بعضهم فى قوله: ﴿لا تحزن﴾ قال: كان حزن أبى بكر إشفاقًا على النبى ﷺ وقيل: شفقة على الإسلام أن يقع فيه وهن.

وقال فارس: إنما نهى عن الحزن لأن الحزن علة وإنما هو تعريف أن الحزن لا يحل بمثله، لأنه فى محل القربة وقيل فى قوله: ﴿إذ هما فى الغار﴾ قال: أخرجهما غيرة مما كانوا يرونه من مخالفات الحق، فأخرجتهما الغيرة إلى الغار، فغار عليهم الحق فسترهما عن أعين الخلق لأنهم كانوا فى مشاهدته يشهدهم ويشهدونه، ألا تراه ﷺ كيف يقول لأبى بكر رضى الله عنه: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[1] مشاهدًا لهما وعونًا وناصرًا.

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الآية: ٤٠].

قال بعضهم: السكينة نزلت على أبى بكر فثبت، وزال عن قلبه ما كان يجده من الوجل على رسول الله ﷺ.

قال بعضهم: السكينة لأبى بكر ما ظهر له على لسان المصطفى ﷺ من قوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

قال بعضهم: السكينة: سكون القلب إلى ما يبدو من مجارى الأقدار.

قال جعفر: فى قوله: ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾. قال: تلك الجنود اليقين والثقة بالله عز وجل والتوكل.

قال بعضهم: السكينة هى التثبت، ولا يتم التثبت إلا بالقطع عما سواه.

قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: ٤١].

قال ابن عطاء: خفافًا بقلوبكم، وثقالاً بأبدانكم.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى كتاب «التفسير» باب «ثانى اثنين إذ هما فى الغار» (٨/ ١٧٦ - ١٧٧) حديث رقم (٤٦٦٣)، من طريق ثابت عن أنس عن أبى بكر رضى الله عنه.
وأحمد فى مسنده (١/ ٤) من طريق ثابت . . . به.

قال أبو عثمان فى قوله: ﴿**انفروا خفافًا وثقالاً**﴾ فى وقت النشاط والكراهية، فإن البيعة على هذا وقعت، كما روى عن جرير بن عبد الله أنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط والمكره»[(١)].

وقال بعضهم: انفروا خفافًا إلى الطاعات، وثقالاً إلى المخالفات. ﴿**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم**﴾ الفقر ألاً تمنعوهم حقوقهم، وجاهدوا بأنفسكم الشياطين كى لا يستولى عليكم.

قال بعضهم: ﴿**انفروا خفافًا وثقالاً**﴾ قال: هو نزع القلب عن الأمانى الباطلة، وإخراج العادات القبيحة عن النفس.

قوله تعالى: ﴿**عَفَا الله عَنكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ**﴾ [الآية: ٤٣].

قيل: إن الله عز وجل إذا عاتب أنبياءه وأولياءه عاتبهم ببر قبلها أوبعدها، ألاَ تراه يقول: ﴿**عَفَا الله عَنكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ**﴾.

وقال الحسين بن منصور: الأنبياء مبسطون على مقاديرهم واختلاف مقاماتهم، وكل ربط مع حظه باستعماله الأدب بين يدى الحق، وكل أثيب على ترك الاستعمال فمنهم النبى ﷺ فإنه أنس قبل التأنيب، ومنهم من أنس بعد التأنيب على اختلاف إذ لو أنس بعد التأنيب لتفطر لقربه من الحق وذلك أن الله عز وجل أمره بقوله: ﴿**فأذن لمن شئت منهم**﴾[(٢)] ثم قال مؤنبًا له على ذلك: ﴿**عَفَا الله عَنكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ**﴾ فلو قال لم أذنت لهم عفا الله عنك لذاب وهذا غاية القرب، وقال تعالى حاكيًا عن نوح أنه قال: ﴿**رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق**﴾[(٣)] مؤنبًا له وأنسه بعد التأنيب ﴿**إنه ليس من أهلك**﴾ إلى قوله ﴿**أن تكون من الجاهلين**﴾.

ولو ولم يؤنسه بعد التأنيب لتفطر، وهذا مقام نوح وليس المفضول بمقصر إذ كل منهم له رتبة من الحق.

---

(١) متفق عليه: اخرجه البخارى فى كتاب «الأحكام» باب «كيف يبايع الإمام الناس» (١٣/ ٢٠٤) حديث رقم (٧١٩٩، ٧٢٠٠).

ومسلم فى كتاب «الإمارة» باب «وجوب طاعة الأمراء فى غير معصيته (٦/ ض٦٨: ٤١/ حديث رقم / ١٧٠٩/ نووى)، من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه.

(٢) سورة (النور) الآية رقم (٦٢).

(٣) سورة (هود) الآية رقم (٤٥).

قال ابن عطاء: عوتب كل نبى بذنبه، ثم غفر له وغفر لمحمد ﷺ قبل موافقة الذنب فقال: ﴿عفَا الله عنكَ لِمَ أذِنْتَ لَهُمْ﴾ إحلالاً له.

قوله تعالى: ﴿ولَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ [الآية: ٤٦].

قال جعفر: طالب عباده بالحق ولم يجعلهم لذلك أهلاً، ثم لم يعذرهم، ولامهم على ذلك، ألا تراه يقول: وقالوا لا تنفروا فى الحر.

قال ابن الفرحى: إنما هو نعت واحد كالماء الواحد يسقى به ألوان الشجر فتختلف ثمارها، لو سقى الورد بالبول ما وجد منه إلا ريح الورد، ولو سقى الحنظل بماء الورد، لما خرج إلا الحنظل وريحه إنما يلى اللطيفة التى جرى بها الخذلان والتوفيق.

قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ [الآية: ٤٤].

قال الواسطى رحمة الله عليه كيف يستأذن من هو مأذون له الإذن التام، إن قام قام بإذن وإن قعد قعد بإذن، فجريان الحركات منه تظهر سوابق المأذون له فيه.

قوله تعالى: ﴿ولَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [الآية: ٤٦].

قال جعفر: لو عرفوا الله لاستحيوا منه، ولخرجوا له عن أنفسهم وأزواجهم وأموالهم، بذلاً لأمر واحد من أوامره.

قال بعضهم فى هذه الآية: لو طلبوا التوكل لسلكوا طريق الثقة بالله فإنها الطريق إليه.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ابتَغوا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَى جاءَ الحَقُّ وَظَهَر أَمْرُ اللهِ﴾ [الآية: ٤٨].

قال السوسى: حملوك على طلب الدنيا والركون إليها، حتى ظهر الحق سرك من الركون إلى شىء سواه وظهر أمر الله، قال: فتح لك من خزائن الأرض وعرضها عليك، فأبيت أن تسكن إليها أو تقبل منها، وهم كارهون ما أنتم عليه من الإعراض عما أقبلوا عليه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾ [الآية: ٥١].

قال بعضهم: العارف بالله من سكن إلى ما يبدو له فى الوقت بعد الوقت من

تصاريف القضاء ومجارى القدرة، ولا يسخط لوارد من ذلك عليه.

قال بعضهم: التفويض هو الاعتماد على الله، والعلم بأن ما سبق من قضائه، قيل: لابد أنه مصيبك فإن الخلق مجبورون ليس لهم اختيار، قال الله تعالى: ﴿لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالَى﴾ [الآية: ٥٤].

قال محمد بن الفضل: من لم يعرف الأمر، قام إلى الأمر على جد الكسل، من عرف الأمر قام إليه على جد الاستفتاح والاسترواح.

سمعت جدى يقول: التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالأمر.

قال حمدون: القائمون بالأوامر على ثلاث مقامات، واحد يقوم إليه على العادة وقيامه إليه قيام كسل، وآخر يقوم إليه قيام طلب ثواب، وقيامه إليه قيام طمع، وآخر يقوم إليه قيام مشاهدة، فهو القائم بالله لأمره، لا قائم بالأمر لله[1].

قوله تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: ٥٥].

قال بعضهم: فلا تعجبك ما يتزينون به من صنوف الأموال والعبيد والخدم ويستكثرون به من الأولاد، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا، يعذبهم لجمعها ويعذبهم لحفظها ويعذبهم بحبها ويعذبهم بالبخل بها والحزن عليها والخصومة فيها، كل هذا عذاب إلى أن يوردهم عذاب النار.

قال الواسطى فى قوله: ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ أى بنعمتى أن كانوا من أهل طاعتى، وغيرهم كافرون جاحدون، ومن استقطعته النعمة عن المنعم فهو جاحد.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُم رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: ٥٩].

---

(١) إذا كان القيام هنا هو القيام للصلاة وهو الذى تشير إليه الآية فالقيام كله لله تعالى سواء كان بأمر الله تعالى او غير ذلك فالمسلم يقوم ناصبًا قدميه متجهًا نحو القبلة لله عز وجل راكبًا ساجدًا وجلاً خاشعًا لله تعالى أما هذه الفلسفات أنه يقوم ما به لأمره لا قائم بالأمر لله فلا أساس لها من الشرع فالكل خائف من ناره طامع فى رحمته فالأعمال مهما كانت إنما لا تكفى إلا بإخلاص لله تعالى وبرحمته سبحانه جل وعلا.

قال إبراهيم بن أدهم[١]: من رضى بالمقادير لم يغتم.

سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول: سمعت الهيثم بن خلف يقول: سمعت محمد ابن على بن شقيق يقول: سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت الفضيل رحمة الله عليه يقول: الراضى لا يتمنى فوق منزلته.

قال أبو جعفر: الرضا هو سكون السر مع مجارى المقدورات، وقال: الرضا تلقى البلاء بالقبول على حد الطرف والفرح.

قوله عز وعلا: ﴿إِنَّما الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَآءِ وَالمَسَاكِينِ﴾ [الآية: ٦٠].

قال سهل بن عبد الله وقد سئل عن الفقر والمسكنة فقال: الفقر عز والمسكنة ذل.

قال بعضهم: الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل ولا يتعرض وإن أعطى لم يقبل فذاك كالروحانيين.

وفقير لا يسأل ولا يتعرض وإن أعطى قبل مقدار حاجته فذاك لا حساب عليه.

وفقير يسأل مقدار قوته فإن استغنى كف فذاك فى حظيرة القدس.

قال إبراهيم الخواص: نعت الفقير السكون عند العدم، والإيثار والبذل عند الوجود، والمسكين من يرى عليه أثر العدم.

قال بعضهم: صدق الفقير أخذه بالصدقة ممن يعطيه لا ممن يصل إليه على يده والحق هو المعطى على الحقيقة، لأنه جعلها لهم فمن قبله من الحق، فهو الصادق فى فقره بعلو همته، ومن قبله من الوسائط فهو من الترسم مع دناءة همته.

قوله تعالى: ﴿المُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ بَعضُهُم مِن بعضٍ﴾ [الآية: ٦٧].

قال أبو بكر الوراق: المنافق ستر المنافق يستر عليه عوراته، والمؤمن مرآة المؤمن يبصر به عيوبه ويبذله على سبيل نجاته.

قوله تعالى ذكره: ﴿وَيَقبِضُونَ أَيدِيَهُم نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُم﴾.

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم، من أهل بلخ - مدينة بخراسان - كان من أبناء الملوك والمياسير، وخرج للصيد فهتف به هاتف أيقظه من غفلته، فترك طريقته فى التزين بالدنيا، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع وخرج إلى مكة، وصحب بها سفيان الثورى والفضيل بن عياض، ودخل الشام فكان يعمل فيه، ويأكل من عمل يده، ومات بالشام. (طبقات الصوفية ١٢).

قال بعضهم: يقبضون أيديهم عن رفعها إلى مولاها فى الدعوات والحوائج كما روى عن النبى ﷺ أنه رأى فى الموقف ويده على صدره، كاستطعام المسكين وهو ينشد.

ها إن صددت يدى إليك فردها   بالوصل لا بشماتة الحساد

وقيل: يقبضون أيديهم عن الصدقة.

وقيل: يقبضون أيديهم عن معونة المسلمين.

قوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾.

قال سهل: نسوا نعم الله عندهم فأنساهم الله شكر النعم.

قوله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: ٧١].

قال أبو عثمان: المؤمنون أيضًا يتعاونون على العبادة، ويتبادرون إليها، كل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويعينه على سبيل نجاته، ألا ترى النبى ﷺ يقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[1].

وقال النبى ﷺ: «المؤمنون كالجسد الواحد»[2].

وقال الله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات﴾ قال أبو بكر الوراق: المؤمن يوالى المؤمن طبعًا وسجية.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها النَّبِىُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمَنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: ٧٣].

قال محمد بن على: جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان.

قال سهل: النفس كافرة فجاهدها بسيف المخالفة، وحملها حمولات الندم وسيرها فى مفاوز الخوف، لعلك تردها إلى طريق التوبة والإنابة، ولا تصح التوبة إلا لمتجبر فى

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الصلاة» باب «تشبيك الأصابع فى المسجد وغيره» (١/ ٦٧٤) حديث رقم (٤٨١)، ومسلم فى كتاب «البر والصلة» باب «تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم» (٨/ ص٣٨٣، ٣٨٤) (٦٥/ حديث رقم ٢٥٨٥)، والترمذى فى (٤/ حديث رقم ١٩٢٨)، والنسائى فى سننه (٥/ ٧٩)، جميعًا من طريق بريد عن أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه . . . به.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخارى فى كتاب «الأدب» باب «رحمة الناس بالبهائم». (١٠/ ٤٥٢) حديث رقم (٦٠١١)، من طريق عامر عن النعمان به.

ومسلم فى كتاب «البر والصلة» باب «تراحم المؤمنين وتعاطفهم» (٨/ ٣٨٤) (٦٦/ حديث رقم/ ٢٥٨٦/ نووى) من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه.

أمره مبهوت فى شأنه، واله القلب مما جرى عليه، قال الله جل وعز: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ [التوبة: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ [الآية: ٧٥].

قال: سمعت النصرآباذى يقول فى هذه الآية: الفضل رؤية الإحسان راءٍ من أنفسهم إحسانًا لم يعلموه بعد، وصدقة لم يتصدقوا بها وصححوا لأنفسهم أفعالاً بقوله: لنصدقن، فنقضوا العهد لما أظفرهم بما سألوه، فتولدهم من ذلك البخل الذى قال النبى ﷺ «أى داء أدوى من البخل»[1] والتوانى عن سبيل الرشد، والإعراض عن مناهج الحق.

وقال: البخل يتولد منه أنواع الأدواء فبخل تستعمله فى نفسك مع نفسك وبخل تستعمله مع بنى جنسك.

وبخل تستعمله فى التحية، قال النبى ﷺ: البخيل من ذكرت عنده ولم يُصل علىّ»[2] ﷺ. وقال: «أبخل الناس من بخل بالسلام»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى كتاب «فرض الخمس» باب «ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين» (٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) حديث رقم (٣١٣٧)، وأحمد فى مسنده (٣/ ٣٠٨)، من حديث جابر رضى الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى فى كتاب «الدعوات» باب «فى دعاء النبى ﷺ» (٥/ ٥٥١) حديث رقم (٣٥٤٦)، من طريق حسين بن على بن أبى طالب... وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأحمد فى مسنده (١/ ٢٠١) حديث رقم (١٧٣٦/ شاكر) وقال: إسناده صحيح.

وابن حبان فى صحيحه (٨/ ٢٠) حديث رقم (٢٣٨٨/ موارد) من حديث حسين بن على... به.

(٣) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الصغير» (١/ ١٢١)، من طريق عوف عن الحسن عن عبد الله ابن مغفل، وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٢/ ١٢٠) وقال: رواه الطبرانى فى الثلاثة ورجاله ثقات. وأورده ابن حجر فى تلخيص الحبير. (٤/ ٩٤) وقال: رواه الطبرانى فى معجميه، وله فى الأوسط من حديث أبى هريرة مرفوعًا. أعجز الناس من عجز فى الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام. اهـ.

قلت: هو فى الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٤٠)، حديث رقم (٥٥٩١)، من طريق عاصم الأحول عن أبى عثمان النهدى عن أبى هريرة ... به، وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٨/ ٣١)، وقال: ورجاله رجال الصحيح غير مسروق بن مرزبان وهو ثقة.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [الآية:٧٧].

وهو ميراث البخل وهو الكذب والخلف والخيانة، لذلك قال النبى ﷺ: «علامة المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان»(١).

وظهرت هذه الثلاثة فى تقلبه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ [الآية:٧٦].

سُئل أبو حفص: ما البخل؟ قال: نزل الإيثار عند الحاجة إليه.

قال حمدون القصار: من رأى لنفسه ملكًا، فقد بخل لأنه قصر عنه الأيدى الأخرى.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الآية:٧٨].

قال: السر ما لا يطلع عليه إلا عالم الأسرار والنجوى ما يطلع عليه الحفظة.

قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية:٨٨].

قال بعضهم: اجتهد الرسول ﷺ فى أداء الرسالة، أبلغ الغاية وجاهد المسلمون بأنفسهم فى قبول ما جاء به من الشرع، ما كان منه حظ النفس بالنفس وما كان منه حظ المال بالمال.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [الآية:٩١].

قال بعضهم: من لم نمكن من القدرة فقد رُفع عنه الحرج.

وقال بعضهم: أفضل العصمة أن لا تقدر.

قال أبو طاهر: لو لم يكن فى الفقر والقلة إلا إسقاط الحرج عن صاحبه، لكان ذلك عظيمًا قال الله تعالى: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ وقيل: ليس على من سُلب القيام بالخدمة بظاهر الجوارح من جرح فى تقصير يقع له فى نافله، إذا

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخارى فى كتاب «الإيمان» باب «علامة المنافق». (١/ ١١١) حديث رقم (٣٣). ومسلم فى كتاب «الإيمان» باب «بيان خصال المنافق» (١/ ٣٢٢)، (١٠٧/ ١/ حديث رقم ٥٩/ نووى)، كلاهما من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه.

أصبحت له الفرائض وسكن قلبه وصلحت سريرته.

قوله تعالى: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾.

قال القاسم: المحسن من يرى الإحسان كله من الله، فلا يكون لأحد عليه سبيل.

وقال ابن عطاء: المحسن يحسن محاورة نعم الله.

وقال في موضع آخر: المحسن من يرى إحسان الله إليه، ولا يرى من نفسه مستجيبًا بحال.

قال جعفر: المحسن الذي يحسن آداب خدمة سيده.

وقال حمدون القصار: المحسن المطالب نفسه بعد حقوق الله بحقوق المسلمين عليه، والتارك حقه لهم، بل من لا يرى لنفسه على أحد حقًا.

قوله تعالى: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحملهُمْ﴾ [الآية: ٩٢].

قال النصرآباذي: تحملهم على الإقبال علينا والثقة بنا والرجوع إلينا.

وقال أيضًا: تحملهم أي: تحمل عنهم أثقال المخالفات.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ [الآية: ٩٣].

قال النصرآباذي: ألزم الله الذم الأغنياء، لأنهم اعتمدوا على أملاكهم وأموالهم واستغنوا بها، ولو اعتمدوا على الله واستغنوا به؛ لما ألزموا الخدمة.

وقيل في قوله: ﴿أغنياء﴾ أي مظهرين الاستغناء عن الخروج مع الرسول ﷺ والقتال معه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِق مَغْرَمًا﴾ [الآية: ٩٨].

قيل: من يرى الملك لنفسه كان ما ينفقه غرامة عنده، ومن يرى الأشياء عارية لله في يده، يرى أن ما ينفقه غنمًا لا غرمًا.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ﴾ [الآية: ٩٩].

قال بعضهم: من طلب القربة إلى الله، هان عليه ما بذله في جنب ذلك، وكيف ينال القربة إلى الله من لا يزال يتقرب إلى ما يبعده من الله وهو الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ [الآية: ١٠٠].

قال ابن عطاء: السابق من سبق له فى الأزل من الحق حسن عناية، فتظهر عليه فى وقت إيجاده أنوار تلك السابقه فإنه ما وصل إليه أحد إلا بعد أن سبق له منه فى الأزل لطف وعناية.

سمعت عبد الله الرازى يقول: سمعت أبا عثمان يقول: هم الذين سبقوا إلى الله بقلوبهم وحسن قصدهم إليه بطاعتهم له، فأفردوا هممهم بذكر الله. والله وفقهم لذلك حتى صارت قلوبهم فارغة من ذكر كل شىء إلا من ذكره.

وقال أيضًا: السابقون إلى الله بصدق القصد إليه.

قال الواسطى رحمة الله عليه: السباق السباق قولاً وفعلاً حذر النفس حسرة المسبوق.

قوله تعالى: ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾.

قال جعفر رضى الله عنه: ما كان سبق لهم من الله من عناية وتوفيق، ورضوا عنه بما منَّ عليهم بمتابعتهم لرسوله ﷺ وقبول ما جاء به، وإنفاقهم الأموال وبذل المهج.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: الرضا سرور القلب بمر القضاء، وقال: الرضا باب الله الأعظم.

وقال ابن يزدانيار: رضاء الخلق عن الله بما يتجدد لديهم من ظهور قدرته، ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضا عنه.

وقال النصرآباذى: ما رضوا عنه حتى رضى عنهم، فبفضل رضاه عنهم رضوا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم﴾ [الآية: ١٠٢].

قال بعضهم: صفة النادمين والمعرضين عن الذنوب والناوين للتوبة، وهو الاعتراف بما سبق منهم، وكثرة الندم على ذلك والاستغفار منه ونسيان الطاعات وذكر المعاصى على الدوام والابتهال إلى الله بصحة الافتقار، لعل الله يفتح له باب التوبة ويجعله من أهلها.

قال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم خلطوا عملاً صالحًا﴾.

قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [الآية: ١٠٣].

قال بعضهم: خذ منهم الصدقة فإن أخذك يطهرهم لإعطاء الزكاة، وتطهرهم عن دنس الأكوان، وصلواتك تسكنهم إلى الآخرة وتقطعهم عن الدنيا.

قال رويم: تطهر سرائرهم وتزكى نفوسهم.

وقيل في قوله عز وجل: ﴿وصلِّ عليهم﴾: أي: ادعُ لهم فإن دعاءك لهم سكون إلى الآخرة وانقطاع عن الدنيا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [الآية: ١٠٤].

قال النصرآباذى: فرق بين الأخذ والقبول، لأنه قد يقبل ولا يأخذ، ولا يأخذ إلا عن قبول فالأخذ أتم وأدم.

وقال أيضًا: أخذ الصدقة أحل من قبول التوبة، لذلك يقع فيه التربية.

قال النبى ﷺ: إن الله يأخذها فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: ١٠٥].

قال أبو حفص وأبو عثمان: اعمل وأصلح العمل وأخلص النية فإن الله عز وجل يرى سرك وضميرك، والرسول يراه رؤية مشاهدة، والمؤمنون يرونه رؤية فراسة وتوسم.

قال الله تعالى: ﴿إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾[1].

قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [الآية: ١٠٨].

قال أبو بكر الوراق: من صحح إرادته بدا ولم يعارضه شك أو ريبة، فإن أحواله تجرى على الاستقامة، فتصحيح الإرادة هو الخلع عن مراده أجمع، والرجوع إلى مراد الله فيه، قال الله عز وجل: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾.

وقال عبد الله بن مبارك: المقام فى عرضات الشر وأماكنه من أوائل الخذلان، وقد أمر الله بالفرار منها.

قال الله تعالى: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[2].

---

(١) سورة (الحجر) الآية رقم (٧٥).

(٢) سورة (النساء) الآية رقم (٩٧).

قال أبو عثمان: أرض الفتنة لا ينبت فيها إلا الفتنة، وأرض الرحمة يصيب الإنسان رحمتها ولو بعد حين.

قوله تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾.

قال سهل: الطهارة على ثلاثة أوجه: طهارة العلم من الجهل وطهارة الذكر من النسيان وطهارة الطاعة من المعصية.

قال بعضهم: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ أى يطهروا أسرارهم من دنس الأكوان.

قال سهل: هذه الطهارة التى ذكر الله هى الطاعة لله عز وجل وإدامة الذكر له سرًا وعلنًا.

قال بعضهم: طهارتهم من الأوهام القبيحة والأمانى الفاسدة دون ارتكابها.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾ [الآية: ١٠٩].

قال أبو تراب النخشى: من كان ابتداء إرادته على الصحة والسلامة من هواجس نفسه بلغ إلى الرضوان الأكبر والمقام الأرفع، قال الله: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: على تقوى من الله لا من نفسه يكون الله أصل ذلك التقوى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم﴾ [الآية: ١١١].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزار يقول: سمعت ابن عطاء يقول: فى قوله ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم﴾ قال: نفسك موضع كل شهوة وبلية ومالك محل كل أثم ومعصية، فأراد أن يزيل ملكك عما يضرك، ويعوضك عليه ما ينفعك عاجلاً وآجلاً.

قال سهل: لا نفس للمؤمن إنها دخلت فى البيع من الله، فمن لم يبع من الله حياة الفانية كيف يعيش مع الله ويحيا حياة طيبة قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِن الْمُؤمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم﴾.

قال جعفر فى قوله: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المؤمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ قال: مكر بهم على لسا

الحقيقة وعلى لسان المعاملة اشترى منهم الأجساد لمواضع وقوع المحبة من قلوبهم وأحياهم بالوصلة.

وقال بعضهم: من سمع الخطاب فانتبه له، كان كأبى بكر رضى الله عنه لما قيل له: ماذا أبقيت لنفسك؟ قال: الله ورسوله»[1] أى أبقيت لنفسى من لا يفنى ولا يزال باقيًا. فأبقى ببقائهما دون الأعراض التى هى عوارى.

وقال بعضهم: اشترى منك ما هو محل الآفات والبَلِيَّات وهو النفس والمال، وجعل ثمنهما الجنة، فإن آنس قلبك كان الثواب عليه المشاهدة والقربة.

قال الحسين: نفوس المؤمنين نفوس أبية استرقها الحق فلا يملكها سواه.

قال النصرآباذى: سُئل الجنيد رحمة الله عليه متى أشترى؟ قال: حين لأمنى أزال عنهم العلل يزول ملكهم عن أنفسهم وأموالهم ليصلحوا المجاورة للحق ومخاطبته.

قال ابن عطاء: مكر بهم وهم لا يشعرون، لكن الكلام فيه من جهة المعاملة مليح اشترى منهم الأجساد لمواضع وقوع المحبة من قلوبهم، فاجتباهم بالوصلة.

قال النصرآباذى: اشترى منك ما هو صفتك، والقلب تحت صفته فلم تقع عليه المبايعة.

قال النبى ﷺ: «قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن»[2] قال: مباينه منك فى الابتداء أوجبت المشاراة، ومن لم يباين الحق لم يقع عليه اسم الشراء ألا ترى أن الله الكريم خاطب الكليم بقوله: ﴿**واصطفيتك لنفسى**﴾[3] فلا شراء ولا بيع ولا مباينة بحال.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود فى كتاب «الزكاة» باب «الرخصة فى أن يخرج الرجل من ماله». (٢/ ١٢٩) حديث رقم (١٦٧٨)، والترمذى فى كتاب «المناقب» باب «من مناقب أبى بكر رضى الله عنه». (٥/ ٦١٤ ـ ٦١٥) حديث رقم (٣٦٧٥)، والدارمى فى كتاب «الزكاة» باب «الرجل يتصدق بجميع ما عنده». (١/ ٤٨٠) حديث رقم (١٦٦٠)، وجميعًا من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر ... الحديث.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٣) سورة (طه) الآية رقم (٤١).

قال أبو عثمان: اشترى من المؤمنين أنفسهم، كى لا يخاصموا عنها، فإنها ليست لهم، والإنسان لا يخاصم عما ليس له.

قال أبو بكر الوراق: اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ولا شىء يتقرب به العبد إلى الله فى أداء الأوامر والفرائض، إلا النفس والمال فاشترى منهم النفس والمال لئلا ينظروا إلى ما يبدو منهم من أنواع القرب، لأنهم باعوا قيل فلا يعجبوا بشىء من أفعالهم، ولا يفتخروا بشىء من طاعاتهم، لأن مواضعها النفس والمال، وليس لهم عليه ملك، و من لا يملك الأصل كيف يفتخر بالفرع.

قوله تعالى: ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾.

قال الحسين: عهد الحق فى الأزل إلى خواصه باختصاص خاصيته، خصهم بها من بين تكوينه فأظهر آثار أنوار ذلك عليهم عند استخراج الذر، فرأى آدم الأنوار تتلألأ فقال: من هؤلاء؟ ثم أظهر سمات ذلك حين أوجدهم، وهى آثار ذلك العهد الذى عهد إليهم، فوفى لهم بعهودهم ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ قال: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به﴾.

قال النصرآباذى: البشرى فى هذا البيع أنه يوفى بما وعد، بأن لهم الجنة ويزيد لما يشاء، فضلاً منه وكرمًا بالرؤية والمشاهدة ولو لم يكن فيه إلا مساواة المساومة لكان عظيمًا، فكيف المبايعة والمشاراة.

قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدونَ السَّائِحُونَ﴾ [الآية: ١١٢].

قال سهل: ليس فى الدنيا شىء من الحقوق أوجب على الخلق من التوبة، و عقوبة أشد عليهم من فقد علم التوبة.

قال ابن عطاء: لا تصح العبادة إلا بالتوبة له إلا بالمداومة والسياحة والرياضة و هذه المقامات وهذه المقدمات إلا بمداومة الركوع والسجود، ولا يصح هذا كله إلا بالأ بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا يصح شىء مما تقدم إلا بحفظ الحدود ظاهرًا وباطن والمؤمن من تكون هذه صفته، لأن الله يقول: ﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين هم بهـ الصفة.

وقيل فى قوله: ﴿التائبون﴾ الراجعون إلى الله بالكلية عن جميع ما لهم من صفا وأحوالهم.

﴿العابدون﴾ القائمون معه على حقيقة شرائط الخدمة.

﴿الحامدون﴾ العارفون نعم الله عليهم فى كل خطوة وطرفة عين.

﴿السائحون﴾ الذين حبسوا أنفسهم عن مرادها طلبًا لرضاه.

﴿الراكعون﴾ الخاضعون له على الدوام الساجدون الطالبون قربه.

﴿الآمرون بالمعروف﴾ الآمرون بسنة النبى ﷺ.

﴿والناهون عن المنكر﴾ عن ارتكاب مخالفات السنن.

﴿والحافظون لحدود الله﴾ المراعون أوامر الله عليهم فى جوارحهم وقلوبهم وأسرارهم وأرواحهم ﴿وبشر المؤمنين﴾ القائمون بحفظ هذه الحرمات.

قال أبو يزيد رحمة الله عليه: السياحة راحة من ساح راح.

قال أبو سعيد الخراز فى قوله: ﴿الحافظون لحدود الله﴾ قال: هم الذين أصغوا إلى الله بآذان أفهامهم الواعية وقلوبهم الطاهرة، ولم يتخلفوا عن بداية بحال.

قال بعضهم: الناس أربعة: تائب وعابد ومحب وعارف، فالتائب يعمل للنجاة، والعابد يعمل للدرجات، والمحب يعمل للقربات، والعارف يعمل لرضا ربه من غير حظ لنفسه فيه.

قال بعضهم: التائب: الراجع إليه من كل ما سواه، والعابد المداوم على الخدمة مع رؤية التقصير، والحامد الذى يحمد على الضراء حمده على السراء. والسائح هو الذى يسيح فى طلب الأولياء والأوتاد.

والراكع الساجد هو الخاضع لله عز وجل فى جميع الأحوال.

﴿الآمرون بالمعروف﴾ هم المتحابون فى الله ﴿والناهون عن المنكر﴾ هم المتباغضون فى الله ﴿والحافظون لحدود الله﴾ القائمون معه على آداب السنن والشريعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ [الآية: ١١٥].

قال بعضهم: من جرى له فى الأزل من السعادة والعناية نصيب، فإن الجنايات لا تؤثر عليه، قال الله: ﴿وما كان الله ليضل قومًا﴾ فى الأبد ﴿بعد إذ هداهم﴾ فى الأزل.

وقيل: لا يضلهم عنه بعد إذ هداهم إليه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحيى ويُميتُ﴾ [الآية: ١١٦].

قال ابن عطاء: له ملك السموات والأرض فمن طلب الملك من غير مالك الملك فقد أخطأ الطريق.

قال النصرآباذى: من اشتغل بالملك فإنه الملك، ومن طلب مالك الملك أتاه الملك راغمًا.

قال جعفر: الأكوان كلها له فلا تشغلنَّك ما له عنه.

قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ [الآية: ١١٧].

قال بعضهم: توبة النبى هى مقدمة توبة الأمة، ليصح بالمقدمة التوابع من توبة التائبين(١).

قال بعضهم: توبة الأنبياء لمشاهدة الحق فى وقت الإبلاغ، لا يغيبون عن الحضرة، بل لا يحضرون مواضع الغيبة، لأنهم فى عين الجمع أبدًا.

قوله تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾.

قال ابن عطاء: قطعهم بِميتةٍ عن أوصافهم.

قال الواسطى رحمة الله عليه: التوبةُ المقبولةُ مقبولةٌ قبل الخطيئة وقبل قصد التوبة، قال الله ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾.

قال النصرآباذى: متى تاب عليهم حين لا متى قبل التوبة عنهم بإياه لإياه، حين لم يكن آدم، ولا كون أزال عنهم بذلك كل علةٍ أبدًا. شعر:

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم   وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

---

(١) الظاهر من كلام البعض الذين ذكرهم المؤلف بصيغة التجهيل ولم يسمهم أن هذه توبة من ذنب أو معصية وحاشا لله أن رسول الله ﷺ يرتكب ذنبًا أو معصية ثم تكون جماعية كما هو ظاهر التأويل وإنما الآية نزلت فى غزوة تبوك كما قال ابن كثير فى تفسيره (٣/ ٤١١): قال مجاهد وغير واحد نزلت هذه الآية فى غزوة تبوك وذلك أنهم خرجوا إليها فى شدة من الأمر فى سنة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد والماء، قال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك فى لهابة الحر على ما يعلم الله من الجهد ما أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم. اهـ.

سُئل أبو حفص عن التوبة فقال: ليس للعبد من التوبة شيء، لأن التوبة إليه لا منه.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عليهِمُ الأرضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [الآية: ١١٨].

قال أبو عثمان: من رجع إلى الله وإلى سبيله، فلتكن صفة هذه الآية تضيق عليه الأرض، حتى لا يجد لقدمه فيها موضع قرار إلا وهو خائف، إن الله ينتقم منه فيه وتضيق عليه أحوال نفسه فينتظر الهلاك مع كل نفس هذه أوائل دلائل التوبة النصوح، ولا يكون له ملجأ ولا معاد ولا رجوع إلا إلى ربه، بانقطاع قلبه عن كل سبب قال الله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾.

قوله تعالى: ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾.

قال بعضهم: لم يعتمدوا حبيبًا ولا خليلاً بل قلوبهم منقطعة عن الخلق أجمع وعن الأكوان كلها، لذلك قيل: المعارف أن لا تلاحظ حبيبًا ولا خليلاً ولا كليمًا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلاً.

قال الجنيد رحمة الله عليه: ما نجا من نجا إلا بصدق اللجأ.

قوله تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾.

قال أحمد بن خضرويه لأبى يزيد رحمة الله عليه: بماذا أصل التوبة النصوح قال: بالله وبتوفيقه، ثم تاب عليهم ليتوبوا.

قال بعضهم: عطف عليهم ببوادى عطفه ونعمه وفضله فألفوا إحسانه ورجعوا إليه فكان هو الذى أخذهم إلى نفسه، لا هم بأنفسهم رجعوا إليه.

قال ابن عطاء: تعطف الرب على خلقه ولم يتعطف العبد إلى الله الطاعة.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية: ١١٩].

قال بعضهم: ﴿مع الصادقين﴾ مع المقيمين على منهاج الحق.

قال بعضهم: مع من ترضى حاله سرًا وعلنًا وظاهرًا وباطنًا.

قال بعضهم: ﴿كونوا مع الصادقين﴾ قال: هم الذين لم يخالفوا الميثاق الأول، فإنها صدق كلمة.

وقال أبو سليمان: الصحبة على الصدق والصفاء تنفى كل علة عن المصطحبين، إذا قاما وثبتا على منهاج الصدق لأن الله يقول: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [الآية: ١٢٢].

قال سهل: أفضل الرحل رحلة من الهوى إلى العقل، ومن الجهل إلى العلم، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الاستطاعة إلى التبرى، ومن الحول والقوة والنفس إلى التقوى ومن الأرض إلى السماء، ومن الخلق إلى الله عز وجل.

وقال المرتعش: السياحة والأسفار على ضربين: سياحة لتعليم أحكام الدين وأساس الشريعة وسياحة لآداب العبودية ورياضة الأنفس، فمن رجع عن سياحة الأحكام قام بلسانه يدعو الخلق إلى ربه، ومن رجع من سياجة الأدب والرياضة، قام فى الخلق يؤدبهم بأخلاقه وشمائله وسياحة هى سياحة الحق وهى رؤية أهل الحق والتأدب بآدابهم، فهذا بركاته تعم العباد والبلاد، قال عز وجل: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [الآية: ١٢٣].

قال سهل: النفس كافرة فقاتلها بالمخالفة لهواها، واحملها على طاعة الله والمجاهدة فى سبيله وأكل الحلال وقول الصدق وما قد أمرت به من مخالفة الطبيعة.

قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُم إِيمَانًا﴾ [الآية: ١٢٤].

قال ابن عطاء: الذين صدقوا حكم الربوبية وتمسكوا بعهد العبودية، زادتهم معرفة فى قلوبهم ونظرًا أسقط عنهم النظر إلى ما سواه.

قال أبو بكر الوراق: زيادة الإيمان يصيرونه بمعاتبة القلب.

قوله تعالى: ﴿أَوَ لاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية: ١٢٦].

سمعت أبا عثمان المغربى يقول: ليس الرجوع فى أيام الفتنة إلا إلى اللجأ والاستغاثة وطلب الأمان وقصد التوبة فمن رجع إلى غير هذه الأسباب لم يسلم من فتنة نفسه وإن سلم من فتنة العوام، قال الله تعالى: ﴿ثم لا يتوبون﴾ الآية. أى: لا يرجعون إلى الله بقلوبهم والراجع إلى الله سالم من الفتن والآفات، ﴿ولا هم يذكرون﴾ أى: لا يشكرون نعمتى السالفة عندهم.

ويعلمون رفقى بهم بالفتنة إذ لم أجعلهم من المفتونين فى الفتنة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [الآية: ١٢٨].

أخبرنا على بن الحسن البلخى قال: حدثنا عبد الله بن عجلان الزنجانى قال: حدثنا أبو عثمان أحمد بن غالب قال: حدثنا أبو عاصم عن بهز بن حكيم عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال: على بن أبى طالب عليه السلام: ما معنى من أنفسكم قال: من أَنْفَسِكُم نفسًا ونسبًا وحسبًا وصهرًا، ليس فى آبائك من لدن آدم سفاح كلنا نكاح»[1].

قال الخراز: أثبت لنفسك خطرًا حين قال عن رسول لله ﷺ: من أنفسكم. قال الحسين: من أجلاكم نفسًا وأعلاكم همة، جاء بالكونين عوضًا عن الحق، وما طغى قلبه عن موافقته.

قال ابن عطاء: نفسه موافقة لا نفس الخلق، خلقه ومباينة لها حقيقة فإنها نفس مقدسة بأنوار النبوة، مؤيدة بمشاهدة الحقائق ثابتة فى المحل الأدنى والمقام الأعلى **﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾**.

قوله تعالى: **﴿عزيز عليه ما عنتم﴾**.

قال بعضهم قوله عزيز عليه قال: يشق عليه ركوبكم مراكب الخلاف.

قوله تعالى: **﴿حريص عليكم بالمؤمنين﴾** الآية.

قال ابن عباس: حريص على هدايتكم، لو كانت الهداية إليه مشفق على من اتبعه أن تأتيه نزغة من نزغات الشيطان الرجيم عليه، يستجلب برحمته له رحمة الله إياه.

وقال: حريص عليكم أن تبلغوا محل أهل المعرفة.

قال جعفر الصادق عليه السلام: علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك، لكى يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته وأقام بينه وبينهم مخلوقًا من جنسهم فى الصورة، فقال **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه﴾** الآية.

وألبسهُ من نعته الرأفة والرحمة وأخرجهُ إلى الخلق سفيرًا صادقًا، وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**[2].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن جرير الطبرى فى «تفسيره» (١١/ ٥٦).
والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٧/ ١٩٠)، وابن سعد فى الطبقات (١/ ٣١)، جميعًا من طريق جعفر بن محمد عن أبيه به، وإسناده مرسل صحيح.

(٢) سورة (النساء) الآية رقم (٨٠).

ذكر ما قيل فى سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ﴾ [الآية: ١].

قيل: الراء أنا الله أرى وقال أبو الحسين: فى القرآن علم بكل شىء، وعلم القرآن فى الأحرف التى فى أوائل السور.

وقيل فى قوله: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ أى فيه علامات قبول الحكماء لهذا الخطاب.

وقيل فى قوله: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ أى فيه وآيات الكتاب المحكم عليك بالفرائض والسنن والآداب والأخلاق والأحوال.

وقيل: «الكتاب الحكيم» العهد الناطق عليك بأحكام الظاهر والباطن.

وقال محمد بن على الترمذى: الألف واللام لطفه والراء رأفته.

قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاس﴾ [الآية: ٢].

علم الله أن قوله ﴿أن أنذرِ الناس﴾ مما يذهل عقول الصالحين والمنتبهين فقال على أثره ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾.

قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾.

قال سهل: سابقة رحمته أودعها فى محمد ﷺ.

قال أبو سعيد الخراز: تفرق الطالبون عند قوله: من طلبنى وجدنى على سبل شتى: اولهم أهل الإشارات طلبوه على ما سبق من قوة الإشارة وهم أهل قدم صدق عند ربهم فبالقدم أشار إليهم، فهل أهل الطوالع والإشارات حظهم منه ذلك.

قال محمد بن على الترمذى فى قوله ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ قال: قدم صدقٍ هو إمام الصادقين والصديقين وهو الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ﴾ [الآية: ٣].

قال بعضهم: يُختار للعبد ما هو خير له من اختياره لنفسه.

وقال أبو عثمان فى رسالته إلى شاه: قد دبر الله لك يا أخى كل تدبير، وأسقط قدم صدق السنة والمتابعة سوء تدبيرك، وارض بتدبير الله لك كى تنجو من هواجس النفس، لأن الله يقول: ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات﴾.

وقيل لسهل بن عبد الله حين حضرته الوفاة: فبماذا تُلَقّن وأين تُقبر ومن يُصَلّى عليك. قال: أدبر أمرى حيًا وميتًا[1]. وقد كفنت بسابق تدبير الله لى.

قوله تعالى: ﴿إِلَيهِ مَرجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: ٤].

قال الجنيد رحمة الله عليه: فى هذه الأمة منه الابتداء وإليه الانتهاء، وما بين ذلك مراتع فضله وتواتر نعمه، فمن سبقت له فى الابتداء سعادة أظهرت عليه فى مراتعه وتقلبه فى نعمته بإظهار لسان الشكر وحال الرضا ومشاهدة المنعم، ومن لم تحركه سعادة الابتداء أبطل أيامه فى سياسة نفسه وجمع الحطام الفانى ليؤده إلى ما سبق له فى الابتداء من الشقاوة.

قال الله ﴿إليه مرجعكم جميعًا﴾ والراجع بالحقيقة إليه هو الراجع مما سواه إليه، فيكون متحققًا فى الرجوع إليه.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً﴾ [الآية: ٥].

قال بعضهم: الشموس مختلفة فشمس المعرفة يظهر ضياؤها على الجوارح فيزينها بآداب الخدمة وأقمار الأنس تقدس الأسرار بنور الوحدانية والفردانية فيدخلها فى مقامات التوحيد والتفريد.

---

(١) انظر إلى هذا المعتوه الضال الذى نصّب نفسه مكان الله عز وجل فهو يدبر أمره حيًا وميتًا يعنى يستطيع أن يتحكم فى مصير نفسه فى الآخرة فلا سلطان لله عليه سبحانك إن هذا لبهتان عظيم.

فالله سبحانه وتعالى هو المدبر للأمر وحده قال تعالى فى سورة (يونس) الآية رقم (٣): ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾.

وقال تعالى فى الآية رقم (٣١): ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾.

أفلا يتقى هذا الذى يدَّعى أنه يدبر أمره فلا تقول وهو الآن بين يدى من يدبر الأمر من السماء والأرض عامله الله بعدله.

قال بعضهم: جعل الله شمس التوفيق طلبًا لطاعات العباد وقمر التوحيد نور فى أسرارهم فهم يتقلبون فى ضياء التوفيق ونور التوحيد إلى المنازل الصديقية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الآية:٧].

قال: لا يخافون الموقف الأعظم ﴿يوم تبلى السرائر﴾[1].

وتظهر الخفايا ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ ركنوا إلى مذموم عيشهم ﴿واطمأنوا بها﴾ نسوا مفاجأة الموت ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ تقليب القلوب وعقوبات الجوارح.

قوله تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الآية: ١٠].

قال الشبلى: لو ألهموا حمد الحق فى أوائل الأنفاس لسقطت عنهم الدعاوى، ولكنهم لم يزالوا يركضون فى ميادين الجهل إلى أن فتح لهم طريق الحمد وأسقط عنهم الدعاوى، فرجعوا إلى رؤية المنة فكان آخر دعواهم أن قالوا: الحمد لله رب العالمين.

ففوضوا الكل إليه ورجعوا بالكلية إليه، فأنطقهم بما أنطقهم به من النطق المحمود.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [الآية: ١٢].

قال أبو حفص: الدعاء باب الله الأعظم وهو سلاح المؤمن عند النوائب.

وقال: الدعاء الذى فيه الإجابة هو أن لا ترى حيلة بعقل ولا بعلم.

وقال سهل: الدعاء هو التبرى مما سوى الله.

وقال أبو حفص: يرجع العبد إلى ربه بالحقيقة عند الفاقات ونزول المصائب والمحن، ولو رجع إليه فى أيام الرفاهية لأكرم فى وقت نزول المصائب بالرضاء، ولكنه لما لم يكن له فى أوقات الرفاهية رجوع إليه ردَّه فى حال المصائب والضروريات إلى الدعاء واللجأ وهذا أيضًا مقام جليل، فتح باب الدعاء على العبد عند نزول البلاء، والمحروم من يرجع فيما يترك به من المصائب والضروريات إلى العبيد، ويقطع قلبه عن ربه، فمصيبته فى إعراضه عن ربه أكثر من مصيبته بنزول البلاء عليه.

قال بعضهم: الخلق مجبورون تحت قسيمته، مقهورون فى خلقته ألا ترى إذا ضاقت القلوب واشتدت عليهم الأمور كيف يرجعون إلى الملك الغفور.

ودعاء أهل الحقائق فيما بلغنى عن بعضهم أنه كان يقول: يا من حجبنى بالدعاء

---

(١) سورة (الطارق) الآية رقم (٩).

احجبنى عن موضع رؤية الدعاء.

وسمعت جدى يقول: الدعاء على العبادة خيانة، وعلى حد اليقين نجاة وعبادة، كما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الدعاء هو العبادة»[١] ولكن للدعاء أوقات وآداب وشروط: فمن يطالب نفسه بأوقات الدعاء وأدبه وشروطه كان محرومًا فيه، وآداب الدعاء وشرائطه ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»[٢] واعلموا أن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الآية: ١٣].

قال ابن عطاء: لما اعتمدوا سوانا.

قال جعفر: لما قابلوا نعمتنا بالكفران.

وقال أبو عثمان: ﴿لما ظلموا﴾ لما لم يعرفوا حقوق أكابرهم، ولم يتأدبوا بآدابهم.

وقال بعضهم: لما خالفوا الشعراء والوسائط.

وقال محمد بن على الترمذى: ﴿لما ظلموا﴾ لما ضيعوا السنن.

وقال بعضهم: لما تكبروا وتجبروا ولم يخضعوا لقبول الحق.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود فى كتاب «الصلاة» باب «الدعاء» (٢/ ٦٤١) حديث رقم (١٤٧٩)، والترمذى فى كتاب «التفسير» باب (سورة البقرة) (٥/ ١٩٤) حديث رقم (٢٩٦٩)، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
وابن ماجه فى كتاب «الدعاء» باب «فضل الدعاء» (٢/ ١٢٥٨) حديث رقم (٣٨٢٨)، وأحمد فى مسنده (٤/ ٢٦٧)، والبخارى فى كتاب الأدب المفرد (٢/ ١٧٨)، حديث رقم (٧١٤).
والطبرانى فى «الصغير» (٢/ ٩٧)، جميعًا من طريق ذر عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير به.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى فى كتاب «الدعوات» باب (٦٦)، (٥/ ٥١٧ ـ ٥١٨) حديث رقم (٣٤٧٩)، والحاكم فى «المستدرك» (١/ ٤٦٣)، وقال: حديث مستقيم الإسناد، تفرد صالح الرى وهو أحد زهاد أهل البصرة وتعقبه الذهبى بقوله: قلت: صالح متروك.
وسبقه إلى نحو ذلك المنذرى فقال فى الترغيب (٢/ ٢٧٧) متعقبًا على الحاكم لا شك فى زهده ولكن تركه أبو داود والنسائى.
لكن روى له شاهد الإمام أحمد فى مسنده (٢/ ١٧٧) عن ابن عمرو بنحوه وإسناده ضعيف فيه ابن لهيعة وهو ضعيف وفى أصل حديثه زيادة قوله (القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله . . . الحديث)، وأورده الألبانى فى «الصحيحة (٥٩٤).

وقال أبو بكر الوراق: الظلم هو اتباع الهوى وركوب الشهوات والركض فى ميادين اللهو واللعب وهذه تؤدى إلى الهلاك.

قال الله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾.

قال بعضهم: لما لم يقابلوا نعمتنا بالشكر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ﴾ [الآية: ١٤].

قال بعضهم: لم تزل الأنبياء لهم خلفًا والأولياء لهم خلفًا أبدلهم الله كأنهم ليرى الباقون سنتهم ويتمسكوا بطريقتهم.

قال الله: ﴿ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم﴾.

قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾.

قال: إذا صح الإيمان لا يصح إلا أن يأذن الله له بذلك فى أزله، وجريه القضاء السابق له بالإيمان فيما يبدو عليه فى الوقت، وهو الذى سبق به القضاء فى الأزل.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ﴾ [الآية: ٢٢].

قال ابن عطاء: سيَّر الأولياء بقلوبهم وسيَّر الأعداء بنفوسهم.

ومعنى البر: اللسان، ومعنى البحر القلب.

وقيل: ليسيركم فى برارى الشوق وبحار القربة، حتى إذا كنتم فى الفلك يعنى: فى القبضة والأسر وهبَّت رياح الكرم على المريدين الذين هم فى الطريق، وفرحوا بما تلحقهم من العناية والرعاية جاءتها ريح عاصف أتت عليهم من موارد القدرة ما أفناهم عن صفاتهم وحيرهم فى طريقهم، وجاءتهم أمواج القهر وقهرهم عما بهم وظنوا أنهم أحيط بهم توهموا أنهم من الهلكى فى الأمواج، وهم المطهرون الأخيار، دعوا الله مخلصين له الدين تركوا ما لهم وبهم وعليهم من الاختيار والتدبير ورجعوا إلى حد التفويض والتسليم فنجوا.

وقال بعضهم: سيَّر العباد والزهاد بالأنفس فى البر وهو الدرجات والمنازل، وسيَّر العارفين بالقلوب فى البحار وفيها الأمواج والأخطار، ولكن سير شهر فى يوم.

قال بعضهم: ﴿هو الذى يسيركم فى البر﴾ هو الصفات، وفى البحر هو الاستغراق فى الذات.

قال بعضهم: يسيركم فى البر الاستدلالات بالوسائط، والبحر غلبات الحق بلا واسطة.

قوله تعالى: ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾.

قال النورى: المخلص فى دعائه من لا يصحبه من نفسه شيء سوى رؤية من يدعوه.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: الإخلاص ما أريد الله به أى عمل كان.

وقال رويم: الإخلاص ارتفاع رؤيتك من الفعل.

قال ابن عطاء: الإخلاص ما خلص من الآفات.

قال حارث: الإخلاص إخراج الخلق من معاملة الله.

قال ذو النون: الإخلاص ما حفظ من العدوان يفسده.

وسألت أبا عثمان المغربى عن الإخلاص فقال: الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال، وهذا إخلاص العوام وإخلاص الخواص ما يجرى عليهم لا بهم، فتبدو الطاعات وهم عنها بمعزل، ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداء، فذلك إخلاص الخواص.

قال أبو يعقوب السوسى: الخالص من الأعمال ما لم يعلم به ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا تعجب به النفس.

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾ [الآية: ٢٣].

قال الواسطى رحمة الله عليه: البغى يحدث من ملاحظات النفس ورؤية ما خدع به، كما قيل لذى النون رحمة الله عليه ما أخفى ما يخدع به العبد؟

قال: الألطاف والكرامات ورؤية الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: ٢٥].

قال أبو سعيد القرشى فى هذه الآية: خرجت هداية المريدين من الاجتهاد فى قوله: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾[1].

---

(١) سورة (العنكبوت) الآية رقم (٦٩).

وخرجت هداية المراد من المشيئة وهو قوله ﴿يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ وهو الفرق بين المريد والمراد.

قال القاسم: الدعوة عامة والهداية خاصة، بل الهداية عامة والصحبة خاصة، بل الصحبة عامة والاتصال خاص.

قال ابن عطاء: عَمَّ خَلْقه بالدعوة واختص من شاء منهم بالرحمة فمن اختصه قبل خلقه، فهو المحمود فى سعايته، ومن خذله قبل كون خلقه، فهو المذموم لا عذر، فمن قصد بنفسه صرف عن حظه، ومن قصده به فهو المحجوب عن نفسه.

قال بعضهم: لا تنفع الدعوة لمن لم تسق له من الله الهداية.

قال جعفر: الدعوة عامة والهداية خاصة.

وقال أيضًا: ما طابت الجنة إلا بالسلم، وإنما اختارك بهذه الخصائص لكى لا تختار عليه أحدًا.

وقال أيضًا: عملت الدعوة فى السرائر فتحللت بها وركبت إليها.

وقال بعضهم: يدعو إلى دار السلام بالآيات، ويهدى من يشاء للحقائق والمعارف.

قال بعضهم: الدعوة لله والهداية من الله.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [الآية: ٢٦].

قال الواسطى رحمة الله عليه: معاملة الله على المشاهدة الحسنى الالتذاذ فى المعاملة، والزيادة هى النظر إلى الله.

قوله تعالى: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾.

قال بعضهم: كيف تذل الوجوه وقد تلقاها الحق منه بالحسنى والإحسان، وكيف تدل شواهد من هو مشاهد للحق على الدوام بل هو على زيادة الأوقات، يزيد نورًا وضياءً وعزًا وسناءً.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾.

قال ابن عطاء: تظهر عليهم بركات إقرارهم عند إيجاد الذر بقولهم: بلى، فمن بركتها لزوم الطاعات والفرائض واتباع السنن وتحقيق الإيمان وتصحيح الأعمال.

قوله تعالى: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام﴾.

قال ذو النون: مقام المتحققين من العارفين التنزيه والتبرى من جميع ما لهم من أنواع الأفعال والأقوال والأحوال وغير ذلك والرجوع إلى الحق على حد التنزيه له، أن يقصده أحد بسببه، أو يتوصل إليه بطاعته، أو يعمل كل لإظهار سعادة الأزل على السعداء وسمات الشقاوة على الأشقياء.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَت﴾ [الآية: ٣٠].

قال: يطالب كل مدعٍ بحقيقة ما ادعاه.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الأمر﴾ [الآية: ٣١].

قيل: أى تقلب الأكوان.

قال الواسطى رحمة الله عليه: من يبدئ أمره ويعيده، ويبديه فى أوقاته السائرة، فإذا قال: من يدبر الأمر أزال الأملاك، فكيف يجوز لقائل أن يقول: فعلى وعملى.

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلا الضَّلالُ﴾ [الآية: ٣٢].

قال الحسين: الحق هو المقصود إليه بالعبادات والمصحوب إليه بالطاعات، لا يشهد بغيره ولا يدرك بسواه.

قال الواسطى: ﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ قال: لا يجوز للموحد أن يشهد بشاهد التوحيد، لأنه وصف الأشياء بالضلال، فلم يتهيأ لضالٍّ أن يقف، ولا لعاجز أن يصف.

قال الحسين: الحق هو الذى لا يستقبح قبيحًا ولا يستحسن حسنًا، كيف يعود عليه ما منه بدا، أو يؤثر عليه ما هو أنشأ، وقيل فى قوله ﴿فأنى تصرفون﴾ من الحق إلى سواه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الآية: ٣٤].

قال ابن عطاء: يبدأ بإظهار القدرة فيوجد المعدوم، ثم يعيدها بإظهار الهيئة فيفقد الموجود.

وقيل: يبدأ بكشف الأولياء فيمحو منها كل خاطر سواه، ثم يعيد فيبقى بإبقائه، فلذلك عظم حال العارف ودليله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ من شُركَائكُم مَّن يَهْدى إلى الحَقِّ قُلِ اللهُ يَهدى للحَقِّ أَفَمَن يَهْدى إِلى الحَقِّ أَحَقُّ أن يُتَّبعَ أَمَّن لا يَهِدِّى إلا أن يُهْدَى﴾ [الآية: ٣٥].

سُئل الحسين من هذا الحق الذى يشيرون إليه فقال: هو معل الأيام ولا يعتل.

سئل الواسطى رحمة الله عليه ما حقيقة الحق؟ قال: حقيقته لا يقف عليها إلا الحق.

وأنشد الحسين بن منصور:

حَقِيقَـةُ الحقِّ مُستَنِيرُ صَارِخَـةٌ مَنْ بِنَا خَبِيـرُ
حَقَائِقُ الحقِّ قَد تَجلَّتْ مَبْلَغُ مَنْ رَامَهَا عَسِيرُ

قال بعضهم: الحق لا يجرى به قولٌ، ولا يثبت له وصف ولا يذكر له حد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا﴾ [الآية: ٣٦].

قال الجنيد رحمة الله عليه: مَرَّ على يدى أرباب التوحيد حتى أبو يزيد، ما خرجوا من الدنيا إلا على التوهم.

قال الواسطى رحمة الله عليه: ﴿إلا ظنًّا﴾ أنهم قد وصلوا وهم فى محل الانفصال، إذ لا وصل ولا فصل على الحقيقة، الذات ممتنعة عن الاتصال كما هى ممتنعة عن الانفصال.

سئل أبو حفص عن حقيقة التوكل فقال: كيف يجوز لنا أن نتكلم فى حقائق الأحوال، والله يقول: ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظنًّا﴾.

سُئل أبو عثمان ما الظن؟ قال: هواجس النفس فى طلب مرادها.

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعلمه﴾ [الآية: ٣٩].

قال بعضهم: كذبوا أولياء الله فى براهينهم، لما حرموا ما خص القوم به، والمحروم من حرم حظه من قبولهم وتصديقهم والإيمان بما يظهر الله عليهم من أنواع الكرامات.

قال أبو تراب النخشبى: إذا بعدت القلوب عن الله مقتت القائمين بحقوق الله.

وقال على بن أبى طالب عليه السلام: الناس أعداء ما جهلوا.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: ٤٢].

قال الحسين: من استمع إليك بآية فإنك لا تسمعه، إنما تسمع من أسمعناه فى الأزل فيسمع منك، وإما لم تسمعه فما للأصم والسماع وإن سمع ولم يعقل فكأنه لم يسمع قال الله تعالى: ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآيتنا﴾[1]. إلا من أجرينا عليه حكم السعادة فى الأزل.

قال بعضهم: من حكم المتحقق أن يكون أصم أعمى يعنى: أصم عمن يعبر عنه، أعمى عما يشار إليه.

وقال بعضهم: إذا لم تسمع نداء الله فكيف تجيب داعى الله.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية: ٤٣].

قال الواسطى رحمة الله عليه: ليس من ينظر إليك بنفسه يراك إنما يراك من ينظر إليك بنا، فأما من ينظر بنفسه أو به، فإنه لا يراك إلا من يعمر أوقاته فى رؤيتك ويستغرق هو فيما قال الله: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾.

وقال النبى ﷺ: «طوبى لمن رآنى ومن رأى من رآنى».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [الآية: ٤٤].

قال الواسطى رحمة الله عليه فى هذه الآية: لا يتجلى لهم بحقه فإن ذلك ظلم، لأن الحق لا يحتملونه بل فيه ذهابهم، ويستحيل أن يكون لهم من القوة ما يطيعون الحق بحقه، إذ فى ذلك مساواة ومقارنة.

قوله تعالى: ﴿قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾ [الآية: ٤٩].

قال بعضهم: نفى من السيد الأخص أن يكون له من نفسه شىء أو يعتمد لها حالاً، بل أظهر أن الكل لمن له الكل، ومن لا يملك الأصل كيف يملك فروعه ومن لم يملك نفسه كيف يملك ضرها ونفعها، ومن صحت له هذه الحالة فقد سلم من مدح الخلق فإنه هو الضار النافع.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الآية: ٥٣].

قال بعضهم: أنوار الحق مشرقة وآياته ظاهرة، لا يشك فيها إلا معاند، ولا يعمى

---

(١) سورة (الروم) الآية رقم (٥٣).

عنها إلا ضال والمتحققون بحقائق الحق هم السالكون مسالك أنوار الحق فى مقاصدهم ومواردهم ومصادرهم، والراجعون منها إلى الأعيان هم الضالون عن سنن الحق، قال الله ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ [الآية: ٥٥].

قال بعضهم: المغبُونُ من يرجع إلى غير ربه فى سؤاله ومهماته وطلباته، وله من فى السموات والأرض فالكل له فمن طلب بعض الكل من غيره فقد أخطأ الطريق.

وقيل فى قوله: ﴿أَلا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ أن يجزم سائلاً غيره ويبعد عليه وجه طلبته ولا يجيب سائله ويبلغه أقصى أمنيته.

قوله تعالى: ﴿هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية: ٥٦].

قيل: يحيى بفضله ويميت بعدله وإليه رجوع كلتا الطائفتين.

وقال بعضهم: هو يحيى القلوب بإماتة النفوس، ويميت النفوس بحياة القلب، وهذا لمن كان رجوعه إليه فى جميع أحواله.

وقيل: يحيى السرائر بأنوار العزة، ويميت النفوس بنزع الشهوات عنها.

قال بعضهم: يحيى من نشأ بالإقبال عليه، ويميت من نشأ بالإعراض عنه.

قال النصرآباذى: يحيى الأرواح في المشاهدة والتجلى، ويميت الهياكل فى الاستتار.

وقال بعضهم: يحيى القلوب بالتقليب ويميت النفوس بالتنقيل.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [الآية: ٥٧].

قال ابن عطاء: الموعظة للنفوس والشفاء للقلوب، والهدى للأسرار والرحمة لمن هذه صفته.

قال جعفر: شفاء لما فى الصدور أى: راحة لما فى السرائر.

قال بعضهم: الشفاء المعرفة والصفاء.

قال بعضهم: الشفاء التسليم والرضا.

ولبعضهم: شفاء التوبة والوفاء وقال: الشفاء المشاهدة واللقاء.

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [الآية: ٥٨].

قال بعضهم: فضل الله إيصال إحسانه إليك ورحمته ما سيق لك منه ولم تك شيئًا من الهداية، ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ أى: فاعتمدوا وهو خير مما تجمعون من أذكاركم وأفعالكم وأقوالكم، فإنها نتائج تلك المقدمة، وبها يتم جميع الأحوال.

قال الواسطى: أيسهم أن يكون لهم شيء من عند قوله قل بفضل الله.

قال القاسم: هو الفضل الذى جاز به على أهل طاعته، لا الفضل الذى استدرج به أهل معصيته.

قال جعفر فى هذه الآية: إنه انتباه من غفلة، أو انقطاع عن زلة، والمباينة من دواعى الشهوة.

قال أيضًا: فضل الله معرفته ورحمته توفيقه.

قال بعضهم: الثواب أعواض والفضل كرم، قال ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾. مما يؤملون من الثواب على الأفعال.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُم شُهُودًا﴾ [الآية: ٦١].

قال شقيق: على العبد أن يلزم نفسه دوام نظر الله إليه وقربه منه وقدرته عليه، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُم شُهُودًا﴾ إذ تفيضون فيه.

قال بعضهم: من شهد شهود الحق إياه، قطعه ذلك عن مشاهدة الأعيان أجمع.

قال النصرآباذى: شتان بين من عمل على رؤية الثواب وبين من عمل لاتباع الأمر، وبين من عمل على سبيل المشاهدة.

قال الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُم شُهُودًا﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: ٦٢].

قال بعضهم: عرض الأولياء بإزالة الخوف والحزن عنهم ولم يبلغهم إلى مقام أهل الاصطفاء والاختيار، لأن ذلك أقدارهم حتى يجيء قدر الذى لا يوصف بوصف فيظهر عليهم من الكرامات ما يزيل بها الخوف والحزن على أهل الأكوان ببركاتهم.

قال الواسطى رحمة الله عليه: حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل فريق باسم منها: هو الأول والآخر والظاهر والباطن فمن فنى عنها بعد ملابستها فهو

الكامل التام، فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى فى السرائر من أنواره ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله ما سبق، ومن لاحظ اسمه الآخر كان مرتبطًا بما يستقبله، وكلٌ كوشف على قدر طبعه وطاقته إلا من تولاه الحق ببره وقام عنه بنفسه.

وقال يحيى بن معاذ: الولى الذى لا يرائى ولا ينافق، وما أقل صديق من كان هذا خلقه.

قال بعضهم: قلوب أهل الولاية مصانة عن كل معنى لأنها موارد الحق.

قال الواسطى رحمة الله عليه: علامة الولى أربعة: الأولى يحفظ سرائره التى بينه وبين ربه مما يرد على قلبه من المصائب فلا يشكو.

والثانية: أن يصون كرامته فلا يتخذها رياء ولا سمعة ولا يعقل عنها هوانًا.

والثالثة: أن يحتمل أذى خلقه فلا يكافؤهم.

والرابعة: أن يدارى عباده على تفاوت أخلاقهم، لأنه رأى الخلق لله وفى أسر القدرة فعاشرهم على رؤية ما منه إليهم.

وسُئل بعضهم ما علامة الأولياء؟

قال: همومهم مع الله وشغلهم بالله وفرارهم إلى الله.

قال بعضهم: حال الأولياء فى الدنيا أشرف منها فى الآخرة لأنه جذب سرهم إلى سره وغيبهم عن كل ما سواه، وهم فى الآخرة كما قال: ﴿فى شغل فاكهون﴾[1].

قال سهل: الولى هو الذى توالت أفعاله على الموافقة.

سمعت أبا الحسن الفارسى يقول: سمعت محمد بن معاذ النهرجورى يقول: صفة الأولياء أن يكون الفقر كرامتهم وطاعة الله جلاوتهم، وحب الله حيلتهم، وإلى الله حاجتهم والله حافظهم، ومع الله تجارتهم وبه افتخارهم وعليه توكلهم وبه أنسهم، والجوع طعامهم والزهد ثمارهم، وحسن الخلق لباسهم، وطلاقة الوجه حليتهم وسخاوة النفس حرمتهم، وحسن المعاشرة صحبتهم، والشكر زينتهم، والذكر همتهم والرضا راحتهم، والخوف سجيتهم، والليل فكرتهم، والنهار غيرتهم، أولئك أولياء الله

(١) سورة (يس) الآية رقم (٥٥).

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قال أبو سعيد الخراز: الأولياء فى الدنيا يطيرون بقلوبهم فى الملكوت، يرتادون ألوان الفوائد والحكمة، ويشربون من عين المعرفة، فهم يفرون من فضول الدنيا، ويأنسون بالمولى ويستوحشون من نفوسهم إلى وقت موافاة رَسولِ الرَّحيلِ.

وقال أيضًا: نفوس الأولياء تذوب كما يذوب الملح فى الماء، للحفظ على أمور المولى فى مواقيتها وأداء الأمانة فى كل ساعة.

وقال أيضًا: إن نفوس الأولياء حملت قلوبهم، وقلوب الأعداء حملت نفوسهم، لأن نفوس الأولياء تحمل الأعباء فى دار الدنيا؛ طمعًا فى فراغ قلوبهم، وقلوب الأعداء تحمل أثقال نفوسهم من الشرك طمعًا فى راحة نفوسهم.

وقال بعضهم: الولى من يصبر على البلاء ويرضى بالقضاء ويشكر على النعماء.

وقال أبو يزيد: أولياء الله هم عرائس الله، ولا يرى العرائس إلا من يكون مَحْرمًا لهم، وهم مخدرون عند الله فى مجال الأنس لا يراهم أحد.

قال بعضهم: إن حال الأولياء فى الدنيا أرفع من حالهم فى الآخرة، لأن الله جذب بينهم فى الدنيا وقطعهم عن الكون وفى الآخرة يشغلهم بنعيم الجنة.

قال أبو على الجوزجانى[1]: الولى هو الفانى فى حاله، الباقى فى مشاهدة الحق وذاته، تولى الله أسبابه فتوالت عليه أنوار التولى، لم يكن له عن نفسه أخبار ولا مع أحد غير الله قرار.

وسُئل أبو حفص عن الولى، فقال: الولى من أُيد بالكرامات وغيب عنها.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [الآية: ٦٤].

قال أبو سعيد الخراز فى هذه الآية قال: هم به وله، موقوفون بين يديه، غير أن

---

(١) الشيخ المحدث الثقة القدوة، أبو عبد الله أحمد بن على بن العلاء، الجوزجانى، ثم البغدادى. ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين وسمع أحمد بن المقدام العجلى، وزياد بن أيوب وأبا عبيدة ابن أبى السفر، وطبقتهم حدث عنه: الدارقطنى، وعمر بن شاهين، وعمر بن إبراهيم الكتانى، وأبو الحسين بن جميع، وآخرون.
وكان شيخًا صالحًا بكاءً خاشعًا ثقة. مات فى ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. (سير أعلام النبلاء ١٥/٢٤٨).

الحق ممتع لهم بماله، أراهم من عظم الفوائد وجزيل الزخائر، ومما لا يقع لهم به علم، ولا علم عليه قبل حين وروده حتى يكون الحق مطالعًا على ما تريد من ذلك على حسب ما قسمه لهم، فهم فى ذلك على الأحوال شتى، فذلك قوله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

قال بعضهم: البشرى فى الدنيا هو ما وعد من رؤيته، والبشرى فى الآخرة تصديق ذلك الوعد.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَسكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [الآية: ٦٧].

قال جعل سكون الليل إلى الخلوة والمناجاة، والنهار مبصرًا ليبصروا فيه عجائب القدرة والاعتبار بالكون.

قوله ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾(١).

قال بعضهم: من يسلم سرى من قلبى، وقلبى من نفسى، ونفسى من لسانى، ولسانى من الكذب والغيبة والبهتان.

وقال بعضهم: المسلم المنقاد لأوامر الحق عليه طوعًا قوله: ﴿ويحق﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ اللهُ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الآية: ٨٢].

قال الحسين: حقق الحق بكلماته، بإظهار ما أوجد تحت الكن.

قال بعضهم: الحق على ثلاثة أوجه: حق حقٌ وهو قوله ﴿وَيُحِقُّ اللهُ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أى: كون الكون بكلماته وحق أحقه حق، وهى صفات لأنها قائمة بالموصوف، والموصوف قائم بالصفات، والحق المطلق هو الله ـ جل اسمه ـ قال تعالى: ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ [الآية: ٨٤].

سُئل إبراهيم الخواص عن قوله: ﴿فعليه توكلوا﴾ قال تنالوا السبب من الله بلا واسطة.

قوله تعالى: ﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [الآية: ٨٩].

قال ذو النون: الاستقامة فى الدعاء أن لا تغضب لتاخير الإجابة، ولا تسكن إلى

---

(١) سورة (النمل) الآية رقم (٩١).

تعجيل الإجابة، ولا تسل سواك الخصومة.

قال بعضهم: الاستقامة فى الدعاء هو رؤية الإجابة مكرًا واستدراجًا، ورؤية تأخير الإجابة طردًا وبُعدًا.

وقيل: أجيبت دعوتكما فاستقيما على دعائكما إلى أن يظهر لكما الإجابة.

وقيل: أجيبت دعوتكما فاستقيما على منهاج الصدق.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [الآية: ٩٤].

قال ابن عطاء: مما فضلناك به وشرفناك، فسل الذين يقرءون الكتاب من قبلك وهم الأعداء، كيف وجدوا وصفك فى كتبهم وكيف رأوا فيها نشر فضائلك، يدل عليه قوله حين أنزلت عليه هذه الآية: «لا أشك لا أشك».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِم كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُم كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [الآية: ٩٦ ـ ٩٧].

قال الواسطى: من لم يلحقه نور الأزل؛ لا يتبين عليه صفات الوقت، فإن صفات الوقت نتائج أنوار الأزل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِم كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُم كُلُّ آيَةٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [الآية: ١٠٠].

قال بعضهم: إذا صح له الإيمان، لا يصح إلا أن يأذن الله له بذلك فى إزالة وحرية القضاء السابق له بالإيمان على أحد إلا سعادة سابقة فى الأزل ونور متقدم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِى الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: ٩٩].

قال الواسطى: رفع المدح والذم فلا معذور ولا غير معذور ولا شقاء ولا سعادة، إنما هى إرادة أمضاها ومشيئة أنفذها وقبس آمنوا بإذن الله المتولى لإظهار الكونين، لا شريك له فلا يستغفرون ولا يفتخرون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: ١٠١].

قال بعضهم: لا تصل العقول الخالية عن التوفيق إلى سبيل النجاة، وما يغنى ضياء العقل مع ظلمة الخذلان إنما تنفع أنوار العقل من كان مؤيدًا بأنوار التوفيق وعناية الأزل، وإلا فإنه متخبط فى هلاكه بعقله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: ١٠٣].

قال بعضهم: ننجى رسلنا من مراد النفس وغفلة الوقت وغلبة الشهوة وشتات السِّرِ، والذين آمنوا بالرسل نجزيهم على مناهج الرسل، وكذلك حقًّا علينا نجاة مَن صدق فى عبوديته.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِم وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: ١٠٥].

قال ابن عطاء فى هذه الآية: صحح معرفتك ولا تكوننَّ من الناظرين إلى شىء سوى الله، فيمقتك الله، وإقامة الملَّة الحنيفية هذا هو تصحيح المعرفة.

قال الواسطى رحمة الله عليه فى قوله: ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفًا﴾ قال: لا تعتمد صلاة ولا طاعة؛ فتعمى عن سبيل الفضل والرحمة، أيَتَوهم البائس إنما صلاته مواصلة وإنما هى فى الحقيقة مفاصلة وأنى ذلك، ولا فصل ولا وصل إنما هذه الكلمات عبارات إن تركتها كفرت، وإن قصدتها بشاهدك أشركت، لأن صحة القصود تكوين المقصود وليس الشأن فى القصود، إنما الشأن فى المقصود لذلك خاطب نبيه ﷺ فقال: ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفًا﴾.

قوله تعالى ذكره ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: ١٠٦].

قال شقيق: الظالم من طلب نفعه ممن لا يملك نفع نفسه واستدفع الضر بمن لا يملك الدفاع عن نفسه، ومن عجز عن إقامة نفسه كيف تقيم غيره.

قال الله تعالى: ﴿فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِن يُرِدكَ بِخَيرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِه﴾ [الآية: ١٠٧].

قال ابن عطاء رحمة الله عليه: قطع الحق على عباده طريق الرغبة والرهبة إلا إليه بإعلامهم أنه الضار النافع.

قال جعفر: جعل الله مس الضر منوطًا بصفتك وإرادة الخير لك منوطة بصفته ليكون رجاؤك أغلب من خوفك.

قال أبو عثمان: أنت بين رجائك من ضر ونفع، وفى الحالتين جميعًا الرجوع إلى سواه سوء تدبير وقلة يقين.

قال بعضهم: الكاشف للضر على الحقيقة هو القادر على ابتلائك به، والمتفضل بالأفضال من ناب عنك فى الغيب بحسن التولية لك فى الأزل.

قوله تعالى ذكره: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [الآية: ١٠٨].

قال الواسطى رحمة الله عليه: لو وقع التفاضل بالنعوت والصفات كان الذات معلولاً ما أظهر، فإنما أظهره لك أن أجرى الإحسان عليكم فلكم بقوله ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾[1]، وإن أجر الاهتداء فلكم بقوله: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ وإن أجر الشكر عليكم فلكم بقوله ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ﴾ [الآية: ١٠٩].

قال سهل: أجرى الله فى الخلق أحكامًا وأيدهم على اتباعها بقدرته وفضله، ودلهم على رشدهم بقوله: ﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر﴾ والصبر على الاتباع وترك تدبير النفس فيه النجاة عاجلاً من رعونات النفس وأجلاً من حياة المخالفة.

وقال أبو عثمان: أصل الدين الاتباع ثم الصبر عليه من غير أن يكون ذلك فيه من عندك شىء، بل الرجوع عن جميع مالك باتباع ما ألزمته.

* * *

(١) سورة (الإسراء) الآية رقم (:٧).

(٢) سورة (النمل) الآية رقم (٢٧).

ذكر ما قيل فى سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [الآية: ١].

حكيم فيما أنزل. خبير بمن أقبل على أمره أو أعرض عنه.

قال بعضهم: أحكمت آياته فى قلوب العارفين، وفصلت أحكامه على أبدان العالمين.

قال فارس: أحكمت آياته للورعين، وفصلت أحكامه للمتقين.

وقيل: أحكمت آياته بالكرامات وفصلت بالبينات.

وقيل: أحكمت آياته بالفضل، وفصلت آياته بالعدل.

وقال الحسن: أحكمت بالأمر والنهى، وفصلت بالوعد والوعيد. حكيم فيما أنزل. خبير بمن يقوم بأمره، أو يعرض عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [الآية: ٣].

قال أبو بكر الحواشى: التوبة التى تتولد من الاستغفار أن ترفع ثوب النجس والغش والدنس.

سُئل سهل بن عبد الله عن الاستغفار. فقال: هو الإنابة ثم الإجابة، ثم التوبة ثم الاستغفار بالظاهر والإنابة بالقلب والتوبة مداومة الاستغفار من تقصيره فيها.

قال بعضهم: الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين.

وقال بعضهم: استغفروا ربكم من الدعاوى وتوبوا إليه من الخطرات المذمومة.

وقال يوسف: استغفار العامة من الذنوب واستغفار الخاصة من رؤية الأفعال ومن رؤية المنة والفضل، واستغفار الأكابر من رؤية كل شىء سوى الحق.

قوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ [الآية: ٣].

قال الواسطى رحمة الله عليه: طيب النفس وسعة الرزق والرضاء بالمقدور.

قال سهل: هو نزل الخلق والإقبال على الحق.

قال أبو الحسين الوراق فى قوله: يمتعكم متاعًا حسنًا قال يرزقكم صحبة الفقراء الصادقين.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: لا شىء أحسن على العبد من ملازمة الحقيقة وحفظ السر مع الله وهو تفسير قوله يمتعكم متاعًا حسنًا.

قال الحسين يمتعكم متاعًا حسنًا: الرضاء بالميسور والصبر على كربة المقدور.

قال محمد بن الفضل: هو طيب النفس وسعة الصدر وتمام الرزق والرضاء.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: ذو الفضل من رزق بعد الاستغفار والتوبة حسن الإنابة والإخبَات[1] مع دوام الخشوع.

قال النصرآباذى: رؤية الفضل تقطع عن المتفضل كما أن رؤية المنة تحجب عن المنان.

قال بعضهم فى قوله: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ يوصل كل مستحق إلى ما يستحقه من مجالس القربة وسمو المنزلة.

قال الجوزجانى: من قدر عليه الفضل فى السبق يوصله إلى ذلك عند إيجاده.

سئل أبو عثمان عن قوله: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ قال: يحقق آمال من أحسن ظنه به.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية: ٥].

قال فارس: يعلم ما تُسرون من أحوالكم وما تظهرون من أفعالكم وهو عالم بكم قبل أن خلقكم وأبدأكم.

قال فارس: الحركات على الجوارح والمشاهدة على الأسرار.

وقال بعضهم: يعلم ما يسرون من الإخلاص وما يظهرون من العتاب.

---

(١) الإخبات: أخبت إلى ربه أى اطمأن إليه. وروى مجاهد فى قوله ﴿وبشر المخبتين﴾ قال المطمئنين. وقيل: هم المتواضعون. وقال القراء: أى تخشعوا لربهم.
وأخبت لله: خشع، وأخبت: تواضع. والإخبات: الخشوع والتواضع. (اللسان/ مادة / خبت).

قوله عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [الآية:٦].

قيل: قرأ يوسف بن الحسين هذه الآية ثم قال: ندب الله عباده جميعًا إلى التوكل والاعتماد عليه فأبوا بأجمعهم إلا الاعتماد على عوارى ما ملكوا إلا الفقراء المهاجرين ثم جرت تلك البركة فى الفقراء الصادقين إلى من ترسم بهم من المتصوفة فأبى الخلق إلا الاعتماد على الأسباب وأبت هذه الطائفة أن تعتمد على غير المسبب وهو من أشد المناهج.

قال بعضهم: المغبون من لم يثق بالله فى رزقه بعد أن ضمنه له.

وقال بعضهم كفاك ما تحتاج إليه ولم يجعل للخلق فيه سبيلاً لتكون له بالكلية.

وقيل: يعلم مستقرها من رحم الأمهات ومستودعها من الدنيا.

وقيل: يعلم مستقرها من الدنيا ومستودعها فى دار الخلود.

وقيل: يعلم مستقرها ظاهر إسلامه ومستودعها باطن إيمانه.

وقيل: يعلم مستقرها من الخلق ومستودعها من الحق.

وقيل: مستقرها فى الطاعات ومستودعها فى الأحوال.

وبلغنى أن رجلاً قال لأبى عثمان الحيرى: من أين تأكل؟ فقال: إن كنت مؤمنًا فأنت مستغن عن هذا السؤال وإن كنت جاحدًا فلا خطاب معك ثم تلا: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ [الآية:٩].

قال أبو سعيد الخراز: من أذيق حلاوة الذكر وصفاء السر ثم نزع منه ذلك فلم تظهر عليه الاهتمام به، والذبول لفقده ولا يرى من سره مطالبة لما نزع منه من سنى المقامات والأحوال فليحكم لقلبه بالموت ولسره بالعمى عن طريق الهدى كذلك قال الله ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ وهو محل القربة ثم نزعناها منه وهو حجاب النعمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [الآية: ١٠].

لو رددنا عليه ما قبضناه منه ليقولن ذهب السيئات عنى أمنًا من مكرى وطمأنينةً إلى

الدنيا إنه لفرح بغير مفروحٍ به فخور بما لا يُفتخر به.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ [الآية: ١٥].

قال أبو بكر الوراق: حياة الدنيا هى ارتكاب الأمانى واتباع الشهوات والجولان فى ميادين الآمال والغفلة عن بَغتة الآجال وجمع ما فيها من الأموال من وجوه الحلال والحرام، وزينة الدنيا هى ما أظهر الله فيها من الأموال ومن وجوه أنواع العلائق التى أخبر الله عنها بقوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾(١).

قال بعضهم: إرادة الحياة هى كراهية الموت، وكل مريب خائف.

قال أبو حفص فى قوله ﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ قال: حياة الدنيا هى صحبة أهل الدنيا والميل إليهم والأُنس بهم. ومن أحب الدنيا فقد أحب ما أبغض الله، ومن صحب أهلها فقد مال إليهم، ومن مال إليهم فقد مال عن طريق الحق، فإن الحق مباثن للدنيا وأهلها لأنها لهو ولعب. الآية كما أخبر الله عنها فقال: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: ١٧].

سمعت أبا عثمان المغربى يقول: سمعت ابن الكاتب يقول: جاء رجل إلى الجنيد رحمة الله عليه فقال: أسألك عن شىء فى ضميرى، فقال: سل. فقال: قد سألت، فقال الجنيد: قد سألت عن كذا وكذا والجواب فيه كذا وكذا. فقال الرجل: لا. قال: بَلى ولكنك قلبت السؤال إلى كذا وكذا، والجواب فيه كذا وكذا.

قال الشيخ أبو عثمان: وهذا تفسير قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ ومن كان على البينة لا يخفى عليه سر.

وقال رويم: البينة هى الإشراف على القلوب والحكم على الغيوب.

وقال سهل فى قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ قال: هى التقى والبر.

(١) سورة (آل عمران) الآية رقم (١٤).

(٢) سورة (الحديد) الآية رقم (٢٠).

﴿ويتلوه شاهد منه﴾.

قال: هو حالة للعبد وقت ذكر الله.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: البينة حقيقة يؤيدها ظاهر العلم.

وقال النورى أبو الحسين: البينات هى التى لا تكشف أواخرها عن عثرة ولا غلط.

قال أبو بكر بن طاهر فى قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ قال: من كان من ربه على بينة كانت جوارحه وقفًا على الطاعات والموافقات ولسانه ملزوم بالذكر ونشر الآلاء والنعماء، وقلبه منور بأنوار التوفيق وضياء التحقيق، وسره وروحه مشاهد للحق فى جميع الأوقات عالم بما يبدو من مكنون الغيوب ومستورها، ورؤيته للأشياء رؤية يقين لا شك فيه، وحكمه على الخلق لحكم الحق. لا ينطق إلا بحق ولا يرى إلا الحق لأنه مستغرق فى الحق فأنى له مرجع إلا إلى الحق ولا إخبار إلا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الآية: ١٨].

قال بعضهم: المفترى على الله من اتخذ أحوال السادات بدعواه لنفسه حالاً أو أظهر عن نفسه مشاهدة ما لا يشهده أولئك يفضحهم الله فى الدنيا بكذبهم فيطلع عليهم الذين يشهدون حقائق الأشياء هؤلاء الذين كذبوا على ربهم أظهروا من الأحوال ما ليس لهم وتزينوا بالعوارى من لباس لبس السادة فهذه فضيحتهم فى مجالس أهل الحقيقة إلى أن يرجعوا إلى الفضيحة فى مشهد الحق.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية: ٢٠].

قال بعضهم كيف يستطيع السمع من لم يفتح مسامعه سماع الحق وكيف يبصر من لم يكتحل بنور التوفيق إذ لا سماع إلا عن إسماع ولا بصر إلا عن إبصار.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ [الآية: ٢٣].

قال شاه: علامات الإخبات ثلاث:

غم الإياس مع التوبة لكره العود إلى الذنوب.

وخوف الاستدراج فى إسبال الستر.

وتوقيع العقوبة فى كل وقتٍ حذرًا وإشفاقًا من العدل.

حذراً وإشفاقاً من العدل.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى والأَصَمِّ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [الآية: ٢٤].

قال أبو سليمان الدارانى: الأعمى حقًا من عمى فى آخر سفره وقد قارب المنزل فيضيع سعيه فلا استدلال ببصر ولا دليل قائد.

وقال بشر: الأعمى حقًا من عمى عن طريق رشده والأصم حقًا من صم عما أنذر به.

وقال بعضهم: البصير من عاين ما يراد به وما يجرى له وعليه فى جميع أوقاته والسميع من يسمع ما يخاطب به من تقريع وتأديب وحث وندب لا يغفل عن الخطاب فى حال من الأحوال.

وقيل: السميع من فتح سمعه باستماع ما يعنيه.

وقيل: الأعمى الذى عمى عن رؤية الاعتبار والأصم الذى منع لطائف الخطاب والبصير الناظر إلى الأشياء بعين الحق فلا ينكر شيئًا ولا يتعجب من شىء.

وقيل: السميع من يسمع من الحق فيميز بذلك الإلهام من الوسوسة.

وقال الجنيد رحمة الله عليه: الأعمى الذى عمى عن درك الحقائق.

قوله تعالى: ﴿مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِين هُم أَرَاذِلُنَا بَادِىَ الرَّأْيِ﴾ [الآية: ٢٧].

قال أبو الفرج: لم يشهد مخالفو الأنبياء والرسل منهم إلا هياكل البشرية، وعموا عن درك حقائقهم فى ميادين الربوبية واختصاصهم بما خصوا به من فناء حظوظهم فيهم وبقاء أشباحهم وهياكلهم رحمة للخلق.

فقالوا: ما نراك إلا بشرًا مثلنا: أكلا وطعمًا وشربًا، ولو لاحظوا مقامهم من الحق وقربهم منه لأخرستهم مشاهدتهم عن مثل هذا الخطاب؛ لأنهم فى مشاهد القدس.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: ٢٩].

قال أبو عثمان رحمة الله عليه فى هذه الآية: ما أنا بمعرض عمن أقبل على الله، فإن من أقبل على الله بالحقيقة أقبل الله عليه، ومن أعرض عمن أقبل الله عليه فقد أعرض عن الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ [الآية: ٣٤].

قال حمدون القصار: النصيحة لمن لم ينصح نفسه قبل سماع النصيحة بدوام الاجتهاد ومجانبة الاختلاف.

قوله تعالى: ﴿واصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الآية: ٣٧].

قال السقطي: عن نفسك تدبيرك، واصنع ما أنت صانع من أفعالك على مشاهدتنا دون مشاهدة نفسك ومشاهدة أحد من الخلق.

قال بعضهم: اصنع الفلك ولا تعتمد عليه، فإنك بأعيننا رعاية وكلأة، فإن اعتمدت على الفلك وُكِلت إليه وسقطت عن أعيننا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [الآية: ٣٧].

قال ذو النون: إن كنت قد ابتدأت فى الأزل بشيء من العناية فقد نجوت، وإلا فإن الدعاء لا ينفع الغرقى.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [الآية: ٤٠].

قال بعضهم: بالسبق قَيْدُ العواقب فمن أجرى له فى السبق السعادة كانت عاقبته إلى السعادة، ومن أجرى له فى السبق الشقاوة خُتِم له بالشقاوة.

وألسنة الأولياء والأنبياء قاصرة عن سؤال مخالفة ما جرى فى الأزل؛ لأنه حكم القاهر به وسلطان الجبار به.

قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [الآية: ٤٣].

إلا من دله على الاعتصام به، فذلك الذى يعصمه الله من أمره.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [الآية: ٤٥].

قال الحسين: لم يؤذن لأحد فى الانبساط على بساط الحق بحال؛ لأن بساط الحق عزيز وحواشيه قهر وجبروت، فمن انبسط عليه رد عليه كما رد على نوح ـ عليه السلام ـ لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾. قيل له: إن ابنك ليس هو من أهلك.

قوله تعالى: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [الآية: ٤٦].

قال القاسم: الأهل على وجهين: أهل قرابة، وأهل ملة. فنفى الله عنه أهلية الملة [الأهلية والقرابة][1].

قوله تعالى: ﴿فَلا تَسْأَلنِ ما ليس لك به علم﴾ [الآية: ٤٦].

قال بعضهم: أما علمت أنى قد أمضيت حال الشقاوة والسعادة فى الأزل، فلا رادَّ لحلمي وقضائي إنى أعظك أن تجهل تلك الأحكام.

وقال بعضهم: أما علمت أنى كافيت الخلق قبل الخلق فالاختبار على من منه الاختبار محال.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَاهِلينَ﴾ [الآية: ٤٦].

قال بعضهم: إن نوحًا لما أشرف ابنه على الغرق قال: إن ابنى من أهلى.

قال: خصصت ولدك بالدعاء دون سائر عبادى، وابنك واحد منهم.

إنى أعظك أن تكون من الجاهلين فى أن تقتضى حقك على الخصوص، وتهمل حقوق عبادى بأجمعهم.

قوله تعالى: ﴿وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين﴾ [الآية: ٤٧].

قال أبو سعيد الخراز: إن نوحًا ﷺ وهو من الصفوة وأولى العزم من الرسل نصح، وكدح لربه ألف سنة إلا خمسين عامًا ثم قال: إن ابنى من أهلى فقويت عليه، فأبكاه ذلك سنة حتى قال: وإلا تغفر لى وترحمنى، وكان دهره يطلب المغفرة من هذه الكلمة ونسى ما كدح وعنا واجتهد.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباء الغَيبِ نُوحِيها إِلَيْكَ﴾ [الآية: ٤٩].

قال الجنيد رحمة الله عليه: كشف الله لكل نبى طرفًا من الغيب وكشف لنبينا محمد ﷺ أنباء الغيب، وهو الغاية من الكشف وكان مكشوفًا له من الغيب ما لا يجوز أن يكون مكشوفًا لأحدٍ من المخلوقين؛ وذلك لعظيم أمانته وجلالة قَدْرِهِ، إذ الأسرار لا تكشف إلا للأمناء، فمن كان أعظم أمانة كان أعظم كشفًا.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِر إِنَّ العَاقِبَةَ لِلمُتَّقِينَ﴾ [الآية: ٤٩].

---

(١) الأهلية والقرابة: هكذا فى المخطوط، والجملة غير مستقيمة ولعلها: لا أهلية القرابة.

قال النصرآباذى: نجاة العاقبة لمن وسم التقوى وحلى به، قال تعالى: ﴿فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ [الآية: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [الآية: ٥٥، ٥٦].

قال الواسطى: غلب على هود عليه السلام فى ذلك الوقت الحال والوصلة والقربة فما تأكدبشىء ولا أحس به إذ هو فى محل الحضور ومجلس القربة.

وقال فى قصة لوط ﷺ حين قال: ﴿لو أنَّ لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد﴾[1]، كان نطقه نطقًا طبعيًا شاهد فى ذلك حاله، ووقته واشتغاله بهم.

وقال فى هود: ﴿فكيدونى جميعًا ثم لا تنظرون﴾ [الآية: ٥٥].

نطق عن مشاهدة لا يرى سواه.

قال بعضهم: أى كيدونى بالحق من هو فى قبضة الحق وسرادق العز، وجلابيب الهيبة والكيد لا تلحق إلا من هو أسير فى طريق المخالفة.

قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [الآية: ٥٦].

قال بعضهم: كيف يكون ذلك محل وأنت بغيرك قيامك، ويقال لذلك قال: من قال أنا فقد نازع القبضة.

قال بعضهم: فيه ذكر إبطال الدعاوى، فإن من ادَّعى حارب القدرة ونازع القبضة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ [الآية: ٦٩].

قال بعضهم: بشروا إبراهيم بأنَّ نسب الخلة ثابتة وأنها لا تنقطع.

قال بعضهم: بشروه بإخراج محمد ﷺ من صلبه، وأنه خاتم الأنبياء وصاحب لوا الحمد.

قال بعضهم: رسول الخليل إذا ورد فهو بشارة، فإذا أدَّى الرسالة فقد تم ؛ البشرى، خصوصًا إذا أدى من الخليل سلامًا الا تراه كيف ذكر: قالوا سلامًا مر الخليل، فقال: سلام من الخليل، تَمَّ به المراد.

---

(١) سورة (هود) الآية رقم (٨٠).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [الآية: ٦٩].

قال ابن عطاء: سلام لك رتبة الخلة من الزلل.

﴿قال سلام﴾: أى هذه السلامة التى توجب لى السلام من السلام.

قال الترمذى: كانت الملائكة قصدوا هلاك قوم لوط فلما رآهم الخليل ﷺ فزع منهم، فزادوا ذلك فيه، فقالوا: سلامًا، أى قد سلمت أنت وأهلك وقصدنا لهلاك الأمة العاصية، فأنت ومن معك منَّا فى سلامة وسلام، فقال سلام ـ الحمد لله الذى أمَّننى وأهلى من الهلاك.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [الآية: ٦٩].

قال بعضهم: من آداب الفتوة إذا ورد الضيف أن يُبدأ أولاً بإكرامه فى الإنزال ثم يثنيه بالطعام ثم بالكلام ألا ترى الخليل عليه السلام كيف بدأ بالطعام بعد السلام، فقال: فما لبث أن جاء بعجل حنيذ، وهو تعجيل ما حضر والتكلف بعد ذلك لمن أحب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُم لا تَصِلُ إليه نكرهم﴾ [الآية: ٧٠].

سمعت غير واحد من أصحابنا يحكون عن البوشنجى أنه قال: من دخل هذه الدويرة ولم يبسط معنا فى كسرةٍ أو فيما حضر فقد جفانى غاية الجفاء.

سمعت أبا بكر بن إبراهيم يقول: سمعت أبا جعفر بن عبدوس يقول: من أشبع من طعام العقد أو الفتيان فقد أظهر كبره.

وقيل فى قوله: نكرهم: نكر أخلاقهم، مما تبين فيهم من الخير.

قوله تعالى: ﴿رَحمَةُ الله وبَرَكَاتُهُ عَلَيكُمْ أَهْلَ البَيْتِ﴾ [الآية: ٧٣].

قال بعضهم: بركات أهل البيت من دعوات الخليل، ودعوات الملائكة وأمر النبى ﷺ بالدعاء له فى الصلاة فى قوله: كما باركت على إبراهيم، فبارك علينا، فأنا من أهل بيته وأولاده.

قوله تعالى: ﴿فلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ البُشْرَى﴾ [الآية: ٧٤].

قال بعضهم: ذهب عنه روع ما يجده فى نفسه من تنزههم عن طعامه، وعلم أنهم الملائكة، وجاءته البشرى بالسلام من الله لَمَّا فرغ من قضاء حق الضيف ولقى البشرى رجع إلى حد الشفقة على الخلق والمجادلة عنهم، يجادلنا فى قوم لوط: الرحمة التى

جبله الله عليها.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ...﴾ [الآية: ٨٠].

من نفسى لمنعتكم عن معصية ربى، ولكن ألتجئ إلى من يقدر على منعكم منه وصرفكم عنه وهو الحق ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية: ٨٠].

قيل: آوى إلى حصن حصين، وأمنع حرز، وهو القادر على ذلك كله.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول فى هذه الآية قال: لو أنَّ لى بكم قوة لو أن المعرفة بيدىَّ لأوصلتها إليكم.

قال بعضهم: لو أن لى جرأة على الدعاء لدعوت عليكم، أو آوى إلى ركن شديد: من علم الغيب بما أنتم صائرون إليه من سعادة أو شقاوة.

وحكى الشبلى أنه قال فى هذه الآية: لو أن النجاة بيدىَّ، وكنت أقوى على هدايتكم لعملت فيها وأصل إلى المعدن الذى تتفصل منه المعرفة لأوصلتكم إليه.

قال الواسطى فى قوم لوط ﷺ: ﴿لو أن لى بكم قوة﴾ وقول هود: ﴿فكيدونى جميعًا ثم لا تنظرون﴾.

قال: لوط نطق نطق طبعٍ، وهود عليه السلام نطق عن مشاهدة، لا يرى غيره، ومن عتقته الموارد عن أماكنها هو أدفع ممن أعتقته الشواهد والأعراض.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [الآية: ٧٩].

قال الجنيد رحمة الله عليه: سمعت السرى رحمة الله عليه يقول: رأيت رب العزة فى المنام، فقال يا سرىُّ خلقت الخلق، وخلقت الدنيا، فذهب مع الدنيا تسعة أعشار الخلق، وبقى معى العشر، ثم خلقت الجنة، فذهب مع الجنة تسعة أعشار ما بقى، وبقى معى منهم العشر، ثم سلطت عليهم البلاء ففر من البلاء تسعة أعشار ما بقى، وبقى عشر العشر، فقلت: ماذا تريدون لا الدنيا أردتم، ولا الجنة طلبتم، ولا من البلاء فررتم، فأجابونى. فقالوا: إنك تعلم ما نريد. قال: فإنى أنزل عليكم من البلاء ما لا يطيق له الرواسى. فقالوا: ألست أنت الفاعل بنا فقد رضينا[1].

---

(١) قلت: إن هذا مناف لسنن الأنبياء حيث قال أيوب عليه السلام حين ابتلاه الله ﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [الآية: ٨١].

لذلك حكى عن السرى رحمة الله عليه أنه قال: قلوب الأبرار لا تعتمل الانتظار.

قال بعضهم: انتظار ما هو كائن قريب خصوصًا إذا كان ذلك من خير صدق وموعد حق.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الآية: ٨٢].

قال بعضهم: ما أدركتم الحكم السابق الجارى فى الأزل عليهم قلبنا بهم أرضهم، كما حكمنا عليهم بتقليب قلوبهم وصرفهم عن طريق الحق، وسبيل الرشاد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [الآية: ٨٣].

قال محمد بن الفضل: ما أصاب قوم لوط ما أصابهم إلا بالتهاون بالأمر، وقلة المبالاة، وارتكاب المحارم بالتأويلات.

قال الله تعالى: ﴿وما هى من الظالمين ببعيد﴾ أى ما العذاب ممن عمل ما عملوا من تخطى الشرع، والتهاون بالأمر وارتكاب المناهى بالتأويلات ببعيد، والظالم من وضع ما أمر به غير موضعه، إذ ليس كل مترسم بالطاعة مطيعًا حتى يحفظ أوقات الطاعة باتباع الأمر ممن فرط فى ذلك، أو تخطى أوقات الأوامر صار فى درجة العصاة التى قال الله: ﴿وما هى من الظالمين ببعيد﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: ٨٤].

قال بعضهم: أقرب حال إلى الاستدراج الأمن والدعة، وتواتر النعم عليك وترادف الخيرات عندك، ألا ترى الله يقول حاكيًا عن بعض أنبيائه لأمته: ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾.

قال بعضهم: إنى أراكم بخير أى بنعمةٍ من الله، وإنى أخاف عليكم تقصيركم فى شكر النعمة.

قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: ٨٦].

قال بعضهم: ما ادخره الله لكم من كراماته خير مما تسألونه فيه.

= وفى الشريعة الإسلامية أن الإنسان إذا ابتلى دعا الله عز وجل بكشف البلاء وكان النبى ﷺ يقول: «اللهم إنك تحب العفو فاعفو عنا».

وقيل: فضله القديم عليكم مما تستجلبونه بأعمالكم إن كنتم مؤمنين.

وقال بعضهم: مؤمنين: موقنين أن اختيار الحق للعبد خير من اختياره لنفسه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [الآية: ٨٨].

قال أبو عثمان: ليس بواعظ من كان واعظًا بلسانه دون عمله، وليس بحكيم من لم تكن أفعاله أفعال الحكماء، وإنما الحكيم من يكون حكيمًا فى نطقه، حكيمًا فى فعله، حكيمًا فى جميع أحواله، وإلا فإنه يقال: ناطق بالحكمة.

وقيل: إن الله عز وجل أوحى إلى عيسى ﷺ يا عيسى عظ نفسك، فإن اتعظت، وإلا فاستحى منى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [الآية: ٨٨].

قيل فيه: مرادى صلاحكم إن ساعدكم التوفيق، ولا أستطيع أنا ذلك لكم إلا بمعونة من الله لى عليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِى إِلا بِاللهِ﴾ [الآية: ٨٨].

قال النهرجورىّ: التوفيق حسن عناية سيق إلى العبد ليس فيه سبب ولا منة إليه طلب.

قال بعضهم: التوفيق هو الدليل الذى يدل على سبيل الحق، ويبعد عن نهج الباطل، وسلوكه، وهو أن يوصل إلى العبد ما جرى له فيه من العناية فى الأزل.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الآية: ٨٨].

قال الجنيد رحمة الله عليه: التوكل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة الفاقة، ولا نزول عن حقيقة الشكور إلى الحق. مع وقوفك عليها.

قال بعضهم: التوكل: ترك رؤية التوكل وإسقاط رؤية الوسائط، والتعلق بأعلى الوثائق.

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: التوكل: أن تستوى عندك أفخاذ السباع، والمتكأ على الجشايا.

قال ابن عطاء فى قوله: «وإليه أنيب»: قال إليه أرجع عن جميع ما لى وعلىَّ، وأن لا أعتمد سواه.

قال بعضهم: الإنابة: هى الرجوع عن جميع ما له، ثم إذا صح له هذا يكون مرجعه منه إليه، فبقى مستهلكًا فى مشاهدة المرجوع، فلا يكون له رجوع ولا ثبوت.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [الآية: ٩٠].

قال محمد بن الفضل: من لم يكن ميراث استغفاره تصحيح توبته، كان كاذبًا فى استغفاره، ومن لم يكن ميراث توبته تصحيح محبته، كان...

قال الشبلى: ما من حرف من الحروف إلا وهو يسبح الله تعالى بلسان، ويذكره بلغة لكل لسان منها حروف، ولكل حرف لسان، وهو سر الله تعالى فى خلقه الذى تقع زوائد الفهوم وزيادات الأذكار.

قال حارث المحاسبى: إن الله تعالى لَمَّا خلق الأحرف، دعاها إلى الطاعة، فأجابت على حسبما جلاها الخطاب، وألبسها، وكانت الحروف كلها على صورة الألف. إلا أن الألف بقيت على صورتها وجليتها التى ما ابتدئت.

* * *

[سورة الرعد]

قوله عز وجل: ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ [الآية: ٢].

قال ابن عطاء: يدبر الأمور بالقضاء السابق، ويفصل الآيات بالأحكام الظاهرة لعلكم تتيقنون إن الذى يجرى عليكم هذه الأحوال لابد لكم من الرجوع إليه.

قوله عز وجل: ﴿وهو الذى مدَّ الأرض وجعل فيها رواسى﴾ [الآية: ٣].

قال بعضهم: هو الذى بسط الأرض وجعل فيها أوتادًا من أوليائه، وسادة من عبيده، فإليهم الملجأ، وبِهم الغياث فمن ضرب فى الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومن كان سعيه لغيرهم خاب وخسر[1].

سمعت على بن سعيد يقول: سمعت أبا محمد الجريرى يقول: كان فى جوار الجنيد إنسان مصاب فى حربة، فلما مات الجنيد، وحملنا جنازته، فلمَّا رجعنا تقدم خطوات، وعلا موضعًا عاليًا، واستقبل بوجهه، وقال: يا أبا محمد أنِّى أرجع إلى تلك الحربة وقد فقدت ذلك السيد، ثم أنشأ يقول: وا أسفى من فراق قوم هم المصابيح والحصون والمدد والمزن والرواسى والخير والأمن والسكون لم تتغير لنا الليالى حتى توفتهم المنون فكل جفن لنا قلوب وكل ماء لنا عيون.

قوله عز وجل: ﴿إن فى ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون﴾ [الآية: ٣].

قال بعضهم: الفكرة تصفية القلوب لموارد الفوائد.

قال أبو عثمان: الفكرة استرواح القلب من وساوس التدبير.

---

(١) هذا أمر خطير، وظاهره شرك بيِّن عظيم، فإن الملجأ والمنجا إلى الله وحده لا شريك له والاستغاثة والاستعانة بالله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾. وقال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...» الحديث. ونهى النبى ﷺ عن شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة.

وعجبًا لهذا الكلام فهو أكفر من مشركى مكة حيث أنهم كانوا يعبدون الله مع وجود واسطة بينهم وبين الله، فكانوا حين يسألون عن عبادتهم للأصنام يقولون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. ثم كانوا يلجأون إليه عند الاضطرار.

قال ابن عطاء: التبصرة لمن تفكر فى ابتداء الخلق، وانتهائهم، ومصير كلهم إلى الفناء، ودوام البقاء للأحد الصمد.

قوله عز وجل: **﴿يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل﴾** [الآية: ٤].

قال الواسطى: لم تتلون الإرادات، وتلونت المرادات كما تلونت الأشجار والأثمار ولم تتلون المياه التى سقت الأشياء المختلفات كذلك العلم بالأشياء لا يتلون وتتلون المعلومات فمن قال كيف فهو الضيق القدرة عنده وعلة تلوين المحدثات لعلة إثبات الربوبية واقتدائها، ولئلا يسبق إلى الأوهام أن شيئًا من الكون بغير إرادته الموت، والحياة والظلمة والضياء ولم تتلون الإرادة كذلك ما أراد من الكفر والإيمان.

قوله تعالى: **﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾** [الآية: ٤].

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «العاقل من عقل عن الله أمره».

سمعت القاضى يقول: سمعت أبا على البنوى يقول: قال أبو بكر الواسطى: العقل ما عَقَّلَكَ عن المخازى.

قال أبو عثمان: العاقل من وفق لملازمة طريق رشده ومنع عن اتباع غيّه.

سئل أبو حفص عن العاقل، فقال: من أعرض عمًّا لا يعنيه واشتغل بما يعنيه.

قوله تعالى: **﴿وإن تعجبْ فعجب قولهم﴾** [الآية: ٥].

قال الجنيد: ذهب العجب بقوة سلطان العجب، وكل العجب من العجب أن لا عجب.

قال الله تعالى: **﴿وإن تعجب فعجب﴾**.

قال الترمذى: ليس العجُب من العجَب، العجَب ممن يتعجب إذ لا عجب.

قوله عز وجل: **﴿إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾** [الآية: ٦].

قال بعضهم: إن ربك ليستر على أودائه ما أظهروا من المخالفات، ومن ظلمهم أنفسهم باتباع هواها، والسعى فى موافقة رضاها.

قال أبو عثمان: إنما يرجو المغفرة من الله من يرتكب الذنوب على خطر وخوف وحذر، لا من يقتحم فيها من غير مبالاة.

قوله عز وجل: **﴿إنما أنت منذر﴾** [الآية: ٧].

قال ابن عطاء: إنما أنت مخبرٌ عنَّا بصدق ما أكرمناك به من القرب، والزلف.

قال بعضهم: أنت المبلغ، والتوفيق يوصلهم إلى الهداية.

قوله عز وجل: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ [الآية: ٨].

قال الحسين: كل ربط يحده، وأوقف مع وقته فلا يجاوز قدره، ولا يعدو طوره.

قال بعضهم: وكل شيء يوزن ومن لم يزن نفسه، ولم يطالع أنفاسه فهو فى حيز الغافلين، ومن لم يعرف مقداره وقدر عظيم النعمة عليه، أعجب بنفسه، أو بما يبدو منه.

قوله عز وجل: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [الآية: ٩].

قال ابن عطاء: العالم على الحقيقة، من يكون الشاهد والغائب عنده سواء فى العلم لا بأن يستدل، والعالم على الحقيقة هو الحق جل وعلا، الكبير فى ذاته المتعالى فى صفاته.

قال بعضهم: عالم بما غيَّب فيك مما لا تعلمه من نفسك قبل أن يبديها أو يظهره وعالم بما يبدو من أفعالك على أى نية تعملها.

قال جعفر: فى قوله: الكبير المتعال: كبير فى قلوب العارفين مَحَلَّهُ فصغر عندهم كل ما سواه وتعالى أن يتقرب إليه إلا بصرف كرمه.

قوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ [الآية: ١٠].

قال النصرآباذى: سواء منكم من أسرَّ: ما أودعنا فيه لطائف برِّنا وكتم إشفاقًا عليه أو أظهره ونادى عليه سرورًا ومحبة له، فإنهما جميعًا من أهل الأمانة فى محل اليقظة.

قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [الآية: ١١]

قال بعضهم: المحفوظ بالأسباب محفوظ بالمسبب وأمره فالعلماء رأوا السبب والعارفون رأوا المسبب.

قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾.

قال ابن عطاء: الأسباب تحفظك من أمره فإذا جاء القضاء خلا بينك وبينه وكيف يكون محفوظًا من هو محفوظ من حافظه، والمحفوظ بالحقيقة من هو محفوظ بالحافظ لا محفوظ من الحافظ.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: ١١].

قال الصادق: لا يوفقهم لتغيير أسرارهم ولا يغير عليهم أحوالهم ولو وصفهم لتغيير أحوالهم، أسرارهم ومشاهدة البلوى، لذلوا وافتقروا فنالوا به النجاة.

قال النصرآباذى: لكل قوم تغيير وتبديل لكن لا يناقش العوام على ما يناقش عليه أهل الصفوة.

وقال بعضهم: غيروا ألسنتهم عن حقائق ذكره فغير قلوبهم عن لطائف بره، وغيروا أنفسهم عن معانى العبودية فغير قلوبهم عن دلائل الربوبية.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الآية: ١١].

قال القاسم: إذا أراد هلاك قومٍ حَسَّنَ فى أعينهم موارد الهلاك حتى يمشون إليه بأرجلهم وتدبيرهم، وهو الذى أتى بهم.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الآية: ١٢].

قال ابن عطاء: خوفًا للمسافر، وطمعًا للمقيم.

قال ابن البرقى: يريكم أنوار محبته، فبين خائفٍ من استناره وطامعٍ فى تخليه.

قال أبو على الثقفى: ورود الأحوال على الأسرار عندى كالبرق لا يمكث بل يلوح، فإذا لاح فربما أزعج من خائف خوفه، وربما جرى من محب حبه.

قال أبو بكر بن طاهر: خوفًا من اعتراض الكدورة فى صفاء المعرفة، وطمعًا فى الملامة فى إخلاص المعاملة.

قال أبو يعقوب الأبهرى: خوفًا من القطع والافتراق وطمعًا فى القرب والإتيان.

وقال بعضهم: خوفًا من عقابه وطمعًا فى ثوابه.

قوله عز وجل: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الآية: ١٣].

سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: سمعت ابن الريحانى يقول: الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم.

قوله عز وجل: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الآية: ١٤].

قال ابن عطاء: أصدق الدواعى دواعى الحق فمن أجاب داعى الحق بلغه إليه الحق،

ومن أجاب دواعى النفس رمى به إلى الهلاك.

قال الجنيد: داعى الحق، داعى رشد لا يقع للشيطان فيه يد ولا يكون للنفس فيه نصيب وداعى الحق إذا برت، أبرت أنوار الحق فلا يبقى على المدعو ريب ولا شك بحال.

قال بعضهم: داعى الحق من يدعو بالحق إلى الحق.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلَالٍ﴾ [الآية: ١٤].

قال جعفر: من دعا بنفسه فإلى نفسه دعا وهو الكفر والضلال وذلك محل الخيانة والإسقاط من درجات أهل الأمانة فإن الدواعى تختلف: داع بالحق، وداع إلى الحق، وداع إلى طريق الحق كل هؤلاء دعاة يدعون الخلق إلى هذه الطرق لا بأنفسهم وهذه طرق الحق وداع يدعو بنفسه فإلى أى شىء دعا فهو ضلال.

قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الآية: ١٥].

قال الجنيد: العارف طوعًا، والمعرض كرهًا.

وقال إذا نزلته المصائب ذل، وإذا جاءه الرجاء مل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الآية: ١٦].

قال أبو عثمان: لا يستوى من حل بنور التوفيق وهدى لطريق الخدمة ومن عمى عنها وحرم رؤيتها أم هل يستوى من هو فى أنوار التوفيق مع من هو فى ظلمات التدبير.

قال أبو حفص: الأعمى حقًا من يرى الله تعالى بالأشياء، ولا يرى الأشياء بالله تعالى والبصير من يكون نظره من ربه إلى المكونات.

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الآية: ١٧].

قال الواسطى: خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها بعين الجمال فزابت منه حياءً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ فصفاء القلوب من وصول الماء إليه وحياء الأسرار من نزول ماء ذلك المشرب.

قال ابن عطاء: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية﴾ هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للعبد

كما أنه إذا سال السيل فى الأودية، لم يبق فى الأودية نجاسة إلا كنسها وذهب بها، كذلك إذا سال النور الذى قسم الله تعالى للعبد فى نفسه لا يبقى فيه غفلةٌ ولا ظلمة **﴿أنزل من السماء ماء﴾** يعنى قسمة النور **﴿فسالت أودية بقدرها﴾** يعنى فى القلوب الأنوار على ما قسم له فى الأزل، **﴿فأما الزبد فيذهب جفاءً﴾** فبذلك النور يصير القلب منورًا فلا يبقى فيه جفوة، **﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض﴾** فذهب البواطيل وتبقى الحقائق.

قال بعضهم: **﴿أنزل من السماء ماء﴾**: أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه، ونصيبه فكل قلب مؤيد بنور التوفيق، أضاء فيه سراج المعرفة، وكل قلب زين بنور الهدى أضاء فيه أنوار المعرفة، وكل قلب قيد بنور المحبة، أضاء فيه لهيب الشوق وكل قلب عمى بلهيب الشوق أضاء فيه أنس القرب، كذلك القلوب تتقلب من حالة إلى حالة حتى تستغرق فى أنوار المشاهدة، أخذ كل قلب بحظه، ونصيبه إلى أن تبدو الأنوار على الشواهد من فضل نور السر.

قوله عز وجل: **﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسُ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ﴾** [الآية: ١٧].

قال ابن عطاء: ما كان من الأحوال صدقًا. ثبت فى القلوب بركاتها، وما كان من غير ذلك فإنه لا يبقى فيه خير.

قال الواسطى: فى قوله تعالى: **﴿أنزل من السماء ماء﴾** هو القرآن فى صرف الكرم والفضل **﴿فاحتمل السيل زبدًا رابيًا﴾** رؤيتك الأعمال، وصولتك بها على جيرانك، **﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾** عند أهل التوحيد، **﴿وأما ما ينفع الناس﴾** وهو اليقين، وهو ما سال من الله عليه من صرف الكرم فيبقى عليه.

قوله عز وجل: **﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾** [الآية: ١٩].

قال السَّيارى: ليس من استدل عليك بربه كمن يستدل بك على ربه وليس من تحقق بما أنزل إليك من جهة الحق، كم تحققه من جهته، وليس من شاهد جريان الأشياء فى الأزل كمن شاهده فى وقت ظهوره.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ ولاَ يَنقُضُونَ المِيثَاقَ﴾ [الآية: ٢٠].

قال بعضهم: الموفون بالعهد هم القائمون له بشرط العبودية من اتباع الأمر والنهى.

قال ابن عطاء: لا ينقضون ميثاق الأزل فى وقت، بلى أنه لا رب لهم غيره ولا يخافون غيره، ولا يرجون سواه، ولا يسكنون إلا إليه.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنَ يُوصَلَ﴾ [الآية: ٢١].

قيل: هم الذين وصلوا أوقاتهم بالطاعات ووقفوا عند الحدود فلم يجاوزوها.

قال ابن عطاء: الذين يُديمُون على شكر النعمة ومعرفة مِنَّة المنعم بدوام النعمة إليهم، وإيصالهم بهم.

قال بعضهم: هم المتحابون فى ذات الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾ [الآية: ٢١].

قال الواسطى: الخشية منه، حقيقة الخوف منه، ومن غيره.

قال الله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾.

قال بعضهم: الخشية هى مراقبة القلب أن لا يطالع فى حال من الأحوال، غير الحق فيمنعه.

قال ابن عطاء: الخشية سراج القلب، والخوف أدب النفس.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: ٢٢].

قال أبو عثمان: صبروا عن المناهى أجمع، لا لخوف النّار بل لسبب النهى، وحرمة عظمة الناهى.

قال بعضهم: صبروا عن جميع مراداتهم وخالفوا النفس فى اتباع الشهوات حفظا لحدود الله تعالى عليهم.

قال بعضهم: هذا مقام المريدين، أمروا أن يصبروا على إراداتهم، وعلى ما يلحقهم من الميثاق، ولا يطلبوا الرفاهية ولا يرجعوا إليها، ويكون ذلك ابتغاء لحقيقة تصحيح الإرادة.

قوله عز وجل: ﴿سَلاَمٌ عَلَيكُم بِمَا صَبَرتُم﴾ [الآية: ٢٤].

قال ابن عطاء: صبروا على ما أمروا به من الطاعات، وصبروا عما نهوا عنه من المعاصى فقال الله تعالى لَهُم على لسان السفراء الصادقين: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبرتُم﴾.

قال بعضهم: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبرتُم﴾ معنا عما لنا.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ الله مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِه﴾ [الآية: ٢٥].

قال القاسم: نقض العهد هو الخروج من العبودية والدخول فى الربوبية.

قال بعضهم: نقض العهد هو لزوم التدبير والاختيار وترك التفويض والتسليم بعد أن أخبرك أن ليس لك من الأمر شىء.

قال أبو القاسم الحكيم: نقض العهد هو السكون إلى غير مسكون إليه والفرح إلى غير مفروح به.

قوله عز وجل: ﴿وَفَرِحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنيا﴾ [الآية: ٢٦].

قال الواسطى: الدنيا مدرة ولك منها غبرة فمن أسرته غبرة فهو أقل منها، ومن ملكه جناح بعوضة أو أقل فذلك قدره.

وقال أيضًا: لا تدعوا الدنيا فتغرقكم فى بحارها، وغَرِّقوها فى بحر التوحيد حتى تجدوا منها شيئًا.

قال بعضهم: أخبر الله تعالى عن الدنيا أنها فى الآخرة متاع، والآخرة أقل خطر فى جنب الحقيقة من خطر الدنيا، فى جنب الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ الله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الآية: ٢٧].

قال بعضهم: يُضل من قام بنفسه، واعتمد عليها عن سبيل رشده ويهدى إلى سبيل رشده، من رجع إليه فى جميع أموره، وتبرأ من حوله وقوته.

قال جعفر: يضل عن إدراكه ووجوده من قصره بنفسه، ويهدى أى يوصل إلى حقائقه من طلبه.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطمَئِنُّ قُلُوبُهم بِذِكْرِ الله أَلا بِذِكْرِ الله تَطمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ [الآية: ٢٨].

قيل فى هذه الآية: القلوب على أربعة أنحاء: قلوب العامة، اطمأنت بذكر الله وتسبيحه وحمده والثناء عليه لرؤية النعمة والعافية، وقلوب الخاصة، اطمأنت بذكر الله

وتسبيحه وذلك فى أخلاقهم، وتوكلهم، وشكرهم، وصبرهم فسكنوا إليه، وقلوب العلماء، اطمأنت بالصفات والأسامى والنعوت، فهم يلاحظون ما يظهر بها ومنها على الدهور، وأما الموحدون كالغرقى لا تطمئن قلوبهم بحال وكيف يطمئن بذكر من جهلوه، أم كيف يطمئن بذكر من لم يؤمنهم بل خوفهم وحذرهم.

قال إبراهيم الخواص: تفرَّق الناس فى الحالتين، فمن دامت حركته وسعيه، كان موصوفًا بنفسه لغلبات شواهد نفسه عليه، لقوله: **﴿وكان الإنسان عجولاً﴾**[1].

ومن دام سكونه كان موصوفًا بالحق لغلبات شواهد الحق فى سكينته لقوله: **﴿ألا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾** [الآية: ٢٨].

قال الحسين: من ذكره الحق بخير فى أزله، اطمئن إليه فى أبده.

قال النهرجورى[2]: قلوب الأولياء مواضع المطامع فهى لا تتحرك، ولا تتزعج بل تطمئن خوفًا من أن يرد عليه مفاجأة مطالعه، فيجده مترسمًا بسوء الأدب.

قال الواسطى: هم فيها على أربعة ضروب، فالأول للعامة، لأنها إذا ذكرته ودعته اطمأنت إلى ذكرها، فحظها منه الإجابة للدعوات، والثانية أطاعته وصدقته ورضيت عنه فهم مربوطون فى أماكن الزيادات قد اطمأنت قلوبهم إلى ذلك فكانوا ممزوجى الملاحظة بشواهدهم، ومفسدى الطبائع برؤية طاعاتهم، والثالثة أهل الخصوص الذين عرفوا الأسماء والصفات، وعرفوا ما خاطبهم الله تعالى به فاطمأنت قلوبهم بذكره لها، لا بذكرهم له وبرضاه عنها، لا برضاهم عنه.

والرابعة: خصوص الخصوص وهم الذين كشف لهم عن ذاته وعلمهم علم صفاته فادرج لهم الصفات فى الذات وأراهم إنه إنما تعرف إلى الحق بإقرارهم وعلمهم أخطارهم فعلموا أن سرائرهم لا تقدر أن تسكن إليه، ولا يطمئن به. ومن كانت الأشياء في سره كذلك، إذا ما يسكن ويطمئن فلا تجد قلبه، الطمأنينة لقدر المطمئن إليه كلما عادت الزيادة عليه رآها حجابًا لا يستقطع بالبر والنعم لأنها حجاب مستور وهباء

---

(١) سورة (الإسراء) الآية رقم (١١).

(٢) النهرجورى: هو أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجورى الحنفي وعمرو بن عثمان المكى وأبو يعقوب السوسى وغيرهم من المشايخ اقام بالحرم مجاوراً سنين كثيرة ومات سنة ثلاثين وثلثمائة. الطبقات الكبرى للشعرانى (١/ ٩٥).

ونثور، فإن عزمت على الدخول فى هذا المقام فاحتسب نفسك وأعظم الله أجرك.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

قال ابن عطاء: الذين صدقوا ما ضمنت لهم من الرزق والعمل الصالح ما كان بريئًا من الشرك والرياء والعجب.

قوله عز وجل: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾.

قال الجنيد: بالله قامت الأشياء وبه فنيت وبتجلّيه حسنت المحاسن وباستتاره قبحت وسَمُجت.

قال محمد بن الفضل: لا تغفل عمن لا يغفل عنك وراقبه وكن حذرًا.

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية: ٣٣].

قوله عز وجل: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ [الآية: ٣٣].

قال بعضهم: زين الله تعالى طرق الهلاك فى عين من قدر عليه الهلاك، فيراه رشدًا ليوصله إلى المقضى عليه من الهلاك.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾.

قال أبو زيد: اجتنب مكر النفس وأثبته له، فإنه أنقى من كل ما فيه، هو الذى أهلك من هلك.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيهِ أَدْعُو﴾ [الآية: ٣٦].

سُئل أبو حفص. عن العبودية؟ فقال: ترك كل ما لك وملازمة ما أمرت به.

سُئل محمد بن الفضل: عن صفة العبد، فقال «ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لا يقدر على شىء» فمن وجد من نفسه قوة وقدرة فليعلم أنه بعيد من الأمر.

قال أبو عثمان: العبودية اتباع الأمر على مشاهدة الأمر.

قال بعضهم: العبد الذى لا مراد له، ويكون مستغرقًا فى مراد سيده فيه.

قال ابن عطاء أو الجنيد: لا يرتقى أحد فى درجات العبودية حتى يحكم فيما بينه وبين الله تعالى، أوائل البدايات، وأوائل البدايات هى الفروض الواجبة والأوراد الزكية، ومطايا الفضل وعزائم الأمر، فمن أحكم على نفسه هذا مَنَّ الله تعالى عليه بما بعده.

سُئل سهل: متى يصح للعبد مقام العبودية؟

قال: إذا ترك تدبيره ورضى بتدبير الله تعالى فيه.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية: ٣٧].

قال بعضهم: أحكام العرب السخاء والشجاعة، وهما من عُرى الإيمان، وقيل فى قوله: ﴿حُكْمًا عربيًا﴾ هذا مقدم ومؤخر، أى أنزلناه عربيًا بلسانهم إذ كانوا هم المخاطبين به حكمًا، أى مبينًا فيه الحلال والحرام.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قبلك وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ [الآية: ٣٨].

فلم يشغلهم ذلك عن القيام بأداء الرسالة، ونصيحة الأمة وإظهار شرائع الدين.

قوله عز وجل: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الآية: ٣٨].

قال جعفر: للرؤية وقت.

قال ابن عطاء: لكل علم بيان، ولكل بيان لسان، ولكل لسان عبارة، ولكل عبارة طريقة، ولكل طريقة أهل فمن لم يميز بين الأحوال فليس له أن يتكلم.

قوله عز وجل: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الآية: ٣٩].

قال الواسطى: منهم من جَدَّ بهم الحق ومحاهم عن نفوسهم بنفسه وقال: «يمحُو الله ما يشاء ويثبت» فمن فنى عن الحق بالحق لقيام الحق بالحق فنى عن الربوبية فضلاً عن العبودية، وقيل: يمحُو الله ما يشاء من شواهد العبد حتى لا يكون على سره غير ربه، ويثبت من يشاء فى ظلمات شاهده حتى يكون غائبًا أبدًا عن ربه.

وقال ابن عطاء: ﴿يمحُو الله ما يشاء﴾ عن رسوم الشواهد، والأعراض، وكلما يورد على سره من عظمته وحرمته وهيبته ولو غاب أنواره، فمن أثبته فقد أحضره ومن محاه فقد غيبه، والحاضر مرجوعه لا يعدوه.

قال الواسطى: يمحوهم عن شاهد الحق ويثبتهم فى شواهدهم ويمحوهم عن شواهدهم، ويثبتهم فى شاهد الحق، ويمحو رسوم نفوسهم عن نفوسهم، ويثبتهم برسمه.

قال ذو النون: العامة فى قصص العبودية إلى أبد الأبد، ومنهم من هو أرفع منهم

درجة، غلبت عليهم مشاهدة الربوبية ومنهم من أرفع منهم درجة جد بهم الحق ومحاهم عن نفوسهم وأثبتهم عنده، لذلك قال: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾.

قال سهل: يمحو الله ما يشاء ويثبت الأسباب، وعنده أم الكتاب القضاء المبرم الذى لا زيادة فيه ولا نقصان.

قال محمد بن الفضل: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ من نسخ محكم الشرائع وإثباتها، وقال أيضًا: يمحُو الإيمان من سرّ من يشاء، ويثبته فى سر من يشاء.

قال ابن عطاء: يمحُو الله أوصافهم ويثبت أسرارهم لأنه موقع المشاهدة.

سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: سمعت الشبلى يقول فى قوله: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال: يمحو ما يشاء من شهود العبودية، وأوصافها، ويثبت ما يشاء من شهود الربوبية ودلائلها.

وقال سهل: يمحو الله ما يشاء من الأسباب ويثبت الأقدار.

قال بعضهم: يمحو الله ما يشاء يكشفه عن قلوب أهل محبته إخوان الشوق إليه، ويثبت بتجلّيه لها، السرور والفرح به.

وقال بعضهم: يمحو الله من قلوب أعدائه آثار حكمته وأنوار بره، ويثبت فى قلوب أوليائه ما أجرى عليها من معرفة نعوته، فهم المقدمون فى الأوقات والقائمون بحقوق الله تعالى من غير كلفة ولا شك.

سمعت منصور بن عبد الله: يقول: سمعت أبا القاسم السكندرى يقول: سمعت أبا جعفر الملطى يقول عن على بن موسى الرضا عن أبيه: عن جعفر بن محمد قوله: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال: يمحو الكفر ويثبت الإيمان، ويمحو النكرة ويثبت المعرفة، ويمحو الغفلة ويثبت الذكر، ويمحو البغض ويثبت المحبة، ويمحو الضعف ويثبت القوة، ويمحو الجهل ويثبت العلم، ويمحو الشك ويثبت اليقين، ويمحو الهوى ويثبت العقل على هذا الشق ودليله ﴿كل يوم هو فى شأن﴾[1] محو أو إثبات.

قوله عز وجل: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الآية: ٣٩].

قال جعفر: الكتاب الذى قدر فيه الشقاء والسعادة فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ﴿ما

(١) سورة (الرحمن) الآية رقم (٢٩).

يبدل القول لدىّ﴾[1] والأعمال، أعلام فمن قدَّر له السعادة ختم له بالسعادة، ومن قدَّر عليه الشقاوة ختم له بها.

قال النبى ﷺ: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون ما بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه، وبينها إلا ذراع، فيختم عليه الكتاب السابق فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[2].

قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾** [الآية: ٤١].

قال محمد بن على: يخرب الأرضين بذهاب أهل الولاية من بينهم فلا يكون لهم مرجع إلىَّ، ولى فى نوائبهم ومحنهم فيتواتر عليهم المحن والنائبات فلا يكون فيهم من يكشف الله تعالى عنهم. برعاية فتخرب.

قال أبو عثمان: هم الذين ينصحون عباد الله. ويحملونهم على طاعته فإذا ماتوا مات بموتهم من يصحبهم.

قال أبو بكر الشاشى: يُسبغ عليهم الرزق، ويرفع عنهم البركة.

قوله عز وجل: **﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾** [الآية: ٤١].

قال ابن عطاء: أحكام الحق ماضية على عباده فيما ساء وسرً ونفع وضر فلا ناقض لما أبرم ولا مضل لمن هدى.

قوله عز وجل: **﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾** [الآية: ٤٢].

قال ابن عطاء: المكر حقيقة، ما مكر الحق بهم حتى توهموا أنهم يمكرون، ولم يعلموا أنه مكر بهم حيث سهل عليهم سبيل المكر.

قال الحسين: لا مكر أبين من مكر الحق بعباده، حيث أوهمهم أن لهم سبيلاً إليه بحال أو للحدث اقترابه مع القدم فى وقت، فالحق بائن وصفاته بائنة إن ذكروا فبانفسهم وإن شكروا فلأنفسهم، وإن أطاعوه فلنجاة أنفسهم ليس للحق منهم شىء لأنه

---

(١) سورة (ق) الآية رقم (٢٩)، وفى المخطوط زيادة (و).

(٢) **صحيح**: اخرجه البخارى (١١) حديث رقم (٦٥٩٤)، ومسلم فى كتاب «القدر» باب «كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه» (٨/ ١/ ٢٦٤٣/ نووى). من حديث عبد الله . . . به.

الغنى القهار.

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾ [الآية: ٤٣].

قال سهل: الكتاب عزيز، وعلم الكتاب أعز، والعلم عزيز، والعمل بعلمه أعزّ، والمشاهدة عزيز، والموافقة فى المشاهدة أعز، والموافقة عزيز، والأنس فى الموافقة أعز، والأنس عزيز، والأدب فى محل الأنس أعز.

* * *

سورة إبراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ﴾ [الآية: ١].

قال جعفر: عهد خصصت به فيه بيان هلاك سالف الأمم ونجاة أمتك، أنزلناه إليك لتخرجهم به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات البدعة إلى أنوار السنة، ومن ظلمات النفوس إلى أنوار القلوب.

قال أبو بكر: من ظلمات الظنّ إلى أنوار الحقيقة.

قال أبو عثمان: من ظلمات الشرك إلى أنوار الهدى.

قال أبو حفص: الظلمة رؤية الفعل والنور رؤية الفضل.

قوله عز وجل: ﴿اللهِ الَّذى لَهُ مَا فِى السَّموات وَمَا فِى الأرْضِ﴾ [الآية: ٢].

قال الواسطى: الكون كله له فمن طلب الكون فإنه المكون، ومن طلب الحق فوجده سخر له الكون بما فيه.

قوله عز وجل: ﴿الَّذينَ يَستَحبُّونَ الحَياةَ الدنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ [الآية: ٣].

قال أبو على الجوزجانى: من أحب الدنيا حرم عليه طلب طريق الآخرة، ومن طلب الآخرة حرم عليه طلب طريق نجاته، ومن طلب طريق النجاة حرم عليه رؤية فضل الله تعالى عليه، ومن طلب رؤية طريق الفضل حرم عليه الوصول إلى المتفضل.

قوله عز وجل: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأيَّامِ اللهِ﴾ [الآية: ٥].

قال أبو الحسن الوراق فى هذه الآية: افتح عليهم سبيل الشكر لئلا يغتروا بالنعم وقيل دلهم على معرفة نعمى عندهم لئلا يستعظموا نور طاعتهم، وقيل شكرهم فى جنب تواتر نعمى لديهم.

قوله عز وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [الآية: ٧].

سئل عنها ابن عطاء فقال: إذا رددت الأشياء إلى مصادرها من غير حضور منك لها

فقد تم الشكر للإسلام.

قال الجوزجانى: لئن شكرتم للإسلام لأزيدنكم الإيمان ولئن شكرتم للإيمان لأزيدنكم الإحسان، ولئن شكرتم للإحسان لأزيدنكم المعرفة، ولئن شكرتم المعرفة لأزيدنكم الوصلة، ولئن شكرتم الوصلة لأزيدنكم القرب، ولئن شكرتم القرب لأزيدنكم الأنس.

قال الجريرى: كمال الشكر فى مشاهدة العجز عن الشكر.

روى أن داود عليه السلام قال: يا رب كيف أشكرك وشكرى لك تجديد منةٍ لك علىَّ، قال يا داود الآن شكرتنى.

قال أبو بكر الوراق: شكر النعمة مشاهدةُ المنة.

قال حمدون: شُكر النعمة زيادة نعمة، ومن شكَر المنعم زاده أن ترى نفسك فيه طفيليًا.

سئل بعضهم عن الشكر فقال: أن لا تتقووا بنعمه على معاصيه.

قال بعضهم: من شكر النعمة زاده نعمة، ومن شكر المنعم زاده معرفة به ومحبة له.

قال ابن عطاء: لئن شكرتم: هدايتى، لأزيدنكم: خدمتى، ولئن شكرتم: خدمتى لأزيدنكم: مشاهدتى، ولئن شكرتم: مشاهدتى، لأزيدنكم: ولايتى، ولئن شكرتم: ولايتى، لأزيدنكم: رؤيتى.

قوله عز وجل: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُم وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [الآية:٨].

قال حمدون: الغنى فى الحقيقة من لم يزل غنيًا ولا يزال غنيًا ما زاده إيجاد الخلق غنًى، بل خلقهم على حَدِّ الافتقار إليه وهو الغنى الحميد.

قال الواسطى: ليس الإيمان بمقرب إلى الحق ولا الكفر بمبعد عنه ولكن جرى ما جرى به الأمر فى الأزل، فالشقاوة والسعادة والكفر والإيمان، أعلام لا حقائق، والحقائق القضاء الذى سبق فى الدهور بل جرى فى سابق علمه أن لا يكرم بالسعادة إلا مَنْ أهله لقربه بفضله، ولا يهين بالشقاء إلا من أبعده، ثم جعل الكفر علمًا لأهل الشقاء وحلية لهم، بل الإيمان عين الكرامة، وشاهد الكفر عين الهوان وشاهد البعد اللعنة والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُم لِيَغْفِرَ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية: ١٠].

قال الثورى: دعا الله الخلق بنفسه إلى نفسه وذكر من أسمائه فاطر، لئلا يتعلقوا بشىء من الأكوان فقال: فاطر السموات والأرض، إن أردتم ما فيهما فهو عندى، وإن أردتمونى فلا تلتفتوا إليهما. وارجعوا منهما إلىَّ.

قال بعضهم: ما دعا الله تعالى إليه ولا الأنبياء وإنما دعا من دعا بحظوظهم؛ قال الله تعالى: ﴿يَدْعُوكُم لِيَغْفِرِ لَكُم﴾ [الآية: ١٠].

قوله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية: ١١].

قال أبو عثمان: منَّ الله تعالى على خواص عباده، فإن الإحصاء والعدد، فأول منةٍ له عليهم التوحيد ثم المعرفة ثم أن بعث فيهم الرسل ثم أن سماهم عباده، ثم له عليهم فى كل نَفَسٍ نعمة عرفوها، أو لم يعرفوها.

قال سهل: يمُنُّ على من يشاء من عباده بتلاوة كلامه والفهم منه.

وقال بعضهم: يمُنُّ على من يشاء بالمعرفة.

قال ابن عطاء: يمُنُّ على من يشاء بالهداية والتوفيق.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا لَنَا أَلا نَتَوكل عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [الآية: ١٢].

قال أبو تراب: التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطى شكر وإن منع صبر.

قال الزقاق: التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هَمِّ غدٍ.

قال رويم[1]: التوكل الثقة بالوعد.

قال الشبلى: التوكل هو أن يكون مع الله تعالى كما لم يكن ويكون الحق كما لم يزل.

سمعت على بن بندار يقول: سمعت أبا محمد الجريرى يقول وسئل عن التوكل؟

(١) رويم: هو ابو محمد رُويم بن احمد بن زيد وهو من أهل بغداد، ومن جلة مشايخهم، وكان فقيهًا على مذهب داود الأصبهانى، وكان مقرئًا فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد مات سنة ثلاث وثلاثمائة.

فقال: التوكل معاينة الاضطرار.

قال أبو عمر الأنماطي: التوكل النظر إلى الأكوان بالتسخير.

وسئل بعضهم عن التوكل فقال: غض البصر عن الدنيا وقطع القلب عنها.

قيل للحسين: ما التوكل؟ قال: الجمود تحت الموارد.

وقال حكم الأصمعي في قوله: ﴿وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ ما لنا أن لا نتوكل بالله وقد أعطانا سبلنا للإسلام والهدى.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّموات والأَرْضَ بِالحَقِّ﴾ [الآية: ١٩].

قال سهل: خلق الله تعالى الأشياء كلها بقدرته وزينها بعلمه، وأحكمها بحكمته، فالناظر من الخلق إلى الخالق يتبين له من الخلق عجائب الخلقة، والناظر من الخالق إلى الخلق يكشف له عن آثار قدرته وأنوار حكمته وبدائع صنعته.

قال بعضهم: خلق السموات عالية على الأرضين مرتفعة عليها وجعل عمارة الأرضين من بركات السماء وما يصل إليها منها كذلك خلق النفوس وجعل القلوب أمراء عليها، وجعل راحة النفوس فيما يصل إليها من بركات القلوب فمن طهر قلبه لاستصلاح المشاهدة أتت الفوائد والزوائد من الحق في جميع الأوقات.

قوله عز وجل: ﴿فَلا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنْفُسَكُم﴾ [الآية: ٢٢].

قال محمد بن حامد: النفس محل كل لائمة فمن لم يلم نفسه على الدوام، ورضى عنها بحال من الأحوال فقد أهلكها.

قال بعضهم: لا تلوموني، فإني لم أجبركم على المعاصي وإنما دعوتكم فأجبتم لي، فلوموا أنفسكم: لإجابة دعائي.

قوله عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلامٌ﴾ [الآية: ٢٣].

قال بعضهم: تحيات أهل الجنة وسلامهم على ضروب: فأهل الصفوة والقربة تحيتهم من ربهم وسلامهم منه على قوله: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾[1].

ولأهل الطاعات والدرجات تحية الملائكة وسلامهم. قال الله تعالى: ﴿والملائكة

(١) سورة (يس) الآية رقم (٥٨).

يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [الآية: ٢٤].

قال ابن عطاء: الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله على التحقيق، والشجرة الطيبة هى تظهر أسرار الموحدين عن دنس الأطماع بالثقة بالله والانقطاع إليه عما سواه.

قال محمد بن على: الشجرة الطيبة الإيمان أثبتها الله فى قلوب أوِدَّائه وجعل أرضها التوفيق وأوراقها الولايةَ وسماءها العناية وماءها الرعاية وأغصانها الكفاية، وأوراقها الولاية وثمارها الوصلة وظلها الأنس، فأغصانها ثابتة فى قلب الولى وفروعها ثابته فى السماء بالمزيد من عند الجبار، فالأصل يرعى الفرع بدوام الإشفاق والمراقبة، والفرع يهدى إلى الأصل ما يجتنيه من محل المشاهدة والقرب هكذا أبدا قلب المؤمن وفؤاده.

سمعت محمد بن عبد الله الدمشقى يقول: سمعت ابن المولد يقول: قال أبو سعيد الخراز: خزائن الله تعالى فى السماء الغيوب وخزائنه فى الأرض القلوب لأن الله تعالى خلق قلب المؤمن بيت خزائنه ثم أرسل ريحًا فهبت فيه نُكْتَةٌ من الكفر والشرك والنفاق والغش ثم أنشأ سحابة فأمطرت فيه ثم أنبت فيه شجرة فأثمرت الرضا والمحبة والشكر والصفوة والإخلاص والطاعة وهو قوله: ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء﴾.

وقال بعضهم: كل شجرة فى الدنيا إذا لم يكن لها حظ من الماء تجف، والشجرة التى فى قلبك تجف إذا لم تسقها بماء التوبة وبماء الندامة ثم بماء الحسرة، ثم بماء الشوق، ثم يأتى سحاب المنَّة فتمطر على قلبك مطر الرحمة حتى يكون ماء الخدمة من تحت وماء الرحمة من فوق فيكون طريًا شهيًا ثم يأتيه ثلاثة أشياء طريق العبودية فى النفس، وطريق الصحابة فى القلب، وطريق الذكر فى السر، فخدمة النفس الطاعة، وخدمة القلب النية، وخدمة السر المراقبة على الدوام ثم يمطر عليه أمطارًا على النفس مطر الهداية، وعلى اللسان مطر اللطافة، وعلى القلب مطر العظمة، وعلى السرّ مطر المنّة وعلى الروح مطر الكرامة، فينبت من مطر اللسان الشكر والثناء ومن مطر النفس الطاعة والوفاء، ومن مطر القلب الصدق والصفاء، ومن مطر السر الشوق والحياء، ومن مطر الروح الرؤية واللقاء.

(١) سورة (الرعد) الآيتين رقم (٢٣، ٢٤).

قوله عز وجل: ﴿تُؤْتِى أُكلهَا كُل حِينٍ بِإذنِ ربِّها﴾ [الآية: ٢٥].

قال الواسطى: النفس كانت مواتًا فأحييت وكانت جاهلة فعلمت، وكانت عمياء فبصرت بقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾[1] فنضرت بالتوحيد وابتهجت بالتفريد، والله الفعال لما يريد هذا تفسير قوله: ﴿تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمَثل كَلمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [الآية: ٢٦].

قال محمد بن على: الشجرة الخبيثة اللسان، ما لم يقطعها المؤمن بسيف الخوف، فإنها تثمر أبدًا الكلمات الخبيثة.

قال بعضهم: الشجرة الخبيثة النفاق وهى التى لا تقر قرارًا حتى يهوى بصاحبها إلى النار.

قال ابن عطاء: الشجرة الخبيثة الشهوات وأرضها النفوس وماؤها الأمل وأوراقها الكسل، وثمارها المعاصى وغايتها النار.

قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [الآية: ٢٧].

قال: يثبت الله الذين آمنوا: على مقدار المواجيد يكون المخاوف والأمن، ولم ينزع الخوف ولا انفلت منه أحد لحظة، وما من أحد يسعى إلا خاف عقبى سعيه وهو الذى لا يخاف عقباها، فمن أثبته بالقول أسقط عنه تلك المخاوف.

قوله عز وجل: ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية: ٢٧].

قال بعضهم: الخلق كلهم مجبورون تحت القدرة، ومقهورون على الجبروت، ليس إليهم من أمورهم شىء ممنوعون عما يريدون مقضى عليهم بما يكرهون، هذا من آثار العبودية والله مدبر الأمور ومبدئها ومنشئها أنشأها على إرادته وأبداها على مشيئته لا ناقض لما أبرم فالأفعال على الحقيقة فعله، والكون صنعه، لا علة لفعله ولا لصنعه.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا﴾ [الآية: ٢٨].

قال أبو عثمان: أجهل الخلق بنعمة الله من استعملها فى أنواع المعاصى ولم يقم بشكرها من أن يعمل بها فى طاعة الله تعالى.

---

(١) سورة (القيامة) الآيتين رقم (٢٢، ٢٣).

قوله عز وجل: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [الآية: ٣٠].

قال ذو النون: التمتع أن يقضى العبد ما استطاع من شهوته.

قوله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجرِى فِى البحرِ بِأَمْرِهِ﴾ [الآية: ٣٢].

قال جعفر: سخر لكم السماوات بالمطر، والأرض بالنبات، والبحر أن يتخذ سبيلاً ومتجرًا، وسخر لكم الشمس والقمر، يدوران عليك ويوصلان إليك منافع الثمار والزروع، وسخر قلب المؤمن لمحبته ومعرفته، وجعل الله تعالى من العباد القلوب لأنه موضع نظره ومستودع أمانته ومعرفة أسراره.

قوله عز وجل: ﴿وآتَاكُم مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [الآية: ٣٤].

قال يحيى بن معاذ: إن الله تعالى أعطاك أكثر ما فى خزائنه وأجلّه وأعظمه من غير سؤال وهو التوحيد فكيف يمنعك ما هو دونها من الثواب، ودفع العقاب بسؤال فاجتهد أيها العبد أن لا يكون سؤالك إلا منه ولا رغبتك إلا فيه، ولا رجوعك إلا إليه فإن الأشياء كلها له، فمن أشغله بغيره عنه فقد قطع عليه طريق الحقيقة ومن شغله به، وجعل الأشياء طوع يديه فينقلب له الأعيان ويقرب له البعيد ويمشى حيث أحبّ، وهذا من مقامات العارفين.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نعمةَ الله لا تُحْصُوهَا﴾ [الآية: ٣٤].

تعُد نعمة من المنعم، فتعجز عن الإحصاء فكيف إذا تتابعت، قيل ـ أجل النعم استواء الخلقة وإلهام المعرفة والذكر من سائر الحيوان، ولا يطيق القيام بشكرها أحد، وقيل: إن الإنسان لظلوم: لنفسه حيث ظن أن شكره يقابل نعمَه، كفَّار: محجوب عن رؤية الفضل عليه فى البدء والعاقبة.

قال سهل: إن تعدوا نعمة الله: عليكم بمحمد ﷺ لن تحصوها بل جعل السَّفير فيما بينكم وبين السفير الأعلى والواسطة الأدنى.

قال ابن عطاء: أجل النعم رؤية معرفة النعم، ورؤية التقصير فى القيام بشكر المنعم.

قال ابن عطاء: النعمة أزلية كذلك يجب أن يكون شكرها أزليّ واعلم أن لك نفسًا وروحًا وقلبًا، فنعمة النفس الطاعات، ونعمة الروح الخوف، ونعمة القلب اليقين والحكمة، ونعمة الروح المحبة والذكر، ونعمة المعرفة الألفة بالنفس فى أبحر الطاعات

تتنعم والقلب فى أبحر اليقين يتقلب، والروح فى أبحر القربة، وانتظار العيان تتنعم.

قوله عز وجل: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [الآية: ٣٥].

قال ابن عطاء: أراد بهذا أن يجعل قلبه آمنًا من الفراق والحجاب.

قوله عز وجل: ﴿وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [الآية: ٣٥].

قال السَّيَّارِى: أن تعبد الأهواء.

قال الدينورى[1]: الأصنام مختلفة فمنهم من صنمه نفسه، ومنهم من صنمه ولده، ومنهم من صنمه ماله ومنهم من صنمه تجارته، ومنهم من صنمه زوجته، ومنهم من صنمه حاله، فالأصنام مختلفة وكل واحد من الخلق مربوط بصنم من هذه الأصنام، والتبرئ أى من هذه الأصنام، هو أن لا يرى الإنسان لنفسه حالاً ولا محالاً، ولا يعتمد شيئًا من أفعاله ولا يسكن من حاله إلى شىء راجعًا على نفسه باللّوم فى جميع ما يبدو من الخير والشر، غير راض به.

قال جعفر: لا تردنى إلى مشاهدة الخلة ولا تردّ أولادى إلى مشاهدة البنوة.

قال ابن عطاء: إن الله تعالى أمر إبراهيم ببناء الكعبة فلما بنى الكعبة قال: ربنا تقبل منَّا: فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم أنا أمرتك ببناء البيت وخصصتك من بين الأنبياء بذلك ومننت عليك بذلك ووفقتك لما وفقتك ألا تستحى أن تمنّ علىّ، ويقول: ربنا تقبل منى نسيت منّتى وذكرت رؤية فعلك، قال: واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام أى نفسى شر صنم إذا تابعت هواها. واشتغلت بحظها فاشغلها بك، واقطعها عما سواك.

قال ابن عطاء: أن تعبد أصنام الخُلّة والركون إليها وهو خطرات الغفلة ولحظات الخُلة.

وقال أيضًا: أن تعبد الأنفس لأن لكل نفس صنمًا من الهوى إلا من طَهُر بالتوفيق.

قال الجنيد: واجنبنى وبنىّ، أى امنعنى وبنىّ أن نتقرب إليك بشىء سواك.

قوله عز وجل: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى﴾ [الآية: ٣٦].

قال بعضهم: لما هرب الخليل فى استرزاقه للمؤمنين، بأن قيل له: ومن كفر، فلما

---

(١) الدينورى: هو أبو الحسين على بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينورى، كان من كبار المشايخ أقام بمصر، ومات بها سنة ثلاثين وثلاثمائة. طبقات الصوفية (ص٧٥).

قال: ومن عصانى، لم يدع عليهم لكن قال: ﴿فإنك غفور رحيم﴾ أى من صفتك الغفران والرحمة وليس لى على عبادك يد.

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ [الآية: ٣٧].

قال ابن عطاء: أسكنتهم حضرتك بإخراجى إياهم عن حدود المعلومات والمرسومات.

قال آخر: سهلت عليهم طريق الرجوع إليك ليلاً بمجرهم فى الكونين عنك شىء.

قال بعضهم: علمتهم بذلك طريق التوكل وترك الاعتماد على الأسباب.

قوله عز وجلّ: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيهِمْ﴾ [الآية: ٣٧].

قال جعفر: لأن أفئدتهم تهوى إليك.

قال ابن عطاء: من انقطع عن الخلق بالكلية صرف الله تعالى إليه وجوه الخلق وجعل مودته فى صدورهم ومحبته فى قلوبهم وذلك من دعاء الخليل لما قطع بأهله عن الخلق والأرزاق والأسباب، دعا لهم فقال: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ [الآية: ٣٨].

قال الخواص: ما نخفى من حبك وما نعلن من ذكرك.

قال ابن عطاء: ما نخفى من الأحوال، وما نعلن من الآداب.

قال أبو عثمان: طهر سرّك وأعمر باطنك وأصلح خفيات أمورك، فإن الله لا يخفى عليه شىء وهو الذى يعلم ما نخفى وما نعلن.

قال بعضهم: تفرد الحق بإيجاد المفقودات، وتوحد بإظهار الخفيات من الموافقة والمخالفة.

وقال الحسين: ربنا إنك تعلم ما نخفى من الصحبة وما نعلن من الوجد.

قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: ٤٢].

قال أحمد بن حضرويه: لو أذن لى فى الشفاعة ما بدأت إلا بظالمى، قيل له كيف؟ قال: لأنى نلت بظالمى ما لم أنله من والدى. قيل: وما ذاك؟ قال تعزية الله تعالى فى قوله: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ وقال أيضًا: لا أغتنم سفرًا، إلا أن يكون فيه معى من يؤذينى ويظلمنى شوقًا منى لتغذية الله للمظلومين.

قال بعض المتقدمين: الظلم على ثلاثة أوجه: ظلم مغفور، وظلم محاسب، وظلم

غير مغفور.

فالظلم المغفور ظلم الرجل نفسه، والظلم المحاسب ظلم الرجل أخاه والظلم الذى لا يغفر هو الشرك.

قال ميمون بن مهران: كفى بهذه الآية وعيدًا للظالم وتعزية للمظلوم.

قوله عز وجل: ﴿وَأَفْئِدَتُهم هَوَاء﴾ [الآية: ٤٣].

قال ابن عطاء: هذه صفة قلوب أهل الحق. ألا ترى الأهواء قائمًا بالمشيئة والإيرادة غير قائمة بعلاقة، كذلك قلوب أهل الحق لا تلتفت إلى سواه ولا قرار لها مع غير الله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: ٤٥].

قال أبو عثمان: مجاورة الفسَّاق وأهل المعاصى من غير ضرورة من فسق كامن، ومعصية مستترة فى القلب لأن الله تعالى ذم فريقًا من عباده. فقال: ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ ولم يعذر من أقام فيها وقال: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[1]

قوله عز وجل: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [الآية: ٤٨].

قال الواسطى فى هذه الآية: ذلك لما يظهر من كشف حقائقه فى بنى آدم من أنبيائه وأوليائه، لأن الأرض والسموات لا تثبت على ما يثبت، يظهر على الأبدان من أنوار الحق.

قيل لبعضهم: فأين الأشياء إذ ذاك؟ قال: عادت إلى مصادرها. وقيل: متى كانوا شيئًا حتى صاروا لا شىء؟ هم أقل من الهباء فى الهواء فى جنب الحق.

قوله عز وجل: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [الآية: ٥٢].

قال جعفر: موعظة للخلق وإنذار لهم ليجتنبوا قرناء السوء، ومجالسة المخالفين فإن القلوب إذا تعودت مجالسة الأضداد تنعكس وتنتكس.

قال بعضهم: كشف للخلق ما ندبوا به وأمروا له وجعل ذلك إعذارًا إليهم، وإنذارًا لهم.

---

(١) سورة (النساء) الآية رقم (٩٧).

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو كَانُوا مُسلمين﴾ [الآية:٢].

قال بعضهم: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فسقوا لو كانوا مجتهدين، وربما يود الذين كسلوا لو كانوا مجتهدين، وربما يود الذين نسوا لو كانوا ذاكرين.

قال عبد الله بن المبارك: ما خرج أحد من الدنيا مؤمن ولا كافر إلا على ندامة، وملامة لنفسه فالكافر لما يرى من سوء ما يجازى به، والمؤمن لرؤية تقصيره فى القيام بواجب الخدمة وترك الحرمة وشكر النعمة.

قال ابن الفرجى: الكفر ههنا كفران النعمة ومعناه: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعنى جهلوا نعم الله تعالى عندهم، وعليهم أن لو كانوا شاكرين عارفين برؤية الفضل والمنة.

قوله عز وجل: ﴿ذرهُم يَأكُلُوا ويَتمَتَّعُوا﴾ [الآية:٣].

قال أبو عثمان: أسوأ الناس حالاً من كان شغله ببطنه، وفرجه، وتنفيذ شهواته حينئذ لا تلحقه أنوار العصمة، ولا يصل أبدًا إلى مقام التوبة.

قال أبو سعيد القرشى: فى هذه الآية من شغلته تربية نفسه، وطلب مرادها، والتمتع بهذه الفانية عن إقبال علينا فأعرض عنهم، ولا تقبل عليهم، وذرهم وما هم فيه فلن يصل إلينا إلا من كان لنا ولم يكن لسوانا عنده قدر، ولا خطر.

قال بعضهم: التزين بالدنيا من أخلاق المنافقين، والتمتع بها من أخلاق الكافرين.

قال الله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾.

قوله تعالى: ﴿إنَّا نَحنُ نزَّلنا الذِّكْر وإنَّا لَهُ لحافظُونَ﴾ [الآية:٩].

قال ابن عطاء: نحن نزلنا الذكر شفاء، ورحمة وبيانًا، وفرقانًا نهدى به من كان مرسومًا بالسعادة منورًا بتقدير السر عن المخالفة.

﴿وإنا له لحافظون﴾. قال ابن عطاء: اى حفظه فى قلوب أوليائه ويستعمل جوارح الخاص من عبادنا.

وقال جعفر: ﴿وإنا له لحافظون﴾ على من أردنا به خيراً وذاهبون به عمراً.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الآية: ١٦].

قال بعضهم: زين الله تعالى السماء بالكواكب والبروج وجعلها علامات يُهتدى بها فى ظلمات البر والبحر. وزين القلوب باطلاعه عليها، وبأنواع الأنوار ليهتدى بتلك الأنوار إلى مقامات المعرفة وهذه العلامات إنها يهتدى بها من كان يصير مفتوح عين فؤاده ينظر إليه نظر عيان.

قوله عز وجل: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الآية: ٣].

قال الجنيد: قلوب العباد منها ما كانت محفوظة من نزغات الشيطان، ومنها ما كانت محفوظة بأنوار المعرفة، ومنها ما كانت باللجأ، والاستغاثة. ومنها ما كانت محفوظة بلا حول ولا قوة إلا بالله كما حفظ أسرار السماء من الشياطين بالكواكب.

قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الآية: ١٧].

بالخواطر التى ترد على القلوب كاستراق سمع الجن لأخبار السماء.

قوله عز وجل: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الآية: ١٩].

قال بعضهم: مدَّ الأرض بقدرته، وأمسكها ظاهراً بالجبال الرواسى، وفى الحقيقة هو مقام أوليائه من خلقه، بهم يُدفع البلاء عنهم، ولمكانهم يصرف المكاره، ومن فوقهم الأوتاد، ومن فوقهم الرواسى، فإلى المفزع مرجع العباد ومفزعهم ومرجع المفزع إذا هال الأمر إلى الأوتاد، ومرجع الأوتاد إذا استعظم الأمر إلى الرواسى وهم خواص الأولياء.

قال الله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الآية: ١٩].

قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الآية: ٢١].

قيل: إن الجنيد. كان إذا قرأ هذه الآية قال: فأين تذهبون؟

قال بعضهم: خزائن الحق عند الخلق القلوب أودع فيها أجل شيء؛ وهو التوحيد، وزينها بالمعرفة، ونورها باليقين، ويحدها بالتفويض، وعمرها بالتوكل، وزخرفها بالإيمان.

قيل: قال النبى ﷺ: «قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف

يشاء»[١] وجعل أثار أنوار القلوب على الجوارح من التسارع إلى الطاعات والتثاقل عن المعاصى، والمخالفات، وهذا دليل لما قلت من الكرامات.

قال الله تعالى: ﴿وإن من شىء إلا عندنا خزائنه﴾.

قال حمدون الفصال: قطع أطماع عبيده عن سواه بقوله، وإن من شىء إلا عندنا خزائنه فمن دفع بعد هذا حاجة إلى غيره فهو لجهله ولومه.

قال رجل لأبى حفص: أوصنى فقال يا أخى احفظ بابًا واحدًا تفتح لك الأبواب، والزم سيدًا واحدًا تخضع لك الرقاب، وهكذا روى عن النبى ﷺ أنه قال لعلى: «يا على الزم بابًا واحدًا تفتح لك الأبواب واخضع لربك تخضع لك الرقاب».

قال أبو سعيد الخرَّاز: فى هذه الآية بلاغ لمن عقل أن خزائن الأشياء عند الحق، وبيده فلا يرجع إلى غيره فى أمر دنياه، وآخرته إلا لمن لم يصدق قوله، ولم يؤمن به.

قال ابن عطاء: فى هذه الآية النظر إلى شواهد القسم سكت النفوس عن الحكم.

قوله عز وجل: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِياحَ لَوَاقِحَ﴾ [الآية: ٢٢].

قال بعضهم: رياح الكرم، إذا هبت على أسرار العارفين أعتقهم من هواجس أنفسهم، ورعونات طباعهم، وفساد أهوائهم، ومراداتهم، وأظهر فى القلوب نتائج الكرم، وهو الاعتصام بالله تعالى، والاعتماد عليه، والانقطاع عما سواه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِياحَ لَوَاقِحَ﴾.

فقلوب تلقح بالبر، وقلوب تلقح بالفجور، كما فى الخبر قلوب الأبرار تغلى بالبر، وقلوب الفجار تغلى بالفجور.

قال أبو عثمان: كما أن رياح الربيع إذا هبت فتحت عروق الأشجار تحمل الماء، كذلك رياح العناية إذا هبت على القلوب فتحت أسماعها لقبول الموعظة، ودلها على طريق التوبة، وباب الإنابة.

قوله عز وجل: ﴿وإِنَّا لَنَحْنُ نُحيِى ونُميتُ﴾ [الآية: ٢٣].

---

(١) صحيح: اخرجه مسلم فى كتاب «القدر» باب «تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء» (٨/ ٤٥٥) (١٧/ ٢٦٥٤/ نووى)، واحمد فى «مسنده» (٦/ ١٤١) حديث رقم (٦٥٦٩). من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص... به.

قال الواسطى: نحيى من نشاء بنا، ونميت من نشاء عنا.

قال بعضهم: نحيى أقوامًا بالطاعة، ونميت أقوامًا بالمعصية.

قال أبو بكر الوراق: نحيى القلوب بنور الإيمان، ونميت النفوس باتباع الشهوات.

قال الخرّاز: الحىّ من العباد من بالحق حياته، والميت منهم من بحركاته بقاؤه.

قال الجريرى: كم حى حياته موته، وميت موته حياته.

وقيل: نحيى القلوب بالمشاهدة، ونميت النفوس بالاستتار.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَد عَلِمنَا المُستَقدِمِينَ مِنكُمْ﴾ [الآية: ٢٤].

قال ابن عطاء: من القلوب قلوب همتها مرتفعة عن الأدناس، والنظر إلى الأكوان، ومنها ما هى مربوطة بها مقترنة بمحاسنها، لا ينفك منها طرفة عين.

قال تعالى: ولقد علمنا المستقدمين منكم.

قال بعضهم: ولقد علمنا الراغبين فينا والمعرضين عنا.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَد خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِن حمإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الآية: ٢٦].

قال بعضهم: الأشباح مردودة إلى قيمتها لأنها أُخرجت من تحت ذل كن وأظهرت من الصلصال والحمأ المسنون.

قوله عز وجل: ﴿إِنى خَالِقٌ بَشراً مِن طِين﴾ [الآية: ٢٨].

قال جعفر: امتحنهم يحثهم على طلب الاستفهام. فيزدادوا علمًا بعجائب قدرته، وتتلاشى عندهم نفوسهم.

قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحى فقعُوا لهُ سَاجِدِينَ﴾ [الآية: ٢٩].

قال أبو عثمان: فإذا خصصته بإظهار النعت عليه من خصائص الروح، وبيان التوبة فدعوا مجادلتهم وارجعوا إلى حد القهر، والتعبد فى السجود له.

قال الواسطى: لما نفخ الروح فى آدم جعل معرفتها معرفة الحق إياها، وعلمها علم الحق بها، ومرادها مراده إياها على محابها.

قال بعضهم: أبصرت الملائكة من آدم هيكله وشخصه، ولم يشاهدوا إضافة الروح

إليه، واختصاص الخلقة به، واستقامة التوبة وتعليم الأسماء والإشراف على الغيب فنكلوا عن السجود فلما أظهر الحق تعالى بهذه الخصائص عليه، سجدوا وقالوا: سبحانك أنت تخص من تشاء من عبادك بخصائص الولاية، وتنعته بنعوت الربانية، وتجذبه إلى بساط القربة وأنت الفعال لما تريد.

قال الواسطي: الفرق بين روح آدم، وبين الأشياء تسوية الخلقة، وتخصيص الإضافة فقربت من الله تعالى، وعرفته، ومكنتها من حكمه فغيبت، ورجعت إليه بالإشارة، وقطعت عنه العبادة وذلك كله من عز الفخر إذا لم يلبسها ذل القهر زينها بخلقه فتخلقت بخلقه وتأدبت بصفته، وكانت به تنطق، وبإشارته تعقل وهذا تفسير قوله ﴿فإذا سويته﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَسَجَدَ الملائكةُ كُلُّهم أَجْمَعُونَ إلا إبليسَ﴾ [الآية: ٣٠، ٣١].

قال أبو عثمان: فتح الله تعالى أعين الملائكة بخصائص آدم، وأعمى عين إبليس عن ذلك فرجعت الملائكة إلى الاعتزاز، وأقام إبليس على منهج الاحتجاج بقوله ﴿أنا خير منه﴾.

سئل بعضهم: لم امتنع إبليس من السجود وأبى مع علمه؟ قال: لأن علمه كان علم عارية عنده فلم يكن حقيقة، إنما كان مستودعًا فيه لأجل هلاكه، فلما ظهر الوقت جحد ما كان يعرف وأبى ما كان يطيع.

قوله تعالى: ﴿وإنَّ عَلَيكَ اللَّعنَةَ إلى يَومِ الدِّين﴾ [الآية: ٣٥].

قال الواسطي: اللعنة التي لم تزل تستحقه مني وإن كانت الأوقات جرت عليك بزينة السعادة.

قوله عز وجل: ﴿لأزيننَ لَهُم فِي الأرضِ وَلأغوِينَّهمُ أجمعين إلا عِبادَكَ مِنهم المخلَصِينِ﴾ [الآية: ٣٩ ـ ٤٠].

قال أبو حفص: العبد المخلص من لا يخالف سيده ظاهرًا وباطنًا وسرًا وعلنًا.

قال أبو عثمان: المخلص من العبيد هم الواقفون مع الله تعالى عند حدوده.

قال رجل ليحيى بن معاذ: بماذا أكرم الله تعالى عباده المخلصين؟ قال: بالإيمان بالغيب والمشاهدة.

سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول: سمعت فارسًا يقول: قال ذو النون: أو سهل: الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم.

قال النصرآباذى: المخلص على خطر عظيم لأنه بإياه والمخلص جاوز حد الخطر لأنه بغيره لا به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ﴾ [الآية: ٤٢].

قال بعضهم: عبادى الذين أوصلتهم إلى قربى من غير كلفة ولا سابقة أفنيتهم عن صفاتهم وزينتهم بإظهار صفاتى عليهم فهم مع الخلق بالهياكل، ومعى بالأرواح والسرائر لا عليهم من الخلق أثر، ولا لهم مما هم فيه خبر أولئك هم عبادى حقًا ليس لهم مطلب سواى ولا مرجع إلا إلى هم هم لا بإياهم بل أنا أنا ولا هم هم، فلا صفة لهم، ولا أخبار عنهم لفنائهم عنهم، وبقائهم بى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية: ٤٥].

قال بعضهم: من اتقى الشرك فهو فى بساتين وأنهار، ومن اتقى الله فهو فى حظيرة القدس فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال الواسطى: من اتقى الله لعوض جعل ثوابه عليه ما يرجوه، ويأمله ومن اتقى لا لعوض فالحق عوض له من كل ثواب.

قوله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِن غِلٍّ﴾ [الآية: ٤٧].

قال أبو حفص: كيف يتقى الغل فى قلوب ائتلفت واتفقت على محبته، واجتمعت على مودته وأنست بذكره. إن ذلك لقلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع. بل كحلت بنور التوفيق، فصاروا إخوانًا على سرر متقابلين.

قوله عز وجل: ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الآية: ٤٨].

قال النصرآباذى: أى نصب يلحق فى المجاورة لمن عقل ولمن انتبه فأى راحة للحدث فى جنب القدم. هل هو إلا تعذيب واستهلاك؟.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندرانى يقول: سمعت أبا جعفر يقول: الملطى يذكر عن على بن موسى الرضى عن أبيه عن جعفر الصادق فى

قوله: ﴿عباد الرحمن﴾ قال: حملة الخلق من جهة الخلقة لا من جهة المعرفة، ﴿وعبادى﴾ تخصيص فى العبودية، والمعرفة.

قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الآية: ٥٠].

قال: أقم عبادى بين الخوف والرجاء ليصح لهم سبل الاستقامة فى الإيمان فإنه من غلب عليه رجاؤه عطّله، ومن غلب عليه خوفه أقنطه.

قوله عز وجل: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الآية: ٥٤].

قال الجوزجانى: أتاكم الكبر أيام القنوط من الدنيا وما فيها والإقبال على الآخرة، وما عند الله. ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام لم يقبل البشرى بالولد من الملائكة عند الكبر وقال: ﴿فبم تبشرون﴾ إلى أن ذكروا له أن البشرى من الله تعالى فزال عنه القنوط لعلمه بقدرة الله على ما يشاء.

قوله عز وجل: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الآية: ٧٢].

قال بعضهم: أحوال النبى ﷺ بين جذب وحجب، وإذا حجب بقوله: لعمرك[1]، وإذا صرف جذب لقوله: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾[2].

قال بعضهم: «لعمرك» بعمارة سرنا بمشاهدتنا، وقطعك عن جميع المكونات.

قال النورى: فى قوله: «لعمرك» أى العمارة التى خصصت بها من بين الخلق، فحببوا بالأرواح وحببت بنا فبقاؤك متصل ببقائى لأنك باق بى.

قال جعفر: لعمرك أى بحياتك يا محمد إن الكل فى سكرة الغفلة، وحجاب البعد إلا من كنت وسيلته، ودليله إلينا.

قال بعضهم: ﴿لفى سكرتهم يعمهون﴾ أى: فى شغل الدنيا يتحركون.

قال القرشى: أقسم الله تعالى بحياة محمد ﷺ فقال: ﴿لعمرك﴾ لأن حياته كانت به، وهو فى قبضة الحق وبساط القرب، وشرف الانبساط، ومقام الإنفاق، فأقسم بحياته، فقال: ﴿لعمرك﴾ اى بحياة مثلك يكون القسم فإن الكل زاغوا، وما زغت،

(١) لعمرك: إشارة إلى قوله تعالى ﴿لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢].
(٢) سورة (الحاقة) الآية رقم (٤٤).

وطغوا، وما طغيت وسألوا وما سألت حتى بدأناك بالإجابة قبل السؤال فحياتك غير الحياة التى كانت بها حياة الخلق قبلك، وبه حياة القلب فإنك حيٌ بحياتنا وغير مباين منا بحال.

قال أبو سعيد الخراز: وصفه لخلقه ثم ستره ببره عن خلقه.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الآية: ٧٥].

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[1]. ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾.

قال الواسطى: السرائر بحظوظها مصروفة عن أوقاتها صدقها فى تحركها أظهر عليها صدقها فى تعبرها يظهر من السرائر أبرأ. فهو ما يوفقك عليهما عفوًا فيشرف المتفرس عليها فى أوقاتها بتعرفها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال هم: المتصفحون المتفرسون.

قال بعضهم: المتفرس على ثلاثة أوجه بالنظر والسمع، والعقل، وأجلٌ من هذا حال الكشف لمن أوتيه، وتكون فراسته غائبًا، وحاضرًا صحيحة.

قال بعضهم: ﴿المتوسمون﴾ هم المتفرسون فإذا أردت أن تعرف بواطنهم فى الحقيقة فانظر إلى تصاريف أخلاقهم ومواقيت أشجانهم.

قال محمد بن خفيف[2]: الفراسة وقومه على ثلاثة أوجه:

المكنون من الآفات المستكن فى النفوس فى الأحوال المستخفة عن حمل عوام الخلق، وذلك مخصوص به الرسل كما كان للنبى ﷺ فى عبد بن زمعة حين قال: «إن أمرها لبين لولا حكم الله تعالى».

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذى فى كتاب «التفسير» (٥/١٤٣) حديث (٣١٢٧) من طريق عطية عن أبى سعيد به، وقال الترمذى: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وقد روى عن بعض أهل العلم فى تفسير هذه الآية ﴿إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾ قال: للمتفرسين.

قلت: بل إسناده ضعيف وعلته عطية العوفى، قال فى التقريب: ضعيف.

(٢) محمد بن خفيف: هو أبو عبد الله محمد بن خفيف الضبى أقام بشيراز وهو شيخ مشايخ وأوحدهم فى وقته مات سنة إحدى وسبعين وثلثمائة. الطبقات الكبرى (١/١٠٣).

والثانى: تجلى ما استودع الحق فى النفوس فى الأحكام الخفية علمها على الخلق المنفرد به الحق ويكشف ذلك لأهل التخصيص من الصديقين والأولياء بعد الأنبياء صلوات الله عليهم. كما قال أبو بكر الصديق: رضى الله عنه إنما هما أخواك وأختاك.

والثالث: ذكر اطلاع القلوب عندما انكشف له من الغيب البعيد ما فيه، وهذا مقرون بالإلهام. كما قال عمر رضى الله عنه «يا سارية الجبل»[1].

وقال: إنما حذر النبى ﷺ بقوله «اتقوا فراسة المؤمن طائفة هم قائمون بأحكام نفوسهم أن يتقوا طائفة هم خارجون عن أحكام نفوسهم بما كساهم الله تعالى من نوره فصاروا بذلك ناظرين مشرقين على أهل الظلمة لأن الظلمة لا يصادف بها الظلمة.

---

(١) صحيح: أورده العجلونى فى «كشف الخفا» (٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥)، وقال: قاله عمر بن الخطاب وهو يخطب الجمعة حيث وقع فى خاطره أن الجيش الذى أرسله مع سارية إلى نهاوند بفارس لاقى العدو وهم فى بطن واد، وقد هموا بالهزيمة، وبالقرب منهم جبل فقال ذلك فى أثناء خطبته ودفع به صوته فألقاه الله فى سمع سارية فانحاز الناس إلى الجبل وقاتلوا العدو فى جانب واحد ففتح الله عليهم.
واورده الألبانى (رحمه الله) فى الصحيحة حديث رقم (١١١٠)، وقال رواه أبو بكر بن خلاد فى «الفوائد» (١/ ٢١٥/ ٢)، وورواه أبو عبد الرحمن السلمى فى «الأربعين الصوفية» (٣/ ٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ١٨١/ ١/ مخطوط حلب) والحديث صححه الألبانى فى السلسلة من طرق وقال مما لا شك فيه أن النداء المذكور إنما كان إلهامًا من الله تعالى لعمر وليس ذلك بغريب عنه، فإنه «محدَّث» كما ثبت عن النبى ﷺ، ولكن ليس فيه أن عمر كشف له حال الجيش وأنه رآهم رأى العين، فاستدلال بعض المتصوفة بذلك على ما يزعمون من الكشف للأولياء وعلى إمكان اطلاعهم على ما فى القلوب من أبطل الباطل، كيف لا وذلك من صفات رب العالمين، المنفرد بعلم الغيب والاطلاع على ما فى الصدور، وليت شعرى كيف يزعم هؤلاء ذلك الزعم الباطل والله عز وجل يقول فى كتابه ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول﴾ فهل يعتقدون أن أولئك الأولياء رسل من رسل الله حتى يصح أن يقال إنهم يطلعون على الغيب باطلاع الله إياهم: سبحانك هذا بهتان عظيم.
على أنه لو صح تسمية ما وقع لعمر رضى الله عنه كشفًا، فهو من الأمور الخارقة للعادة، التى قد تقع من الكافر أيضًا، فليس مجرد صدور مثله بالذى يدل على إيمان الذى صدر منه فضلاً عن أنه يدل على ولايته، ولذلك يقول العلماء إن الخارق للعادة إن صدر من مسلم فهو كرامة، وإلا فهو استدراج، ويضربون على هذا مثلاً الخوارق التى تقع على يد الدجال الأكبر فى آخر الزمان كقوله للسماء أمطرى، فتمطر وللأرض انبتى فتنبت، وغير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة.

قال بعضهم: صفة المتفرس من صَفَّى الحقُّ روحَه بطهارة قدسه وذكى قلبه بأنوار هدايته فتقسم روحه بخفى ما استودع الحق خفيات الوجود فذلك النور والحكم يُسمى فراسة.

قال بعضهم: الفراسة إدراك الشيء على حقيقته لا يزول ولا يغير لأن الناظر إذا نظر بالحق أخبر عن حقيقة.

سئل الحسين عن الفراسة: فقال: حق نظر برياه فخبر عن حقيقة ما هو إياه بإياه.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الخلدى يقول: سمعت أبا حفص الحداد يقول: الفراسة هى أول خاطر بلا معارض فإن عارض معارض من جنسه فهو خاطر، وحديث نفسى.

قال أبو حفص: ليس لأحدٍ أن يرعى لنفسه الفراسة، ولكن يجب أن تتقى من فراسة الغير فيه لأن النبى ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن»[1]، ولم يتفرسوا فى المؤمنين.

وسئل أبو عثمان عن الفراسة. فقال: آيات الربانية تظهر فى أسرار العارفين، فتنطق ألستهم بذلك، فيصادف الحق.

قوله عز وجل: ﴿فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ [الآية: ٨٥].

قال بعضهم: صفح لا توبيخ، ولا حقد بعده، الرجوع إلى ما كان قبل ملابسته المخالفة.

أخبرنا أبو بكر الرازى قال حدثنا جعفر الخلدى حدثنا ابن مسروق حدثنا حسن بن مواتا الثعلبى حدثنا يعقوب بن حميد حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن الحنفية عن على فى قوله: ﴿فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ قال هو الرضا بلا عتاب.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سبعًا مِنَ المَثَانِى﴾ [الآية: ٨٧].

سمعت منصور بن عبد الله الأصبهانى، ويقال الهروى يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندرانى يقول: سمعت أبا جعفر الملطى يقول عن على بن موسى الرضى عن أبيه عن جعفر فى هذه الآية.

---

(١) تقدم قريبًا، وإسناده ضعيف.

قال: أكرمناك، وأنزلنا إليك، وأرسلناك، وألهمناك، وهديناك، وسلطناك ثم أكرمناك سبع كرامات.

أولهما: الهدى، والثانى: النبوة، والثالث: الرحمة، والرابع: الشفقة، والخامس: المودة والألفة، والسادس: النعيم، والسابع: السكينة، والقرآن العظيم، وفيه اسم الله الأعظم.

قوله: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىَ مَا متعنا بِهِ أَزواجًا مِنْهُم﴾ [الآية: ٨٨].

قال بعضهم: غار الحق على حبيبه أن يستحسن من الكون شيئًا أو بغيره طرفه فإن ذلك متعة لا حاصل له عند الحق وأراد منه أن يكون أوقاته مصروفة إليه، وأيامه موقوفة عليه وأنفاسه حبيسة عنده.

فقال: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُم﴾ كذلك لما رفع إلى المحل الأعلى ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّى أَنَا النَّذِيرُ المُبِينُ﴾ [الآية: ٨٩].

قال يوسف بن الحسين: أذن الله تعالى لنبيه ﷺ أن يخبر عن نفسه بأنه السفير الأجل والمعلم الظاهر والبيان الشافى بقوله: ﴿إِنِّى أَنَا النَّذِيرُ المُبِينُ﴾.

قال يوسف بن الحسين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: ٢٩ - ٣٠].

قال الواسطى: غفلة العامة هى المسئول عنها أهل الحقائق من حركات الأطراف وخطرات القلب، وهواجس السر.

قال الجنيد: لنسألن أهل الحقائق عن تصحيح ما أظهروه للناس من الدعاوى، وتحقيقها.

قال الواسطى: يطالب الأنبياء، والأولياء بمثاقيل الذر لدنو رتبتهم، ولا يطالب للعام بذلك لبعدهم عن مصادر النبيين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال بعضهم: نسئلهم عن كل حركة وسكون فبماذا كانت حركتهم، ولماذا كان سكونهم، وبلغنى عن بعض المشايخ.

قال لبعض المريدين إياك، وهذه الدعاوى فإن الله تعالى سائلك عنها فقال: المريد لو

علمت أن الله تعالى يكلمنى يوم القيامة، أو يسألنى عن هذا لما كان منى فى طول عمرى إلا هذا وأنا ممن يصلح لمخاطبة الحق، وللوقوف بين يديه وسقط ومات رحمه الله.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الآية: ٩٨].

بجهلهم وحدهم فيكم ثم أمرهم بلزوم طاعته يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية: ٩٨].

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الآية: ٩٨].

قال الواسطى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ عن أن يظلمك فيما سلطه عليك، ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ من الخاضعين لقضائه.

قوله عز وجل: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الآية: ٩٩].

قال الواسطى: حتى يأتيك اليقين: أنه لا إله يسوق إليك المكاره ويصرفها عنك إلا الله ولا إله يسوق إليك المحَابّ ويصرفها عنك إلا هو.

وقال وفى قوله: واعبد ربك: أى لا تلاحظ غيره فى الأوقات حتى يأتيك اليقين فيتحقق عندك أنك لا تحس بغيره الحق، ولا ترى إلا الحق ولا يحادثك إلا الحق.

قال يحيى بن معاذ: للعابدين أردية من النور بكونها شذاها الصلاة ولُحمتُها الصوم.

وقيل: ﴿واعبد ربك﴾ انقطاعًا إليه واعتمادًا عليه حتى يأتيك اليقين بأن الأمر كله إليه وأنه تولى إضلال من أضل وهداية من هدى قال ابن عطاء: لم يرض من نبيه ﷺ لمحة عين إلا فى عبادته، وقال من نظر إلى معبود سقط عن عبادته، ومن نظر إلى عبادته. سقط عن معبوده.

قال الحسين: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أى حتى تستيقن أنك لا تعبده ولا يعبده أحد حق العبودية. ابتداءً وانتهاء واستوجب ما لا بد من مكافأته.

* * *

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [الآية: ١].

قال بعضهم: هل رأيتم أمرًا من الأمور إلا بأمر الله وهل رأيتم وجدًا وفقدًا إلا به ـ لا تعجلوا بطلب الفرج فإن النصر مع الصبر.

قال بعضهم: ظهر كرامات الله تعالى من هو لها أهل فلا ينكروا ذلك وهو الحق، أو يعجزوه فى إظهار كرامةٍ على عبد من عبيده.

قال النصرآباذى: أوامر الحق شتى منها أمر على الظاهر من الترسم بالعبادات، وأمر على الباطن من دوام المراعاة، وأمر على القلب بدوام المراقبة، وأمر على البر بملازمة المشاهدة، وأمر على الروح بلزوم الحضرة، هذا ومعنى قوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ الملائِكَةَ بِالرُّوحِ مِن أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ﴾ [الآية: ٢].

فقال: من أنذر أو حذر فقد قام مقام الأنبياء وربما يأتى أمره بالبلاء، وربما يأتى أمره بالرحمة، فالصبر فى الأوقات والرضا بأمر الله، ذلك لكل أواب حفيظ: حفظ أوقاته ولا يضيع أيامه.

قال ابن عطاء: المحدث من العباد من يكلمه الملك فى سره ويطلعه على خصائص الغيوب ويفتح لروحه طريقًا إلى الإشراف على القرب، قال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الملائِكَةَ بِالرُّوحِ مِن أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ من عِبَادِهِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾ [الآية: ٧].

قال: المحمول على بساط الرفاهية والحامل فى مفاوز المشقة فمن حمل فقد كفى ومن أهمل فقد ضيق عليه لذلك. قال: ﴿لم تكونوا بالغيه﴾ بأنفسكم وتدبيركم إلا بشق الأنفس. وربما يهون على من يشاء من عباده حتى لا يصيبه فى سيره تعب ولا

نصب كذلك سير العارفين من سير الزاهدين.

قوله عز وجل: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية:٨].

قال بعضهم: علمك الحق الوقوف عندما لا يدركه عقلك من آثار الصنع وفنون العلوم أن تقابله بالإنكار فإنه خلق ما لا تعلمه أنت ولا يعلمه أحد من خلقه إلا من علمه الحق ألا تراه يقول: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾.

قال القاسم: يقدر عليكم من أفعالكم ما لا تعلمون إلا فى وقت مباشرته وهو عالم به لأنه الذى قدر وقضى.

قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [الآية: ٩].

قال الواسطى: على الله أن يهدى إلى قصد السبيل ما هو جائر والله تعالى سبب الجائر والسبيل القصد وهو السلوك على أنوار اليقين والجائر من السبل، سبل التوهم والدعاوى.

قوله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ﴾ [الآية: ١٢].

قال جعفر الصادق: سخر لكم ما فى السموات من الأمطار وما فى الأرض من النبات وما فى الليل والنهار من أنواع الدواب وسخر لك الملائكة يسبحون لك وما فى الأرض من الأنعام والبهائم والفلك والخلق وسخر لكم الكل لك لا يشغلك منه شيء وتكون مسخرًا لمن سخر لك هذه الأشياء. فإنه سخر لك كل شيء وسخر قلبك لمحبته، ومعرفته وهو حظ العبد من ربه.

قوله عز وجل: ﴿وَعَلاَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الآية: ١٦].

قال المالكى: طريق الهداية له أعلام فمن استدل بالأعلام بلغ إلى محل الهدى وكوشف عن معدن النجوى ومن استدل بنجوم المعرفة ومر فى طريق الهداية وكان عالمًا بسراها وصل إلى غاية المنتهى من الطريق ولا دليل على الحق سواه ولا علامة تخبر عنه وهو الدليل على نفسه ليس لأحد إليه سبيل ولا لخلق عليه دليل فمن وصل إليه فيه وصل ومن انقطع عنه فسوابق قضائه عليه.

قوله عز وجل: ﴿وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [الآية:١٨].

قال ابن عطاء: إن لك نفسًا وقلبًا وروحًا وعقلاً ومحبة ومعرفة ودينًا وطاعة ومعصية

وابتداءً وانتهاءً وحنينًا وأصلاً ووصلاً فنعمة النفس الطاعات والإحسان والنفس فيهما. تتنعم ونعمة القلب والروح الخوف والرجاء وهى فيهما تنعم ونعمة القلب اليقين والإيمان وهو فيها يتقلب ونعمة العقل الحكمة والبيان وهو فيهما يتقلب ونعمة المعرفة الذكر والقرآن وهو فيها يتقلب ونعمة المحبة والألفة والمواصلة والأمن من الهجران وهو فيهما يتقلب هذا تفسير قوله تعالى: ﴿وإنْ تَعُدُّوا نعْمةَ الله لا تُحْصُوهَا﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: ٢١].

ومن كان بين طرفى عدم فهو معدوم والحىّ هو الذى لم يزل ولا يزال.

وقال بعضهم: أموات عن الوصول إلى الحق غير أحياء به وما يشعرون وإنما يشعر ذلك من كشف له عن محل الحياة بالحق.

قال الحسين: الحياة على أقسام فحياة بكلماته وحياة بأمره وحياة بقربه وحياة بنظره. وحياة بقدرته وحياة هى الموت وهى الحركات المذمومة وهو قوله: ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون﴾.

قال سهل بن عبد الله: خلق الله تعالى الخلق ثم أحياهم باسم الحياة ثم أماتهم بجهلهم بأنفسهم فمن حيى بالعلم فهو الحىّ وإلا فهم موتى بجهلهم.

قال الواسطى: الميت من غفل عن مشاهدة المنان والحى من كان حيًا بالحى الذى لا يموت.

قال بعضهم: كيف يكون حيًا من لم يحيى بشاهد حىّ.

سمعت أبا عثمان المغربى: يقول: سمعت أبا عمرو الزجاجى يقول: كيف تحيون وأنتم لم تروا حيًا سمعت النصرآباذى: يقول: أهل الجنة أموات ولا يشعرون لاشتغالهم بغير الحق وأهل الحضرة أحياء لأنهم فى مشاهدة الحى.

قال الله تعالى: ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون﴾.

قوله عز وجل: ﴿لِلّذينَ أَحْسَنُوا فِى هَذِه الدُّنيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ﴾ [الآية: ٣٠].

قال أبو عثمان: للذين أحسنوا فى ابتداء أحوالهم الرجوع إلى محل المحسنين.

قال يوسف بن الحسين: للذين أحسنوا آداب الخدمة واستعملوها. الرفعة إلى محل

الأولياء وهو غاية الحسنى.

وقال بعضهم: للذين أحسنوا مجاورة نعم الله فى الدنيا إتمام النعمة من الله تعالى عليهم فى الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الملاَئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [الآية: ٣٢].

أى: طيبة أبدانهم وأرواحهم بملازمة الخدمة وترك الشهوات.

وقال أيضًا: طيبين أى لم يتدنسوا من الدنيا وخبيثها بشىء.

وقال أبو حفص: ضياء الأبدان بمواصلة الخدمة. وضياء الأرواح بالاستقامة.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعبُدُوا اللهَ﴾ [الآية: ٣٦].

قال: محمد بن الفضل: بعث الله تعالى الأنبياء عليهم السلام بإظهار الوحدانية وتعليم العبودية. واجتناب موافقة الطبائع والأهواء والشهوات لذلك قال فى كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعبُدُوا اللهَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿واجتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [الآية: ٣٦].

قال سهل: العبادة زينة العارفين وأحسن ما يكون العارف إذا كان فى ميادين العبودية والحذوة بترك ما له لما عليه.

قوله عز وجل: ﴿إِن تَحرِص عَلَى هُدَاهم فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهدِى مَن يُضِلُّ﴾ [الآية: ٣٧].

قال الواسطى: السعادة والشقاوة والهدى والضلال جرت فى الأزل بما لا تبديل ولا تحويل وإنما يظهر فى الأوقات رسمًا على الأجسام والهياكل لا صنع فيه لأحد وليس يقدر عليها خلق بل جرت فى الأزل بعلم سابق قصر عنها أيد الأنبياء وألسن الأولياء بقوله: إن الله لا يهدى من يضل.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الآية: ٤٠].

قال القحطبى: فى قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

الأشياء كلها لا شىء فى الحقيقة إلا أن يتصل بها لفظ الإرادة ولفظ الإرادة أزلية يصيرها شيئًا وإلا فهى لا شىء لأنها أخرجت من تحت ذل كن والشىء الحقيقى الذى لم يزل ولا يزال قائمًا بصفاته قادرًا فى ذاته.

وقيل فى قوله: ﴿إنما قولنا لشىء﴾ أخبار عن القدرة.

سئل بعضهم: أما كان يكفى الإرادة والمشيئة حتى ظهر قوله كن قال خفيت الإرادة والمشيئة فأظهر الأكوان فى العلوم وظهر لفظة كن فأخرج بها الأكوان إلى الوجود.

قال الواسطى: إنما قولنا لشىء إذا أردناه: أنه على قدر المعارف أشار إلى القدرة فأما الحقيقة فليس للحق مكون كما أنه ليس له موجود إذا لم يكن له معدوم فإذا كانت الأشياء بذاته ظهرت وبه وجدت لا بصفاته فلم يزل كما لا يزال إلا أنه لم يكن أظهر بعضهم لبعض ظهور الأشياء بذاته لا بصفاته.

قيل: ليس المراد منه ما ذكر ولكن التقريب إلى الأفهام لا أن فيه لفظة كن، والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية: ٤٢].

قال الجنيد: غاية الصبر وتصحيحه أن يورث صاحبه التوكل.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾.

قال بعضهم: صبروا على موارد القضاء وتوكلوا فى مضمون الرزق.

قال بعضهم: الصبر هو العزم على مخالفة المراد والتوكل هو السكون فى حال المنع والعطاء.

قال أبو يعقوب السوسى: الصبر تلقى المكاره بوجوه طلقة.

قال النهرجورى: التوكل نسيان حظوظ النفس.

قال إبراهيم الخواص: التوكل هو الاكتفاء بعلم الله فيك من تعلق القلب بسواه.

وقال أيضًا: الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

قال الواسطى: التوكل: الصبر لطوارق المحن ثم التفويض ثم الرضا ثم الثقة.

وقال أيضًا: أصل التوكل صدق الفاقة والفقر.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: ٤٤].

قال ابن عطاء: قطع عقول الخلق عن فهم كتابه والإشراف عليه والتبين منه إلا عقل النبى ﷺ فإنه قال له: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ وإن كان فيه أحكام الخلق

فالخطاب معك وأنت صاحب البيان لهم بما أنزل عليك لأنهم فى مقام الوحشة وأنت فى محل الحظور والإيمان فبيان الكتاب ما نبينه وآداب الشريعة ما ترسمه لأنك أنت الأمين فى جميع الأحوال لا يؤتمن على أسرار الخلق إلا الأمناء من العبيد. وأنشأ فى معناه.

من ساررره فأبدى السر مشتهراً ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وجانبوه فلم يسعد لقربهم ... وأيدوه مكان الأنس أنجاسًا

لا يصطفون مضيعًا بعض سرهم ... حاشا ودادهم من ذاكم حاشا

قوله عز وجل: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوا إلى مَا خَلَقَ اللهُ مِن شَىْءٍ يَتَفيؤا ظِلاَلُهُ عن اليَمينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لله﴾ [الآية: ٤٨].

قال بعضهم: ما خلق الله تعالى شيئًا من الجماد والحيوان ينازع خالقه وصانعه إلا الإنسان فإنه أبدًا يدعى لنفسه ما ليس له من معرفة وعلم وتوثب على الوحدانية والفردانية بادعاء الأهل له والولد جل وعلا يتكبر عن الإذعان والخضوع لذلك.

قال الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوا إلى مَا خَلَقَ اللهُ من شَىْءٍ﴾ [الآية: ٤٨].

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ اللهُ لاَ تَتَّخِذوا إلهَين اثنَين إنَّمَا هُوَ إلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الآية: ٥١].

قال أبو عثمان: نهاك ربك أن تتخذ إلهين أو تدعى معه شريكًا فاتخذت معه آلهة وادعيت شريكًا كيف يصح لك مع ذلك التوحيد وأنت تعبد نفسك، وهواك، وطبعك، ومرادك، وتعبد الخلق فأنى تصل إلى محل العبودية لله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضرُّ فَإليه تَجْئَرُونَ﴾ [الآية: ٥٣].

قال أبو حفص: جميع النعم عليك من ربك، وشكرك لغيره ورجوعك فى النوائب إليه، وعبادتك لغيره، وما هذا من أفعال أولى الألباب.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضرُّ فَإليه تَجْئَرُونَ﴾.

قال محمد بن الفضل: أجل نعمة الله عليك أن عرفك نفسه، وألهمك لشكر نعمه.

قوله عز وجل: ﴿ثُم إِذَا كَشَفَ الضرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُم بِرَبِهمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية: ٥٤].

قال بعضهم: الله تعالى كاشف كل ضر، وأنت تدور بشكر النعم على أبواب العبيد. هل هو إلا الشرك الظاهر.

قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [الآية: ٦٢].

سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول سمعت عبد الله بن محمد بن منازل يقول لبعض الأغنياء: كيف يكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى: هاتوا ما دفع إلى السلاطين والمغنيين وغيرهم ومن أمثالهم، فيؤتى بالدواب والثياب والأموال الفاخرة، وإذا قال: هاتوا ما دفع إلىّ فيؤتى بالكُسَرِ والخَرق وما لا يُؤبه له ألا تستحى من ذلك الموقف.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأنعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [الآية: ٦٦].

قال أبو بكر الوراق: العبرة فى الأنعام تسخيرها لأربابها وطاعتها لهم وتمردك على ربك وخلافك له فى كل شىء.

قال يحيى بن معاذ: سخر الله تعالى لك الأنعام لتحملك وتحمل أثقالك وهى غير مخاطب ولا محاسب فترى أبدًا بريئًا يحمل مذنبًا.

قوله عز وجل: ﴿وَأَوحَى رَبُّكَ إِلى النَّحْلِ﴾ [الآية: ٦٨].

قال ابن عطاء: ألهمها ودلها على الموضع وعلمها.

كيف تصنع ما فى بطنها ولا تضعه إلا على حجر صاف أو خشب نظيف لا يخالطه طين ولا تراب.

ثم قال: ﴿كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الآية: ٦٩].

أى من الذى جعلته رزقك ثم أمره بالتواضع.

فقال: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ [الآية: ٦٩].

ثم قال: ﴿يَخرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلوانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: ٦٩].

للنفوس لا للقلوب فمن أراد صلاح قلبه فليتعرف موارد ما يرد على قلبه فى الأوقات ومحل قلبه فى جميع الأحوال وما يسر فى قلبه فى كل زمان ثم ليلزم مع ذلك التواضع والخلوة فهذا غذاء للقلب وذاك غذاء النفس وغذاء الروح أعز وهو مشاهدة الحق والسماع منه وترك الالتفات إلى المكونات بحاله.

وقال ابن عطاء: جعل ما يخرج من النحل شيئين ممزوجين لا يصفيهما إلا النار فإذا صفيتهما النار صار عسلاً وشمعًا فالعسل هو غذاء الخلق وشفاؤهم والشمع للحرق لا غير ذلك كذلك العبد إذا أخلص عمله خلص له عمله، وما خالطه برياء وشرك لا يصلح إلا للنار.

قوله عز وجل: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾.

قال أبو بكر الوراق: النحلة لما اتبعت الأمر وسلكت سبيلها على ما أمرت به جعل لعابها شفاء للناس، كذلك المؤمن إذا اتبع الأمر وحفظ السر وأقبل على ربه جعل رؤيته وكلامه ومجالسته شفاء للخلق فمن نظر إليه اعتبر ومن سمع كلامه اتعظ ومن جالسه سعد.

قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [الآية: ٧١].

قال إبراهيم الخواص: منهم من جعل رزقه فى الطلب ومنهم من جعل رزقه فى القناعة ومنهم من جعل رزقه فى التوكل ومنهم من جعل رزقه فى الكفاية ومنهم من جعل رزقه فى المشاهدة كما قال النبى ﷺ: «إنى أظل عند ربى يطعمني ويسقينى».

قال الفضيل بين عياض: «أجل ما رزق الإنسان معرفة تدله على ربه وعقلاً يدله على رشده.

قوله عز وجل: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية: ٧٢].

قال حارث المحاسبى: ورزقكم من الطيبات الفيئ والغنيمة.

وقال أحمد بن أبى الحوارى: المناجاة فى البوادى.

قال بعضهم: سألت ابن الجلاء عن الرزق الطيب قال: ما يفتح لك من غير طلب ولا استشراف.

قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [الآية: ٥٤].

أى للتشبيه ولكن اضربوا الأمثال للدلالة، والأمثال: تصوير ما فى الغائب.

وقال ابن عطاء: فى قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فى ذاته وما نيته لأن الذات ممتنع عن العلل بحال.

قال الواسطى: الأشياء كلها أقل من ذر فى الهواء كيف يظهر فى الذات.

قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لله الأمْثَالَ﴾. فى ذاته وكيفيته لأنه ليس كمثله شىء فأما صفاته التى أظهرها للخلق كسواه لهم وأعز.

وقال: ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لله الأمْثَالَ﴾ فى صفاته وذاته لأن الصمدية تمتنع عن الوقوف على ماهية ذاته وكيفية صفاته.

وقال إنما ضرب الأمثال وأكثر ما فيها من المقال ضربًا للسرائر وأن يغنى عن حضورها فيما أسرى إليها.

قوله عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَىْءٍ﴾ [الآية: ٧٥].

قال بعضهم: أخبر الله تعالى عن العبد وصفته فقال: ﴿لا يقدر على شىء﴾ فمن رجع إلى شىء من عمله وحاله وعلمه فهو المتبرئ من العبودية وهو فى منازعة الربوبية والعبودية هو التخلى مما سوى معبود يرى الأشياء ويرى نفسه له.

قوله تعالى: ﴿وَلله غَيْبُ السَّمَوات وَالأرْضِ ومَا أمرُ السَّاعَةِ إلا كَلَمْحِ البَصرِ أوْ هُوَ أقْرَبُ﴾ [الآية: ٧٧].

قال النهرجورى: الحق تعالى ستر غيبه في خلقه وستر أوليائه فى عباده فلا يشرف على غيبه إلا الخواص من أوليائه ولا يشرف على أوليائه إلا الصديقون من عباده فالإشراف على الغيب عزيز والإشراف على الأولياء أعز وأعز.

قوله عز وجل: ﴿والله أخْرَجَكُمْ مِن بُطُونِ أمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ﴾ [الآية: ٧٨].

قال الواسطى: أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تفهمون شيئًا مما أخذت عليكم من الميثاق فى وقت بلى.

وقال بعضهم: لا تعلمون شيئًا مما قضيت لكم وعليكم من الشقاوة والسعادة. ثم جعل للسعيد من عباده السمع ليسمع بهما لطيف ذكره والأبصار ليبصر بها عجائب صنعه والأفئدة ليكون عارفًا بصانعه ومخترعه وهذه الأعضاء والحواس هى الموجبة للشكر والشاكر من رأى منَّة الله تعالى عليه فى سلامة هذه الحواس وصاحب الكفران من يرى أنه يؤدى بها شكر شىء من نعم الله تعالى عليه شىء من أحواله.

قال أبو عثمان المغربى: جعل لكم السمع لتسمعوا به خطاب الأمر والنهى، والأبصار

لتبصروا بها عجائب القدرة، والأفئدة لتعرفوا بها آثار موارد الحق عليكم.

﴿لعلكم تشكرون﴾ أى لعلكم تبصرون دوام نعمى عليكم فترجعوا إلى بابى.

قال بعضهم: تمام النعمة هو أن يرزق العبد الرضا بمجارى القضاء.

قال ابن عطاء: تمام النعمة فى الدنيا المعرفة وفى الآخرة الرؤية.

وسئل بعضهم: ما تمام النعمة؟ قال: هو التنعم فى الاستسلام وإسقاط التدبير.

قال أبو محمد الجريرى: تمام النعمة خلو القلب من الشرك الخفى وسلامة النفس من الرياء والسمعة.

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعَمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [الآية: ٨٣].

قال بعضهم: يتقلبون فى نعمة ولا يوفقون لشكره.

قال بعضهم: من إنكار النعمة جحود المنعم.

قال النصرآباذى: معرفة النعمة حسن. ومعرفة المنعم أحسن ومعرفة النعمة ربما يتولد منه الإنكار ومعرفة المنعم لا يتولد منه إلا صحة الاستقامة.

قال بعضهم: يعرفون نعمة الله: أى ليس إلى أحد شىء فى الضر والنفع ثم يقولون لولا فلان لكان كذا.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [الآية: ٨٤].

عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدًا على هؤلاء.

قال أبو على الجوزجانى: الخلق شهداء بعضهم على بعض. وأمة محمد ﷺ هم شهود الأنبياء على جميع الأمم ومحمد ﷺ هو المذكى المقبول فمن قدمه فهو المقدم ومن أخره فهو المؤخر ومن تعلق به نجا ومن تخلف عنه هلك.

قال تعالى: ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿ونَزَّلنا عَلَيكَ الكِتَابَ تِبيانًا لِكُلِّ شَىء﴾ [الآية: ٨٩].

قال الواسطى: أنزل عليك الكتاب: وإنما خوطبت به دون غيرك لأنك من أهل المخاطبة وخوطبوا جميعًا تبعًا لك فبين لهم مرادنا فيما خوطبوا به فإن البيان إليك.

قال أبو عثمان المغربى: فى الكتاب تبيان كل شىء ومحمد ﷺ هو المبين لتبيان الكتاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحسَانِ﴾ [الآية: ٩٠].

قال بعضهم: العدل والإحسان ما استطاعهما آدمى قط لأن الله تعالى يقول: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ فكيف يستطيع أن يعدل بينه وبين الله تعالى فى استيفاء نعمه وتضييع وعظه وحكمه، وليس من العدل أن تَفتُر عن طاعة من لا يَفتُر عن بِرِّك والإحسان هو الاستقامة إلى الموت وهو أن تعبد الله كأنك تراه كالمروى عن النبى ﷺ.

وقال عليه السلام: «استقيموا ولن تحصوا».

أخبر أنه لا يقدر أحد أن يعدل بين خلقه، فكيف يعدل بينه وبين ربه.

والفحشاء: هو الاستهانة بالشريعة «والمنكر» هو الإصرار على الذنوب «البغى» ظلم العباد وظلمه على نفسه أفظع.

قال النيسابورى: ليس من العدل المقابلات بالمجاهدات، والعدل: رؤية المنة منه قديمًا وحديثًا.

والإحسان الاستقامة بشرط الوفاء إلى الأبد؛ لذلك قال: استقيموا ولن تحصوا.

قال سهل: العدل: قول: لا إله إلا الله. والإحسان: إحسانك إلى من استرعاك الله أمره، والفحشاء: الكذب والغيبة والبهتان وما كان من الأقوال. والمنكر: ارتكاب المعاصى وما كان من الأفعال، «يعظكم»: يؤدبكم باللطف والأدب، وينبهكم أحسن أنبائه، «لعلكم» تتعظون: أى تنتهون.

وقال بعضهم: العدل استقامة القلب، والإحسان: لزوم النفس لكل مستحسن من الأقوال والأفعال.

وقيل: العدل: اعتدال القلب مع الحق، والإحسان: لزوم النفس المعاملة على رؤية الحق.

وقيل: العدل: هو التوحيد، والإحسان: أداء الفرائض. وإيتاء ذى القربى: صلة الرحم، وينهى عن الفحشاء: الرياء والمنكر والمعاصى، والبغى: الظلم.

قال سفيان بن عيينة: العدل الإنصاف، والإحسان التفضل.

قوله عز وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [الآية: ٩١].

قال النصرآباذى: أنت متردد بين صفتين: صفة الحق وصفتك، قال الله تعالى:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ﴾، وقال: ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾[1] فإلى أيهما نظرت فإنك الأحرى ثم العهود مختلفة فى الأقوال عهودٌ، وفى الأفعال عهودٌ، وفى الأحوال عهودٌ، والصدق مطلوب منك فى جميع ذلك، وهو على العوام عهود، وعلى الخواص عهود، وعلى خواص الخواص عهودٌ.

فالعهد على العوام لزوم الظاهر، والعهد على الخواص حفظ السرائر، والعهد على خواص الخواص التخلى من الكلّ لمن له الكُلُّ.

وقال من حمل العهد بنفسه خيف عليه نقضه فى أول قدم، ومن حمله بالحق حفظ عليه عهوده ومواثيقه.

قوله عز وجلّ: ﴿وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [الآية: ٩١].

قال الواسطى: قد تقدمت العهود فى الميثاق الأول فمن أقام على وفاء الميثاق فتح له طريق الحقائق وقتًا بعد وقت، ومن خاف فى الميثاق الأول نفى مع وقته وأغلق دونه مسالك رشده.

قوله عز وجل: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [الآية: ٩٥].

قال الجنيد وسئل من أحسن الخلق: قال: من جعل دينه سببًا وطريقًا للانبساط إلى الخلق فى الارتفاق منهم.

قال ابن عطاء: أول عهد عليك من ربك أنه كفاك كل ما تحتاج إليه لئلا ترغب إلى غيره، ولا ترجع فى المهمات إلا إليه، فمن ضيّع عهده واشترى بما خصَّه الله تعالى به من كراماته شيئًا من حطام هذه الفانية وقد نقض عهد الله لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [الآية: ٩٥].

وهو الاعتماد عليه والاكتفاء به دون غيره.

قوله عز وجل: ﴿مَا عِنْدَكُم يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ [الآية: ٩٦].

قال بعضهم: ما منكم من الطاعات فإنها فانية، وما من إليكم من جزاء أعمالكم فهو باق على الدّوام وأنّى يقابل ما يفنى بما يبقى.

قال بعضهم: طاعاتكم مدخولة وجزائى وثوابى على طاعاتكم باقية بقاء الأبد.

---

(١) سورة (آل عمران) الآية رقم (٧٦)، وسورة (النحل) الآية رقم (٩٧).

قال ابن عطاء: أوصافكم فانية، وأحوالكم ثابتة فلا يدعوا منها شيئًا، وما من الحق إليكم باقٍ فالعبد من كان فانيًا من أوصافه باقيًا لله تعالى عنده، وهو تفسير قوله: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ﴾.

قال جعفر: ما عندكم ينفذ: يعنى: الأفعال من الفرائض والنوافل، وما عند الله باق: من أوصافه ونعوته لأن الحدث يفنى والقديم يبقى.

قوله عز وجلّ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: ٩٦].

قال أبو عثمان: جزاء الصبر هو أن يعطى الله تعالى العبد رضا فمن تحقق الصبر والتزم طريقة الصابرين فإن الله تعالى يثيبه عليها أحسن ثوابٍ عاجلاً وآجلاً.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

قوله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَياةً طَيِّبَةً﴾ [الآية: ٩٧].

روى عن النبى ﷺ أنه قال: هى القناعة[1].

قال أبو يعقوب السوسى: الحياة الطيبة عيش الفقراء الصُّبر.

وقيل: عيش الفقراء الراضين.

قال سهل بن عبد الله: هو أن يُنزع عن العبد تدبيره ويرد إلى تدبير الحق فيه.

قال الجريرى: هو العيش مع الله والفهم عن الله تعالى.

وقال ابن عطاء: هو روح اليقين وصدق نية القلب.

قال جعفر: الحياة الطيبة أن يطيب له بأن كل ذلك من الله إليه.

قال ابن عطاء: العيش مع الله تعالى والسهو والإعراض عمّا دونه.

قال جعفر: هى المعرفة بالله وصدق المقام مع الله تعالى وصدق الوقوف مع الله تعالى.

---

(١) هذا ليس من كلام النبى ﷺ إنما هو كلام على بن أبى طالب، وابن عباس، والحسن وزيد بن وهب، ووهب بن منبه كذا فى فتح القدير (٣/ ٢٧٣/ بتحقيقنا). وأيضًا عند القرطبى (١٠/ ١٨٢).

قال بعضهم: الحياة الطيبة الاستغناء بالله تعالى لا يريد به بدلاً ولا عنه حولاً.

قال ابن عطاء: الحياة الطيبة بإسقاط الكونين عن سرّه حتى يبقى مع ربه.

قال القاسم: هى التى لا يطمع فيها إلى غير الله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية: ٩٩].

قال أبو حفص: من أراد ألا يكون للشيطان عليه دليل فليصحح إيمانه، وليصحح فى الإيمان التوكل على الله، والإيمان هو أن لا يرجع فى السراء والضراء إلا إليه ولا يرضى بسواه عوضًا عنه، والتوكل هو الثقة بمضمون الرزق كثقتك بمعلومك، وهذا تفسير قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

قال النصرآباذى: من صحح نسبة مع الحق لن يؤثر عليه بعد ذلك منازعة طبع ولا وسوسة شيطان.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ [الآية: ١٠٠].

قال بعضهم: من اتبع هواه فقد تولى الشيطان، ومن ركن إلى الدنيا فقد اتبعه، ومن أحب الرئاسة فقد اتبعه، ومن خالف ظاهر العلم فقد تولاه، ومن خالف المسلمين فقد جعل للشيطان عليه سبيلاً، ومن ركن إلى شىء من المخالفات ظاهرًا وباطنًا فقد أهلك نفسه ومن تولى الشيطان فقد أهلك نفسه تبرأ من الحق.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: ١٠٢].

قال الواسطى: الأرواح ليس لها نوم ولا لذة ولا موت ولا حياة، بل هى جوهرة لطيفة، للطفه سمى روحًا، وللطف جبريل سمى روح القدس.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوٓاْ﴾ [الآية: ١١٠].

قال سهل: هاجروا قرناء السوء بعد أن ظهر لهم منهم الفتنة فى صحبتهم، ثم جاهدوا أنفسهم على ملازمة أهل الخير، ثم صبروا معهم على ذلك ولم يرجعوا إلى ما كانوا عليه من بذىء الأحوال.

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [الآية: ١١١].

قال بعضهم: الشريعة مكْر بالخلقِ لأنه ينقلهم من أول إلى ثانى حتى إذا أخلصوا إلى ما توهموا أنه الغاية علموا أن الحق وراء ما أدَّتهم إليه الوسائط، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ توهمًا أنها بلغت الغاية.

قال بعض الخراسانيين: ذهب وقت الخلق فى الدنيا اشتغالاً بنفوسهم فى الدنيا يجادلون عنها، وهم فى الآخرة يجادلون عنها، فمن يتفرغ إلى معرفة الحق؟

قوله عز وجل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّبًا﴾ [الآية: ١١٤].

سمعت أبا بكر الرازى قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن سعيد القرشى يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: الحلال على ستة أوجه: إمام عادل، وتاجر صادق، وزارع متوكل، وغازٍ غير خائف، وعالم ناصح، وزاهد مخلص، فإذا اجتمع هؤلاء الستة فى دار فإن كل الحلال يدور بينهم.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ [الآية: ١١٩].

قال سهل: ما عصى اللهَ تعالى أحدٌ إلا بجهل وربَّ جهل أورث علمًا، والعلم مفتاح التوبة وفى الصلاح صحة التوبة، ومن لم يصلح فى توبته فعن قريب يفسد عليه توبته، لأن الله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾.

قوله عز وجلّ: ﴿إِنَّ إِبراهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا وَلَم يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: ١٢٠].

قال بعضهم: كان أمة أى معلمًا للخير عاملاً به.

قال بعضهم: كان علمه كعلم أمةٍ وإخلاصه كإخلاص أمةٍ.

وقال بعضهم: القانت الذى لا يفتر عن الذكر، والحنيف الذى لا يشوب شيئًا من أعماله شرك.

وقيل: القانت المطيع الذى لا يعصى الله.

وقيل فى قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾ لم يكن يرى المنع والعطاء والضر والنفع إلا من موضع واحد.

قوله عز وجل: ﴿شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾ [الآية: ١٢١].

قال الواسطى: قابلاً لقضائه وقسمته قبول رضًا لا قبول كراهية.

قال أبو عثمان: الشاكر للنعمة أن لا يرى شكره إلا ابتداء نعمة من الله حيث أهله لشكره، اجتباه من بين خلقه، وكتب عليه الهداية إلى صراط مستقيم عالمًا أن الهداية سبقت له من الله تعالى ابتداءَ فضلٍ لا باكتساب وجهد وكد.

قوله عز وجل: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: ١٢٢].

قال بعضهم: آتيناه فى الدنيا المعرفة حتى صلح فى الآخرة لبساط المجاورة.

قال بعضهم: أصلح الله تعالى قلوب المؤمنين للمعاملة وأصلح قلوب الأنبياء والأولياء للمجاورة والمطالعة.

قال الواسطى: هى الخلةُ لا غيرها تولى الأنبياء بخلته خلقهم على ذلك جذبًا منه إليه.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الآية: ١٢٣].

قال الدينورى: أمر النبى ﷺ باتباع الخليل لئلا يأتى أحد من الأتباع، وملة إبراهيم كانت السخاء وحسن الخلق، فزاد عليه النبى ﷺ حين جاد بالكونين عوضًا عن الحق فقيل له ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤].

قوله عز وجلّ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [الآية: ١٢٥].

حدثنا على بن الحسن الحافظ، حدثنا أحمد بن الحسين دبيس المقرى، حدثنا أحمد ابن زياد، حدثنا أسود بن سالم، حدثنى عبد الرحمن بن يزيد الزراد، حدثنا محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: أُمِرْنَا معاشرَ الأنبياءِ أن نكلم الناس على قدر عقولهم[1].

---

(١) **إسناده ضعيف:** أورده الزبيدى فى «الإتحاف» (٨/ ٥٤٩) وقال: رواه الديلمى من طريق أبى معشر عن عكرمة عن ابن عباس به. وأبو معشر ضعيف، وعزاه الحافظ ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان من حديث ابن عباس بلفظ «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» وسنده ضعيف جدًا، ورواه الحسن التميمى من الحنابلة فى كتاب العقل له بسنده عن ابن عباس أيضًا بلفظ «بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم».

وأورده العجلونى فى «كشف الخفا» (١/ ٢٢٥) وقال: رواه الديلمى بسند ضعيف، وفى اللآلى =

قال بعضهم: خاطب كلا على قدره والموعظة الحسنة فيها ترغيب وترهيب.

وقيل: الموعظة الحسنة ما اتعظت بها أولاً ثم أمرت.

سئل بعضهم: لم قدم الله تعالى الحكمة؟ فقال: لأن الحكمة إصابة القول باللسان، وإصابة الفكرة بالجنَان وإصابة الحركة بالأركان وأن تكلم بكلام بحكمة، وأن تفكر بفكر بحكمة.

قال جعفر: الدعوة بالحكمة أن يدعوه من الله إلى الله بالله، والموعظة الحسنة أن يرى الخلق فى أسر القدرة فيشكر من أجاب ويعذر من أبىَ.

سمعت عبد الله الرازى يقول: سمعت أبا عثمان يقول: لا يكون الرجل حكيمًا حتى يكون حكيمًا فى أفعاله، حكيمًا فى أقواله، حكيمًا فى أحواله، فإنه يقال له ناطق بالحكمة، ولا يقال له حكيمًا.

قوله عز وجل: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية: ١٢٥].

قال هى التى ليس فيها من حظوظ النفس شىء، ولا ترى أنه الممتنع من قبول الموعظة فتغضب عليه، إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله: فلا ينجع فيه قولك: ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ الموفقين الذين شرحت صدورهم بقبول ما أثبت به.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم به وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [الآية: ١٢٦].

قال الجنيد: فى قوله: ﴿ولئن صبرتم﴾ فلم تعاقبوا لهو خير للصابرين التاركين العقوبة الذى أباح العلم فعلها بالأدب الذى يتبعه بالأمر ويلزمه بالترغيب إنه خير للصابرين.

قال أبو سعيد الخراز: أخبر عن موضع الإباحة بالقصاص ونهى عن إمكان النفس من شهوتها وبلوغ مناها، وعرف أن الفضل فى احتمال مُؤن الصبر.

يقول عز وجل: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾.

= بعد عزوه لمسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعًا قال: وفى إسناده ضعيف ومجهول. اهـ. وفى المقاصد وعزاه ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان عن ابن عباس بلفظ أمرت ...» وقال: سنده ضعيف جدًا وأورده السيوطى فى «الدرر المنتثرة» (ص٤٢، ٤٣)، وإسناده ضعيف.

قال النبى ﷺ: إلى موضع الفضل ففرض عليه ذلك.

وقيل له: إن الفضل على الخلق تطوع وعليك فرض واصبر، ثم أعلمه أن ذلك لا يتم إلا بخلوة وتشبيه بالحق بقوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ﴾ [الآية: ١٢٧].

قال الواسطى: فى هذه الآية أخبره بأنه هو الذى تولاهم فحجبهم عن المعاينة فى الحضرة وهم ثلاث طوائف عند اللقاء، طائفة ترمدت بقيومة دواميته وأزليته، فلم تجدّ عند اللقاء عليها آفة لاتصال أنوار السرمدية بأنوار الأبدية، وطائفة لقيتة فى زينته وحين نظره واختياره فضمرهم فى نعمته وحجبهم بكرامته فهى متلذذة بنعمه محجوبة عن حقيقته، وطائفة لقيته بشواهد طاعاتها وزهدها، فقال لهم مرحبًا بمقدمكم فحجبها فى نفس ما خاطبهم.

وقال ابن عطاء: بأمره وبره.

وقال جعفر: أمر الله أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى منه للنبى ﷺ.

قال سهل: واصبر واعلم أنه لا معين على الصبر إلا الله. حيث جعل صبره بالله لا بنفسه، فقال وما صبرك إلا بالله.

قال الجنيد: عظم المنة عليه لما أدبه بالقيام على شروط الاستقامة بقوله: واصبر: ومن لم يكن صبره مباشرًا لبلاء، فى حين وروده بما تقدم من التوطئه على العزم على الصبر عند أول صدمة ترد منه لم يؤمن أن يأخذ الجزع من صبره بعد أوان تفضى صبره.

قال الثورى: فى هذه الآية هو الصبر على الله بالله.

قال أبو القاسم: الحكيم أصبر عباده، وما صبرك إلا بالله عبودية فمن ترقى من درجة لك وصل إلى درجة بك، فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية.

قال النبى ﷺ: «بك أحيا، وبك أموت»[١].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى فى كتاب «الدعوات» (١١) حديث (٦٣١٢) من حديث حذيفة.
ومسلم فى كتاب «الذكر» (٩/ ٤٠)، (٥٩/ ٢٧١١/ نووى). من حديث البراء بن عازب به.
وأبو داود فى كتاب «الأدب» (٤/ ٢١٤٩) حديث (٥٠٤٩/ بتحقيقنا) من حديث حذيفة به.

قال الواسطى: فى هذه الآية قال لما أظهر الله تعالى البلاء أشهده لذة مباشرته، بل لا يكون لأحد وقت إلا والله تعالى يوجده لذة المباشرة ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت:٤٣].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [الآية:١٢٨].

قال ممشاء الدينورى رحمه الله: رأيت ملكًا من الملائكة يقول لى: كل من كان مع الله تعالى فهو هالك إلا رجل واحد، قلت: ومن هو؟ قال: من كان الله معه وهو قوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.

وقال بعضهم: من اتقى الله فى أفعاله أحسن الله تعالى إليه فى أحواله.

قال الفضل بن عياض فى هذه الآية: اتقوا فيما نهاهم الله تعالى عنه وأحسنوا فيما أمرهم به.

* * *

سورة بنى إسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذى أَسْرَىَ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحرَامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصى﴾ [الآية: ١].

قال الواسطى: نزه نفسه، أن يكون لأحد فى تسيير نبيه عليه السلام حركة أو حظرة فيكون شريكًا فى الإسراء، والتسيير.

قال أبو يزيد: نزه عما أبدا ولا تعرفه بما أخفى.

وقال ابن عطاء: طهر مكان القربة وموقف الدنو عن أن يكون فيه تأثير لمخلوق بحالٍ، فسار بنفسه وسرا بروحه، وسبر بسره فلا السرُّ علم ما فيه الروح، ولا الروح علم ما يشاهد السرَّ، ولا النفس عندها شىء من خيرها وما هُما فيه، وكل واقف مع حده متلقٍ عنه بلا واسطة ولا بقاء بشرية، بل حق تحقق بعبده فحققه وأقامه حيث لا مقام، وخاطبه وأوحا إليه جلّ ربنا وتعالى.

ذُكر أن رجلاً جاء إلى جعفر بن محمد وقال: صف إلىَّ المعراج: فقال: كيف أحدق لك مقامًا لم يسمع فيه جبريل صلوات الله وسلامه عليه مع عظم مقامة.

سمعت النصرآباذى يقول: أسقط الأعمال والاعتراضات عن المعراج بقوله: أسرى: ولم يقل سُرى لأن القدرة تحمل كل شىء.

قوله عز وجل: ﴿الَّذى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَه مِنْ آياتنَا﴾ [الآية: ١].

قال بعضهم: قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السَّماوات والأرض﴾[١] وقال لمحمد عليه السلام ﴿لِنُرِيَه مِنْ آياتنَا﴾[٢] فغمض عينه عن الآيات شغلاً منه بالحق ولم يلتفت إلى شىء من الآيات والكرامات فقيل له: ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ حديث لم يشغلك ما لنا عنَّا.

(١) سورة (الأنعام) الآية رقم (٧٥).

(٢) سورة (طه) الآية رقم (٢٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّه كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الآية: ٣].

يستعظم قليل فضلنا عنده، ويستصغر كثير خدمته لنا، ليس له إلى غيرنا التفات، ولا يشغله تواتر النعم عليه عن المنعم بحالٍ.

قال الجنيد: عبدًا شكورًا قائلاً بالحق ناطقًا به قابلاً له مُقبلاً عليه.

قوله عز وجلّ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: ٧].

قال أبو سليمان الداراني: العمال يعملون فى الدنيا على دعوة كل فيه يطلب حظه، فجاهل عمل على الغفله، وعالم يعمل على العادة، ومتوكل عمل على الفراغة، وزاهدٌ على الحلاوة، وخائف عمل على الرهبة، وصديق عمل على المحبَّة وعمال الله تعالى أقل من القليل.

وقال أبو يزيد: من عمل لنفسه لا يعمل لله ومن عمل لله لا يعمل لنفسه ولا يراها.

قوله عز وجل: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ [الآية: ٥].

قال السَّيارى: إضافة إلى القدرة وإلى الإختصاص، وقوله «عبادًا» أمنا لكم إشارة إلى الملك والعموم.

قوله عز وجل: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ [الآية: ٨].

قال ابن عطاء: يتعطف عليكم فيخرجكم من ظلمات المعاصى إلى أنوار الطاعات فمن طلب الرحمة من غير الله تعالى فهو فى طلبه مُخطئ.

قوله عز وجلّ: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الآية: ٨].

قال سهل: وإن عدتم إلى المعصية عُدنا إلى المغفرة.

وقال أيضًا: وإن عدتم إلى الإعراض عنا عدنا إلى الإقبال عليكم.

قال سهل: إن عدتم إلى الفرار منا عُدنا إلى أخذ الطريق عليكم لترجعوا إلينا.

قال أبو عثمان: وإن عدتم إلينا بعد المخالفات عدنا عليكم بالتعطف والرحمة.

قال أبو بكر الوراق: وإن عُدتم إلى الطاعة عُدنا إلى التيسير والقبول.

قال محمد بن على: ليس لمن أعرض عن ذنبه عذر بعد قوله: ﴿وإن عُدتم عُدنا﴾.

قوله عز وجلّ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الآية: ٩].

قال ابن عطاء: القرآن دليل ولا يدل إلا على الحق فمن اتبعه قاده إلى الحق ومن أعرض عنه قاده الجهل إلى الهلاك.

قال أبو عثمان فى كتابه إلى محمد بن الفضل: من تمسك بالقرآن وفق للزوم الاستقامة لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرآن يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾.

قال بعضهم: فى هذه الآية القرآن سراج ونور يهتدى به من جعل من أهل الهدى، فمن اهتدى به فاز ونجا، وربما هلك بالقرآن أيضًا هالك؛ لأن الله تعالى يقول ﴿وهو عليهم عَمى﴾ [فصلت: ٤٤].

قوله عز وجلّ: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالخير﴾ [الآية: ١٠].

قال سهل: أسلم الدعوات الذكر وترك الاختيار فى السؤال والدعاء لأن فى الذكر الكفاية وربما يدعوا الإنسان فيسأل ما فيه هلاكه، وهو لا يشعر ألا ترى الله تعالى يقول: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالخَيْرِ﴾ والذاكر على الدوام التارك للاختيار فى الدعاء والسؤال مبذول له أفضل الرغائب وساقط عنه آفات السؤال والاختيار.

قال النبى ﷺ: «يقول الله عز وجل: من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»[1].

قوله عز وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَين فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الآية: ١٢].

قال بعضهم: جعلنا الليل والنهار طرفين لإقامة العبودية جعل أحدهما عن الآخر وخليفة عنه فمن أنفق أوقاته فى أناء ليله ونهاره بما هو مستعبد فهو فى زمرة الموفقين، ومن أهمل ساعاته ولم يطالب نفسه ولم يراع أوقاته مع كل خاطر ونفسٍ، فإنه من المخذولين.

قال الله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَبِّكُمْ﴾ [الآية: ١٢].

فى تصحيح العبودية وإخلاص العمل والمعونة على ذلك من الله عز وجلّ.

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب «فضائل القرآن» باب (٢٥) (٥/ ٢٩) حديث (٢٩٢٦)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب والدارمى فى «فضائل القرآن» حديث (٣٣٥٦)، وعبد الله بن أحمد فى «السنة» حديث (١٢٥)، وفى إسناده عطية العوفى وهو ضعيف.

قال النصرآباذى: ألزمت نفسك أحوالاً وأُلزمت أحوالاً، وما أُلزمته أشد مما ألزمته نفسك.

قال الله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾ من سعادة وشقاوة، ومنهم من أُلزم الصبر على مقام المشاهدة، ومنهم من أُلزم التمسك بالأدب على بساط القرب، وهذا أشد وأشدّ.

وقوله عز وجل: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الآية: ١٣].

قال بعضهم: كتابًا: تكتبه على نفسك فى أيامك وساعاتك. وكتاب كُتب عليك فى الأزل، لا يخال هذا ذاك ولا ذاك هذا.

قال بعضهم: الكتاب الذى يخرج إليك هو كتاب لسانك قلمه، وريقك مداده وأعضاؤك ومفاصلك قرطاسه أنت كنت المملى على حفظتك ما زيد فيه ولا نقص منه ومتى أنكرت شيئًا من ذلك كان الشاهد فيه منك عليك.

قال الله تعالى: ﴿يوم تشهد عليكم ألسنتهم﴾ [النور: ٢٤].

قوله عز وجل: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الآية: ١٤].

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر قبل أن تعرضوا[1].

قال يحيى بن معاذ: اقرأ كتابك: فإنك كنت المملى له قال بعض السلف: لقد أحب الله إليك من خلقك حسيب بنفسك، وقيل: محاسبة الأبرار فى الدنيا، ومحاسبة الفجار فى الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الآية: ١٦]

قال بعضهم: أهلكنا خيارها، وأبقينا شرارها.

قال أبو عثمان: إذا أخرج الله تعالى إنكار المعاصى من القلوب خيف إذ ذاك على الخلق الهلاك.

قوله عز وجلّ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الآية: ١٨

(١) صحيح: أخرجه الترمذى فى كتاب «صفة القيامة» باب (٢٥) (٤/٣٥٧) حديث (٢٤٥٩) قول عمر بن الخطاب: موقوفًا.

قال الواسطى: فى ترك الدنيا مشاهدة الآخرة، وفى مشاهدة الآخرة رفض الدنيا كما أن مشاهدة التأييد زوال عزة النفس، وفى مطالعة صفات الحق سقوط صفات العبد.

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الآية: ١٩].

قال القاسم: فى قوله ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ بشرط الإرادة بحسن السعاية لأن كل طائفة أرادت الآخرة وسعيها وهو الذى يسعى على الاستقامة، وما توجه عليه الشريعة، وشرط السعى بالاستقامة، وشرط الاستقامة بالإيمان لأن كل من أراد الآخرة وقصد قصدها فليستقم عليها فرُبّ قاصد مستقيم فى الظاهر حظه الإيمان عارية عنده، وكم من ساع حسن السعى غير مقبول سعيه.

قال بعضهم: السعى فى الدنيا بالأبدان، والسعى إلى الآخرة بالقلوب، والسعى إلى الله تعالى بالهمم.

قال عز وجل: ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَشْكُوراً﴾ [الآية: ١٩].

قال أبو حفص: السعى المشكور ما لم يكن مشوبًا برياء. ولا سمعة، ولا رؤية نفس، ولا طلب ثواب بل يكون خالصًا لوجهه لا يشاركه فى ذلك شىء فذلك السعى المشكور.

قوله عز وجل: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: ٢١].

قال ابن عطاء: من تولاه بصرف من العناية توالت أعماله كلها بالله تعالى فله فضل الولاية على من دونه فإن الله تعالى قال: انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والفضيلة تقع فيما بين الخلق والحق لا يكبر عنده الطاعات ولا تغضبه المخالفات.

قال الواسطى: فضلنا بعضهم على بعض: بالمعرفة والإخلاص والتوكل.

قوله عز وجل: ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الآية: ٢١].

قال الواسطى: بدرجات الشوق يصل العبد إلى درجات العلى وأعظم درجة فى الآخرة التخطى إلى بساط القرب ومشاهدة الحق أعلا وأجلّ.

قال أبو سعيد القرشى: ابن آدم أنت تباهى بحسن مجلسك فى دار الدنيا من سلطان أو شريف أو عالم فكيف لا ترغب فى مباهاة مجالس الآخرة وهى أكبر وأفضل.

قوله عز وجلّ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ﴾ [الآية: ٢٣].

قال بعضهم: قضى ربك: أمر ربك.

قال بعضهم: العبودية هى قطع الأرباب وخلع الأسباب، والرجوع إلى الحق بالحقيقة.

سمعت أبا عثمان المغربى يقول: من تحقق فى العبودية ظهر سرّه لمشاهدة الربوبية، وإجابته القدرة إلى كل ما يريد.

قال النصرآباذى: العبودية إسقاط رؤية التعبد فى مشاهدة المعبود.

قوله عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الآية: ٢٤].

قال بعضهم: لا تخالفهما برأى، وإن كانا على خلاف هواك ذلك خلاف الشريعة.

سُئل أبو عثمان عن بر الوالدين فقال: أن لا ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر إليهما شذرًا، ولا يريان منك مخالفة فى ظاهر وباطن، وأن تحترم لهما ما عاشا، وتدعو لهما إذا ماتا، وتقوم بخدمة أودّائهما بعدهما فإن النبى ﷺ قال: «إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ودِّ أبيه»[١] وكان النبى ﷺ: إذا ذبح شاة تتبع بها صدائق خديجة»[٢].

وسئل الفضل بن عياض عن بر الوالدين؟ قال: أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل.

قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ [الآية: ٢٥].

قال أبو عثمان: الأوَّاب الدَّعاء.

وقال القاسم: الأوَّاب الرَّجاع إلى الله فى كل أمر من أمور دنياه وآخرته لا يكون له أحد ملجأ، ولا استعَانة.

وقال بعضهم: الأوَّاب المتبرئ من حوله وقوته. والمعتمد على الله فى كل نازلة.

قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الآية: ٢٩].

قال أبو سعيد القرشى: أراد الله من نبيِّة ﷺ أن لا يكون قائمًا بسرف البسط

---

(١) صحيح: اخرجه الإمام أحمد فى «مسنده» (٢/ ٩٧) حديث رقم (٥٧٢١). وقال إسناده صحيح.

(٢) صحيح: اخرجه: مسلم فى كتاب «فضائل الصحابة» باب «فضائل خديجة أم المؤمنين» (٤/ ٧٥/ ١٨٨٨)، بلفظ: إذا ذبح شاة قال: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة».

والسخاء، ولا قائمًا ببعض المنع والإمساك، وأن يكون قائمًا فى جميع الأحوال.

وقال بعضهم: لا تبخل بما ليس لك، ولا تمنّ بالعطاء فإن الملك لنا على الحقيقة وأنت القاسم تقسمْ فيهم حقوقهم.

قال النبى ﷺ: «فإن الله يعطى وأنا القاسم أقسم»[1]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية: ٣٠].

قال ابن عطاء رحمه الله: ولك بهذه الآية على التوكل والثقة فإن الله يبسط الرزق لمن يشاء فاسكن أنت من اضطرابك ودع جبلتك واسأل: من بيده البسط أن يوسع عليك الرزق.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الآية: ٣٤].

قال حمدون القصار: من ضيع عهود الله عنده فهو للآداب شريعته أضيع، لأن الله تعالى يقول: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾.

وقال يحيى بن معاذ: لربك عليك عهود ظاهرًا وباطنًا، فعهد على الأسرار أن لا يشاهد سواه وعهد على الروح أن لا يفارق مقام القربة.

وعهد على القلب أن لا يفارق الخوف، وعهد على النفس فى آداء الفرائض، وعهد على الجوارح فى ملازمة الأدب وترك ركوب المخالفات. والله يقول: ﴿إن العهد كان مسئولا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الآية: ٣٥].

قال بعضهم: أوفوا الكيل فإن وزنك موزون وكيلك مكيل، إن وفّيت وفّى لك وإن نقصت نقص عليك.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الآية: ٣٦].

سُئِل أبو عثمان عن هذه الآية قال: أعطاك الله اللسان فلا تشغله إلا بالذكر، وأعطاك العين فلا تشغلها إلا معتبرًا، وأعطاك السمع فلا تسمع بها إلا حقًا وصوابًا،

(١) صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٦٠٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وأعطاك القلب فلا تشغله إلا بالمعرفة ودوام المراقبة والخوف فإنه موضع نظر الحق. وإنك مسئول عن جميعها.

قال الواسطى رحمة الله عليه فى قوله: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾. قال: لا تخبر عنا إلا على طريق الخدمة ولا تجاوز فيه محل الأذن.

قال أبو سعيد الخراز: من استقرت المعرفة فى قلبه فإنه لا يبصر فى الدارين سواه، ولا يسمع إلا منه ولا يُشغل إلا به.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الآية: ٣٧].

قال بعضهم: أسوأ خصلةٍ فى الإنسان الكبر، وأحسن خصلةٍ فيه التواضع، ومن تكبر فقد أخبر عن نذالة نفسه، ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه.

قال الله تعالى: ﴿ولا تَمْشِ فى الأرض مرحًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَذا القُرآنِ لِيَذَّكَرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا نُفُورًا﴾ [الآية: ٤١].

قال ابن عطاء: اتبعنا المواعظة لعلهم يفهموا عنا مرادنا ويرجعوا إلينا فى طلب مراد الخطاب فما زادهم إلا إعراضًا عنا.

قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَواتُ السَّبعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإن مِن شَىء إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِه﴾ [الآية: ٤٤].

قال أبو عثمان المغربى: المكونات كلهن يسبحن الله باختلاف اللغات، ولكن لا يسمع تسبيحها ولا يفقه عنه ذلك إلا العلماء الربانيون الذين فتحت أسماع قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ القُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الآية: ٤٥].

قال بعضهم: من تحصن بالحق فهو فى أحصن حصن، ومن تحصن بكتابه فهو أحسن حصن، والمضيع لوقته من تحصن بعمله أو بنفسه أو بحسبه فيكون هلاكه من موضع أمنه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِه﴾ [الآية: ٥٢].

قال بعضهم: من أسمعه الحق الدعوة وفقه للجواب ومن لم تسمعه الدعوة كيف

تجيب من لم يسمع.

قال الجنيد رحمه الله تعالى فى قوله: فتستجيبون بحمده. قال: تقولون: الحمد لله الذى جعلنا من أهل دعوته.

قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

قال القاسم: سبق علمه فى الخلق بالرحمة، والعذاب فلا مبدل لما أراد وقد وسم الخلق بسمة الرحمة والعذاب فهو يرجع إلى منتهاه بما قد حركه فى مبدأه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: ٥٥].

قال محمد بن الفضل: تفضيل الأنبياء بالخصائص كالخُلة والكلام، والمعراج، وغير ذلك، فضل البعض منهم على البعض صلى الله عليهم أجمعين، وفضل محمداً ﷺ على الجميع ألا تراه يقول: أنا سيد ولد آدم ولا فخر[1]، كيف أفتخر بهذا وأنا بائن منهم بحالى واقف مع الله بحسن الأدب لو كنت مفتخرًا لافتخرت بالحق، والقرب، والدنو منه. فكما لم أفتخر بمحل الدنو والقرب كيف أفتخر بسيادة الأجناس؟.

قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الآية: ٥٧].

قال سهل رحمه الله تعالى: الرجاء والخوف زمامان على الإنسان فإذا استويا قامت له أحواله وإذا رجح أحدهما بطل الآخر، ألا ترى النبى ﷺ أنه قال: «لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا»[2]

قال بعضهم: رجاء الرحمة هو طلب الوصول إلى الرحيم وخوف العذاب هو الاستعاذة من قطعه فلا عذاب أشد من ذلك.

قال بعضهم: يرجون رحمته فى الدنيا بتواتر النعم عليهم ودوام العافية لهم فى

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم فى كتاب «الفضائل» باب «تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق» (٤/٣/١٧٨٢) من حديث أبى هريرة به.

(٢) **إسناده ضعيف جداً**: أورده السيوطى فى «الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة» وقال لا أصل له (ص٢١١) حديث رقم (٣٤٧)، وقال السيوطى: أخرجه عبد الله بن أحمد فى «زوائد الزهد» عن ثابت البنانى من قوله بلفظ «كانا سواء» اهـ.

أورده البيهقى فى «شعب الإيمان» (٢/١٢) حديث (١٠٢٧)، والعجلونى فى «كشف الخفاء» (٢/٢١٦) حديث (٢١٣١).

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالْبَحرِ﴾ [الآية: ٧٠].

معنى البرّ النفس، ومعنى البحر القلب، فمن حمله فى النفس فقد أكرمه بنور التأييد، فمن لم يكن له نور التأييد وكان له نور التدبير يكون هلاكه عن قريب.

قال الواسطى رحمه الله فى قوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالْبَحرِ﴾ قال: البر ما أظهر من النعوت والبحر ما استتر من الحقائق، وقيل: فى مشاهدة أيده فصمت الوقتين الفصل والوصل وهو البر والبحر.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية: ٧٠].

قال أبو عثمان: الرزق الطيب هو الحلال.

قال إبراهيم الخواص: الطيبات المباحات.

قال عبد الله بن المبارك: كتب يد العامل إذا نصح.

وقال يحيى بن معاذ: الرزق الطيب ما يفتح على الإنسان من غير سؤال ولا إشراف نفس.

قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الآية: ٧٠].

قال أبو عثمان: فضلناهم بالمعرفة على جميع الخلائق.

قال أبو حفص: فضلناهم بأن بصرناهم عيوب أنفسهم.

قال فضيل بن عياض: فضلناهم بالتمييز والحفظ.

وحكى ابن الفرحى عن الجنيد رحمه الله تعالى قال: فضلناهم بإصابة الفراسة.

وقال السيارى: فضلنا العلماء على الجهال بالعلم بالله وأحكامه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الآية: ٧١].

قال ابن عطاء: يوصل كل مريد إلى مراده، وكل محب إلى محبوبه، وكل مدعٍ إلى دعواه، ولكل مُنتمٍ إلى من كان ينتمى إليه.

وقال الجنيد فى هذه الآية: يقولون لقوم يا عبيد الدنيا، ولقوم يا عبيد الأنفس، ولقوم يا طلاب الآخرة، ولقوم يا أصحاب الأعراض، ولقوم يا مُتبعى الأوامر، ولقوم يا ربانيين.

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ [الآية: ٧٢].

قال الجنيد رحمه الله: من كان فى هذه أعمى عن مشاهدة الفضل فهو فى الآخرة أعمى عن مشاهدة الذات.

وقال أيضًا: من كان فى هذه أعمى عن مشاهدة برّه فهو فى الآخرة أعمى عن رؤيته وضال عن قربه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ [الآية: ٧٤].

قال ابن عطاء: إن الله عز وجلّ، عاتب الأنبياء بعد مباشرة الزلات، وعاتب نبينا قبل وقوعه ليكون بذلك أشد إنتباهًا وتحفظًا لشرائط المحبة فقال: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم﴾.

قال الحسين: خلق الله الخلق على علم منه بهم. وهم علم العلم، وجعل النبى ﷺ أعظم الخلق خلقًا، وأقربهم زلفى فجعله الداعى إليه والمبين عنه، به يصلون إلى الله ظاهرًا وباطنًا، وعاجلاً وآجلاً، فثبت الملك بالعلم وثبت العلم بالنبى ﷺ وحثنا النبى ﷺ به فقال: ولولا أن ثبتناك بنا.

وقال عمرو بن عثمان المكى فى قوله: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾. قال: «كدت» هو الشىء بين الشيئين، وهو الخروج من ذى إلى ذى، ولم يخرج من ذى ولم يدخل فى ذى، وكان واقفًا بأمر عظيم وشأن عجيب وعلم غريب، وهو نزاهة نفسه، وعظيم علمه بربه فبلغ هذا الخطاب به من الخوف والوجل من ربه، حتى كاد أن يساوى خوف الموافقين للمخالفة، وهذا الفرق بين الخواص والعوام أنهم يخافون فى الهمة ما لا يخافة العوام إلى الموافقة.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الآية: ٧٨].

قال بعضهم: القيام فى أوقات الأسحار مشهود من صاحبه وشاهد عليه.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الآية: ٨٠].

قال سهل: أدخلنى فى تبليغ الرسالة، مدخل صدق وأن لا يكون لى ميل ولا تكبر فى حدود التبليغ وشروطه، وأخرجنى من ذلك على السلامة وطلب رضاك منه والموافقة ﴿واجعل لى من لدنك سلطانًا نصيرًا﴾ زيّنى بزينة جبروتك ليكون الغالب

سلطان الحق لا سلطان الهوى.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندرانى يقول: سمعت أبا جعفر الملطى عن على بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد فى قوله: ﴿أدخلنى مدخل صدق﴾ قال: أدخلنى فيها على حَدّ الرضا، وأخرجنى عنها وأنت عنى راضٍ.

وقال أيضًا: أخرجنى من القبر إلى الوقوف بين يديك على طريق الصدق مع الصادقين.

قال جعفر: طلب التولية أن يكون هو المتولى أى أدخلنى ميدان معرفتك وأخرجنى من مشاهدة الذات.

قال الخراز: ما دعا الله أحدًا من العباد إلا أقام عليه الدلائل والبراهين ودل عليه، وقد قال لنبيه ﷺ: ﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق﴾ الآية.

قال الواسطى رحمة الله عليه: قال المعلا فى شرفه يعنى محمد ﷺ: ﴿أدخلنى مدخل صدقٍ وأخرجنى مخرج صدق﴾ فاظهر محمد ﷺ من نفسه صدق اللجأ بصدق الفاقة بين يديه، وبصدق اللجأ تَرَبَّيت السرائر.

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِى مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الآية: ٨٠].

قال الجنيد رحمه الله: غلبةً وقهرًا على أعدائك فأجابه الله إلى ذلك فقال النبى ﷺ «نصرت بالرُّعب مسيرة شهر»[١].

قال فارس: السلطان هاهنا سلطان على نفسه يقمع هواه فيزم جمعها بشاهد الهيبة فيمسك نفسه بسلطان الوحدانية، ويُنصر على عدوه بحسن نظر الله له من معاونته وحمله على رؤية هواه.

قال سهل بن عبد الله: لسانًا ينطق عنك ولا ينطق عن غيرك.

سمعت منصور بن عبد الله بإسناده عن جعفر أنه قال فى هذه الآية: قوة لى فى الدين توجب لى بها الجنة.

---

(١) متفق عليه: اخرجه البخارى (١/حديث (٤٣٨)، ومسلم فى كتاب «المساجد» (٣/ ٥) (٣/ ٥٢١/ نووى). من حديث جابر بن عبد الله به.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الآية: ٨١].

قال فارس: الحق ما يحملك على سبيل الحقيقة والباطل ما يشتت عليك أمرك ويفرق عليك وقتك.

قوله تعالى: ﴿وإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ﴾ [الآية: ٨٣].

قال الواسطى: أعرض بالنعمة عن المنعم والنعمة العظمى الهداية والإيمان والمعرفة والولاية والعبد لا ينفك من رؤية ذلك من نفسه وهذا هو الإعراض عن المنعم بأن يستحلى طاعته، ويتلذذ بها، أو يسكن إليها، أو يتحصن بها من النار قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الآية: ٨٤].

قال ابن عطاء: على ما فى سره؛ لأن النبى ﷺ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[1].

قال جعفر: كل يظهر مكنون ما أودع فيه من الخير والشر.

قال أبو بكر بن طاهر: كل نفس يتبع أثر قلبه وهمته.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الآية: ٨٥].

قال بعضهم: الروح شعاع الحقيقة يختلف آثارها فى الأجساد.

قال بعضهم: الروح عبادة، والقائم بالأشياء هو الحق.

وقيل: إن الأرواح نعيمها فى التجلى وعذابها فى الاستتار.

قال بعضهم: الروح لطيفة يرى من الله عز وجلّ إلى أماكن معروفة لا يعبر عنه بأكثر من وجود بإيجاد غيره.

قال الواسطى رحمه الله: الروح يمّر بشىء من الأحوال من محبة وخَوف، ورجاء، وصدق، والمعرفة أنفت هذه المعانى كلها والأحوال للعقول والنفوس فقال: لما خلق الله عز وجل أرواح الأكابر ردها بمعرفته لها فأسقط عنها معرفتها به، وأبرأ إليها علمه بها فأسقط عنها ما علمت منه، فمعرفتها. معرفة الحق إياها، وعلمها علم الحق بها، وتصورها مراده إياها على محابها.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب «الجنائز» باب «موعظة المحدث عند القبر» (٣/٢٦٧) حديث (١٣٦٢)، ومسلم فى كتاب «القدر» باب «كيفية الخلق الآدمى» (٤/٦/٢٠٣٩).

قيل: مباسطة الألطاف تنسى الأرواح، ومباشرة الأرواح تظهر عليها الألطاف.

وقيل فى قوله: ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ قال: قارن العلم بالروح لرقة لطافته بحملها لأنها وفى علمه. وتمكن معه بحمله فتفضل بأن جذبها إلى علمه ويلغ منها الحقيقة وليس الكل يعطونها كذى فهى ناطقة بعلم ما علمه فيها ومنها فهى يتزايد جذبها إليه وذلك حين يستولى عليها علمه بها، ونظره إليها فهى به تجول وبه معه تمور.

وقيل: الروح لم تخرج من الكون لأنها لو خرجت من الكون لكان عليها الذُّل، فقيل: من أى شىء خرجت؟ قال: من بين جماله، وقدس جلاله بملاحظة الإشارة غشاها بجماله، وردّها بحسنه واشتملها بسلامِه، وحياها بكلامه فهى متقة من ذُلّ الكون.

وسُئل أبو سعيد الحداد عن الروح مخلوقة هى، قال: نعم فلولا ذلك لما أقرت بالربوبية حين قال: «بَلى» والروح هى التى أوقفت على البدن اسم الحياة، والروح ثبت العقل، وبالروح قامت الحجة ولو لم يكن الروح لكان متعطلاً يعنى العقل ولا حجة له ولا عليه.

وقال ابن عطاء فى قوله: ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ إن الله ستر الروح على جميع خلقه، وستر صفة صفات نفسه، وستر ما يبدو منه، وستر ما يعامل به الخلق عند معاينته إلا أن العلماء اتفقت أنها لطيفة وأنها خلقت قبل الأجسام واختصاصها من بين المخلوقات بكونها فى يد ربها حين قال لآدم: اختر إحدى يدى فزاده اختصاص الأخذ لطفًا وتقريبًا من ذات مالكها فبين به الخلق والأصل أنها مخلوقه لكنها ألطف المخلوقات، وهى أصفى الجواهر وأنورها بها تُرى المغيبات وبها يكون الكشف لأهل الحقائق، وإذا حجبت الروح عن ملاقات النفس دعات الستر أساءت الجوارح الأدب فى أوقاتها كذلك صارت الروح بين تحلى واستتار، ونازع وقابض وهى على قرب محلها من ربها وقت أخذها.

وسُئل الواسطى رحمه الله عن الأرواح أين كان مكانها حين أظهرها؟ قال: إن الأرواح خلقها وقبضها قبل الأجساد فأين كانت ترى؟ صار ما غاب عيانًا، لأن الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء، وسُئل لأى علة كان محمد ﷺ احكم الخلق؟ قال: لأنه خلق روحه أولا فوقع له صحبة التمكين والاستقرار، الا ترى يقول «كُنْتُ نبيًا وآدم

بين الروح والجسد»[1]. أى لم يكن روحًا ولا جسدًا.

وقيل: معرفة الأشباح عقوله بها زمن عظيم ما وزد عليها والأرواح لا تهواها شىء ولا يستعظم كونًا ولا تكوننًا لأنها مأخوذة بشاهد الحق يجحد كل وارد يرد عليها من المستترات.

وقيل: الأرواح معتقة من رق الكون أظهر فيها من خفايا المخبات المصونات والمكونات بأعجب أعجوبة وسلم عليها كفاحًا وكانوا سالمين فى أزليته منه فى إظهار ديموميته سالمين منه فى أخرياته استحقوا اسم السلام بذلك.

قال بعضهم: نورًّ بالأرواح الأجساد ورفق بها وزينها بنعيم مشاهدة الأرواح وملاقاتها. ومباشرتها على حسن الأدب فإذا حجب الروح عن ملاقاة الجسد أساءت الجوارح فى أوقاتها الأدب.

وقال أبو سعيد القرشى: الروح روحان: روح الممات، وروح الحياة فإذا اجتمعا عقل الجسم فروح الممات الذى إذا خرج من الجسد يصير الحىّ ميتًا، وروح الحياة ما به مجارى الأنفاس وقوة الأكل والشرب وغيرها.

وقال الواسطى رحمه الله: الأرواح فى ثلاثة أشياء: أرواح الأجلّة الأنبياء غذاها بلطائف خطابها تجدهم يسامون من كل ما يفتخر به الخلق من أنواع الطاعات أو التزين بالعبودية وأرواح الصديقين والصالحين عذابها بملاحظاته تزداد على الأوقات نورًا وتبصرة، وأرواح العامة تأخذ غذاء من كل مأكول ومشروب.

وقال بعض البغداديين: الروح عبادة، والقائم بالأشياء الحق لا غير، فسُئل عن غيره القائم بالأشياء.

قال: قامت الأشياء بتوليه وحفظه.

وأنشد بعضهم:

تراعى الروح مطلعها فتعلو عن الأبراج تسرى كالنجوم

كذلك قالوا: محادثات الحق للسرائر تطفى كدورات الأشباح.

(١) صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٢/٦٠٨، ٦٠٩). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافق الذهبى وابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (٧/ ٦٠).

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُم تَمْلكُونَ خَزَائِنِ رَحْمةِ رَبِّى إِذًا لأَمْسَكْتُم خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾ [الآية: ١٠٠].

قال حمدون: أخبرنا الله تعالى عن حقيقة طبائع الخلق فقال: لو ملكتم ما أملكه من فنون الرحمة وخزائن الخير لغلب عليكم سوء طبائعكم فى الشح والبخل وقال أبو حفص: ابن آدم محمول على الشح، والبخل والبذل والجود منه خلاف طبعه ومجبول على المخالفة والموافقة منه، خلاف سجنته ألا ترى الله يقول: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُم تَمْلكُونَ خَزَائِنِ رَحْمةِ رَبِّى إِذًا لأَمْسَكْتُم خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية: ١٠١].

قال جعفر: من الآيات التى خصه الله بها الاصطناع والمحبّة ألقاها عليه والكلام والثبات فى محل الخطاب، والحفظ فى اليم واليد البيضاء وإعطاء الألواح.

وقال ابن عطاء: من الآيات حمل قوة الخطاب فى المشاهدة، والمراجعة فى طلب الروية وهذه من أعظم الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الآية: ١٠٥].

قال جعفر: الحق أنزل على قلوب خواصه من مكنون فوائده، وعجائب بره، ولطائف صنعه ما نور به أسرارهم، وطهر به قلوبهم، وزين جوارحهم وبالحق نَزّلَ عليهم هذه اللطائف.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الآية: ١٠٥].

قال ابن عطاء: مبشرًا لمن أعرض عنك، نذيرًا لمن أقبل عليك يبشرهم لسعة رحمة الله عليهم ليقبلوا عليه وينذرهم سخط ربهم لئلا يتكلوا على أعمالهم.

وقال أبو بكر بن طاهر: يبشرهم برحمتنا وينذرهم بسخطنا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ [الآية: ١٠٧].

قال سهل رحمه الله: لا يؤثر شىء على اليسر ما يؤثر عليه سماع القرآن فإن العبد إذا سمع القرآن خشع سره لسماعه، وأنار قلبه بالبراهين الصادقة، وزين جوارحه

(١) سورة (الإسراء) الآية رقم (١٠٠).

بالتذلل والانقياد.

قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الآية:١٠٩].

قال أبو يعقوب السوسى: البكاء على أنواع: بكاء من الله وهو أن يبكى شفقة لما جرى عليه من الحق فى الأزل من السعادة والشقاوة وبكاء على الله وهو أن يبكى حسرة على ما يفوته من الحق ومن حظه منه، وبكاء لله وهو البكاء عند ذكره وقوته ووعده ووعيده وبكاء بالله وهو أن يبكى يلاحظ منه فى بكائه.

قال القاسم: البكاء على وجوه: بكاء الجهال على ما جهلوا، وبكاء العلماء على ما قصروا، وبكاء الصالحين مخافة الفوت، وبكاء الأئمة مخافة السبق، وبكاء الفرسان من أرباب القلوب للهيبة والخشية وتواتر الأنوار ولإبكاء الموحدين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمن أَيًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسنى﴾ [الآية: ١١٠].

ما دعا اللهُ أحدٌ قط إلا إيمانًا وإما دعوة حقيقة فلا.

قال الواسطى رحمة الله عليه: أسماؤه لا تدخل تحت الحصر، وذاته ليس بمشار إليه ولا بموصوف حقيقة إلا صفة المدح، والحق هو الخارج عن الأوهام والأفهام فأنى له النعوت والأفهام فأنى له النعوت والصفات.

قوله تعالى: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ [الآية:١١١].

قال ابن عطاء: عظِّم منته وإحسانه فى قلبك يعلمك بتقصيرك فى شكره.

قال بعضهم: اعلم أنك لا تطيق أن تكبره الآية، فاستفت به ليدل على مواقف التعظيم.

* * *

ذكر ما قيل فى سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ لله الَّذى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكتَابَ﴾ [الآية: ١].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزار يقول: سمعت ابن عطاء يقول فى قوله: ﴿الحَمْدُ لله الَّذى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكتَابَ﴾، قال: أضاف الكلّ بالكلية إلى نفسه، وقال: على عبده المخلص وحقيقة العبد الذى لا ملك له.

وقيل: العبد الذى لا يرى غير سيده.

وقيل: العبد الذى لا ينازع سيده شيئًا.

وقيل العبد الذى لا يهتم بشىء ولا يسكن إلى شىء، ولا يأمن من شىء.

قال أبو حفص: العبد القائم إلى أوامر سيده على حد النشاط حديث جعله محل أمره.

وقال أبو عثمان: العبد الذى لا يملك شيئًا ولا يرعى لنفسه شيئًا.

وقال الجريرى: حقيقة العبد هو المتخلق بأخلاق سيده.

وقال ابن عطاء: الكتاب منشور ظاهر فيه أسرار باطنه.

قوله تعالى: ﴿الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الآية: ٢].

قال بعضهم: العمل الصالح ما أريد به وجه الله لا غير، والأجر الحسن أن لا تحجب عن لقاء سيده.

وقال بعضهم: من ربط عمله بالإخلاص صلح عمله، ومن صلح فله عند الله أجرٌ حسن وهو أن يكون ثوابه عليه ما لا عين رأت وهو لقاء الحق، ولا أذنٌ سمعت وهو كلام الحق، ولا خطر على قلب بشر وهو الرضا. قال الله تعالى: ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩، المجادلة: ٢٢، البينة: ٨].

قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إن يَقُولُونَ إلا كَذِبًا﴾ [الآية: ٥].

قال ابن عطاء: الكبر الدعاوى، من ادعى فى الله أو أشار إلى الله، أو تكلم عن الله

أو دخل فى ميدان الانبساط فإن ذلك كله من صفات الكذابين.

قال الله تعالى: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا﴾ والمتحقق به لا يظهر شيئًا من أحواله بحال.

قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ [الآية: ٦].

قال بعضهم: لا تشغل سرك بمخالفاتهم. فما عليك إلا البلاغ والهدى منا لمن نشاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الآية: ٧].

قال ابن عطاء: لنبلوهم أيهم أحسن عملاً، أحسن إعراضًا عنها وتركًا لها.

وقال سهل: أيهم أحسن توكلاً علينا فيها.

قال أبو على الروذبارى: إن القوم لما أيقنوا أن الله تولى الأمور بنفسه عرف كل عاقل حقيقة ما هم فيه فاستهانوا الدنيا، واستغنوا، وأعرضوا عنها، وذلك بعدما عرفهم الله ذلك بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾.

قال ابن عطاء: أيهم أقر بالعبودية قولاً وفعلاً.

وقال فارس فى قوله: أيهم أحسن عملاً.

قال: صدقًا وقصدًا ونية.

وقال القاسم: أفرغ قلبًا وأحسن فطنة وأهدى سمتًا.

وقال بعضهم: حسن العمل نسيان العامل نفسه، وعمله والفناء بالحق للحق.

قال الواسطى رحمه الله: وعليهم حسن العمل ترك التزين به.

وقال سهل: حسن العمل الاستقامة عليه بالسنة.

قال القاسم: زينة الأرض الأنبياء والأولياء والعلماء الربانيون والأوتاد.

وقيل: أهل المعرفة بالله، والمحبة له، والمشتاقون إليه هم زينة الأرض ونجومها وأقمارها، وشموسها.

قال سهل: إنهم أحسن عملاً عنها أعراضًا واجتنابًا وعن الحسين فى قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ قال: هم الرجال العباد العمال لله بالطاعة، ﴿لنبلوهم

أيهم أحسن عملاً﴾ قال: أيهم أشد لها تركًا.

قوله تعالى: **﴿وإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾** [الآية:٨].

قال الواسطى رحمه الله: الكون فى قبضة الحق وهو هباء فى جنب القدرة، وقال الله: **﴿وإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾**.

قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيم كَانُواْ مِنْ آيَاتنَا عَجَبًا﴾** [الآية: ٩].

قال الحسين: أصحاب الكهف فى ظل المعرفة الأصلية لا يزايلهم بحال كذلك خفى على الخلق آثارهم.

وقال ابن عطاء فى قوله: **﴿من آياتنا عجبًا﴾** سلبهم عنهم وأخذهم منهم، وحال بينهم وبين الأغيار وألجأهم إلى غار الأنس وآواهم وأمنهم ثم أفناهم عنهم وغيبهم منهم، ومن إرادتهم ومعانيهم فتاهوا فى الحضرة والعين لذلك قال: **﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا﴾**.

قال الجنيد رحمه الله فى قوله: **﴿كانوا من آياتنا عجبًا﴾** قال: لا تعجب منهم فشأنك أعظم من شأنهم وأعظم حيث أسرى بك فى ليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وبلغ بك سدرة المنتهى وكنت فى القرب كقاب قوسين أو أدنى ثم ردت عند انقضاء الليلة إلى مضجعك.

وقيل بعضهم: أصحاب الكهف كالنيام لا علم لهم بوقت، ولا زمان، ولا معرفة بعمل ولا مكان أحياء موتى صراعى. مفيقون، نيام منتبهون لا إليهم سبيل ولا لهم إلى غيرهم طريق وردت عليهم خلع من خلع الهيبة، وأظلتهم ستور التعظيم وأحدقت بهم حجب العظمة واستناروا بنور العزيز الكريم، كذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا﴾**.

قوله تعالى: **﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى الكهفِ سِنِين عَدَدًا﴾** [الآية: ١١].

قيل: أخذنا عنهم أسماعهم حتى لا يسمعوا إلا منا، وأخذنا عنهم أبصارهم فلا ينظرون إلا إلينا، حتى لا يكون لهم إلى الغير الآفات ولا للغير فيهم نصيب بحال.

قال ابن عطاء: أخرجنا منهم صفة البشرية. وأقمناهم بصفات القدوسية، قدسنا

ظواهرهم، وبواطنهم وجعلناهم أسرى فى القبضة ثم رددناهم إلى هياكلهم وصفاتهم بقوله: ﴿ثم بعثناهم﴾.

وقال أيضًا: إن الفائدة فى الضرب على الآذان وليس للأذنان فى النوم شىء إنه ضرب على آذانهم حتى لا يسمعوا الأصوات فيتنبهون ويكونوا من الخلق كلهم فى راحة.

قوله تعالى: ﴿نحنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبأَهُم بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدى﴾ [الآية: ١٣].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم يقول: قال ابن عطاء. زدناهم هدى أى زدناهم نورًا ومن يعرف قدر زيادة الله لذلك كانت الشمس تزاور عن كهفهم خوفًا من نورهم على نورها أن يطمسه[1].

وقال أيضًا: نحن نقص عليك نبأهم بالحق لننظر إليهم بعين المشاهدة.

وقال سهل: زدناهم هدى. قال: بصيرة فى الإيمان.

وقال: سماهم الله فتية لأنهم آمنوا بالله بلا وساطة وقاموا إلى الله بإسقاط العلائق عنهم.

وقال أبو بكر الوراق: أول قدم فى الإيمان. الفتوة وهو أن لا يجرى عليك التلوين لما يرد.

وقال محمد بن على الترمذى: الفتوة تصديق اللسان فيما وعد وأوعد، وهو الإيمان على الحقيقة أن لا يخالف ظاهرك وباطنك، ولا باطنك ظاهرك.

وسئل أبو حفص: ما الفتوة؟ قال: أن تنظر إلى الخلق كلهم بعين الأولياء، ولا تستفتح منهم إلا ما خالف الشرع، ولا تلوم أحدًا على ذنب ويجعل له فى ذلك عذرًا.

وقال بعضهم: الفتوة أن لا تبالى إلى من أخرجت رفقك بعد أن قبله منك.

وقال أبو عثمان: الفتوة اتباع الشرع والاقتداء بالسنن، وسعة الصدر، وحسن الخلق.

---

(١) التعليق على قوله: ﴿تزاور عن كهفهم﴾.

قال الله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

وقال الفضيل: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان.

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الآية: ١٤].

قال ابن عطاء: وسمنا أسرارهم بسمة الحق، فقاموا بالحق للحق فقالوا: ﴿ربنا﴾ إظهار إرادة ودعوة ثم قال: ﴿رب السموات والأرض﴾ رجوعًا من صفاتهم بالكلية إلى صفاته وحقيقة علمه ﴿لن ندعو من دونه إلهًا﴾ لن نعتمد سواه فى شىء، لو قلنا غير ذلك كان شططًا يعنى بعيدًا من طريق الحق.

وقال ابن عطاء: ربطنا على قلوبهم حتى صدقوا العهد والميثاق وأخلينا أسرارهم عمَّا دوننا.

وقال جعفر: إذ قاموا، أى: قاموا وأخلصوا فى دعائنا.

وقال ابن عطاء: قاموا عَمَّا كان أفقدهم من الاشتغال بالأكوان فقالوا: ﴿ربُّنا رب السموات والأرض﴾ لم ينظروا إلى شىء دوننا ولم يسكنوا إليه.

وقال جعفر: قاموا إلى الحق بالحق قيام أدب ونادوه نداء صدق وأظهروا له صحة الفقر، ولجؤوا إليه أحسن لجإ وقالوا: ربُّنا رب السموات والأرض: افتخارًا به وتعظيمًا له، فكافأهم على قيامهم الإجابة على ندائهم بأحسن جواب وألطف خطاب، وأظهر عليهم من الآيات ما يعجب منه الرُّسل حين قال: ﴿لَوِ اطلعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [الآية: ١٨].

وسمعت بعض مشايخنا يستدل بهذه الآية فى حركة الواجدين فى وقت السماع والذكر. إن القلوب إذا كانت مربوطة بالملكوت ومحل القدس حركتها أنوار الأذكار وما يرد عليها من فنون السماع والأصل قوله تعالى: ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ [الآية: ١٥].

قال الواسطى رحمة الله عليه: أن يقول ولا يعمل أو يشير إليه ثم يرجع إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِم ذَاتَ اليَمِينِ﴾ [الآية: ١٧].

قال ابن عطاء: ذلك لمعنى النور الذى كان عليهم بقوله: ﴿وزدناهم هدى﴾ نور على نور، وبرهان على برهان، والشمس نور ولكن إذا غلب نور أقوى منها انكشفت الشمس فكانت تزيغ عن كهفهم لغلبة نورهم خوفًا أن ينكشف نورها من غلبة نورهم.

قال جعفر: يمين المرء قلبه، وشماله نفسه، والرعاية يدور عليهما ولولا ذلك لهلك.

قال ابن عطاء: زينهم الله عز وجل لخلقة الرضا فكشفت الأنوار لنورهم، وخضعت لها فترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم تهرب بنورها عن أنوارهم.

قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الآية: ١٧].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزار رحمه الله سمعت ابن عطاء يقول: ما حُجِبَ عن الله أحدًا إلا من أراد أن يصل إليه بحركاته وسعيه، وما وصل إليه أحد إلا من أراد أن يصل إليه بصفته عزّ وتعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرْشِدًا﴾ [الآية: ١٧].

قال الواسطى: من جاء بأوائل الإيمان بلا علة، وبأواخره بلا علة وهذا صفات الحق لا صفات الخلق فنظرات المهتدى هو المباين من جميع أوصافه المتصف بأوصاف الحق.

قال سهل: من حكم الله عليه بالشقاوة لم يقدر على صرف ذلك أحد عنه بحال.

قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الآية: ١٨].

قال ابن عطاء: مقيمون فى الحضرة كالنيام لا علم لهم بوقتٍ ولا زمان ولا معرفة بمحل ولا مكان أحياء موتى صرعى مفيقون نيام منتبهون لا لهم إلى غيرهم طريق ولا لغيرهم إليهم سبيل ومحل الحضور والمشاهدة إنما هو الجمود تحت الصفات لا غير.

قال أبو سعيد: هذا محل الفناء والبقاء أن يكونوا فانين بالحق باقين به، لا هُم كالنيام ولا هُم كالأيقاظ أوصافهم فانية عنهم وأوصاف الحق بادية عليهم وهو حيرة تحت كشفٍ ووله مقابلة يقين.

وقال أبو سعيد: هؤلاء أئمة الواجِدين لما قاموا فقالوا ﴿رَبُّنَا رب السموات والأرض﴾ كشف لهم حتى يتبينوا جلال القدرة وعظم الملكوت فغيبوا عن التمتع بشىء من الكون لحقيقة أحوالهم فصاروا دَهشين لا أيقاظ ولا رقود.

قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبهم ذَاتَ اليمينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الآية:١٨].

قال ابن عطاء: نقلبهم فى حالى القبض والبسط والجمع والتفرقة جمعناهم مما تفرقوا فيه فحصلوا معنا فى عين الجمع.

قال بعضهم: نقلبهم من حال الفناء والبقاء والكشف والاحتجاب والتجلى والاستتار.

قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهمْ بَاسِطٌ ذِرَاعيْه بالوَصيد﴾ [الآية:١٨].

قال أبو بكر الوراق: مجالسة الصالحين ومجاورتهم يؤثر على الخلق وأن لهم أن يكونوا أجناسًا ألا ترى الله عز وعلا كيف ذكر عن أصحاب الكهف فذكر كلبهم معهم لمجاورتهم إياهم.

قوله تعالى: ﴿آتنَا مِن لدُنكَ رَحْمةً وَهَيِّئ لَنَا مِنَ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الآية: ١٠].

قال سهل بن عبد الله رحمه الله: ارزقنا ذكرك وشكرك على جميع الأحوال فهو جُل رحمة من عندك، وسهل لنا سبيل التوفيق فهو أرشد الطرق قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُم فِرارًا﴾ [الآية:١٨].

قال جعفر: لو اطلعت عليهم من حيث أنت لوليت منهم فرارًا، ولو اطلعت عليهم من حيث الحق لشاهدت فيهم معانى الوحدانية والربانية.

وقال ابن عطاء رحمه الله: لو اطلعت عليهم أتى على الأكوان بما فيها ﴿لوليت منهم فرارًا﴾ لصرفت البصر عنهم تبرمًا بهم فإنك مطالع لنا، ومطالع منا.

وقال ابن عطاء فى هذه الآية: إنه وردت عليهم أنوار الحق من فتون الخلع، وأظلتهم سرادقات التعظيم وأحدقت بهم جلابيب الهيبة لذلك قال لنبيه ﷺ: ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا﴾.

وقال الحسين فى قوله: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا.

قال: أنفة مما هم فيه من إظهار الأحوال عليهم وقهر الأحوال لهم مع مشاهدته من عظيم المحل فى القرب والمشاهدة فلم يؤثر عليك لجلالة محلك.

وقال جعفر: لو اطلعت على ما بهم من آثار قدرتنا ورعايتنا لهم وتولية حياطتهم لوليت منهم فرارًا. أى ما قدرت على الثبات لمشاهدة ما بهم من هيبتنا فيكون حقيقة الفرار منا لا منهم لأن ما يرى عليهم منا.

وقال أيضًا: لو اطلعت عليهم من حيث أنت. لفررت ولو اطلعت عليهم من حيث أنا لوقفت وذلك أن الولى له من الله أحوال على قدر مشاهدته من نظر إليه من عند نفسه من ضعف البشرية يفر من رؤيتهم وقد فرّ النبى ﷺ من الكفار[١].

قال بعضهم: حين سئل عن الفرق بين أنوار هدايته وأنوار الملائكة؟ فقال: أنوار الملائكة أنوار كراماته وأنوار بنى آدم أنوار هدايته وهو نور ظاهر وباطن لذلك وقعت هيبته أكبر فقال: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا. ولم يكن من أنوار الملائكة عند الحجب فرارًا كفرار الشيطان من عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٢]

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الآية: ١٩].

قال ابن عطاء: مقام المحب مع الحبيب وإن طال فإنه قصير عنده إذ لا يفضى من حبيبه وطرًا ولو مكث دوام الدهر فإن انتهاء شوقه إليه كالابتداء فانتهاؤه فيه ابتداؤه وأنشد:

لا أظلم الليل ولا ادعى ... أن نجوم الليل ليست تغور

ليلى كما شاءت فإن لم تجد ... طالت وإن جادت فليلى قصيرُ

قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الآية: ١٩].

سمعت جعفر بن أحمد الرازى يقول: أوصى يوسف بن الحسين بعض أصحابه فقال: إذا حملت إلى الفقراء أو أهل المعرفة شيئًا واشتريت لهم طعامًا فليكن لطيفًا، فإن الله وصف أصحاب الكهف حين بعثوا من يشترى لهم طعامًا قالوا: وليتلطف وإذا اشتريت للزهاد والعباد. فاشتر كل ما تجده فإنهم بعد فى تذليل أنفسهم ومنعها من الشهوات.

---

(١) لعله يقصد خروجه من مكة إلى المدينة مهاجرًا.

(٢) إشارة إلى حديث النبى ﷺ لعمر: «ما سلكت طريقًا إلا وسلك الشيطان طريقًا غيره». وهو حديث متفق عليه.

أخرجه البخارى فى كتاب «فضائل الصحابة» (٧/ص٥٠) حديث رقم (٣٦٨٣).

ومسلم فى كتاب «فضائل الصحابة» (٨/ص١٧٥)، (٢٢/٢٣٩٦/نووى) من طريق محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه بلفظ «والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك». واللفظ للبخارى.

سمعت أبا عثمان المعزى يقول: إرفاق العارفين باللطف وإرفاق المريدين بالعنف.

قوله تعالى: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الآية: ٢١].

قال ابن عطاء رحمة الله عليه وعلى جماعتهم فى قوله: ربهم أعلم بهم: حيث أظهر عليهم عجائب صنعه وجعلهم أحد شواهد عزته، وجعلهم بالمحل الذى خاطب به النبى ﷺ فيهم. فقال: ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً﴾ [الآية: ٢٣].

لم يطلق لرسوله ﷺ أن يخبر عن الحق إلا بما أخبره الحق، ولم يأذن له فى الإخبار عن نفسه إلا عن مشيئة ربه فقال: ﴿ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾.

قوله تعالى: ﴿واذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الآية: ٢٤].

قال ابن عطاء: إذا نسيت نفسك والخلق، فاذكرنى فإن الأذكار لا تمازج ذكرى قيل له: كيف بنا نفسه وخلقه؟ فقال: يرى أولهم هو ويرى آخرهم هو ويرى أنهم بلاهم حتى يكون ناسيًا للخلق والنفس من ذكرهم إياه.

قال الواسطى رحمه الله: إذا نسيت ذكرى بى فاذكرنى.

قال جعفر: إذا نسيت الأغيار فتقرب إلىّ بالأذكار.

قال الجنيد رحمه الله: الذكر فناء الذاكر فيه، والذكر فى مشاهدة المذكور.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم يقول: قال ابن عطاء فى قوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ إذا انقطعت علائق الاتصال وبقيت الانفصال عن مشاهدة الأعواض حينئذ ذكرته بحقيقة ذكره.

وقال الشبلى رحمه الله فى قوله: ﴿واذكر ربك﴾: ما هذا خطاب أهل الحقيقة وأنى ينسى المُحِق الحق فيذكره بل يذكره حيوته وكونه وأنشد:

لا لأنى أنساك أكثر ذكراك ... ولكن بذاك يجرى لسانى

وقال بعضهم فى هذه الآية: تب إلى ربك إذا عصيت.

وقال ابن عطاء: نسيان الأكابر إذا ورد المحق عليهم بحضوره.

قال الجنيد رحمه الله: حقيقة الذكر الفناء بالمذكور عن الذكر لذلك قال الله تعالى:

﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أى إذا نسيت الذكر يكون المذكور صفتك.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الآية: ٢٨].

قال ذو النون رحمه الله: أمر الله تعالى الأغنياء بمجالسة الفقراء والصبر معهم والاستنان بسنتهم. قال الله تعالى: ﴿واصبر نفسك﴾ الآية.

قال عمرو المكى: صحبة الصالحين والفقراء الصادقين عين أهل الجنة يتقلب من الرضا إلى اليقين ومن اليقين إلى الرضا.

قال إبراهيم بن شيبان: فتوة أهل المعرفة دوام الاصطبار فى حصن الاضطرار مع أهل الصبر.

وقال ابن عطاء: خاطب الله تعالى نبيه ﷺ وعاتبه وأنَّبه وقال له: اصبر على من صبر علينا بنفسه، وقلبه، وروحه، وهم الذين لا يفارقون محل الاختصاص من الحضرة بكرة وعشيًا فحق لمن لم يفارق حضرتنا أن نصير عليه فلا يفارقه.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُم﴾ [الآية: ٢٨].

قال الواسطى لا تعد عيناك عنهم إلى غيرهم فإنهم لا تعدو أعينهم منى طرفة عين.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أن يَهْدِيَنِ رَبِي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الآية: ٢٤].

قال الجنيد رحمه الله فى هذه الآية: إن فوق الذكر منزلة هو أقرب رشدًا ذكره له، وهو تجريد النعوت بذكره لك قبل أن يسبق إلى الله بذكره.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الآية: ٢٨].

قال القاسم: الغفلة غفلتان: غفلة نعمة، وغفلة عقوبة، فغفلة النعمة هى الرحمة التى فيها البقاء ولولا هى ما سكنت القلوب، ولا نامت العيون، ولا هدأت الجوارح، ولذابت الأرواح وبطلت الأجساد وانقلب الزمان والغفلة التى هى عقوبة فهى غفلة الإنسان عن ذكر ربه ونترك مراعاة أحواله مع الله بأن عليه رقيبًا من ربه بل ربّه الرقيب عليه فهذه غفلة عقوبة.

وسئل أبو عثمان: عن الغفلة؟ فقال: إهمال ما أمرت به ونسيان تواتر نعم الله عندك.

وقال بعضهم: الغفلة متابعة النفس على ما تشتهيها.

قال بعضهم: الغفلة عقوبة القلب، وهو حجابه عن المنعم.

وقال الجوزجاني: الغفلة هي طول الأمل.

وقال النورى: الغفلة سكون السر إلى شيء سوى الحق.

وقال ابن الجلاء: الغفلة ما يورثك الفترة.

وقال سهل: الغفلة إبطال الوقت بالبطالة.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الحقُّ مِنْ ربِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الآية: ٢٩].

قال ابن عطاء: أظهر الحق للخلق، سُبل الحق وطرق الحقيقة فمن سألك فيه بالتوفيق، ومعرض عنه بالخذلان وهذا قوله: ﴿وقل الحق من ربكم﴾ فمن سأله الحق الهداية هداه بطريق الإيمان ومن شاء الله له الإضلال سلك به مسلك الكفر وهو الضلال البعيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الآية: ٣٠].

قال جعفر: إن الذين صدقوا الله فى الأرزاق والكفايات وطلبوا الرزق من وجهه الذى أباح الله طلبه فإن الله لا يضيع سعيهم فى طلب مرضاته ويسهل عليهم سبيل التوكل ليستغنوا بذلك عن الطلب والحركة ويخرجهم من ضيق الطلب إلى فسحة التوكل.

قال بعضهم: من صدق الإخلاص فى أعماله فأولئك الذين لا نضيع سعيهم وحركتهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ [الآية: ٣١].

قال ابن عطاء: على أرائك الأنس فى رياض القدس وصفتها: إنها لذات منقضية تعقب حسرات دائمة وسرور حاضر يورث حزنًا مؤبدًا والعالم بها هو المعرض عنها والجاهل لحقيقتها هو المتخبط فيها.

قوله تعالى: ﴿المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحياةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية: ٤٦].

قال بعضهم: المألوفات من الأهل والمال. والأولاد كلها من زينة الحياة الدنيا،

والنفس تألفها أبدًا، ومألوف الروح التوكل والطمأنينة والثقة واليقين.

قال بعضهم: لا ينجو من زينة الحياة الدنيا إلا من كان باطنه مزينًا بأنوار المعرفة وضياء المحبة، ولمعان الشوق وظاهره مزينًا بآداب الخدمة وشرف الهمة وعلو النفس فتقلب القدس فى مجال القرب وميادين الرحمة مشرفين على بساتين الوصلة يشاهدون مليكهم فى كل حال.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الآية: ٣٣].

قال السيارى: لم تنقص منه شيئًا وأى نصيب للخلق عنده وأى حق لهم قبله.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الآية: ٤٤].

قال الواسطى رحمه الله وعلى المشايخ أجمعين: من تولاه الله بالحقيقة فهو الولى ومن ولاه فهو الوالى قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحياةِ الدُّنيا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية: ٤٥].

قال محمد بن الفضل: الدنيا شقيقةُ النفس وقرينتها وهى مائلة إليها فى كل الأوقات وصفتها فتقلب زينة باطنه زينة حب الدنيا شوقًا منه إلى ربه وتغلب زينة ظاهره زينة الدنيا لا زينته أزين من زينة الدنيا.

قوله تعالى: ﴿والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية: ٤٦].

قال ابن عطاء فى قوله: الباقيات الصالحات: قال: هى الأعمال الخالصة والنيّات الصادقة وكل ما أريد به وجه الله هو الصدق.

قال جعفر الصادق: الباقيات الصالحات هو التوحيد فإنه باق ببقاء الموحد.

وقال يحيى بن معاذ: الباقيات الصالحات هى نصيحة الخلق.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الآية: ٤٧].

قال ابن عطاء: دل بهذه الآية على إظهار جبروته وتمام قدرته وعظيم عزته لذلك الموقف ويصلح سريرته وعلانيته لخطاب ذلك المشهد وحوله.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الآية: ٤٩].

قال أبو حفص: أشد آية فى القرآن على قلبى قوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾

إن نظروا إلى المخالفات كان فيها الهلاك وإن نظروا إلى الموافقات ووجدوها مستوية بالرياء والسمعة والشهوات فخوف أهل اليقظة من الموافقات أكثر من خوفهم من المخالفات لأن المخالفات فى مقابلة العفو والشفاعة وسوء الأدب فى الموافقة أصعب وأكثر خطرًا، ولو لم يكن فيه إلا المطالبة بصدق ذلك قال الله عز وجل: ﴿يسأل الصادقين عن صدقهم﴾[1].

قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِى﴾ [الآية: ٥٠].

قال يحيى بن معاذ: لا يكون وليًا لله ولا يبلغ مقام الولاية من نظر إلى شىء دون الله، أو اعتمد سواه ولم يميز بين من يعاديه ويواليه، وحال إقباله من حال إدباره.

قال الله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو﴾.

قال الحسن: خاطبك الحق تعالى أحسن خطاب ودعاك إلى نفسه بألطف دعاء بقوله: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: ٥١].

قال أبو سعيد الخراز: لقد عجزت الخليقة أن يدرك بعض صفات ذاتها فى ذاتها، وتدرى كيف كنهها فى أنفسها.

قال الله تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ فلم يملك الله الخليقة عن تحرى علم أنفسها فى أنفسها فكيف تدرك شيئًا من صفات مالكها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى﴾ [الآية: ٥٥].

قال سهل: جاءهم الهدى ولكن طرق الهداية كانت مسدودة عليهم فمنعهم عن الهدى والإيمان الحكم الجارى عليهم فى الأزل.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الآية: ٥٧].

قال ابن عطاء: من أجهل ممن تبين له الحق فلم يقبله.

وقال بعضهم: أحق الناس تسمية بالظلم من يرى الآيات ولا يعتبر بها، ويرى طرف

(١) سورة (الأحزاب) الآية رقم (٨).

الخير فيعرض عنها، ويرى مواقع الشر فيتبعها ولا يجتنب منها.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الآية: ٥٩].

قال أبو بكر بن طاهر: لما لم يشكروا نعم الله عليهم ولم يقابل البلاء بالصبر والرضا.

قال الواسطى فى قوله: ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾: قال: وكلناهم إلى سؤتك بيسرهم حين سخطوا حسن اختيارنا لهم.

قوله عز وجل: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية: ٦٥].

قال الجنيد رحمه الله: العبودية خارجة من الأفعال والأحوال ولكنها موجودة تحت الخفيات.

قال الواسطى رحمه الله: إضافات من أراد أن ينسى النعوت لا تصل إليه بالعبادات والإشارات ألجأ موسى إلى الخضر صلى الله عليهما ليريه صدق الفاقة لئلا يقول: أنا عند نظرة إلى الله وإلى الناس، لأن الخضر شاهد أنوار الملك وشاهد موسى الواسطات.

قال النبى ﷺ لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله»[1].

فأخبر الخضر موسى أن السؤال من الناس هو السؤال من الله، فقال: لا تغضب من المنع حين أبوا أن يضيفوهما.

قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الآية: ٦٥].

قال ذو النون: العلم اللَّدُنى هو الذى يحكم على الخلق بمواقع التوفيق والخذلان.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت يوسف بن الحسن يقول: سمعت ذا النون رحمه الله يقول: إن الله بسط العلم ولم يقبضه ودعا الخلق إليه من طرق كثيرة، ولكل طريق منها علم مفرد، ودليل واضح فتلك الأدلة يدلون على المناهل، وبنور ذلك العلم وتلك الأعلام يهتدون ولكل أهل طريق منها علم فهو بعلمهم مستعملون، ومتى ضلوا فى طرق هذه العلوم أو أخطؤوا فإن صاحب العلم اللدنى يردهم إلى المحجة.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الآية: ٦٥]. ليكون ذلك لعلماء الوسائط.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى فى كتاب «صفة القيامة» باب (٥٩) (٤/ ٣٨١) حديث (٢٥١٦). وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، وأحمد فى «مسنده» حديث (٢٦٦٤).

قال ابن عطاء: في قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ قال بلا واسطة المكشوف، ولا بتلقين الحروف لكنه الملقى إليه بمشاهدة الأرواح.

قال فارس: العلم اللدنى ما وقع على حسه بالاستيفاء بلا واسطة.

قال الحسين: العلم اللدنى إلهام أخلد الحق الأسرار فلم يملكها الانصراف.

قال الهيثم: علم الاستنباط بكلفة ووسائط، وعلم اللدنى بلا كلفة ولا واسطة.

قال الجنيد رحمه الله: العلم اللدنى ما كان محكمًا على رسوله من غير ظن فيه ولا خلاف واقع لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنون المغيبات وذلك يقع للعبد إذا لزم جوارحه عن جميع المخالفات وأفنى حركاته كل الإيرادات وكان شيخًا بين يدى الحق بلا تمنٍ ولا مراد.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الآية: ٦٦].

قال فارس: إن موسى كان أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله، وكان الخضر أعلم من موسى فيما دفع إليه موسى عليهما السلام.

وقال أيضًا: إن موسى مبقى عليه صفته ليأخذ الغير عن أدبه فمن انقطع عن الرياض كان على حسب العصمة والتمكين فيه، والخضر كان فانيًا مستهلكًا والمستهلك لا حكم له، وموسى كان باقيًا بالحق. والخضر كان فانيًا بالحق ولا فرق بينهما لأنهما من معدن واحد كليهما.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ [الآية: ٦٧، ٦٨].

قال جعفر: لن تصبر مع من هو دونك فكيف تصبر مع من هو فوقك.

قال الواسطى رحمه الله: قال الخضر لموسى: كيف تعنى التأديب والمجاهدة من لا يعرف مصادرها ومواردها.

سمعت أبا عثمان المغربى يقول: إنما أتى الناس من قبل أنهم لا يعرفون مقامهم مع الله، وإنما اشتغلوا بالعلوم والأعمال.

قال الله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾[1].

(١) سورة (هود) الآية رقم (١٧).

والبينة هى الكشف عن مراد الحق فيه، فإذا عرف مراده فيه استراح واطمأن وسكن، ومن ذلك أن يبدى له علم مجارى أحكامه قبل أن يجرى عليه فإذا جرت الأحكام عليه يصبر ولا يبت، كما قال الخضر لموسى صلى الله عليهما ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الآية: ٦٨].

أى لو أحطت به خبرًا لصبرت ولكن ستر عنك محل هذا العلم لموضع التأديب والتهذيب لذلك قيل إن من عرف علم ما يجرى عليه صبر على أحكامه لعلمه بما يراد منه.

قال ابن عطاء فى هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

قال: كره صحبة المخلوقين فآيسهُ مع صحبته بقوله: ﴿إنك لن تستطيع معى صبرًا﴾ لعله يفارقه بهذه اللفظة فإن من وجد الله صاحبًا استوحش مما سواه.

وقال بعضهم: قال الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ثم لم يصبر معه الخضر بقوله: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الآية: ٧٨].

ليعلم أنه ليس لِوَلِىّ أن يتفرس فى نبى.

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللهُ صَابِرًا﴾ [الآية: ٦٩].

قال فارس: موسى استثنى على نفسه بقوله ستجدنى إن شاء الله صابرًا ولم يستثنِ الخضر على موسى بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. قال لأن علم موسى فى ذلك الوقت علم تكليف واستدلال، وعلم الخضر علم لدنى من غيب إلى غيب.

وقال أيضًا: إن موسى كان على مقام التأديب، والخضر قائم مقام الكشف والمشاهدة لما جعل مؤدبًا له.

قوله عز وجل: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلاَ تَسْأَلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ [الآية: ٧٠].

سمع أبا عثمان المغربى يقول: ليس للمتبع أن يسأل، ويبتدئ بالسؤال إذا كان المتبع من أهل الأشراف ولكنه يتلقى بإشرافه عليه تأديبه له فى وقت الأدب ألا ترى كيف قال الخضر لموسى ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلاَ تَسْأَلْنِى عَن شَىْءٍ﴾.

قال الحضرى: علم الخضر لموسى قصور علمه عن محل سؤال موسى وإنه ألجأ إليه للتأديب لا للتعليم فقال له: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلاَ تَسْأَلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ لأن علمك أعلى

وأتم. وإنما ألجئت إليَّ للتأديب لا للتعليم فى حال من الأحوال.

قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذتَ عَلَيْهِ أجراً﴾ [الآية: ٧٧].

قال القاسم: لما قال موسى هذا القول: وقف ظبى بينهما وهما جائعان من جانب موسى غير مشوى ومن جانب الخضر مشوى لأن الخضر أقام الجدار بغير طمع، وموسى رده إلى الطمع.

قال ابن عطاء: رؤية العمل وطلب الثواب به يبطل العمل ألا ترى الكليم لما قال للخضر عليهما السلام ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذتَ عَلَيْهِ أجراً﴾ كيف فارقه.

وقال الجنيد رحمه الله: إذا أورده بظلم الأطماع على القلوب حجبت النفوس عن نظرها فى بواطن الحكم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الآية: ٧٨].

قال النصرآباذى: لما علم الخضر بانتهاء علمه وبلوغ موسى إلى منتهى التأديب قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ لئلا يسأل موسى بعده عن علم أو حالٍ فيفتضح قوله تعالى: ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الآية: ٧٧].

قال الواسطى رحمه الله: الخضر شاهد أنوار الملك وموسى شاهد الوسائط، وكان الخضر أخبر موسى أن السؤال من الناس هو السؤال من الله فلا تغضب عند المنع، فإن المانع والمعطى واحد فلا تشهد الأسباب واشهد المسبب تسترح من هواجس النفس.

قوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ [الآية: ٨٤].

قال ابن عطاء: جعلنا الدنيا طوع يده، فإذا أراد طويت له الأرض، وإذا أحب انقلبت له الأعيان، وإذا شاء مشى على الماء وإذا هوى طار فى الهواء وكذا من أخلص لنا مكناه من مملكتنا يتقلب فيها حيث يشاء ممَن كان للملك كان الملك له.

قوله تعالى ذكره: ﴿وآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىء سَبَبًا﴾ [الآية: ٨٤].

قال جعفر: إن الله عز وجل جعل لكل شىء سببًا، وجعل الأسباب معانى الوجود فمن شهد السبب انقطع عن المسبب، ومن شهد صنع المسبب امتلأ قلبه من دنيا الأسباب وإذا امتلأ قلبه من الريبة حال بينه وبين الملاحظة وحجبه عن المشاهدة.

قوله تعالى: ﴿فأردت﴾، ﴿فأردنا﴾، ﴿فأراد ربك﴾.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم يقول: قال ابن عطاء: لما قال الخضر: فأردت أوصى إليه فى السر من أنت حتى تكون لك إرادة فقال فى الثانية: فأردنا فأوصى إليه فى السر من أنت ومن موسى حتى يكون لكما إرادة فرجع وقال: ﴿فأراد ربك﴾.

وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم يقول: قال ابن عطاء: أما قوله: «فأردت» قال: شفقة على الخلق، وقوله: «فأردنا» رحمة، وقوله: «فأراد ربك» رجوعًا إلى الحقيقة.

وقال الحسين: فى قوله: «أردت وأردنا وأراد ربك».

المقام الأول: استيلاء الحق، والمقام الثانى: مكالمة مع العبد والمقام الثالث: رجوع إلى باطن الغلبة فى الظاهر فصار به باطن الباطن ظاهر الظاهر من غيب الغيب، وعيان العيان غيب الغيب، كما أن القرب من الشىء بالنفوس هو العبد والقرب منها بها وهو القرب.

قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية: ٨٨].

قال ابن عطاء: من صدق الموعود وأحسن اتباع أوامر ربه فله جزاء الحسنى وهو أن يرزقه الرضا بالقضاء والصبر على البلاء، والشكر على النعمة وينزع من قلبه حب الشهوات والدنيا، ووسواس النفس والشيطان.

قوله تعالى ذكره: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَاءٍ عَن ذِكْرِى﴾ [الآية: ١٠١].

قال ابن عطاء: أعين نفوسهم فى غطاء عن نظر الاعتبار، وأعين قلوبهم فى غطاء عن مشاهدة العيان فى الملكوت، فإذا فتحت عين قلبه بالمشاهدة فتحت عين رأيه بنظر الاعتبار.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الآية: ١٠١].

قال ابن عطاء: لا يستطيعون سمعًا لأن آذانهم مسدودة عن السَّماع الحق، ومن لم يفتح له من قلبه سمع السماع كيف يسمع بظاهر سمعه وهو تبع لسمع قلبه.

وقال جعفر الصادق رحمه الله: لا يستطيعون سماع كلام الحق، ولا سماع سنن المصطفى ﷺ، ولا سماع سير الهداة الصالحين من الأنبياء والصديقين لأنهم لم يجعلوا

من أهل القبول للحق فمنعوا سماع خطاب الحق.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذين ضَلَّ سَعْيُهُم فِي الحَيَاة الدُّنْيَا﴾ [الآية:١٠٣ ـ ١٠٤].

قال أبو بكر الوراق: حين سئل عن هذه الآية قال: هو الذى يبطل معروفه فى الدنيا مع أهلها بالمنة وطلب الشكر على ذلك، ويبطل طاعاته بالرياء والسمعة.

قوله تعالى ذكره ﴿إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَت لَهُم جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الآية:١٠٧].

قال أبو بكر الوراق: من أنزل نفسه فى الدنيا منزل الصادقين أنزله الله فى الآخرة منزلة المقربين.

قال الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً﴾[1].

وقال الحسين: من نظر إلى العمل حجب عمن عَمِلَ له ومن نظر إلى من عَمِلَ له العمل حجب عن رؤية العمل.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون رحمه الله يقول: مثل المؤمن كالأرض تطيق حمل كل شىء، وكالمطر إذا سقط سقى كل شىء أراد أو لم يرد.

قوله تعالى: ﴿خَالِدينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الآية:١٠٨].

قال ابن عطاء: منعمين فيها نعيم الأبد ينقلبون فى مجاورته، ويفرحون بمرضاته، قد آمنوا كل مخوف ووصلوا إلى كل محبوب فلا يشتهون شيئًا إلا وجدوه كيف يطلبون عنه تحويلاً.

قوله تعالى: ﴿قُل لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الآية:١٠٩].

قال الحسين: مقياس العدم فى الوجود فى معنى وجوده.

فأما خاص الخاص من كلامه، وما لا يوصف أكثر مما قد أشير إليه، وإنما يذكر الناس ما بغيرهم معانى العبودية من عمل، وثواب، وعقاب، ووعد، ووعيد على حسب ما تحتمله عقولهم، فأما الكمال من فائدة الكلام، فالأنبياء والأولياء والأصفياء.

---

(١) سورة (مريم) الآية رقم (٩٦).

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ [الآية: ١١٠].

قال الأنطاكى: من خاف المقام بين يدى الله فليعمل عملاً يصلح للعرض عليه.

قال يحيى بن معاذ: العمل الصالح ما يصلح أن يلقى الله به ويستحى منه فى ذلك.

قال ذو النون رحمه الله وعلى المشايخ أجمعين: العمل الصالح هو الخالص من الرياء.

وقال أبو عبد الله القرشى: العمل الصالح الذى ليس للنفس إليه التفات ولا به طلب ثواب وجزاء.

وقال سهل: العمل الصالح المقيد بالشىء.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الآية: ١١٠].

قال الأنطاكى: لا يرائى بطاعته أحدًا.

وقال جعفر: لا يرى فى وقت وقوفه بين يدى ربه غيره ولا يكون فى همه وهمته سواه.

* * *

ذكر ما قيل فى سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [الآية: ١].

قال إبراهيم بن شيبان: كهيعص: أما الكاف فالله الكافى لخلقه، والهاء فالله الهادى لخلقه، والياء يد الله على الخلقه بالعطف والرزق والعين فالله عالم بما يصلهم، والصاد فالله صادق وعده.

وقال ابن عطاء: فى قوله عز وجل: ﴿كهيعص﴾ قال كافٍ بالانتقام من أعدائه، هادٍ لمن أخلص فى عمله، عليم بحال من أشرك ومن لم يشرك، صادق فى عذابه وثوابه وعقابه ووعده ووعيده.

قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [الآية: ٢].

قال ابن عطاء: ذكر اختصاص زكريا بالرحمة، وإن كانت رحمته قد وصلت إلى الأنبياء فخص زكريا من بينهم بألطف رحمة وهو أن وهب له يحيى الذى لم يعص ولم يهم بمعصية فهذا هو محل اختصاصه.

وقال أيضًا: رحمة لزكريا إجابة دعوته وإيصاله إلى سؤله ومراده.

قوله عز وجل: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [الآية: ٣].

قال ابن عطاء: أخفى نداءه عن الخلق وعن نفسه، وأظهر النداء لمن يجيبه ويقدر على إجابته وفائدة إخفائه عن النداء الخلق وعن النفس لئلا يدخله تلوين.

وقال بعضهم فى قوله: ﴿إذ نادى ربه نداءً خفيًا﴾. قال: خفيًا فى الذكر عن الذكر، ومن ذى قيل: إذا أذهلتك العظمة خرس قلبك ولسانك عن الذكر.

وقيل: حقيقة الذكر ما يندرج فيه الذاكر.

قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [الآية: ٤].

قال ابن عطاء: قام مقام معتذر لما وجد فى نفسه من فترة العبادة لكبر السن فسأل الله من يعينه على عبادة ربه وينوب عنه فيما عجز عنه من أنواع العبادة ما نابه؟ فقال:

واجعله رب رضيًا: ترضاه لخدمتك وتستخلصه لعبادتك.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [الآية: ٤].

قال ابن عطاء: كيف يشقى من إليه مرجعه وإياه دعاؤه، وبه قوته، وعليه توكله، ومنه تأييده ونصرته؟ قال ـ الله: ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [الآية: ٥ ـ ٦].

قال ابن عطاء: هب لى من لدنك وليًا أى: ولدًا يرث منى النبوة، ويرث من آل يعقوب الأخلاق.

قال أبو الحارث الأولاسى: سؤال الأنبياء لا يكون إلا بإذن أو عن إذن.

قال بعضهم: هب لى من لدنك وليًا: أى ولدًا يكون ناصرًا لى ومعينًا على خدمتك يرثنى أى يرث منى صحبة الفقراء، ومجالستهم، والميل إليهم والاعتزاز بهم فإنها كانت أخلاق الأنبياء والمرسلين، ويرث من آل يعقوب: السخاء والكرم والصبر على النوائب والرضا بالمقدور.

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [الآية: ٦].

قال ابن عطاء: ترضى منه أخلاق الظاهر، وترضيه عنك فى الباطن.

قال جعفر: رضيًا: أى راضيًا بما يبدو له وعليه.

قال أبو بكر الواسطى: ﴿رضيًا﴾: مستقيم الظاهر والباطن لا ينازعك فى مقدور، ولا يخالفك فى قضاء ساكنًا عند بوادى ما يبدو من الغيب ساء أم سر.

قال بعضهم: فى قوله: ﴿واجعله رب رضيًا﴾.

قال: تجعله ممن قد رضيت عنه فأرضيته.

قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ [الآية: ٧].

قال الصبيح: سماه يحيى، وقال: ﴿لم نجعل له من قبل سميًا﴾ افتتح اسمه بالياء وختمه بالياء وتوسط بين اليائين حاء الحنّانية، فاسمه فى الخط مرسوم موجه يقرأ من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله. فياء الأول توفيق وياء الآخر تحقيق، فلذلك لم يعص ولم يهم بمعصية.

قال الجنيد رحمه الله: سمى يحيى ولم يكن له من قبل سميًا لأن يحيى من يحيى بالطاعة والموافقة ولا يموت بالذنب والمخالفة، وكل من كان هذا صفته ونعته لم يجز عليه وسم الخلاف ولا لسان الذم بحال بل كان محمود السيرة من مبدأ أمره إلى منتهاه لذلك قال النبى ﷺ: «ما أحد من الخلق إلا أخطأ أو همَّ بخطيئة إلا يحيى بن زكريا فإنه ما أخطأ ولا هم»[1].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [الآية: ٩].

قال الواسطى: قدرتك من قبل ولم تك موجودًا.

وقال: المقادير صرحت معانيها وكشفت عن أوقاتها.

وقال فى قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

قال: أنت فى حال وجودك كانت فى حال عدمك عندنا لا تحدث لنا فى عدمك ووجودك بحاله لم تكن لا للأشياء ثابتة فى حالة وجودها ولا هى بانية فى عدمها إذ وجودها وعدمها عند الخلق، والإثبات لشىء بإزائه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [الآية: ٨].

قال جعفر: استقبل النعمة بالشكر قبل حلولها، أنى يكون لى غلام، بأى يدٍ، وبأى عمل، وأى طاعة استوجبت منك هذه الإجابة وهذا الفضل والكرم بسابق تفضيلك ونعمك على عبادك فى جميع الأحوال فإن آيست من عملى فلا آيسُ من فضلك.

سمعت أبا بكر الرازى يقول: سمعت أبا على الروذبارى يقول: غاية الرجاء فى غاية الإياس وهو قصه زكريا حين قال: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ فولد له مثل يحيى.

قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: ١٢].

قال الواسطى رحمه الله: خذه بقوة قلبك وثقة بربك لا بسجود وبكاء وتضرع، وهذا دليل أنه أكرم من شاء بغير علةٍ وأهان من شاء بغير علةٍ.

---

(١) صحيح: اخرجه احمد فى «مسنده» (١/ ٢٥٤) حديث (٢٢٩٤)، وقال: إسناده صحيح والهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٢٠٩) وقال: رواه أحمد وابو يعلى والبزار وزاد «فإنه لم يهم بها ولم يعملها» والطبرانى وفيه على بن زيد وضعفه الجمهور وقد وثق وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. والحديث بلفظ: «ما من احد من ولد آدم إلا وقد اخطا او هم ليس يحيى بن زكريا».

قوله: ﴿وآتيناه الحكم صبيًا﴾ [الآية: ١٢].

قال ابن عطاء: الحكم المعرفة.

قال جعفر: التوفيق لاستعمال آداب الخدمة.

قال الحسين: كان روح يحيى معجونًا بأنوار المشاهدة ونفسه معجونة بآداب العبودية والمجاهدة لذلك قال له ربه تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبيًا﴾.

وقال ابن عطاء: الحكم المعرفة.

قال بعضهم: الحكم إصابة الحق فى الأقوال والأفعال والأحوال.

قال يوسف بن الحسين: فى قوله: ﴿وآتيناه الحكم صبيًا﴾ أوتى يحيى عليه السلام حكمًا على الغيب وفراسة صادقة لا يخالطها ريب ولا شك.

قوله تعالى: ﴿وحنانًا من لدنًا وزكاةً وكان تقيًا﴾ [الآية: ١٣].

قال الواسطى رحمه الله: ذلك الذى أوجب له الانبساط والدلال.

وقال سهل: رحمة من عندنا وطهرة طهرناه بها من ظنون الخلق فيه وكان تقيًا معرض عما سوانا مقبل علينا.

قوله تعالى: ﴿وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا﴾ [الآية: ١٥].

سمعت منصور بن عبد الله الهروى يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول: فى قوله: ﴿وسلام عليه﴾ تحية ربه له وأمان له من كل محذور، وإتصال العصمة به إلى الممات، وقوله: ﴿وسلام علىَّ يوم ولدت﴾ من ثنائه على نفسه أنطقه بلسانه وهو لأعذب فى العلم وأرق فى اللطف.

قال الواسطى رحمه الله: سلام فى طرفى حَيْوَته وموته من جريان مخالفة عليه بقوله: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ [الآية: ١٧].

قال ابن عطاء: نورًا منا ألقيناه عليها وخصصناها به فأثرا النور فيه أثره فأخرج من ضياء نتائج ذلك النور عيسى روح الله عليه السلام

قوله تعالى: ﴿ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منًا﴾ [الآية: ٢١].

قال أبو بكر بن طاهر: فى هذه الآية علامة دالة على تصحيح الربوبية ورحمة لمن

أمن به ولم يدع فيه ما يدعيه لنفسه.

وقال أيضًا: برحمته نجا أممًا من الكفر، وبرحمته أهلك أممًا بالكفر، قال الله تعالى لعيسى: ﴿ورحمة منا﴾، وبتلك الرحمة، أهلكت الخلق حتى قالوا ثالث ثلاثة، وحتى قال اليهود والنصارى فيه ما قالوا.

قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا﴾ [الآية: ٢٣].

قال ابن عطاء: لما رأت قومها قد أثموا فى أمرها رجعت باللائمة على نفسها وقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾.

وقال جعفر: لما لم تر فى قومها موفقًا ولا رشيدًا ولا صاحب فراسةٍ يبرئها من قولهم قالت يا ليتنى مت قبل أن أرى فى قومى ما أرى وقيل يا ليتنى مت قبل أن تظهر فيهم آية أكون أنا سببها.

وقال جعفر: يا ليتنى مت قبل أن أرى لقلبى متعلقًا غير معتدًا دون الله.

وقال بعضهم: ﴿يا ليتنى مت قبل هذا﴾ أى يا ليتنى مت فى أيام كفاية التوكل قبل أن رددت إلى عناية الطلب بقوله ﴿هُزِّى إليك﴾.

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [الآية: ٢٥].

قال الواسطى رحمه الله: هزى إليك بجذع النخلة: قال كانت يابسة فلما حركت اهتزت واخضرت وأطلعت وسقطت فقال: كما أن الله تولى النخلة بما عاينت تولى عيسى فى إظهاره من غير أب.

قال فارس: هُزِّىِ إليك. قال: كانت فى هذا الوقت محبة المخالفات لذلك أمرت بالاكتساب، وفى وقت دخول زكريا عليها فى محبة الموافقات.

وقال أيضًا: سكنها فى محنها مرة وأتعبها أخرى وذلك محبة العوام ومحبة الموافقات أعظم.

وقال ابن عطاء: فى قصة مريم عليها السلام لما كانت مجردة رزقت بغير حركة وكسب لما تعلق قلبها بعيسى قال لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [الآية: ٢٦].

قال ابن عطاء: إنك غير مطالبة بالثواب فيما أعطيت.

قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [الآية: ٢٩].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزار بمصر يقول: قال ابن عطاء: فأشارت إليه فى الظاهر ليعلم القوم صدقها فيما يقول فأنطق الله عيسى ﷺ ببراءتها.

قال بعضهم: أشارت إليه اتباعًا للأمر فى الظاهر وأشارت إلى الحق إشارة مضطرٍ عاجز فيما رُميت به، وما نسبت إليه.

وقال: إن أحسن إشارات العارفين فى أوقات الإضطرار حين لا تتثبت الهمة عن الرجوع إلى الحق.

قال ابن عطاء: أشارت إلى الله فلم يفهم القوم إشارتها فأنطق الله عيسى بالبيان، قال عيسى ﴿إنى عبد الله﴾ أى أنطقنى الله بهذا النطق الذى أشارت إليه مريم وأظهر ربوبيته فى تكلمه.

قوله تعالى: [الآية: ٣٠].

لست بعبد هوىً، ولا عبد طمع، ولا عبد شهوةٍ، ﴿وآتَانِيَ الكتَابَ﴾ [الآية: ٣٠].

خصنى بخصائص الأسرار، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ مخبرًا عنه خبر الصدق.

قال ابن عطاء: لما علم الله فى عيسى ما علم من أن يُتكلم فيه بأنواع الكفر أنطقه أول ما أنطقه بقوله: ﴿إنى عبد الله﴾ ليكون ذلك حجة على من يدعى إذ قد شهد هو بالعبودية لله تعالى بالعبودية.

وقيل فى قوله: ﴿آتانيَ الكتابَ﴾ أى سيأتى الكتاب ويجعلنى نبيًا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [الآية: ٣١].

قال ابن عطاء: نفّاعًا للناس كافًا للأذى.

وقال الواسطى رحمه الله: وجعلنى مباركًا عارفًا بالله راغبًا إليه.

قال الجنيدى رحمه الله: مباركًا على من صحبنى وتبعنى أن أوليه على الأعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة.

وقال أبو عثمان: عيسى إمام الزهاد فى الدنيا والسالكين سلوك الآخرة فظهر بركاته على من اتبع أثره.

وقال سهل: أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأرشد الضال ونصر المظلوم، وأغاث الملهوف.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [الآية: ٣١].

قال ابن عطاء: أمرنى بمواصلته وطهارة السر عما دونه ما دمت حيًا بحياته.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [الآية: ٣٢].

قال سهل: جاهلاً بأحكامه ولا متكبرًا عن عبادته.

وقال ابن عطاء: الجبار الذى لا ينصح، والشقى الذى لا يقبل النصيحة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [الآية: ٣٨].

قال الجنيد رحمه الله: من كان مشغولاً بالله عن نفسه وناظرًا إليه لا إلى خلقه فهو الذى يبدأ بالعطاء قبل السؤال داخلاً فى مهيمنية الجبار قد أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [الآية: ٣٨].

فمن اشتغل بالله استولى عليه أنوار الحق فلا يستعبده أحد من المخلوقين وجعله سميعًا بصيرًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [الآية: ٣٩].

سمعت منصور بن الحسين يقول: سمعت أبا القاسم البزار المصرى يقول: قال ابن عطاء: الحسرة هى الندم على ما فات من الحق، وحسرة الوقت هى قلة المبالاة بما يرتكبه من أنواع المخالفات.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [الآية: ٤١].

قال ابن عطاء: الصديق القائم مع ربه على حد الصدق فى جميع الأوقات لا يعارضه فى صدقه معارض بحال.

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله: الصديق الآخذ بأتم الحظوظ من كل مقام سَنى حتى يقارب من درجات الأنبياء.

وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: شرب كأس الصديقين فى الدنيا من ثلاثة أنهار نهر الحياء، ونهر العطاء، ونهر الصبر.

وقال الجنيد رحمه الله: الصديق القائم مع الحق بلا واسطة.

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا﴾ [الآية: ٤٢].

قال بعضهم: لم تعتمد من لا يسمع دعائك، ولا يبصر حالك، ولا يكفيك شيئًا من مماتك.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [الآية: ٤٣].

قال القاسم: الطريق إلى الحق تعالى طريق المتابعة من علت مرتبته اتبع الكتاب، ومن ترك عنهم اتبع الرسول ﷺ، ومن نزل عنهم، اتبع الصحابة رحمة الله عليهم، ومن ترك عنهم اتبع أولياء الله والعلماء بالله وأسلم الطرق إلى الله طريق الاتباع لأن سهل بن عبد الله قال: أشد ما على النفس الاقتداء فإنه ليس للنفس فيه نفس ولا راحة.

قوله تعالى: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِى يَا إِبرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهجُرنِى مَلِيًّا * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ [الآية: ٤٦ ـ ٤٧].

قال أبو بكر بن طاهر: لما بدا منه كلام الجهال من الدعوة إلى آلهته والوعيد على ذلك إن خالفه جعل جوابه جواب الجهال بالسلام لقوله تعالى ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ [الآية: ٤٨].

قال القاسم: من أراد السلامة فى الدنيا والآخرة ظاهرًا وباطنًا فليعتزل قرناء السوء وإخوان السوء لا يمكنه ذلك إلا بالالتجاء والتضرع إلى ربه فى ذلك ليوفقه لمفارقتهم فإن المرء مع من أحب، وقيل: إن القرين بالمقارن مقتدى.

وقال أبو تراب النخشبى: صحبة الأشرار تورث (سوء الظن)[2] بالأخيار.

قوله تعالى: ﴿عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [الآية: ٤٨].

قال عبد العزيز المكى: كان الخليل عليه السلام يهاب ربه أن يدعوه، ويذكره، ويعظمه ألا يكون يدعوه بلسان لا يصلح لدعاءه فدعا على استحياء وحتمة وخيفة وهيبة بعد معرفته بجلالته فقال: وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيًا: والله أعلم أن

---

(١) سورة (الفرقان) الآية رقم (٦٣).

(٢) سوء الظن: وفى المخطوط «السوء».

ربى يعذرنى بدعائى إياه، وإن كنت لا أصلح لذكره ودعائه ثم لا أشقى بدعائه بعد أن يعذرنى

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية: ٤٩].

قال الواسطى رحمه الله: عوض الأكابر على مقدار الحرب جعل فهم التلاوة للأحكام، وجعل فهم الحقيقة للأسقام.

قال الله جل ذكره: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له﴾ وقال لموسى: ﴿وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًا﴾[1].

ولما اعتزل محمد ﷺ الأكوان أجمع ولم يزغ البصر فى وقت النظرة وما طغى. قيل: ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾[2] لم تزغ غير ما حلاه بصفته. وقال: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾[3].

قال أبو محمد البلاذرى: ما خر أحد على ربه فى شىء من أسبابه وما ترك أحد له سببًا. إلا عوضه الله عليه خيرًا منه.

قول الله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًا﴾ [الآية: ٥٠].

قال ابن عطاء: أصدق الألسنة هى المعبرة عن الحق بالصواب، والذاكر على الدوام لنعمائه والناشرة لآلائه.

وقال بعضهم: فتحنا عليهم ألسنة عبادنا بصدق معاملاتهم وعلو محلهم.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِى الكِتَابِ مُوسَى إِنَّه كَانَ مُخْلَصًا﴾ [الآية: ٥١].

قال الترمذى: المخلص على الحقيقة مثل موسى ذهب إلى الخضر صلى الله عليهما ليتأدب به فلم يسامحه فى شىء ظهر له منه ومما كان يفعله حتى أوقعه على العذر فيه

---

(١) سورة (مريم) الآية رقم (٥٣).

(٢) سورة (القلم) الآية رقم (٤).

(٣) سورة (الفتح) الآية رقم (١٠).

وهذا من تمام إخلاصه.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [الآية: ٥٢].

قال ابن عطاء: وقربناه نجيًا: خص الله سادات الأنبياء كل واحد منهم بخاصية فكانت خلافة لآدم ﴿إني جاعل فى الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠]. والقربة لموسى بقوله: ﴿وقربناه نجيًا﴾، والإمامة لإبراهيم بقوله: ﴿إنى جاعلك للناس إمامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، والمحبة لمحمد ﷺ بقوله: «أنا سيد ولد آدم»[١] بلا جهد، ولا اكتساب إلا أن المحبة أوجبت له السيادة على الخلق أجمع والقسم بحياته بقوله: «لعمرك يا محمد»[٢].

وقال جعفر: للمقرب من الله ثلاث علامات إذا أفاده الله علمًا رزقه العمل به، وإذا وفقه للعمل به أعطاه الإخلاص فى عمله وإذا أقامه لصحبة المسلمين رزقه فى قلبه حرمةً لهم ويعلم أن حرمة المؤمن من حرمة الله تعالى.

قال الجنيد رحمه الله فى قوله: ﴿وقربناه نجيًا﴾.

قال: جعلناه من العالمين بنا والمخبرين عنا بالصدق والحقيقة.

وقال رويم: كشفنا عن سره ما كان مغطى عليه من أنواع القرب والزلف، وأذِنَّا له فى الإخبار عنا.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِى الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ﴾ [الآية: ٥٤].

قال ابن عطاء: وعد لأبيه من نفسه الصبر فوفى به وذلك فى قوله: ﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ [الصافات: ١٠٢].

وقال الجنيد رحمه الله: لم يعد إسماعيل لله من نفسه شيئًا إلا صدقه، ووفى به وقام عند مراد الله فيه فسماه صادق الوعد.

قال الحسين: الصادق هو المتكلف فى حاله يجرى بين استقامةٍ وذلَّةٍ، والصديق هو المستقيم فى جميع أحواله.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم فى كتاب «الفضائل» (٤/ ٣/ ١٧٨٢)، وأبو داود فى كتاب «السنة» (٤/ ١٩٩٧) حديث (٤٦٧٣)، بتحقيقنا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) لعمرك يا محمد: إشارة إلى قوله تعالى ﴿إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢].

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [الآية: ٥٦].

قال بعضهم: الصديق الذى لا يطلب الطريق الصدق من غيره ويكون له أن يطالب غيره بحقيقة الصدق.

وقال الحسين: الصديق: الذى لا يجرى عليه كلفة فى شواهدة لمشاهدة الحق فتولاه الحق فلا يرى شيئًا إلا من الحق.

وقال: الصديق: الذى يكون مع الله فى حكم ما أوجب، ولا يكون على شره أثر من الأكوان ويكون وجدان الذات لم يشهده الحق غيره وهو أعمى عن الكون ويكون له مع الحق فستحمل به الواردات لا يذكر برؤية الكون غير الحق ولا يبدله الحق بالنظر إليه غيرة عليه.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِم خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [الآية: ٥٩].

قال محمد بن حامد: أولئك قوم حرموا تعظيم الأنبياء، والأولياء، والصديقين فحجبهم الله عن معرفته وأصابتهم شقاوة ذلك الحال فأضاعوا الصلاة التى هى محل وصلة العبد مع سيده ترسمو بها ولم تتحققوا فيها واتبعوا آراهم وأهوائهم فأصابهم الخذلان وحرموا بذلك السعادة وأثر الشقاوة على العبيد هو حرمان الخدمة وتصغير من عظم الله حرمته.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُم فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [الآية: ٦٢].

قال محمد بن عيسى الهاشمى: رد الأشباح إلى قيمها من المطعم والمشرب بكرة وعشيًا ونزه الأرواح والأسرار عن ذلك بقوله تعالى: ﴿إن المتقين فى مقام أمين﴾ [الدخان: ٥١].

وهو مقام لا ينزله إلا من كان ظاهر الأمانة سرًا وعلانية.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [الآية ٦٣].

قال بعضهم فى هذه الآية: نجعل أهل الجنة وسكانها من يطلبها بفضلنا لا بعمله فإن الجنة ميراث سعادة الأزل لا ميراث الأعمال والعمل سمة ربما تتحقق.

وربما لا تتحقق، والتقوى نتيجة تلك السعادة وقوله: ﴿من كان تقيًا﴾ من كان

رجوعه إلينا بنا لا غير.

وقال ذو النون: التقى من لا يدنس ظاهره بالمعارضات ولا باطنة بالعلات ويكون واقفًا مع الله موقف الاتفاق.

وقال الواسطى رحمه الله: إذا بلغت العقول الغاية وبلغ بها النهاية فحاصلها يرجع إلى حدث يليق بحدث حبك من ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ لما كان التقوى وصفك قابلك بما يليق بك وأعلمك أنه غاية ما يليق تقواك ونهايتك فى نجواك.

قال الواسطى رحمه الله: من تلقى الأشياء بالله لا ينقطع عن العبادة، ومن تلقاها بنفسه انقطع عن العبادة لأنه تلقاها بشواهد نصرتها وبهجتها فالتقيه هى سبب الحجة عن المتقى.

وقال بعضهم: التقوى مقوم على الخطرة، والهمة والفكرة، والنية، والعزم، والقصد، والحركة.

قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [الآية: ٦٥].

قال محمد بن الفضل: هل تعلم أحد يجيبك فى أى وقت دعوته ويقبلك فى أى أوان قصدته.

وقال بعض المفسرين: تعلم أحدًا يسمى الله إلا الله.

وقال الحسين ابن الفضل: هل تستحق أحدًا أن يسمى باسم من أسمائه الحقيقية.

قوله تعالى: ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ من قَبْلُ ولم يَكُ شَيْئًا﴾ [الآية: ٦٧].

قال الواسطى رحمه الله: المقادير صرحت بمعانيها وكشفت عن أوقاتها.

وقال آخر: إنه مأخوذ عن شاهد واكتساب نفسه حين لم يك شيئًا.

والثانى: أخذها من النطفة، والثالث أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا ذكر الطين للعبادات وذكر النطفة للإشارات والباقى لفقد النعوت والأوصاف.

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِنكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ [الآية: ٧١].

قال الواسطى رحمه الله: ما أحد إلا وتورده النار ملاحظات أفعاله ثم ينجى الله منها من أسقط ذلك عنه وأزالها منه بملازمة التوفيق.

قوله عز وجل: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًا﴾ [الآية: ٧١].

قال الواسطى رحمه الله: بالرجاء يجلب المحتوم وبالخوف يدفع المقضى.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [الآية: ٧٢].

قال أبو الحسين الفارسى: ثم ننجى من اتقى النار. بالاستغفار واتَّقانا بقلبه عن المخالفات.

قال الجنيد رحمه الله: ما نجا من نجا إلا بصدق اللجأ.

قال الجريرى: ما نجا من نجا إلا بصدق الوفاء.

قال ابن عطاء: ما نجا من نجا إلا بتصحيح الوفاء.

قال بعضهم: الناجى من المكاره هو الداخل فى سبيل التقوى وتصحيح التقوى فى سره وعلانيته وظاهره وباطنه.

وقال بعضهم: التقوى هو اجتناب الشبه من كل وجه وملازمة الورع فى كل حال، ومد اليد إلى الأسباب بحسب إبقاء المنهج.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًا كَلاَّ﴾ [الآية: ٨١ ـ ٨٢].

قال بعضهم: كيف تظفر بالعز وأنت تطلبه فى محل الذل ومكانه أذللت نفسك بسؤال الخلق، ولو كنت موفقًا لأعززت نفسك بسؤال الحق أو بذكره، أو بالرضا لما يرد عليك منه تكون عزيزًا فى كل حال دنيا وآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [الآية: ٧٦].

قال سهل بن عبد الله: يزيد الله الذين اهتدوا بصيرة فى إيمانهم بالله واقتدوا بسُنة محمد ﷺ. وهو زيادة الهدى والنور المبين.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إِلَى الرحْمنِ وَفْدًا﴾ [الآية: ٨٥].

قال ابن عطاء: بلغنى عن الصادق أنه قال: وفدًا: اى ركبانًا على متون المعرفة.

وقال جعفر: المتقى الذى اتقى كل شىء سوى الله، والمتقى هو الذى اتقى متابعة هواه فمن كان بهذا الوصف فإن الله يحمله إلى حضرة المشاهدة على نجائب النور ليعرف أهل المشهد محله فيهم.

وقال الواسطى: وفدًا أى ركبانًا وذلك حجابهم لا من جذبته زينته عن الحق حتى ينسيه، ولا يجذبه ذكر الحق عن الأعراض جذب الزينة فهو الكاذب فى دعواه.

وقال يحيى بن معاذ: اجعل أمرك مع الله جدًا، وسد باب الخلاف عليك سدًا، وارده على العبد ما أشار به ردًا، وانظر هل تجد من طلب العفو بدًا، فإلى كم تكد بالتصنع كدًا، وتمد بما لا تملكه من حياتك مدًا، ولا تذكر يوم يحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا، ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَ كُلُّ مَن فِى السَّموَاتِ والأرضِ إلاَّ ءاتِى الرَّحْمنِ عَبْدًا﴾ [الآية: ٩٣].

قال أبو بكر الوراق: ما تقرب أحدٌ إلى ربه بشىء أزين عليه من ملازمة العبودية وإظهار الافتقار لأن ملازمة العبودية تورث دوام الخدمة، وإظهار الافتقار إليه يورث دوام الالتجاء والتضرع.

سمعت منصور يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندرانى يقول: سمعت أبا جعفر الملطى يقول: عن على بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد فى قوله ﴿إلا آتى الرحمن عبدًا﴾ قال: فقيرًا ذليلاً بأوصافه أو عزيزًا دالاً بأوصاف الحق.

﴿إن الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرحْمنُ وُدًا﴾ [الآية: ٩٦].

قال الواسطى: طائفة خطابها الثناء فخطابها بما عرفت ﴿إن الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرحْمنُ وُدًّا﴾.

قال ابن عطاء: الذين أخلصوا سريرتهم لى وأتبعوا ظاهرهم فى خدمتى سأجعل لهم وجهًا فى عبادى لا يراهم أحدٌ إلا أحبهم وأكرمهم، وفى محبتهم وكرامتهم كرامتى ومحبتى.

وقال بعضهم: حلاوة ومحبة فى قلوب المؤمنين.

وسئل بعضهم عن قوله: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودًا﴾. قال: يعنى لذةً وحلاوة فى الطاعة والله أعلم.

* * *

ذكر ما قيل فى سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه * مَا أَنْزَلْنا﴾ [الآية: ١].

قال ابن عطاء: فى قوله: ﴿طه﴾ قال الواسطى: طاءً هديت لبساط القربه والأنس.

قال الواسطى: هو مستخرج من الطاهر الهادى أى: أنت طاهر بنا هادٍ إلينا.

وقال محمد بن على الترمذى فى قوله تعالى ﴿طه﴾ أى: طوبى لمن اهتدى بك وجعلك السبيل إلينا.

قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرآنَ لِتَشْقَى﴾ [الآية: ٢].

قال الواسطى رحمه الله: سمى القرآن قرآنًا لأنه مقارن لمتكلمه لا يباينه تعظيمًا لشأن القرآن كما وصل إلينا شعاع الشمس وحرارتها ولم يباين القرص.

قال ابن عطاء: فى قوله: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أى: تتعب فى خدمتنا وكان جوابه.

من النبى ﷺ زيادة تعبد واجتهاد كأنه يقول: وهل يتعب أحدٌ فى خدمتك وهو محل استرواح العارفين فأما هذه الحركات فهى قيام بشكر ما أهلتنى له من قربك، ومناجاتك وخدمتك، والدنو منك، ألا تراه عليه السلام لما قيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[1].

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ [الآية: ٣].

قال ابن عطاء: قيل له: يا محمد أنت إمام أهل الخشية وسيدهم أنزلناه تذكرةً لك لتسكن إليه وتزول به الخشية من قلبك فإن المحب يأنس بكتاب حبيبه، وكلامه.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣/حديث (١١٣٠)، ومسلم فى كتاب «صفات المنافقين» (٩/ ١٧٧، ١٧٨)، (٧٩/ ٢٨١٩/ نووى) من حديث المغيرة بن شعبة بلفظ (أتكلف هذا).
واتفقا أيضًا من حديث عائشة بلفظ (أتصنع هذا) البخارى حديث (٤٨٣٧)، ومسلم (٩/ ١٧٨) (٨١/ ٢٨٢٠ نووى).

قال جعفر: أنزل الله القرآن موعظة للخائفين ورحمة للمذنبين وللمتقين وأنسًا للمحبين فقال: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾.

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [الآية: ٥].

قال مالك بن أنس: وقد سئل كيف استوى؟

قال الاستواء غير مجهول، والكيفية غير معقوله والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وقال فارس: ليس على الكون من الله أثر، ولا على الله من الكون أثر.

قال ابن عطاء: في قوله: الرحمن على العرش استوى.

وقال استوى: إظهار القدرة لإمكان الذات[1].

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ﴾ [الآية: ٦].

قيل فى هذه الآية: له الملك فمن طلب البعض من الكل من غيره أخطأ الطلب ارجع إليه فى جميع مهماتك يكفيك فاطلب منه كل طلباتك يجود بها عليك.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى﴾ [الآية: ٧].

قال: السر ما يطالعه العبد، ولا يطالعه الملك، ولا الشيطان ولا تحسّ به النفس، ولا شهادة العقل وهو فى الأضمار لم تهوه الهمم، ولا تديره الفطن، وهى فى لباب لُب القلب من حقائق المحض من خطرات الإلهام كشرر النار الكامن فى الشجرة الرطبة حتى تمثله الإرادة والمشيئة، والأحكام فينتقل فى الأحوال فهذا هو السر وما هو أخفى فما لم يحن ولم يطالع لا يعلمه إلا الله فهو أخفى من الحقائق فإذا ظهر مخلوقه بدأ عمله.

وقال الواسطى رحمه الله: السر ما خفى على العباد والذى هو أخفى ما لم يقل له كن.

سمعت عبد الله بن حمد السراوى يقول: حدثنا محمد بن منصور الصائغ يقول: سمعت مردويه الصائغ يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: فى قوله: ﴿يعلم السرّ وأخفى﴾ يعلم ما فى نفسك وما تعلمه غدًا.

---

(١) ليس هذا بصحيح وإنما يسمى تأويلاً والصحيح ما قاله الإمام مالك بن أنس آنفًا.

قال الجنيد رحمه الله: يعلم سرّه فيك وأخفى سرّه فيك.

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا﴾ [الآية: ٩ ـ ١٠].

قال الواسطى: موسى خطرت بحسه الخطوط فى أخذ نار فقال النور فلا ينبغى لأحد أن ييئس من نفسه جوله من شاهد الحظ إلى شاهد الحق.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [الآية: ١١ ـ ١٢].

قال جعفر: قيل لموسى عليه السلام: كيف عرفت أن النداء هو نداء الحق؟ فقال: لأنه أقيانى[١] وشملنى فكأن كل شعرة منى كانت مخاطبة بالنداء من جميع الجهات وكأنها تعبر من نفسها بجواب فلما شملتنى أنوار الهيبة وأحاطت بى أنوار العزة والجبروت علمت أنى مخاطب من جهة الحق، فلما كان أول الخطاب إنى تم بعده. أنا علمت أنه ليس لأحد أن يخبر عن نفسه باللفظتين جميعًا متتابعًا إلا الحق فأدهشت وهو كان محل الفناء فقلت: أنت الذى لم تزل، ولا تزال ليس لموسى معك مقام ولا له جرأة الكلام إلا أن تبقيه ببقائك، وتنعيه بنعوتك. فتكون أنت المخاطب، والمخاطب جميعًا.

فقال: لا يحمل خطابى غيرى، ولا يجيبنى سواى أنا المكلم وأنا المكلم وأنت فى الوسط شبح يقع بك محل الخطاب.

قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [الآية: ١٢].

قال أبو سفيان: اخلع نعليك ليصيب قدمك بركة الوادى والوادى بركة قدمك.

وقال الشبلى: اخلع الكل منك تصل إلينا بالكل، فتكون ولا تكون، فتحقق فى عين الجمع بكون أخبارك عنا، وفعلك فعلنا.

قال ابن عطاء: اخلع نعليك أعرض بقلبك عن الكون فلا تنظر إليه بعد هذا الخطاب.

وقال أيضًا: النعل النفس، والواد المقدس دين المرجان وقت خلوك من نفسك، والقيام معنا بدينك، وقيل اخلع نعليك فإنك بعين موجودك وقال جعفر: اقطع عنك العلائق فإنك بأعيننا.

---

(١) يقال: قِن إناءك هذا عند القَيْن، وقِنْتُ الشيء اقينه قينًا لممته. «اللسان/ مادة/ قين».

وقال ابن عطاء: اخلع نعليك أى: أسقط عنك محل الفصل والوصل فقد حصلت فى الواد المقدس وهو الذى يطهرك عن الأحوال أجمع ويبردك إلى محولها عليك.

قيل فى قوله: واد المقدس طوى. أى: أطوى عنك بساط المخالفات فقد حصلت فى هذا الوادى ومطية طوى عن قلبه ما لا يكون مقدسًا.

وقال ابن عطاء: فى قوله: ﴿اخلع نعليك﴾ أى: انزع عنك قوة الاتصال والانفصال إنك بالواد المقدس أى: بواد الانفراد معى ليس معك أحد سواى.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [الآية:١٣].

قول الواسطى: المختار من جهته من هو مصطنعه ومصطفيه، ومُرَبِّيه على يد أعدائه، والملقى محبته فى قلوب عباده فلم يستطيعوا له إلا محبة، والمطلق لسانه بحل العُقد والميسر له أمره فلا يعسر عليه مطلوب بحال، كل هذا يقدم إليه ويَمُنُّ عليه ليكون ثابتًا عند مكافحة الخطاب ومواجهًا لوحى الكلام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّنِى أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِى﴾ [الآية: ١٤].

قال الواسطى رحمه الله: لا يشغل قلبك بغيرى فعلاً، وقولاً، ولا تكن من أبناء الأفعال والأحصار، والأعمار، والدهور. كن من أبناء الأزل والأبد مطالعًا لما سبق من الأولية. وجرى لك فى الأخرية، وإن كان كلاهما واحدًا.

قال ابن عطاء رحمه الله: إشارة إلى حقيقة الحق إذ الأزل والأبد علة وذكر الأوقات، الدهور علة.

وقال الواسطى رحمه الله: أظهر هذا الخلق فى شموخ وعلو فى أنفسهم فأمرهم لعلة الفاقة، ولا لعلة الاستغناء تنسمًا لرؤية الاضطرار قال يا موسى إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى. أَحَبَّ أن يريه عجزه.

وقال أيضًا: بالعبرانية خاطب موسى ثم وصف لمحمد ﷺ بقوله: ﴿إِنَّنِى أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾ هل تلونت الصفة بذلك، فإن قال: لو لونتها اختلاف اللغات لتلونت فى اختلاف الأوامر والنواهى.

قال الحسين: ﴿لا إله إلا أنا﴾ تنظيف البشر عن الآلهة. وإذا خلا السرّ من تعظيم غيره، فلا وجه لهذا القول.

قال الواسطى رحمه الله: ﴿إِنَّنِى أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فاعبدنى﴾ ابتدأه بالتوحيد، وختم بلسان الطاعة ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾.

قال ابن عطاء: أقم معى بحسن الأدب، ولا تغفل عنى وأنت متوجه إلىَّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [الآية:١٧].

قال فارس: سمع موسى كلامًا لا يشبه كلام الحق فلما سمع ذلك الكلام، كاد أن يهيم، فمرةً أضاف العصا إلى نفسه، ومرةً أجاب عما لم يسئل كذلك الهيمان.

وقال: لما غلبت عليه الدعات الصفات رده الحق إلى المخلوق ليسكن ما به.

فقال: وما تلك بيمينك، شغله بالإجابة عما يكلمه، ولولا ذلك لتفسخ عند ورود الخطاب عليه بغتة.

وقال الواسطى رحمه الله: استلذ الخطاب فأخذه عن التميز فأجاب عما سأل، وعما لم يسأل وقال وما تلك بيمينك عندك. فقال: عصاى، فقال: ألقها فإن لنا فيه آيات هى عندك عصا، وهى عندنا حيّةٌ تسعى.

وقال ابن عطاء فى قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ قال: انفراد الله بعلم الغيب فللخلق من الأشياء ظواهرها وحقيقتها عند الله فكان عند موسى أنها عصى. وعند الحق أنها حيّةٌ فقال له: وما تلك بيمينك ليعرفه بذلك مقدار علمه، وإن حقائق العلوم لا يعلمها إلا الله فقال: عصاى، فقال له بل محلاً لإظهار قدرتنا فيه.

وقال الحسين: فى قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ قال: أثبته بالصفة: فقال له: أعد إليه النظرة فأعاد النظر حتى تيقن أنها عصا فقال: عصاى فلما أجاب بالحقيقة إنها عصا قلب عينها فأحالها عن حالها فأعجزه ذلك فقيل. إعجازها للأمة.

وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول: فى قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسى﴾ قال انبسط إليه فى السؤال ليربط على قلبه لعلمه لما يبدو منه فى شهود الكبرياء.

وقال أيضًا: أحب الله تعالى أن يبسط موسى فى الكلام كى لا يحتشم فى السؤال.

وقال الجنيد رحمه الله: فى قوله: ﴿عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُ عَلَيها﴾ [الآية:١٨].

فقال له: الق كلما يعتمد عليه قلبك، أو تسكن إليه نفسك، وإن الكل مجال العلل

فإن كل ما تسكن إليه ستهرب منه عن قلبك ألا تراه قال: فأوجس فى نفسه خيفة.

قال الحسين: عدّد موسى منافع العصا على ربه وسكونه إليها وانتفاعه بها فقال: ﴿ألقها يا موسى﴾ أى: ألق من نفسك السكون إلى منافعها، ومن قلبه حبه ليزول عنه بالفرار منه، خذها ولا تخف وراجع إلينا. وقيل: إن الحكمة فى انقلاب العصا حيّةً فى وقت الكلام أنه جعلها آيته ومعجزته ولو ألقاها بين يدى فرعون، ولم يشاهد منه قبل ذلك ما شهد لهرب منه كما هرب فرعون حين بدهته رؤيته.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول. فى قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ قال: انفرد الحق بعلم الغيوب، فالخلق من الأشياء ظواهرها، وله الحقائق منها، وكان عند موسى أنها عصا فقط فذكر كل ما يعلم من علمها فأراه الله فيها ما تفرد به وجعلها حيّةً، والحكمة فيه أنه لو لم يره فيها من الآيات لراعه فى وقت الانقلاب فأراه ذلك لِيلاً يفزع ولا يجزع فلما رآها حيّةً تهتز كأنها جان ولى مدبرًا أى. ولى ظهره إليه وأقبل على ربه، ولم يعقب فقيل: له أقبل عليها ولا تخف أن يقطعك النظر إليها عنى.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُ عَلَيْهَا﴾ [الآية:١٨].

قال فارس: ذكر كلما فيها من وجوه المنافع لِيلاً تكون له معاودة إلى ذلك فيستلذ بخطاب سيّده وعتابه.

قال أبو بكر الوراق: قوله: ﴿عصاى﴾ جواب والذى بعده ذكر ما أنعم الله عليه بالعصا من المنافع فكان بعد قوله: ﴿عصاى﴾ لسان الشكر.

قال ابن عطاء: فى قوله: ﴿عصاى﴾ إضافة بالملك إلى نفسه ولم يكن له بواجب فى الحقيقة أن يرى لنفسه ملكًا وهو بين يدى الحق فلما أضافها إلى نفسه قال: ألقها فألقاها فإذا هى حيَّةٌ تسعى. قال خذها: أى خذ عصاك ولا تهرب مما ادعيت الملك فيه لنفسك فخاف، وتبرأ من إضافتها ملكًا إلى نفسه فتعطف الحق عليه فقال: ﴿خذها ولا تخف﴾ فإنها لن تضرك.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [الآية:١٨].

قال ابن عطاء: سرائر مغيبة عنى فى العصا. غطّيتها على تبدوا لى ذلك فإن تكشفه لى من الآيات والكرامات.

وقال جعفر: منافع شتى وأكبر منفعة لى فيها خطابك إياى بقولك: وما تلك بيمينك يا موسى.

قال سهل: ذكر موسى من العصا مآرب ومنافع فأراه الله فى عصاه منافع ومآرب كانت خافية مع موسى من انقلابه العصا ثعبان، وضربه الحجر فى انحباس الماء، وضربه البحر فانفلق وغير ذلك أراه بذلك أن علم الخلق وإن كانوا مؤيدين بالنبوة قاصر على علم الحق فى الأكوان.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ [الآية: ١٩].

قال الواسطى رحمه الله: اطرح عن نفسك السكون إلى العصا والاعتماد عليها، وعد المنافع فيها فلما ألقاها وخلا منها سره، قال: خذها الآن منا على شرط أن ترانا النافع الضار لا الأسباب.

وقال ابن عطاء: ألقها من يدك فإنك أخذتها من غيرنا فعددت فيها أسباب المنافع وخذها منا لتكون ولى نعمتك دون غيرنا.

قال بعضهم: ألقها فإنك قد ألفتها، وسكنت إلى منافعها وخذها عن أمرنا لترى فيها المنافع التامة.

قوله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [الآية: ٢١].

قال الجنيد رحمه الله: كان خوف موسى عليه السلام خوف تسليط، لا خوف الطبع.

قال الواسطى رحمه الله: خوف موسى من العصا أنه شاهد أثر سخطه فيه لذلك قال: من طالق فى وقت الذكر بالسخط والعقوبة ذكره بالنية لا بالانبساط.

وقال أيضًا: رأى موسى على عصاه كسوة من سخط الحق فلم يأمن مكره.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[1] [الآية: ٢٣].

قال أبو عبد الله الروذبارى: فى سؤال موسى عليه السلام ربه شرح صدره، وإطلاق لسانه، ومؤازرة أخيه لم يسأله ضعفًا عن التبليغ لأن الله أيده بالثبات والتمكين ولكنه عليه السلام وقف مقام حق بين يدى الحق يسأل بلسان الحق.

(١) وفى المخطوط «لنريه» والصواب ما أثبتناه.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسانِي﴾ [الآية: ٢٥ ـ ٢٧].

قال ابن عطاء: لما كلم الله موسى عليه السلام لم يكن بعد ذلك فيه من الفضل أن يتكلم مع غيره فلما أمره الله عز وجل بالذهاب إلى فرعون، قال: واحلل عُقدة من لسانى إن لم تطلق لسانى أنت، وتحل هذه العُقدة عنه كيف يتهيأ لى الكلام مع مخلوقٍ بعد أن كلمتنى.

وقال ابن عطاء: اكشف لى عن صدرى حتى لا أشاهد غيرك، ويسر لى أمرى حتى لا أنظر، ولا أنطق إلا بمعرفتك، واحلل عقدة الإنسانية من لسانى حتى لا أتكلم إلا بما التقفته منك.

وقال أيضًا: أراد به العقدة النفسانية.

وقال جعفر: لما كلم الله موسى عقد لسانه موسى عن مكالمة غيره فلما أمره بالذهاب إلى فرعون فأجاب يسره فقال: واحلل عقدة من لسانى لأكون قائمًا بالأمر على أتم مقام.

قال ابن عطاء: اشرح لى صدرى «اكشف لى قلبى حتى لا أرى غيرك، وأفتنى عن نفسى حتى لا أرى غير فضلك ومعروفك، ويسر لى أمرى حتى لا أنطق بغير معرفتك وإحسانك، واحلل عقدة الإنسانية من لسانى حتى لا أتكلم إلا بما يقربنى منك.

سمعت منصور بن عبد الله الهروى يقول: سمعت أبا بكر بن عبد الله بن طاهر يقول: ضاق صدر موسى بخطاب الآدميين بعد موقفه مع ربه وكلامه فلما أرسله إلى فرعون قال رب اشرح لى صدرى هوِّن علىَّ مخاطبة غيرك بعد أن استعذتنى بخطابك.

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزار يقول: قال ابن عطاء: فى قوله: ﴿رب اشرح لى صدرى﴾ لاستماع كلامك، ويسر لى أمرى بالوقوف معك واحلل عقدة لسانى النفسانية.

قال الجنيد رحمه الله فى قوله: ﴿رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى﴾. قال: ما سأل الله موسى إلا الأخلاق.

وقال الحسين: لما أزال الحق عنه التوقف وجاء إلى الله بالله ولم يبق عليه باقية بها

يتمتع أقيم مقام المواجهة، وأطلق مصطنعة لسانه بطرًا إلى أليق الأحوال به فسأل قلبه، وشرح صدره لتتسع لمقام المواجهة والمخاطبة ثم نظر إلى أليق الأحوال به فإذا هو تيسر أمره فسأل ذلك على تمام الترقى به حاله إلى أرفع المقام وهو المجىء إلى الله بالله لعلمه بأن من وصل إليه لا يعترض عليه عارضة محال ثم نظر إلى أليق الأحوال به فسأل حل العقدة من لسانه ليكون إذ ذاك لنطقه وبيانه فلما تمت له هذه الأحوال صلح إلى الله وكان للمجيد ممن وفى المواقيت حقها غابت عنه الأحوال فلم يرها وذهبت عن عينه وظهوره وما عداها إلا ما كان للحق منه، ومعه حتى تحقق بقوله **﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾**.

قال بعضهم: سأله حل عقدة الحياء عنه فإنه استحيى أن يخاطب عدو الله فرعون بلسان خاطب الحق.

قوله تعالى: **﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾** [الآية: ٣٣ ـ ٣٤].

قال ابن عطاء: لا يخطرن بسرك ما خطر لموسى. حيث قال: **﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾** استكثر ما منا من العبادة والتسبيح لا يخطرن بلك ما خطر به.

قال جعفر: قيل لموسى: استكثرت تسبيحك وتكبيرك ونسيت بدايات فضلنا عليك فى حفظك فى اليم وردك إلى أمك وتربيتك فى حجر عدوك، وأكثر من هذا كله خطابنا معك وكلامنا إياك، وأكثر من هذا كله إخبارنا باصطناعنا لك.

قال ابن عطاء: اشرح لى صدرى بنور القربة، واحلل عقدة من لسانى. أى: عقدة الاختيار.

وقال أيضًا: واحلل عقدة من لسانى. أى: عقدة الإنسانية حتى لا يكون كلامى إلا عنك وبك.

كان الواسطى: إذا ضرب عليه ضربته نسى كثير تسبيحه وأرجع إلى حال الالتجاء.

قوله تعالى: **﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾** [الآية: ٣٦].

قال الواسطى رحمه الله: سأل ربه ابتداء شرح صدره فجاز الاقتداء به للعوام دون الخواص لأن الله أعلم بما فيه إبلاغ رسالته وأداء أمانته ألا ترى إلى قوله: **﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾** [الآية: ٣٧].

فذكر أيام حداثته ثم رده إلى أصله، ثم رده من أصله إلى أصل الأصل فقال: ﴿واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [الآية: ٤١]. فأضافه إلى نفسه ثم أكد ذلك بقوله: ﴿إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً منى﴾ [الآية: ٣٩].

قال سرى السقطى: ألقى عليه لطفًا من لطفه يستجلب به قلوب عباده.

قال ابن عطاء: ألقيت عليك محبة منى لك فمن رأى فيك محبتى لك أحبك بحبى بك.

وقال فارس: زينتك بملاحةٍ من عندى حتى لا تصلح لغيرى، ويحبك من يرى بك الملاحة فيك.

فقيل: أليس يوسف أعطى شطر الحُسْن؟ لِمَ لَمْ يكن يستوجب المحبة؟ قال: الحسن لا يوجب المحبة، والملاحة توجب المحبة، ألا ترى النبى ﷺ كان عليه (ملاحة ممزوجة بهيبة).

قال الواسطى رحمه الله: ﴿وألقيت عليك محبة منى﴾ فقال: المحبة تمتزج لأقوام كرجل يكون سخيًا شجاعًا، فقيهًا، فيفتن الناس على ذلك، والمحبة التى ألقى على موسى ما زال ملقى عليه وهو فى صلب عمران ألا ترى فرعون لما شاهد الملقى عليه فى صغره من غير مزاج كيف رباه؟ مع ما كان يقتل من أولاد بنى إسرائيل وذلك لإلقاء المحبة عليه.

قال ابن عطاء: ألقى عليك لطفًا لا يراه أحد إلا أحبه.

قال أبو بكر بن طاهر: أحببتك فحببتك إلى أحبائى.

وقال سهل: أظهر الله عليه ميراث علمه، وأورثه محبته فى قلوب عباده.

قال القياد فى قوله: ﴿وألقيت عليك محبة منى﴾: لا يراك أحد إلا رق لك، ومال إليك.

وأيضًا: سبقت لك منى العناية بفضل الاختصاص على غيرك فخصصت بالذكر فى الثناء ومن اصطنعه الله لنفسه لم تسترقه طمع نفسه غيره.

قوله تعالى ذكره: ﴿وَلِتُصْنَع عَلَى عَيْنِى﴾ [الآية: ٣٩].

قال الواسطى رحمه الله فى هذه الآية ما يجىء نبى ولا ولىّ من محبته، ولا سلم أحد من منته. وهذا معنى قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى﴾.

قال ابن عطاء: فى هذه الآية أنا مشاهد لك حافظ أرعاك بعينى ولا أسلم بسياستك إلى غيرى، ليعلمه حسن العناية به.

قوله تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [الآية: ٤٠].

قال الواسطى رحمه الله: ألقاه فى أعظم كبيرة حتى لا يوجده طعم الاصطفاء بقوله: ﴿قتلت نفسًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [الآية: ٤٠].

قال أبو الحارث الأولاسى: فتناك بنا عما سوانا.

وقال ابن عطاء: طبخناك بالبلاء طبخًا حتى صلحت لبساط القرب والأنس.

وقال أيضًا: نجيناك من قومك وفتناك بنا عما سوانا.

قال سهل: أفنينا نفسك الطبيعى، وربعناها حتى لا تأمن مكر الله.

قوله عز وجل: ﴿جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [الآية: ٤٠].

قال: قدرنا لك سبيل المعرفة ووقتها فجئت على ذلك القدر.

قوله تعالى: ﴿واصْطَنَعْتُك لِنَفْسِى﴾ [الآية: ٤١].

قال الخراز: فى هذه الآية قال: فمن أين وإلى أين فمنه وإليه وبه، وفنا فنائه، لبقا بقائه فحقيقة فنائه.

وقيل فى قوله: ﴿واصْطَنَعْتُك لِنَفْسِى﴾ قال: استخلصتك بسرى وأختصصتك بمخاطبتى.

قال: أخلصتك لى حتى لا تصلح لغيرى.

وقال أبو سعيد الخراز: فى بعض كتبه غير أن أولياء الله رهائن لله فى أشياء جهنم قد خباهم. وأحقاقهم فى أنفسهم من أنفسهم لنفسه وهذا مقام الاصطناع الذى قال الله لموسى: واصْطَنَعْتُك لنفسى.

قال الواسطى رحمه الله: حتى لا يملك غيرى فإن نفوس المؤمنين نفوس آنية استرقها الحق فلا يملكها سواه.

قال بعضهم: أوجده طعم الاصطفاء بقوله: واصْطَنَعْتُك لنفسى.

قال سهل: أى مفردًا بالتجريد لا يشغلك عنى به شىء.

قال الخراز: فطرتك صنعة يدعو إلىّ لا إلى نفسك وغيرك يدعو إلى نفسه لا إلىّ.

قوله تعالى: ﴿وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [الآية: ٤٢].

قال سهل: لا تكثر الذكر باللسان، وتغفل عن مراقبة القلب.

قوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [الآية: ٤٣].

قال ابن عطاء: الإشارة إلى فرعون وهو المبعوث فى الحقيقة إلى السحرة، فإن الله لا يرسل أنبياءه إلى أعدائه، ولم يكن لأعدائه عنده من الخطر ما يرسل إليهم أنبياءه، ولكن يبعث الأنبياء إليهم ليخرج أولياءه المؤمنين من بين أعدائه الكفرة.

قوله تعالى: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا﴾ [الآية: ٤٤].

قال يحيى بن معاذ: هذا رفقك بمن يدعى الربوبية فكيف رفقك بمن يدعى العبودية.

وقيل: هذا رفقك من أذاك، فكيف رفقك بمن يؤذى فيك وهذا رفقك بمن عاداك، فكيف رفقك بمن عادى فيك. وهذا رفقك مع أعدائك فكيف رفقك مع أوليائك.

وقال النهرجورى: هذا رفقك بمن جحدك وبارزك فكيف رفقك بمن عبدك وخضع لك.

وقال أيضًا: قال الله لموسى ﴿فقولا له قولاً لينًا﴾.

قال الله لموسى: إنه أحسن إليك فى ابتداء أمرك فلم تكافئه فأحببت أن أكافئه عنك.

قوله تعالى: ﴿لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [الآية: ٤٦].

قال سهل: أمر الله تعالى أنه ومعهما بالنصرة. مشاهد لهما فى كل حال بالقوة، والمعونة، والتأييد لئلا يخافا عند إبلاغ الرسالة بحال.

قوله تعالى: ﴿والسَّلامُ عَلَى من اتَّبَعَ الهُدَى﴾ [الآية: ٤٧].

قال الواسطى رحمه الله: اتباع الهدى بسابقة الهدى فمن سبقت له من الله الهداية اتبع الهدى فى جميع أحواله.

قوله تعالى: ﴿مِنها خَلَقْناكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمَنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [الآية: ٥٥].

قال ـ قيل ليحيى بن معاذ: ما بال الإنسان يحب الدنيا.

قال فحق له أن يحبها منها خلق فهى أمه، وفيها نشأ فهى عيشه، ومنها قد رزقه فهى حياته، وفيها يعاد، وهى ممر الصالحين إلى الله فكيف لا يحب طريقًا يأخذ بسالكه إلى جوار ربه.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى﴾ [الآية: ٦٧].

سئل ابن عطاء فى هذه الآية فقال: ما كانت هذه الخيفة والله يقول: ﴿لا تخافا إننى معكما﴾ قال: خاف على قومه أن يفوتهم حظهم من الله، وما خاف على نفسه.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى﴾ [الآية: ٦٨].

قال ابن عطاء: «لا تخف فإنك بمرأى منا ومسمع، ونحن معك لتقتنع أحوالك فإنك القائم بالمسبب وهم القائمون المعتمدون على الأسباب.

قوله عز وجل: ﴿لن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: ٧٢].

قال ذو النون: من آثر الله على الأشياء هان عليه فيلقى فى ذات الله لأنه آثر الأثير، وحصل فى حمله اللطيف الخفيف.

قال الله: جاء كيسًا على السحرة لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، والذى فطرنا فاقضِ ما أنت قاضٍ، افعل بنا ما كنت فاعلاً، والذى كشف لنا عنه سهل فى مشاهدته حمل المون، وملاقاة المكاره والضرر.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الاية ٨١].

قال سهل: كلوا من طيبات مما رزقناكم، كلوا منها القوام وإمساك الرمق فإنه الطيب من الرزق، ولا تطغوا فيه أى لا تشبعوا فتسكروا عن الذكر.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [الآية: ٨٢].

قال ابن عطاء: لمن رجع عن طريق المخالفة إلى طريق الموافقة وصدق موعد الله فيه وله، واتبع السنة ثم اهتدى، ثم قام على ذلك لا يطلب سواه مسلكًا وطريقًا.

قال فارس: لغفار لمن تاب من الشرك، وآمن بالحق وعمل صالحًا وأقام على ذلك ثم اهتدى ثم لزم السنة.

قال جعفر: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ﴾ لمن رجع إلىَّ فى مهماته ولم يرجع إلى غيرى

وآمن وشاهدنى ولم يشهد معى سواى، وعمل صالحًا أخلص قلبه لى ثم اهتدى ثم لم يخالف سنة النبى ﷺ قوله: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [الآية: ٨٣].

قال بعضهم: عجلته أوقعته فى فتنة قومه حتى قيل له: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك﴾. وأنشد:

أقول له عند توديعه كلانا بعزته مَبلَسُ لَبِسُ

لئن رجعت عنك أجسادنا لقد سافرت معك الأنفس

قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [الآية: ٨٤].

قال الواسطى رحمه الله: عجلت إليك شوقًا منى إليك. واستهانة بمن هو أنت مبعوث إليهم فقال: هم أولاء على أثرى وقيل: الشوق فرض أو نافلة: قيل فرض لأنه يتولد من حقيقة الحب، قال النبى ﷺ حب الله لما يغدوكم من نعمة، وقال لذلك لم تقل الله رضيت لما قال عجلت إليك رب لترضى وقابله الشوق، وطلب الرضوان بان بذلك أن الشوق عليهم بعد، والمحبة عنهم أفقد.

وقال أبو العباس الدينورى فى هذه الآية: أى لتعلم أنى أحبك ولا قرار لى مع غيرك.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ [الآية: ٨٥].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزار يقول. قال ابن عطاء فى قوله: ﴿إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ قال: قال الله: تدرى من أين أتيت؟ قال: لا يا رب قال حين قلت لهارون أخلفنى فى قومى أين كنت أنا حين اعتمدت على هارون؟

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [الآية: ٨٦].

غضبان على ماذا، وأسفًا لماذا، قال: غضبان على نفسه إذ ترك قومه حتى ضلوا، وأسفًا على ما فاته من مناجاة ربه.

وقال الشبلى: أسفًا على ما فاته من مخاطبة الحق من لا أوزان لهم فرده من شوقه إلى شاهده، ولم يظفر بمعيته ولا أسفًا من وجده، فغضبه كان من ذلك.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [الآية: ٩٩].

قال ابن عطاء: موعظة بعد موعظة، وبيان بعد بيان.

وذلك أن الحق كشف له من أنباء ما قد سبق فى الأمم الخالية والدهور الماضية فيكون منهم على علم، ولم يخف عليه من أحوالهم شىء، وأخفا حاله ووقته عن الكل بقوله: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [الآية: ٩٩].

أى موعظة تتعظ بها، وتتأدب بملازمتها فلا تخفى عليك شىء من أسرارنا، وما أودعناه أسرار الذين كانوا قبلك من الأنبياء فيكون الأنبياء مكشوفين لك، وأنت فى ستر الحق.

قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [الآية: ١٠٦].

قال الحسين: هو الذى يطمس الرسوم، ويعمى الفهوم ويميت الذهن، ويترك الجسم قاعًا صفصفًا حتى يعجز الكل عن معرفته، وبلوغ نفاذ قدرته، ثم يظهر من الطوالع ربوبيته على أسرار أهل معرفته فيعرفونه به.

قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا﴾ [الآية: ١٠٨].

قال الواسطى رحمه الله: وهل كانت إلا خاشعة فى الأزل وهل تكون إلا خاشعة فى الأبد، والافتخار فى حال الوجود بالتوثب، والمنازعة، وقاحة الوجه، ورعونة الطبع لأنها لم تكن وهى إذا كانت كأنها لم تكن.

قال الجنيد رحمه الله: كيف لا يخشع وقد كشف الغطاء وأبدى الخفاء فلهيبة الموقف، وحياء الخيانات خشعت أصواتهم وذلَّت رقابهم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَه الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [الآية: ١٠٩].

قال الواسطى فى قوله: يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا به قال: أن لا ينسب إلى نفسه شيئًا، ولا يرى نعته فإذا عاين نعته نسى الأول، وإذا اظهر عليه رضوانه ذهب ما دونه، وقيل فى قوله: ﴿ورضى له قولاً﴾ هو تولى إظهاره عليه، وجعله قائمًا مغيبًا عن شاهده حتى لا ينطق بحضرته من ذات نفسه.

قال ابن عطاء: لا يحيطون بشىء من ربوبيته علمًا لانه لم يظهر شيئًا إلا تحت تلبيس لكن لا يستوى علمان فى شىء واحد، ومن لا يرى الكل تلبيسًا كان المكر فيه قريبًا.

قال الواسطى رحمه الله فى قوله: ﴿يومئذ...﴾ الآية. قال: أن لا ينسب إلى نفسه

شيئًا، ولا يرى نعته فإذا رأى نعته نسي الأول، وإذا ظهر عليه رضوانه ذهب ما دونه، وقيل في قوله: ﴿ورضى له قولاً﴾ هو تولى إظهاره عليه، وجعله قائمًا به مغنيًا عن شاهده حتى لا ينطق بحضرته من ذات نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يحيطُونَ بِهِ علمًا﴾ [الآية: ١١٠].

قال ابن عطاء رحمه الله: لا يحيطون بشيء من ربوبيته علمًا لأنه لم يظهر شيئًا إلا تحت التلبيس لكن لا يستوى علمان في شيء واحد، ومن لا يرى الكل تلبيسًا كان المكر فيه قريبًا، والعبيد لا يقفون على تلبيساته.

قال الواسطي رحمه الله: كيف يطلب أحد طريق الإحاطة ولا يحيط بنفسه علمًا، ولا بالسّماء وهو يرى جوهرها.

وقال: ليس له غاية تردك، ولا نهاية تلحق بقوله: ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾.

قال فارس: ما علمه غيره، ولا ذكره سواه فهو العالم والذاكر على الحقيقة.

قال ابن عطاء: المعرفة معرفتان: معرفة حق ومعرفة حقيقة فمعرفة الحق معرفة وحدانية على ما أبرز للخلق من الأسامى والصفات ومعرفة الحقيقة لا سبيل إليها لامتناع الصمدية، وتحقيق الربوبية لقوله ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾. معناه لا سبيل إلى المعرفة على الحقيقة.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الوُجُوه للحىِّ القَيُّومِ﴾ [الآية: ١١١].

قال سهل: خضعت له بقدر معرفتها به وتمكين التوفيق منه.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [الآية: ١١٤].

قال بعضهم: اجعلنى عالمًا بك، جاهلاً بما سواك، وهو زيادة العلم.

وقال محمد بن الفضل: ﴿رب زدنى علمًا﴾ بنفسى وما تضمره من الشرور، والمكر، والعذر لأقوم بمعونتك في مداواة كل شيء منها يداويها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [الآية: ١١٥].

سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال ابن عطاء في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ قال: عهدنا إلى آدم أن لا يطالع منى سواى فنسى عهدى وطالع الجنان: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ أى لم يطالع بسره، ولكن طالعه بعينه. فنادى عليه

﴿وعصى آدم ربه﴾.

قال جعفر: عهدنا إلى آدم أن لا ينسانا فى حالٍ ونسينا واشتغل بالجنة، وابتلى بارتكاب النهى وذلك أنه ألهاه النعيم عن المنعم فوقع فى النقمة والبلية فأُخرج من النعيم والجنة، ليعلم أن النعيم هو مجاورة المنعم. لا التذاذ بالأكل والشرب.

قال ابن عطاء: ﴿لم نجد له عزمًا﴾ لم يطالع فى دخول الجنة الفضل وإنما طالعه بفعله لا بفضله.

قال الواسطى رحمة الله عليه: ﴿فنسى ولم نجد له عزمًا﴾ أى قوة على ضبط نفسه، وإن كان الواجب أن بركات المباشرة أوجبت زوال النسيان، وإنما غيَّبه عن شاهده ليريه شواهد عبوديته تنبيهًا وتزيينًا.

قال الواسطى رحمة الله عليه: «فنسى» له وجهان: أى جهد قدر عهده وفرق بين من نسى بالحضرة، وبين من نسى فى الغيبة. لذلك قال النبى ﷺ: «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان»[1].

---

(١) صحيح بمجموع الطرق: أورده العجلونى فى «كشف الخفا والالباس» (١/ ٥٢٢). وقال: قال فى اللآلئ لا يوجد بهذا اللفظ.
أخرجه ابن ماجه من ثلاثة طرق:
الأول: حديث ابن عباس رقم (٢٠٤٣) بلفظ: «إن الله تجاوز عن أمتى الحديث.
الثانى: حديث أبو هريرة (٢٠٤٤) بلفظ: «إن الله تجاوز لأمتى عما توسوس به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم به وما استكرهوا عليه.
الثالث: حديث ابن عباس (٢٠٤٥) بلفظ «إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.
فالحديث الأول: قال البوصيرى: إسناده ضعيف لأنه من طريق أبى بكر الهذلى وقد اتفقوا على ضعفه.
والحديث الثانى: متفق عليه.
والحديث الثالث: قال البوصيرى: إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع والظاهر أنه منقطع.
قال ابن ابى حاتم فى العلل سألت أبى عنها فقال هذه أحاديث منكرة كأنها موضوعة، وقال فى موضع آخر لم يسمعه الأوزاعى من عطاء، ولا يصح هذا الحديث ولا يثبت إسناده.
وقال عبد الله بن أحمد فى العلل سألت أبى عنه فأنكره جدًا وقال ليس يروى هذا إلا الحسن عن النبى ﷺ، ونقل الخلال عن أحمد قال من زعم أن الخطأ والنسيان مرفوع فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن الله أوجب فى قتل النفس الخطأ الديّة والكفارة ، يعنى من زعم =

وقال بعضهم: نسى فى وقت التناول مطالعة الأمر.

سمعت أبا القاسم النصرآبادى يقول: ذنب لزمته فوجب عليك الاستغفار، وذنب ألزمته فأنت فيه معذور وقال الله تعالى: ﴿ونسى [(١)] ولم نجد له عزمًا﴾.

قال الحسين بن الفضل فى قوله: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ قال: العود إلى الذنب ثانيًا.

قوله تعالى: ﴿يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [الآية: ١١٧].

قال الواسطى رحمة الله عليه: أضمر عداوته ولم يفزع إلى ربه مبتهلاً فى الكفاية والاستكفاء فأصغى إلى قوله وقسمه.

قوله تعالى: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [الآية: ١١٧].

قال ابن عطاء فى هذه الآية: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ولم يقل فتشقيا لأن آدم كان عالمًا بمراتب المحاورة، واختصاص الدنو، ولم تكن حواء تعلم من ذلك ما علم آدم. فقال لآدم: ﴿فتشقى﴾ لأنك المخصوص بهذه الرتبة الجليلة، وحواء تبعًا لك فيه، وليس الأصل فيه كالفرع.

قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾ [الآية: ١١٨].

قال ابن عطاء: آخر أحوال الخلق الرجوع إلى ما يليق بهم من المطعم والمشرب ألا ترى إلى آدم بعد خصوصيته. الخلقة باليد، ونفخ الروح فيه الخاص، وسجود الملائكة. كيف رُدَّ إلى نقص الطبائع بقوله: ﴿إنَّ لك ألاَّ تَجوع فيها ولا تعرى﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، واصطفاه

= ارتفاعها على العموم فى خطاب الوضع والتكليف، قال محمد بن نصر عقب إيراده ليس له إسناد يحتج بمثله، ورواه العقيلى فى الضعفاء، وكذا البيهقى، وقال ليس بمحفوظ عن مالك ورواه الخطيب عن مالك، وقال إنه منكر عنه، والحديث يروى عن ثوبان وأبى الدرداء وأبى ذر، ومجموع هذه الطرق تظهر أن الحديث أصلاً لا سيما وأصل الباب حديث أبى هريرة فى الصحيح عن زُرارة بن أوفى يرفعه: أن الله تجاوز لأمتى ما حدَّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به، ورواه ابن ماجه بلفظ: عما توسوس به صدورها يدل ما حدَّثت به أنفسها وزاد فى آخره: وما استكرهوا عليه. وقال إن هذه الجملة مدرجة فى آخره وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وقال النووى فى الروضة والأربعين إنه حسن وتكلم عليه الحافظ بن حجر فى تخريج المختصر، وبسط الكلام عليه السخاوى فى تخريج الأربعين.

(١) سورة (طه) الآية رقم (١١٥). وهكذا فى المخطوط والصواب «فنسى» كما جاء فى الآية.

على الخلائق، ثم رده إلى قدره ليلاً يَغدُ وَطورَه. فقال: ﴿إنَّ لك ألاَّ تَجوع فيها ولا تعرى﴾.

سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول: سمعت أبا جعفر الفرغانى يقول: سمعت الجنيد رحمة الله عليه: آخر ما يبقى على الناس اليأس. ﴿فلما ذاق الشجرة﴾.

قال القاسم: لما ذاقا تناثر لباسهما، فلما أكلا بدت لهما سوءاتهما.

قوله تعالى: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوءَاتُهُما﴾ [الآية: ١٢١].

قال الحصرى: بدت لهما، ولم تبد لغيرهما لئلا يعلم الأغيار من مكافآت الجناية ما علما، ولو بدا للأغيار لقال: بدت منهما.

قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾.

قال ابن عطاء: اسم العصيان مذمة، إلا أن الاجتباء والاصطفاء منعا أن يلحق آدم اسم المذمة بحال.

قال جعفر: طالع الجنان ونعيمها بعينه فنودى عليه إلى يوم القيامة ﴿وعصى آدم﴾ ولو طالعها بقلبه لنودى عليها بالهجران أبد الآبد، ثم عطف عليه ورحمه بقوله تعالى: ﴿ثُمّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْه ...﴾ [الآية: ١٢٢].

وقال بعضهم: سبقت الاصطفائة والاجتبائة من الحق لآدم فلم تؤثر فيه سمة العصيان، ولا يخطر الأمر بالنسيان لأن اصطفائيته فى الأزل ردًّ إلى الاجتبائية فى الأبد وهو فى قوله تعالى ﴿إنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾[1] وقوله: ﴿ثم اجتباه ربه﴾ فالاصطفاء أوجب له الاجتباء.

وقال بعضهم: عصى آدم فعوقب أولاده بثلاث: ما ولدوا يموت، وما يبنوا يُهدم، وما يصلوا يُقطع.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.

قال الواسطى رحمة الله عليه: العصيان لا يؤثر فى الاجتبائة. وقوله: ﴿وعصى آدم ربه﴾ أى اظهر اخلاقًا ثم أدركته الاجتبائة، فأزالت عنه مذمة العصيان ألا ترى كيف أظهر عذره بقوله: ﴿فنسى ولم نجد له عزمًا﴾ وكيف يعزم على المخالفة من هو فى ستر

(١) سورة (آل عمران) الآية رقم (٣٣).

العصمة وخصوصية الاصطفاء والاجتباء.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ [الآية: ١٢٣].

قال سهل: هو الاقتداء، وملازمة الكتاب والسنة فلا يضل على طريق الهدى، ولا يشقى فى الآخرة والأولى.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [الآية: ١٢٤].

قال: لا يُعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته، وتشوش عليه رزقه.

وقال جعفر فى هذه الآية: لو عرفونى ما أعرضوا عنى، ومن أعرض عنى رددته إلى الإقبال على ما يليق به من الأجناس والألوان.

قال الواسطى: ما كان ذلك ذكرى حتى أعرضوا عنه، بل كانت تلك أذكارهم، وذكرى قد سبق لمن يذكرنى على الحقيقة، فلا يكون له إعراض عنى، ولا على غيرى إقبال.

قوله تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الآية: ١٣١].

قال الواسطى رحمة الله عليه فى هذه الآية: تسلية للفقراء وتعزية لهم حيث منع الخلق عن النظر إلى الدنيا على وجه الاستحسان فقال: ﴿ولا تمدن عينيك ...﴾ الآية. ثم أمرهم بعد هذا بالعبودية وملازمة الطاعة فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [الآية: ١٣٢].

لذلك روى عن النبى ﷺ أنه قال حين قرأ هذه الآية قال: «من لم يتعزَّى بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات».

وقال سهل: لا تنظر إلى ما يورثك وسوسة الشيطان، ومخالفة الرحمن، وأمانى النفس، والسكون إلى مألوفات الطبع فإنها تفتن، فكل واحد منها مما يقطع عن الله.

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الآية: ١٣١].

قال أبو بكر بن طاهر فى هذه الآية: هو القناعة بما يملكه، والزهد فيما لا يملكه.

وقال بعضهم: من رزق الثقة بالله، والرضاء عن الله فقد أعطى أفضل الأرزاق.

وقال أبو عثمان فى قوله ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ قال: هو توكل لأنه أبقى للمرء

من الطلب، وخيرٌ له من السعى والتعب.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [الآية: ١٣٢].

قال ابن عطاء: أشد أنواع الصبر الاصطبار، وهو السكون تحت موارد البلاء بالسر، والقلب، والنفس، والصبر بالنفس لا غير.

وقال الجنيد رحمة الله عليه فى قوله: ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ قال: وأمر أهلك بالاتصال بنا، والاصطبار على تلك المواصلة معنا، ومن يطيق ذلك إلا المؤيدون من جهتنا بأنواع التأييد.

وقال يحيى بن معاذ: للعابدين أردية يكسونها من عند الله سداؤها الصلاة ولحمتها الصوم.

وقال بعضهم: علمها حضور القلب.

قوله تعالى: ﴿والعَاقِبَةُ لِلتَّقْوى﴾ [الآية: ١٣٢].

قال أبو عثمان: هو ذم النفس والجوارح من جميع ما لا يبيحه بالعلم.

* * *

تم بحمد الله الجزء الأول ويليه الجزء الثانى

وأوله: ذكر ما قيل فى سورة الأنبياء

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحـ

* * *

